المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم

بحث مقدم من الطالبة
إنجا إبراهيم يحيى اليماني

للحصول على درجة التخصص (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها قسم اللغة

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد المختار محمد المهدي

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم.. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، إلى يوم الدين.

أما بعد، فلقد كانت أمنية عزيزة لديّ حين أردت اختيار موضوع نحوي للماجستير أن يكون متصلاً بكتاب الله عزّوجلّ طمعًا في أن أحصل على ثواب للجهد الذي سيبذل بجانب الإسهام في تجلية غامض، أوكشف سر غاب عني وعن أمثالي من الذين مازالوا في أول الطريق..

وحين كاشفت الأستاذ المشرف بهذه الرغبة فتح لي صدره وشجعني على ذلك مادمت مستعدة للبذل والنَّصَب، وأخذ بيدي إلى أن كان هذا الاختيار..

وقدساعد عليه ما كنت أشعر به من حرج وأنا أقرأ عن معنى الإضراب في كثير من الأساليب العربية من خلال دراستي الجامعية أن فيه معنى إبطال المتكلم لما صدر عنه حين يدرك أنه نسي أو أخطأ أو توهم.. ثم أجد أدوات الإضراب المستخدمة في العربية هي هي المستخدمة في كلام الله عزوجل بحكم أنه نزل بلسان عربي مبين، في الوقت الذي يستحيل عقلاً وشرعًا أن يراد هذا المعنى في كتاب الله سبحانه.. وقد كنت أتحرج أن أسأل أساتذتي عن ذلك وأترك هذا الأمر الشائك إلى أن يأتي الوقت المناسب لأدرك سره.

فلما عرض لي هذا الموضوع وصارحت أستاذي برغبتي فيه حذرني أن أكون مستسهلة إياه، فأي بحث يتعلق بكتاب الله لابد فيه من التسلح بأدوات البحث فيه وأن ذلك سيقتضي مني ألا أكتفي بكتب النحو المتداولة بل سيضطرني إلى استقراء كل أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم والوقوف على معانيها وسياقاتها من كتب التفسير المعتمدة وكتب اللغة والنحو وغيرها بل سنحتاج إلى بعض المخطوطات ..

فلما وجد عندي الاستعداد والإصرار وافقني مشكوراً عليه. واستعنت بالله في خوض غماره .. وكان مماسـاعدني على الاستقراء كتابان:

أحدهما: معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم للدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور عبد الحميد السيد.

والآخر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم لفضيلة الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة ـ رحمه الله ـ حيث دلاني على مواضع الآيات التي تضمنت أداة من أدوات الإضراب والاستدراك.

وكانت الخطة مشتملة على مقدمة وتمهيد يبين معنى كل من الإضراب والاستدراك في كلام العرب وكلام الله عزّوجلّ والفرق الجوهري بينهما، وباب يخص أساليب الإضراب في فصلين: أحدهما عن «بل» ومواضعها ومعانيها، والآخر عن «أم» المنقطعة ومواضعها ومعانيها، ولكن أستاذي نبهني في أثناء البحث إلى مجيء «أو» و«بلى» بمعنى «بل» وتفيدان الإضراب فأضفت إلى هذا الباب فصلين آخرين عنهما لاستكمال الاستقراء. ثم خصصت الباب الثاني بأساليب الاستدراك وجعلته في ثلاثة فصول: أحدهما: لكنّ المشددة ومواضعها، والثاني: لكنْ الخفيفة ومواضعها، والثالث: إلا في الاستثناء المنقطع، وكانت الخاتمة في نتائج البحث، والفهارس العلمية الضرورية لمثل هذه الرسالة.

ولقد صدق تصور الأستاذ المشرف حيث اقتضت طبيعة البحث فعلاً أن أطلع على أمهات المراجع في النحو واللغة والتفسير والقراءات والطبقات ودواوين الشعراء، مما سيلمسه القاريء لهذا البحث في الهوامش والمصادر.

أما المنهج الذي سرت عليه فقد التزمت بالترتيب الزمني لهذه المراجع حتى يتبين ماأضافه اللاحق للسابق، وتطور المفهوم لدى علمائنا الأفذاذ الذين بذلواأقصى جهودهم في دراسة كتاب الله عز وجل وتوضيح مدلولاته.

كما التزمت بعدم التكرار في نقل النصوص؛ حيث كنت أجد أحيانا أن المفهوم واحد بين عالمين أو أكثر غير أن عبارة كل مختلفة، فاكتفي بالإشارة إلى المراجع ونقل نص واحد منها أراه مبينا للغرض سواء كان سابقًا أم لاحقًا، أوأعبر عن رأيهم بعبارة موجزة من عندي، وكثيراً ماكنت أجد رأياً لعالم متقدم

يتناقله من بعده ولايشيرون إلى صاحبه.

وكان ترجيحي لأحد الآراء مبنيا على قاعدة: مالايحتاج إلى تقدير أو تأويل خيرمما يحتاج، وعلى وضوح المعنى وقربه من معاني آيات أخرى فخير مفسِّرٍ للقرآن هو القرآن نفسه، وأحيانًا كنت ألمح أن سبب الاختلاف قائم على اختلاف التقدير المحذوف، أوعلى تعيين المضرب عنه أوالمستدرك منه أوالمستثنى منه.

وقد قسَّمت الآيات المدروسة إلى مااتفق فيها على رأي واحد، ومااختلف فيها وترجح فيها رأي محدد، ومااختلف فيها واستوت أطراف الترجيح.

هذا ولست أزعم أنني بلغت بهذا البحث مرتبة الكمال، فهذا من المحال، فالكمال المطلق لكلام الله وحده، فإن كنت قد وفقت فذلك فضل الله وتوفيقه، وإن كنت قد قصَّرت فشفيعي أن الإنسان محل الخطأ والنسيان، وصدق الأصفهاني حين قال: (إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذ ا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر؛ وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)(١).

ولايسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بشكري الجزيل لجامعة أم القرى والمسئولين فيها على الرعاية والعناية بالطلاب والطالبات ولأستاذي الفاضل ومعلمي الرائد، الأستاذ الدكتور محمد المختار محمد المهدي الذي مافتىء يقدم لي الإرشاد والتوجيه السديد طوال مدة عملي في هذا البحث، جزاه الله خير الجزاء وزاده علمًا وتوفيقًا، كما أتوجه بشكري للدكتور عيَّاد الثبيتي الذي أمدني ببعض مافي مكتبته الخاصة، وللأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة على مابذلاه من جهد في قراءة هذه الرسالة وعلى قبولهما للمناقشة والتقويم وعلى ماسيبديانه من إرشادات وملاَحِظ أعتزُّ بها وأستفيد منها إن شاء الله.

وأخيرًا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم وأن يمدنا بتوفيقه إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) معجم الأدباء/لياقوت الحموي.

* تمهيد:

«عن بيان معنى كل من الإضراب والاستدراك في كلام العرب وكلام الله عز وجل والفرق الجوهري بينهما»

يشيع في كتب النحواصطلاح الإضراب والاستدراك ولكل من هذين الاصطلاحين معنىً يخصه.

فالإضرابُ في اللغة: هوالكفُّ والإعْرَاض. يقال: أَضْرَبْتُ عن الشيء أي: كَفَفْتُ وأَعْرَضْتُ، وأَضْرَب عنه أي: أَعْرَض. قال تعالى:﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾[١] أي: نُهْمِلُكم فلا نُعَرِّفُكم ما يَجب عَلَيْكمْ لأنَّكُم كُنْتُم قوماً مُسْرِفين[٢].

أما الاستدراكُ فهو: طَلَبُ التَّدَارُكِ، يقال: تَدَارَكَ القومُ: تَلاحقُوا أي لَحِق آخرُهم أوَّلَهم. واسْتَدْرَكَ الشيءَ بالشيء: حاول إدْراكَه به، واسْتَدْركتُ ما فات وتداركتُه بمعنى[٣].

ومنه: استدرك النجاة بالفرار: أي حاول النَّجَاةَ بفرارِه.

أمّا من حيث المعنى الاصطلاحي للإضراب فيقول الجرجاني فيه هو: (الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه، نحو: ضربت زيداً بل عمراً)[٤]، فأنت أردت أولاً أن تخبر عن ضرب زيدٍ ثم ظهر لك أنك غلطت فأضربت عنه إلى عمرو. وإلى هذا التعريف ذهب أيضًا الكفوي في «الكليات»[٥]، والتهاتوني في «كشاف اصطلاحات الفنون»[٦].

---

(١) سورة الزخرف/٥.

(٢) تنظر مادة «ضرب» في الصحاح/ للجوهري. تحقيق الشيخ أحمد عبد الغفور عطّار، «ولسان العرب» لابن منظور، و«المصباح المنير» للفيومي، «والقاموس المحيط» للفيروزأبادي، و«تاج العروس» للزبيدي، و«المعجم الوسيط» لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣) تنظر مادة «درك» في المعاجم السابقة.

(٤) التعريفات/ للشريف علي بن محمد الجرجاني/٢٩.

(٥) ينظر:١/٢١٥، ٣/١٣٧.

(٦) ينظر:٢/٢٨٠، وينظر معجم المصطلحات النّحوية والصرفية/ للدكتور محمد اللّبدي/١٣٠.

والاستدراك اصطلاحًا يعني في هذه المراجع الثلاثة: رفع توّهم تَوّلد من كلام سابق[١] فإذا قلت (ما جاءني زيدٌ لكن عمروٌ مثلاً، فعدم مجيء زيد باقٍ على حاله، ولم يكن الحكم عليه غلطًا، وإنما جئت بـ «لكن» دفعًا للتوهم، إذ يمكن أن يتوهم المخاطب أن عمرًا لم يأت أيضًا، لما بينهما من الإلف فرفعت ذلك الوهم بقولك: لكن عمروٌ. أما إذا لم يكن بينهما علقة تجوّز المشاركة لم يجز استعمال «لكن» لأن الاستدراك إنما يقع فيما يتوهم أنه داخل في الخبر فيستدرك المتكلم إخراج المستدرك منه. ولتحقيق معنى الاستدراك يجب أن تقع «لكن» بين كلامين متغايرين، إمّا من حيث المعنى كقولك: «فارقني زيدٌ لكن عمرًا حاضرٌ»، وإمّا من حيث اللفظ كقولك: «جاءني زيدٌ لكن عمروٌ لم يأت»).[٢]

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين «لكن» و«بل» في الاستعمال، إذ (أنّ «لكن» لابد فيها من نفي وإثبات، إن كان قبلها نفي كان بعدها إيجاب، وإن كان قبلها إيجابٌ كان بعدها نفيٌ، وهذا الحكم لايراعى في «بل» لأنه رجوع عن الأول حتى يصير بمنزلة مالم يذكر، ومالم تذكره فليس فيه نفيٌ ولاإثبات).[٣]

ومع أن أصل استعمال «بل» للإضراب، و«لكن» للاستدراك نجد أن «بل» تخرج عن الإضراب إلى الاستدراك في الاستعمال فتنوب مناب «لكن» في مقام يتحقق فيه معنى الاستدراك سواء كان ما قبلها منفيًا أم مثبتًا. فبعد النفي مثلاً تقول: «ما قام زيدٌ بل عمروٌ» فأنت نفيت القيام أولاً عن زيد وخفت أن يتوهم نفي ذلك عن عمرو لما بينهما من الإلف فرفعت ذلك الوهم بقولك: بل عمرو. أي: بل عمروقام [٤]؛فجاءت «بل» للاستدراك؛ إذ وقعت بين كلامين

---

(١) ينظر:التعريفات / ٢١، والكليات١/١٧٥، ٤/١٦٢، وكشّاف اصطلاحات الفنون ٢/٢٧٩.

(٢) شرح المفصل/ لابن يعيش ٨/٨٠، ١٠٦ «بتصرف»، وينظر:الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب/ لنور الدين عبد الرحمن الجامي ٢/٣٥١، تحقيق الدكتور/ أسامة طه الرفاعي.

(٣) التبصرة والتذكرة/ للصيمري ١/١٣٧، تحقيق الدكتور: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، وينظر شرح المفصل٨/١٠٧.

(٤) هذا ما عليه الجمهور وإن كان المبرد يرى فيما نقل عنه أن حكم النفي فيما قبلها في مثل هذا المثال يمكن أن ينتقل إلى ما بعدها، وسياتي مزيد تفصيل لهذا الرأي.

متغايرين، وهذا ماأشار إليه ابن مالك بقوله:(بَلْ كَلٰكِنْ بَعْدَ مَصْحُوبَيْهَا)[١] يعني: (لِتَقْرِيرِحُكمِ ما قَبْلَهَا وجعلِ ضِدِّه لِمَا بَعْدَها)[٢]، ومن ثَمّ قال ابن هشام: (بل: حرفُ استدراكٍ وإضرابٍ فإنَّها بعدَ النفي والنَّهي بمنزلةِ «لَكن» سواء)[٣].

وبعد الإثبات تقول: «قام زيد بل عمرولم يقم» فأنت أردت أن تثبت أولاً القيام لزيد، ثم استدركت بـ «بل» لتنفيه عن عمروحتى لايظن المخاطب أن عمراً أيضًا قام، ولعل هذا ماذهب إليه الفراء[٤]، والمبرد.حيث يقول المبرد: (بَلْ حُكْمها الاستدراك أَينما وقعت في جَحْد أوإيجاب)[٥] وتبعهما الفارسي إذ يقول: («بل» أَعمُّ في الاستدراكِ بِهَا من «لكنْ»)[٦].(لأن «بل» يستدرك بها بعد إيجاب وجَحْد، أما «لكنْ» فيستدركُ بِهَا بعدَ نَفْي)[٧].

إلا أن ابن يعيش يردّ هذا الرأي الذي يطلق معنى الاستدراك على «بل» بعد النفي، فيقول:(ومن قال من النحويين إنَّ «بل» يُستدركُ بها بعدَ النفي كـ «لكن» واقتصرَ على ذلك فالاستعمال يشهدُ بخلافِهِ)[٨].

على أنه إذا لم يتأت معنى الاستدراك المقتضي لإمكان الجمع بين ما قبلها ومابعدها في وهم السامع بأن كان ما قبلها ضدّ ما بعدها فإن «بل» حينئذٍ تكون للإضراب فقط، كقولك: «قامَ زيدٌ بَلْ سافرَ» إذ لا يمكن الجمع بين قيام زيد وسفره فيتحتم والحالة هذه أن تكون «بل» إضرابًا عن الأول وإيجابًا للثاني؛ ولا يصح أن تكون استدراكًا.

---

(١) ألفية ابن مالك في النحو والصرف/ ٤٣.

(٢) شرح الكافية الشافية/ لابن مالك ١٢٣٤/٣«بتصرف»، تحقيق الدكتور/ عبد المنعم هريدي.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٧٢٨/٢، تحقيق الدكتور/ مازن المبارك، والأستاذ محمد علي حمد الله.

(٤) ينظر مادة «بلل» في لسان العرب.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الإيضاح العضدي/ للفارسي ٢٩٧/١، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود.

(٧) المقتصد في شرح الإيضاح / للجرجاني ٩٤٦/٢، ٩٤٧ «بتصرف». تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان.

(٨) شرح المفصل٨/١٠٥.

هذا ما استطعت بفضل الله أن أصلَ إليه من خلال التأمل في نصوص النحاة والأساليب الفصحى في العربيّة، وإشارات الأئمة من اللّغويين والمفسرين؛ وبعد إعمال الفكر ومحاولة الفصل بين تعبير بعضهم بالاستدراك اللّغوي تارة والاصطلاحي تارة أخرى. ذلك أنّنا لوتتبعنا تعبير النحاة عن الإضراب والاستدراك لوقع الناظر المتعجّل في بلبلة واضطراب. فسيبويه مثلاً يقول: (مررت برجلٍ راكعٍ بل ساجدٍ، إما غلط فاستدرك، وإمّا نسيَ فذكرَ)[١]، ويقول في موضع آخر: (مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ، ولكنه يَجيءُ على النّسيان أوالغَلطِ، فَيتداركُ كلامَه؛ لأنّه ابْتَدأ بواجبٍ)[٢]

فيفهم من كلام سيبويه السابق أنه يقصد بالاستدراك معنى الإضراب إذا سُبقت بإثبات وكان في الكلام غلطٌ أونسيان؛ وذلك إذا بدا للمتكلم أن هناك ما هوأولى مما قاله فيأتي بـ «بل» مضرباً بها عن الكلام السابق، وأن سيبويه هنا لايقصد الاستدراك الاصطلاحي بل يستعمل اللّفظ بمعناه اللّغوي العام لأن الاستدراك لايأتي في الاصطلاح بعد الغلط أوالنسيان.

ويقول عن «لكن» (ومثله «مامررتُ برجلٍ صالحٍ و[٣]لكنْ طالحٍ»، أبدَلتَ الآخِرَ من الأوّل فجرى مجراه في «بَلْ» فإن قلتَ: «مررتُ برجلٍ صالحٍ ولكنْ طالحٍ» فهومُحالٌ؛ لأنّ «لكنْ» لايُتدارك بها بعد إيجاب،ولكنّها يُثْبتُ بها بعد النفي)[٤]، وهنا يستعمل سيبويه الاستدراك في معناه الاصطلاحي. يوضّح هذا ما قاله المبرّد:(إن «بَلْ» لا تأتي في الواجبِ في كلامٍ واحدٍ إلا للإضرابِ بعد غلطٍ أونسيان، لأنَّ القائلَ إذاقال: مررتُ بزيدٍ فاستدرك، أوناسيًا فذكر، قال: بل عمرو، ليضرب عن ذلك، ويثبت ذا)[٥]. ويقول: («بل»: للإضراب عن الأول

(١) الكتاب ١/ ٤٣٠، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون.

(٢) الكتاب ٤٣٤/١.

(٣) هذه الواوساقطة من النسخة المحققة، وموجودة في طبعة بولاق، وإنما ذكرت هذا لأنه سيأتي في الحديث عن«لكنْ» أن سيبويه لم يذكر «لكنْ» إلا مسبوقة بالواو.

(٤) الكتاب ٤٣٥/١.

(٥) المقتضب ٣٠٥/٣، وينظر ٢٩٧/٤، ٢٩٨، تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة.

والإيجاب للثاني، و «لكن» للاستدراك) [١] وإلى هذا أشار ابن فارس بقوله:(ويزعمُ ناسٌ أنها إذا جاءت في الإثبات كانت استدراكًا، تقول: لقيتُ زيداً بل عمراً، وهذا عند الغلط)[٢]، وتبع سيبويه والمبرّد الفارسي[٣] والجرجاني[٤] وغيرهما[٥] كما سبق.

فالنحاة الأوائل كانويجعلون «بل» للإضراب، و«لكن» للاستدراك، ومع ذلك نراهم يطلقون لفظ الاستدراك بمعناه اللغوي لتوضيح مفهوم الإضراب، ومن هنا جاء الخلط بينهما.

ومن أفضل من حدّد مفهوم الإضراب الاصطلاحي العلامة الرضيّ حيث يقول: (الإضراب جعل الحكم الأوّل موجبًا كان أوغير موجب كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه، ففي قولك: ما جاءني زيدٌ بل عمرو. أفادت «بل» أنّ الحكم على زيد بعدم المجيء كالمسكوت عنه، يحتمل أن يصحّ هذا الحكم فيكون زيد غير جاء، ويحتمل ألا يصحّ، فيكون قد جاءك، كما كان الحكم على زيدٍ بالمجيء في «جاءني زيدٌ بل عمرو» احتمل أن يكون صحيحًا، وألاّ يكون)[٦].

فقوله: «كالمسكوت عنه» يعني: ألا نحكم على المعطوف عليه بشيء لا بنفي ولا بإثبات ذلك أنّ إبطال الحكم عند"الرضي" لايعني إثبات نقيضه لأنه يقول: يحتمل مجيء زيد فلايكون إبطالاً له، بخلاف ما نجده عند ابن مالك والجمهور إذ يقول ابن مالك: (إن وقَع بَعْدَ «بل» مفردٌ وليس قَبْلَه نفيٌ ولانهيٌ فهي لإزَالةِ حُكم ما قَبْلَهَا وجَعْلِهِ لمَا بَعْدَها نحو: «جاء زيدٌ بل عمروٌ»، فإنْ كان قَبلَ المفردِ نفيٌ أونهيٌ آذَنتْ بِتَقْريرِحُكمِهِ، وبجَعْل ضِدّه لمَا بَعْدَه، فـ «زيدٌ» من قولك: «ما قام زيدٌ

(١) المقتضب١/ ١٥٠.

(٢) الصاحبي/ ٢٠٩، تحقيق:السيد أحمد صقر.

(٣) الإيضاح العضدي١/ ٢٩٧.

(٤) المقتصد في شرح الإيضاح ٢/ ٩٤٦، ٩٤٧.

(٥) ابن قتيبة في «تاويل مشكل القرآن»/ ٥٣٦، تحقيق السيد أحمد صقر. والزجاجي في «حروف المعاني والصفات» / ٢٩، تحقيق الدكتور: حسن شاذلي فرهود.

(٦) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٤١٧، ٤١٨، تحقيق: الشيخ يوسف حسن عمر.

بل عمروٌ» قد قرَّر نفيَ قِيَامه، «وعمروٌ» قد أثْبتَ قِيَامَه)[١].

وبالرغم من أن رأي الرضي هوالأنسب إلا أن كلام ابن مالك اشتهر على ألسنة العلماء بعده وبخاصة المفسرين، ولم يكن أمامي إلا أن أسير على الأشهر مسايرة للعلماء الذين ساوروا على ذلك، وربما ترجيحي لم يكن هوالأولى.

ومن خلال تحديدنا لمفهوم الإضراب نلحظ أن هناك فرقًا جوهريًا بين كلام العرب وكلام الله عزّ وجلّ، فكلام الله لايقع فيه غلط أونسيان حتى يضرب عنه كما يقع ذلك من بني البشر، وهذا ما دعا ابن الحاجب[٢]، وابن مالك[٣] إلى القول بأن «بل» في كل مواضعها في القرآن انتقالية، ولا وجود للإبطالية فيه، يقول الزركشي: (زعم صاحب البسيط وابن مالك أنها لاتقع في القرآن إلا بهذا المعنى - أي الانتقالي - وكذا قال ابن الحاجب في "شرح المفصل"[٤]: «إبطال ما للأول، وإثباته للثاني، إن كان في الإثبات نحو: جاءزيد بل عمروٌ، فهومن باب الغلط، فلايقع مثله في القرآن، ولا في كلام فصيح، وإن كان ما في النفي نحو: ما جاءني زيدٌ بل عمروٌ. يجوز أن تكون من باب الغلط ويكون عمروغير جاء، ويجوز أن يكون مثبتًا لعمروٍ المجيء فلا يكون غلطًا.)[٥]

ومن خلال تناولنا للنصوص القرآنية المشتملة على «بل» وجدنا فيه الإضراب بنوعيه: الإبطالي، والانتقالي. إلا أن الإبطال الواقع في القرآن لم يكن ناشئًا عن غلط أونسيان من الله عزّ وجلّ، وإنما هوإبطال لكلام الكفرة، فمن المتفق عليه بين جميع العلماء أنه لا وقوع للغلط في القرآن لأنه كلام الله، وهذا

---

(١) شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣، ١٢٣٤.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل / لابن الحاجب ٢١٤/٢، تحقيق الدكتور: موسى بناي العليلي.

(٣) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣.

(٤) الإيضاح في شرح المفصل ٢١٤/٢، وعبارته فيه كالتالي: (وأما «بل» فللإضراب مطلقًا مثبّتا كان الأوّل أومنفيًا، فإذا قلت: جاءني زيدٌ بل عمروٌ، فقد أضربت عن نسبة المجئ إلى «زيد» وأثبته لعمرو،فهو إذن من باب الغلط، فيكون عمروٌ غير جاءٍ، كأنك قلت: ما جاءني عمروٌ، ويجوز أن يكون مثبتًا لعمروٍ المجئ فلا يكون غلطاً).

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢٥٩/٤، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

ابن قتيبة[١] من العلماء المتقدمين يقول بعدم وقوع الغلط فيه، وكل ما في الأمر أن الغلط إنما لحق كلام الكفرة فيما ادّعوه كذباً وبهتاناً على الله.

ويقول المبرد: (إن «بل» لاتأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلط أونسيان، وهذا منفي عن الله عزّ وجلّ، لأن القائل إذا قال: مررت بزيد غالطاً فاستدرك، أوناسياً فذكر، قال:بل عمرو، ليضرب عن ذلك، ويثبت ذا...فإن أتى بعد كلام قد سبق من غيره، فالخطأ إنما لحق كلام الأول، كما قال الله عزّ وجلّ:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾[٢] فعلم السامع أنهم عنوا الملائكة بما تقدم من قوله:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[٣] وقال:﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[٤] وقال:﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[٥] أي: بل هؤلاء الذين ذكرتم أنهم ولدٌ عبادٌ مكرمون)[٦]

وهذا ما يفهم أيضاً من كلام أبي حيان وابن هشام[٧]..وغيرهما، إذ يقول أبوحيان: («بل» للإضرابِ والانتقالِ من شيءٍمن غيرِ إبْطَالٍ لما سبق، وهكذا تجيءُ في كتابِ اللّه تَعَالى، إذا كانَ مَا بعدها من إخبارِ اللّهِ، لا على سبيلِ الحكايةِ عن قوم)[٨].

ثم جاء الصَّبّان ووفّق بين هذين الرأيين القائلين بعدم وجود الإبطال في القرآن ووجوده فقال: (إذا كان المضرب عنه الكلام المقول كانت «بل» للإضراب الإبطالي، إما إذا كان المضرب عنه القول فـ«بل» للإضراب الانتقالي، إذ الإخبار

(١) ينظر: تاويل مشكل القرآن/٢٠٣.

(٢) سورة مريم/٨٨.

(٣) سورة الزخرف/١٩.

(٤) سورة الزخرف/١٦.

(٥) سورة الأنبياء/ ٢٦.

(٦) المقتضب٣/٣٠٥.

(٧) ينظر: مغني اللبيب ١/١١٩.

(٨) البحر المحيط ٤/١٠٣.

بصدور ذلك منهم ثابت لا يتطرق إليه إبطال)[١].

والحاصل أن ابن الحاجب وابن مالك راعيا القول، والمبرد وأبوحيان وابن هشام راعوا المقول.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[٢]، فكما ذكرنا من قبل أنه يجوز أن تكون فيه «بل» للإبطال للدلالة على إبطال ما ادعوه على الله من اتخاذ الولد، فتكون إبطالاً للمقول، ويجوز أن تكون للانتقال على سبيل الإخبار عنهم، فما يخبر الله به ثابت لايتطرّق إليه شك، فتكون إضرابًا عن القول.

هذا والبدهي الذي لا خلاف حوله أن أساليب القرآن الكريم تسير وفق الأسلوب العربي الرصين وسيلة للبيان العام للناس أجمعين.

فـ «أم» ترد كثيراً في كلام العرب وتاتي مرّة متصلة كقولك: أزيد عندك أم عمروٌ؟، ومرّة منقطعة نحو: أزيد عندك أم عندك عمروٌ؟. ولوتأملنا في كتاب الله لوجدناها قد وقعت بنوعيها، ومع ذلك يرى السهيلي أنها في كل مواضعها في كتاب الله متصلة لا منقطعة بل ويمنع وجود المنقطعة في القرآن، فيقول:

(وهذه «أم» التي هي مشوبة المعنى بالإضراب والاستفهام، لاينبغي أن تكون في القرآن، وإن كانت فعلى جهة التقرير، نحوقوله:﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾[٣]، وأحسب جميع ما وقع منها في القرآن إنّما هوعلى أصلها الأول من المعادلة، وإن لم يكن قبلها ألف استفهام، نحوقوله:﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾[٤]، و﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾[٥]؛ لان القرآن كله مبني على تقرير الجاحدين وتبكيت المعاندين، وهوكلّه كلام واحد، كأنّه معطوفٌ بعضه على

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/١١٣.

(٢) سورة الأنبياء/ ٢٦. وسياتي ذكرها في موضعها.

(٣) سورة الزخرف / ٥٢.

(٤)سورة الطور/ ٣٠.

(٥)سورة الكهف/ ٩.

بعض، فإذا وجدت «أم» وليس قبلها استفهام في اللفظ، فهومُتضمَّنٌ في المعنى معلومٌ بقوة الكلام، كأنه يقول: «أتقولون كذا أم تقولون كذا؟ وأبلغك كذا؟ أم حسبت أن الأمر كذا»؟. ونظيره ما يتكرر في القرآن من قوله سبحانه:{ وَإِذْ قُلْنَا }[١]، و{وَإِذْ فَرَقْنَا}[٢] بواوالعطف من غير ذكر عامل يعمل في «إذ» لأن الكلام في مَعْرِض تعداد النِّعم وتكرار الأقاصيص، فيشير بالواوالعاطفة إليها، كأنها مذكورة في اللّفظ، لعلم المخاطب بالمراد)[٣] وتبعه في هذا الرأي ابن القيم.[٤]

غير أن هذا الحكم حين نضعه في الميزان فإننا نرى فيه تكلفًا لأنه لايمكن حمل «أم» في جميع مواضعها على الاتصال، فمنها ما يحمل على الاتصال دون تكلف، ومنها ما يحمل على الاتصال بتقديرات وتأويلات، والقاعدة تنص على أن مالايحتاج إلى تأويل خير مما يحتاج.

ومنه مثلاً قوله تعالى:{...وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[٥].

فـ «أم» فيها قولان:

الأول: أن تكون منقطعة والتقدير: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة كما دخل الأنبياء والمؤمنون من قبلكم دون أن تبتلوا بما ابتلوا به.

والثاني: أن تكون متصلة، بتقدير معادل محذوف عند السهيلي وابن القيم وغيرهما أي: أفهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ فصبروا على

---

(١) سورة البقرة/ ٥٨.

(٢) سورة البقرة/ ٥٠.

(٣) نتائج الفكر/ ٢٦١، تحقيق الدكتور: محمد إبراهيم البنّا.

(٤) ينظر:بدائع الفوائد١/٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) سورة البقرة/ ٢١٣، ٢١٤، وسيأتي ذكرهما.

استهزاء قومهم أفتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم. وواضح أن حملها على الانقطاع أقرب وأولى.

وحين نتعرض لهذه الآيات الموهمة سيتضح ما رجحناه بالدليل إن شاء الله.

الباب الأول

أساليب الإضراب

الفصل الأول

«بل»

ومواضعها ومعانيها

الفصل الثاني

«أم»

المنقطعة ومواضعها ومعانيها

الفصل الثالث

«أو»

ومواضعها ومعانيها

الفصل الرابع

«بلى»

ومواضعها

الفصل الأول

« بل » ومواضعها ومعانيها

معنى «بل»

من المتفق عليه بين النحاة[(١)] أن «بل» حرف إضراب، والإضراب له معنيان:

أحدهما: إبطالي وهو (إبطالُ الأوَّل والرجوعُ عَنْه إمّا لغلطٍ أونسيان)[(٢)]

والثاني: انتقالي وهو(الخروجُ مِن قصَّةٍ إلى قصَّةٍ من غيرِ إبطال)[(٣)] على رأى الجمهور خلافًا للمبرد الذي يجوّز انتقال النفي إلى ما بعد «بل»[(٤)] وكلاهما يتأتى وروده إذا كان ما بعد «بل» مفردًا، وإذا كان ما بعدها جملة، فمثال مجيئها للإضراب الإبطالي وبعدها مفردٌ قولك: «جاءني زيدٌ بل عمروٌ» إذا أردت أن تخبر عن مجيء عمرو فغلطت وسبق لسانك إلى ذكر زيد، ثم أضربت عنه وقلت: «بل عمرو» فـ «بل» جاءت هنا لإبطال الحكم عن «زيد» وجعله لـ «عمرو» يقول ابن مالك: (فَهي لإِزَالةِ الحُكم عَمَّا قَبْلَها وجَعْلِه لمَا بَعْدها)[(٥)].

ومثال مجيئها للإضراب الانتقالي ومابعدها مفردٌ أيضًاقولك: «ما جاءني زيدٌ بل عمروٌ» فبعد ما أخبرت عن عدم مجيء زيد خفت أن يتوهم ذلك عن «عمروٌ» فقلت: «بل عمروٌ» أي «بل عمروٌ جاء» فجاءت «بل» هنا للاستدراك والانتقال من خبر إلى خبر دون أن تبطل الأول.

ومثال مجيئها للإبطال وبعدها جملة، قولك: «جاء زيد بل سافر» إذ لايمكن الجمع بين مجيء زيد وسفره.

ومثال مجيئها للانتقال قولك: «جاء زيدٌ بل أكرمت خالدًا» إذا أردت أن

---

(١) منهم على سبيل المثال لا الحصر: سيبويه في الكتاب ٤٣٩/١، والمبرد في المقتضب ١٥٠/١، وابن مالك في شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣، وابن هشام في مغني اللبيب ١١٩/١، ١٢٠، وغيرهم.

(٢) شرح المفصل ١٠٥/٨.

(٣) ينظر مادة «بلل» في المصباح المنير.

(٤) سيأتي ذكره في موضعه.

(٥) شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣ «بتصرف».

تخبر عن مجيء زيدٍ ثم أضربت عنه، ورأيت أن الأولى أن تخبر عن إكرامك لـ «خالدٍ» ويصلحُ هذا المثال أيضًا للإبطال إذا أردت أن تخبر من الأول عن إكرام خالد، فغلطت وسبق لسانك إلى ذكر مجيء زيدٍ، فتكون «بل» للإضراب عن الغلط أي لإبطال ذلك الغلط أوالنسيان، وتحقيق هذا نراه عند ابن يعيش حيث يقول: (إنَّ الإضْرابَ تارة يكون عن المحدَّث عنه، فتأتي بعد «بل» بمحدث عنه نحو: ضربت زيدًا بل عمرًا، وماضربت زيدًا بل عمرًا، وتارة عن الحديث، فتأتي بعد «بل» بالحديثِ المقصودِ إليه نحو: ضربت زيدًا بل أكرمته، كأنك أردت أن تقول: أكرمتُ زيدًا فسبقَ لسانك إلى ضربت؛ فأضربت عنه إلى المقصود وهوأكرمته، وتارة تضرب عن الجميع وتأتي بعد «بل» بالمقصود من الحديث والمحدث عنه وذلك نحو: ضربت زيدًا بل أكرمت خالدًا، كأنك أردت من الأول أن تقول: أكرمت خالدًافسبق لسانك إلى غيره، فأضربت عنه بـ«بل» وأتيت بعدها بالمقصود هذا هوالقياس)(١)

والإضراب بنوعيه السابقين قد ورد ذكره في القرآن الكريم.

(١) شرح المفصل ١٠٥/٨.

مقارنة بين معاني «بل» والبدل المباين

استصحاباً لمعنى الإضراب الذي فصّلناه في التمهيد نسوق ما قاله العلماء عن الأداة الأصيلة في إفادة معناها بشيء من التفصيل الذي تقتضيه طبيعة البحث:

يقول المبرد: (بل للإضراب عن الأوّل والإثبات للثاني، سواء سبقت بإيجاب أونفي)[١] وهومعنى كلام سيبويه[٢]، وغيره[٣].

والإضراب عن الأول إمّا أن يكون لغلط أونسيان أوبداء. فالغلطُ هو: (وضْعُ شيء على غيره بمضيِّ الوهم إليه ثم يظَهُر المقصودُ)[٤] فبعد أن يجري اللسان بالمتبوع من غير قصد يتبين هذا الغلط، كقولك: «رأيت رجلاً بل حماراً» فأنت أردت أن تقول: رأيت حماراً، فسبقك لسانك إلى رجل ثم أضربت عنه فقلت حماراً.

والنّسيان: هو (وَضْعُ شيءٍ على غيره منْ غير علمٍ به ولا خطور بالبال)[٥] إذ يذكر المتكلم المتبوع قصداً ثم يتبن له فساد قصده فيعدل عنه. كقولك: عندي رجلٌ بل حمارٌ. حيث قصدت أولاً أن تخبر أن عندك رجلاً ثم ظهر بطلان قصدك، فإن الذي عندك إنما هوحمارٌ.

وخلاصة الفرق بين الغلط والنّسيان: (أن الغلط: خطأ اللسان، والنّسيان:

---

(١) المقتضب ١/ ١٥٠.

(٢) ينظر: الكتاب ١/ ٤٣٤، ٤٣٩.

(٣) منهم على سبيل المثال: الصيمري في كتابه «التبصرة والتذكرة» ١/ ١٣٦، وابن فارس في «الصاحبي» / ٢٠٨، وابن عصفور في «شرح جمل الزجاجي» ١/ ٢٣٩، تحقيق: الدكتور/ صاحب أبوجناح.

(٤) رصف المباني/ للمالقي / ٢٣٠، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخرّاط، وينظر: المصباح المنير مادة «غلط»، ومعجم المصطلحات النّحوية والصرفية/ ١٦٦، ١٦٧.

(٥) رصف المباني/ ٢٣٠، وينظر المصباح المنير مادة «نسا»، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية/ ١٦٦، ١٦٧.

خطأ الجَنَّان)[١] قاله ابن هشام.

وأما البَداء: فهو (وضعُ شيءٍ على معنى بالقصد ثم يتبيَّن أنّ الأَوْلَىٰ غير ذلك الشيء)[٢]، فبعد أن يذكره المتكلم قصداً، يضرب عنه من غير أن يتعرّض له بنفي أوإثبات. كقول القائل: «هندٌ كوكبٌ، بل بدرٌ، بل شمسٌ» لما شبهها بالكوكب عن قصد وتعمد، أضرب عن هذا التشبيه بعد أن بدا له أنه غير وافٍ بالغرض،فقال: «بل هي بدر» ثم وجد أنّ تشبيهها بالبدر لايفيها حقها، قال: «بل هي شمس» وهذا مايعرف بالإضراب الانتقالي، إذ يبدأ فيه المتكلم بالأدنى ثم يترقّى إلى الأعلى[٣].

ويفيد البداء أيضاً الإضراب الإبطالي، فبعد أن يكون قد ذكره المتكلم يضرب عنه إلى آخر، والبداء بهذين النوعين لايكونان في كلام الله عزّ وجلّ، لأن الله يقصد كل ما يقوله، فلم يبدُ له شيء حتى ينتقل منه إلى آخر.

هذا وقد ربط سيبويه وغيره بين العطف بـ «بل» والبدل المباين حيث إن مايجري على الاسم الواقع بعد «بل» يجري أيضاً على البدل المباين، فبدل الغلط كقولك: «مررت بزيد عمروٍ» وبدل النِّسيان كـ «مررت برجلٍ حمارٍ» إذا أردت أن تخبر عن مرورك بعمروٍ أوحمارٍ. فنسيت وذكرت زيداً أورجلاً ثم أبدلته بعمروأوحمار، وبدل البداء كقولك: جاءني زيدٌ عمروٌ. وهما قد جاءاك فأخبرت أولاً عن مجيء زيدٍ ثم انتقلت عنه إلى الإخبار بمجيء عمرودون أن تبطل الأول.

ومثله ما رُوي عن رسولِ اللّه صلّى اللّهُ عَلِيهِ وَسَلّم:(إنَّ الرَّجُلَ لَينْصَرِف وَمَاكُتِبَ لَهُ إلَّا عُشْرُ صَّلَاتِهِ، تُسعُها، ثُمُنُها، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُها، رُبْعُها،

---

(١) شرح اللمحة البدرية/ لابن هشام ٢٩٧/٢، تحقيق الدكتور: صلاح رواي.

(٢) رصف المباني/ للمالقي/٢٣٠، وينظر مادة «بدا» في لسان العرب، والمصباح المنير، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية/ ١٨، ١٩.

(٣) ينظر: إصلاح الخلل الواقع في **الجمل** / «للبطليوسي »/٩٩، ١٠٠، تحقيق الدكتور/ حمزة النشرتي، وشرح الرضي على الكافية ٣٨٦/٢.

ثُلُثُها، نِصْفُها)[(١)] .ومعلوم أنه ليس المعنى: (وما كُتب له العشرُ مع التسعِ وهكذا مع سائر الأجزاء، لأن ذلك لايوجد لشيء من الأجزاء واحد، وأيضًا فأنّه مناقضٌ لمقصود الحديث من أنَّ الرجل قد يُصلي الصلاة وما كُتبَ له إلّا بعضُها، وكأنّه لما قال: إنّ الرجل ليصلي الصلاةَ وما كُتِبَ له عُشرُها أضرب عن ذلك وأخبر أنَّه قد يُصلّي وماكُتِبَ له تسعها، كذلك يتنزّل ما بعد ذلك إلى النصف)[(٢)] .

فإذا سبق البدل المباين بإيجاب فيمكن أن تأتي به على طريقة البدل، وأن تأتي به على طريقة العطف، فتدخل «بل» وتقول: «مررت بزيد بل عمرو، ومررتُ برجلٍ بل حمارٍ، وجاءني زيدٌ بل عمروٌ» وهكذا يقول سيبويه: («مررتُ برجلٍ حمارٍ»، فهو على وجهٍ محالٌ، وعلى وجهٍ حَسَنٌ. فأمَّا المحُالُ: فأَنْ تَعنيَ أنَّ الرَّجلَ حِمَارٌ. وأما الذي يَحسُنُ فهو أن تقول: مررتُ برجلٍ، ثم تُبْدِلَ الحِمَار مَكَانَ الرجل فتقولَ: حِمارٍ، إمَّا أن تكونَ غلِطتَ أونَسيتَ فاستَدركتَ، وإمَّا أن يَبْدُوَلك أن تُضْربَ عن مرورك بالرجل وتَجعلَ مكانَه مرورَك بالحمار بعد ما كنتَ أردتَ غيْرَ ذلك....ومن ذلك قولك: مررتُ برجلٍ بَلْ حِمارٍ وهوعلى تفسيرِ: مررتُ برجلٍ حِمارٍ)[(٣)] فبوجود «بل» يمتنع أن تكون كلمة «حمار» نعتًا «لرجل» فذلك الاحتمال قد يتسرب إلى الذهن قبل مجيء الحرف «بل» أما بمجيئه فتنتقل المسألة من البدل إلى العطف. يقول ابن عصفور: (والأحسن في مثل هذا أن تأتي بـ«بل» فتشعر بالإضراب عن الأول لئلا يتوهم في ذلك أنّك قصدت الصِّفة، ألا ترى أنك إذا قلت: رأيتُ رجلاً حماراً، أوثوراً أمكن أن تتوهَّمَ أنّك رأيت رجلاً جاهلاً

---

(١) هذه رواية الحديث كما في سنن أبي داود/ كتاب الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة ٥٠٣/١، برقم ٧٩٦، وفي الجامع الصغير/ للسيوطي ٣٠٣/١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٥/٢ برقم ١٦٢٢. وليس كما رُوي في شرح جمل الزجاجي ٢٨٤/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢١٥/٥، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم(إن الرجل ليصلي الصلاة وما كُتب له نصفها ثلثها ربعها إلى عشرها).

(٢) شرح جمل الزجاجي ٢٨٤/١«بتصرف».

(٣) الكتاب ٤٣٩/١.

أوبليدًا)[١] ومثله أيضًا بدل البداء، إذ يمكن أن تأتي به على سبيل البدل، ويجوز أن تعتبره من باب العطف مع حذف حرف العطف، وبه قال ابن جني[٢] (والصحيح أن الوجهين ممكنان)[٣].

أما إذا سُبق بنفي ففيه قولان:إما:

١ ـ أن تأتي به على طريقة البدل فقط يقول ابن أبي الربيع: (فإن وقع في النفي فيظهر من كلام أبي علي أنك لاتأتي به إلا على طريقة البدل، ولاتأتي بـ «بل» فتقول:ما مررت بزيد بل عمرو، على معنى: ما مررت بعمرو، وإنما يقال: ما مررت بزيد بل عمرو على معنى: مررت بعمرو)[٤] فإذا أبدلنا «عمراً» من «زيد» أمكننا تكرير الفعل المنفي مع عمرو. أما إذا جئنا بـ «بل» فلايمكن تكرير الفعل المنفي إلاّ على رأي المبرد[٥]. لأنه جَوَّز نقل النفي والنهي لما بعد «بل»، أما عند الجمهور فلا يصحُّ لأن «بل» (تكون حرف عطف مشركًا ما بعده مع ما قبله في اللّفظ؛ ولوقدرنا النفي بعدها لجعلْناه مشركًا في المعنى)[٦]

٢ ـ أوتأتي به على طريقة العطف بـ «بل» وتكون «بل» بمعنى الإضراب عن الأوّل والإيجاب للثاني. تقول: ما مررت بزيدٍ بل عمرو، أي: ما مررت بزيدٍ بل مررت بعمرو. فجاءت «بل» عاطفة من حيث اللفظ، ولاتأتي كلمة «عمرو» والحالة هذه بدلاً، لما قدمناه. يقول سيبويه:(ما مررتُ برجلٍ بَلْ حمارٍ،أَبدلت الآخر من

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٢٨٣/١، وينظر: المقتضب ٢٩٧/٤، ٢٩٨، والإيضاح العضدي ٢٩٤/١، وأسرار العربية/ لابن الأنباري/ ٣٠٠، تحقيق: محمد بهجة البيطار.

(٢) الخصائص ٢٩٠/١، ٢٨٠/٢، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، وينظر: شرح ألفية ابن مالك/ لابن الناظم/ ٥٥٦، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد.

(٣) شرح جمل الزجاجي ٢٨٤/١، وينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي/ لابن أبي الربيع ٤٠٩/١، تحقيق الدكتور/ عيّاد الثبيتي.

(٤) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٤٠٩/١.

(٥) نسبه إليه ابن يعيش في شرح المفصل ١٠٥/٨، والرضي في شرحه على الكافية ٤١٨/٤، وابن مالك في شرح الكافية والشافية ١٢٣٤/٣، وغيرهم وسيأتي مزيد تفصل لهذا الرأي.

(٦) رصف المباني «بتصرف» / ٢٣٠، ٢٣١

الأوّل وجعلتَه مكانَه)[١].

ومما سبق يتضحُ لنا أن «بل» تأتي عاطفة إذا وليها مفرد، نحو: «قام زيدٌ بل عمروٌ» ويمكن أن تأتي استئنافية، فكلمة «عمرو» من قولك: «مررت بزيدٍ بل عمروٍ» يمكن أن تُعْربَ بالجرِّ إذا عطفناها على كلمة «زيد»، وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «مررت بزيدٍ بل هوعمروٌ، ومامررت بزيدٍ بل هوعمروٌ» سواء سبقت بإيجاب أم نفي يقول سيبويه: (مامررتُ برجلٍ بَلْ حِمارٍ... وقد يكونُ فيه الرفعُ على أن يُذْكَرَ الرجلُ فيقال: مِنْ أمْره ومَنْ أمْرِه، فتقولُ أنت: قد مررتَ به، فما مررتُ برجلٍ بل حِمارٍ، أي بَلْ هوحمارٌ)[٢].

ويقول في موضع آخر:(مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ، لأنَّها من الحروف التي يُبْتَدأُ بها)[٣]. ومن ذلك قوله تعالى:{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}[٤] أي أن كلمة «عباد» رفعت بتقدير مبتدأ محذوف، أي: «بل هم عبادٌ» (فالرفعُ ههنا بعد النصب كالرفع بعد الجرّ)[٥].

---

(١) الكتاب ١/٤٣٩

(٢) الكتاب ١/٤٣٩، وينظر المسائل المنثورة/ للفارسي/٤١، تحقيق الأستاذ /مصطفى الحدري.

(٣) الكتاب ١/٤٣٥.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٦.

(٥) الكتاب ١/٤٣٥، وينظر المسائل المنثورة/٤١.

أنواع «بل»

تقع «بل»بين مفردين أوجملتين، فإذا وليها مفرد كانت عاطفة، أما إذا وليها جملة ففيها قولان: إما أن تكون معطوفة، وإما أن تكون استئنافية في بدء الكلام.

أولاً: «بل» بين مفردين.

تقع «بل» عاطفة بين مفردين، ولا تخلو أن تكون بعد إيجاب أوأمر أونفي أونهي.

فإن جاءت بعد إيجاب أوأمر فهي (للإضراب عن الأول والإثبات للثاني)[(١)] -كما سبق بيانه-كقولك: «قام زيدٌ بل عمروٌ »، و «اضرب زيداً بل عمراً» فـ «زيد» مضروبٌ عنه، ولايحكم عليه بشيء، و«عمرو» قد أثبت له القيام، كما أثبت له الضرب. والمعنى: بل قام عمروٌ، وبل اضرب عمراً.

يقول ابن مالك: (وَإِنْ وَقَع بَعْدَها مفردٌ وَلَيْسَ قَبلَهُ نَفيٌ،ولانَهْيٌ فهي لإزَالةِ حكم ما قَبْلَها وجَعْلِه لِمَا بَعْدَهَا)[(٢)]

وإن جاءت بعد نفي أونهي ففيها خلاف:

١ ـ أنها توجب للثاني ما نفي عن الأول، فمعنى قولك: «ما قام زيدٌ بل عمروٌ» أي:بل قام عمرو. فـ «زيدٌ» قد تقرر نفي قيامه، و«عمرو» قد أثبت قيامه، وكذلك قولك: لاتضرب خالداً بل بشراً»، فـ «خالد» تقرّر النهي عن ضربه، و«بشر» قد أمر بضربه يقول ابن مالك: (فإنَ كان قَبلَ المفرد نفيٌ أونهيٌ آذنت بتقرير حُكْمِهِ، وبجَعْل ضِدِّه لمَا بَعْدَه)[(٣)]

---

(١) المقتضب ١/١٥٠، وينظر:المقرب/ لابن عصفور/٢٥٥، تحقيق الدكتور/ أحمد عبد الستار الجواري، والدكتور عبد الله الجبوري، وينظر ارتشاف الضربهن لسان العرب/ لأبي حيان ٦٤٤/٢، تحقيق الدكتور/مصطفى النماس.

(٢) شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٢.

(٣) شرح الكافية الشافية ١٢٣٤/٢، وينظر مغني اللبيب ١٢٠/١.

٢ ـ أن تكون بعد النفي على حالها بعد الواجب، تقول: «ماجاءني زيدٌ بل عمروٌ» أي: بل ماجاءني عمرو. وبه قال المبرد. فكلمة «بل» هنا جاءت لصرف الحكم المنفي أوالمنهي عنه عن المعطوف عليه إلى المعطوف، والمعطوف عليه في حكم المسكوت عنه، وقد نسب ابن مالك في «شرح الكافية الشافية»[١] إلى المبرد أنه يجوّز أن تكون «بل» ناقلة حكم النفي والنهي لما بعدها، ثم علّق على هذا الرأي بأنه (مُخَالفٌ لاسْتِعْمَالِ العَرب)[٢]، واستدل على ذلك بقول الشاعر:[٣]

لَوِاعْتَصَمْت بِنَا لَم تَعْتَصِمْ بِعِدًا
بَلْ أَوْلِيَاءَ كُفَاةٍ غَيرِ أَوْغَادِ[٤]

وكقول الآخر:[٥]

وَمَا انْتَمَيْتُ إلَى خُورٍ وَلا كُشُفٍ
وَلَالِئَامٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَوْزَاعِ
بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ البِيض إنْ لَحِقُوا
شُمُّ العَرَانِين عَنْدَ المَوت لُذَّاعِ[٦]

---

(١) شرح الكافية الشافية ١٢٣٤/٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) قائله مجهول.

(٤) البيت من البحر البسيط، والشاهد في البيت الحجة على المبرد في تجويزه أن تكون «بل» ناقلة لحكم النفي أوالنهي لما بعدها، فعلى مقتضى قوله: إذا قال لاتضرب زيدًا بل عمرًا، يكون نهيًا عن ضرب كل واحد منهما، وهذا مخالف لاستعمال العرب.

ينظر هذا البيت في شرح الكافية الشافية ١٢٣٤/٣، والدرر اللوامع على همع الهوامع/ للشنقيطي ١٣٣/٦، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم.

(٥) قائلهما: ضرار بن الخطاب.

(٦) والبيتان من البحر البسيط، والشاهد فيه أن «بل» هنا لم تنقل حكم النفي لما بعدها، وهوحجة على المبرد كالبيت السابق.

وينظر هذان البيتان في شرح الكافية الشافية ١٢٣٥/٣، والدرر اللوامع على همع الهوامع ١٣٤/٦.

وكقول الآخر:(١)

لَا تَلْقَ ضَيْفًا إِذَا أَمْلَقْتَ مُعْتَذِرًا
بِعُسْرَةٍ بَلْ غَنِيَّ النَّفْسِ جَذْلَانَا(٢)

هكذا استشهد ابن مالك بتلك الأبيات للرد على قول المبرد إن «بل» تنقل حكم ما قبلها لما بعدها في النفي والنهي، كما يحتج على المبرد أنه قد وافق النحاة في عدم جواز نصب ما عطف على خبر «ما» بـ«بل» و«لكن» وأنه لايجوز فيه(إلا الرفع لأن «ما» لاتعمل إلا في منفي)(٣)

فكيف يجوِّز هنا أن تكون «بل» ناقلة حكم النفي والنهي لما بعدها؟ (ولوصحّ ذلك لتعيّن النصب وامتنع الرفع في لغة أهل الحجاز، لكن الأمر بالعكس فصحّ أن «بل» لاتنقل عدم الثبوت إلى ما بعدها وأن ما بعدها محقق الثبوت)(٤).

وممن رد على المبرد أيضًا ابن عصفور، وابن أبي الربيع حيث قال الأول: (والصحيح أنَّ الذي ذهب إليه سيبويه قد اتفقا ـ المبرد وسيبويه ـ معًا على جوازه وعلى أنَّه كلام العرب، وما انفرد به لايحفظ له ما يدلّ عليه)(٥)

وقال الثاني: (ولأن الإقدام على إنشاء كلام بالقياس ـ ولم يثبت عند العرب بالسماع ـ لايُقدم عليه، ولعلّ العرب رفضته واستغنت عن ذلك بالبدل؛ لما في ذلك من الإبهام)(٦)

---

(١) قائله مجهول.

(٢) البيت من البحر البسيط، وهذا البيت حجة على المبرد أيضًا،
وينظر هذا البيت في شرح الكافية الشافية ١٢٣٥/٣.

(٣) المقتضب ١٨٩/٤«بتصرف»، وينظر شرح الكافية الشافية ١٢٣٤/٣.

(٤) شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ/ لابن مالك/٦٣١، تحقيق/ عدنان الدوري، وينظر: المسائل البصريات/ للفارسي ٧٨٨/٢، تحقيق الدكتور/محمد الشاطر أحمد محمد أحمد.

(٥) شرح جمل الزجاجي ٢٣٩/١، وينظر: رصف المباني/٢٣١، ومغني اللبيب ١٢٠/١.

(٦) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٤٠٩/١.

وقد ينتصر للمبرد في رأيه بقياس انتقال الحكم فيما قبل «بل» إلى مابعدها في الإثبات، فحين تقول: «جاء زيدٌ بل عمروٌ» فـ«بل» هنا كما يقول ابن مالك (لإزَالة حكم ماقَبْلَهَا وجَعْلِهِ لمَا بَعْدَها)[1] أي أن المجيء الذي يثبت لزيد قبل «بل» ينتقل بنفسه إلى «عمرو» بـ «بل» فلماذا لا يجوز في النفي حين تقول: ما جاء زيدٌ بل عمروٌ؟ بأن يكون المتكلم بعد أن أثبت عدم المجيء لزيد تذكّر أن هذا الحكم ليس واقعًا على «زيد» ولكنه على «عمرو» فالغلط حينئذ ليس في الحكم ولكنّه في المحكوم عليه؟!

أما الجرجاني فنراه يجمع بين هذين الرأيين على الرغم من أنه في باب «ما»[2] نراه يوجب ما بعد «بل» إذا سبقت بنفي يقول: (ويستدرك بـ«بل» بعد النفي. قال شيخنا رحمه الله: إنّ هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون التقدير: «ما جاءني زيدٌ بل ماجاءني عمروٌ» فكأنك قصدت أن تثبت نفي المجيء لزيد ثم استدركت فأثبته لعمرو، وإذا كان كذلك كان المعنى في قولك: ما جاءني زيدٌ بل عمروٌ، إن عمراً ما جاءك، وإن الذي تخبر عنه بترك المجيء هوعمروٌ دون زيدٍ.

والوجه الثاني: أن يكون المعنى: ماجاءني زيدٌ بل جاءني عمروٌ، فيكون نفي المجيء ثابتًا لزيد؛ ويكون إثباتُهُ لعمرو، ويكون الاستدراك في الفعل وحده دون الفعل وحرف النفي معًا)[3]

ويؤيد رأي المبرد أيضًا قول الرضي: (وعند المبرد أن الغلط في الاسم المعطوف عليه فقط فيبقى الفعل المنفي مسندًا إلى الثاني فكأنك قلت: بل ما جاءني عمرو، كما كان في الإثبات، الفعل الموجب مسندًا إلى الثاني)[4]

---

(١) شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣.

(٢) ينظر:المقتصد في شرح الإيضاح ٤٣١/١ ـ ٤٣٢.

(٣) المقتصد في شرح الإيضاح ٩٤٦/٢ ـ ٩٤٧.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٤١٨/٤.

كما وافق ابن يعيش على رأي المبرد فأطلق حكم «بل» بأنها (للإضراب عن الأول وإثبات الحكم للثاني، وسواء كان ذلك الحكم إيجابًا أوسلبًا. تقول في الإيجاب: قام زيدٌ بل عمروٌ. وتقول في النفي: ما قام زيدٌ بل عمروٌ. كأنك أردت الإخبار عن عمروفغلطت وسبق لسانك إلى ذكر زيدٍ فأتيت بـ«بل» مضربًا عن زيدٍ، ومثبتًا ذلك الحكم لعمرو)(١) .ثم ذكر قول المبرد مصدقًا لرأيه.

ويقول أبوحيان:(فإن كان اللسان سبق إلى ذكر الخبر غلطًا فاستدركت نصبت فقلت: «بل قاعداً» في «ما زيد قائمًا بل قاعدٌ» كما تقول: «ما ضربت رجلاً بل امرأة».إذا غلطت، قاله بعض أصحابنا)(٢) وربُّما كان يقصد المبرِّد.

وهكذا نرى من ينتصر للمبرد، كما نرى من ينقده ـ كما تقدم ـ والقول عندي هوما قاله سيبويه وذهب إليه الجمهور لأني لم أعثر على نص من كلام العرب يؤيد ما قاله المبرد. والله أعلم.

---

(١) شرح المفصل ١٠٥/٨.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب ١٠٦/٢، ١٠٧.

رأي الكوفيين في العطف بـ «بل» بعد النفي والإثبات

ذهب البصريون [(١)] والكوفيون [(٢)] إلى جواز مجيء «بل» بعد الإثبات والنفي، ومع هذا نجد ابن فارس يقول: (والكوفيون لايَنْسُقُون بـ «بَلْ» إلّابعد نفيٍ. قال هشام [(٣)] «محالٌ ضَرَبتُ أخاكَ بَلْ أباك» لأنّ الأوّل قد ثبَتَ له الضربَ) [(٤)] وتبعه المجاشعي [(٥)] وأبوحيان [(٦)] والمرادي [(٧)]، وابن هشام [(٨)]، وابن عقيل [(٩)] والسيوطي [(١٠)]، وغيرهم.

(١) ينظر: «التبصرة والتذكرة» ١٣٦/١، و «المقتصد في شرح الإيضاح» ٩٤٦/٢، وغيرهما.

(٢) ينظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين» لابن الأنباري ٤٨٤/٢، تحقيق الشيخ: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) هو هشام بن معاوية، أبوعبد الله الضرير النحوي الكوفي، صاحب أبي علي الكسائي. أخذ عنه كثيراً من النحو، وله فيه مقالة تعزى إليه، وله فيه تصانيف منها: مختصر النحو، والحدود، والقياس، توفي سنة تسع ومائتين.

ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ للسيوطي ٣٢٨/٢، تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم. وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٣٦٤/٣ ، ٣٦٥، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. وينظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم/ لأبي المحاسن التنوخي /١٨٦، تحقيق الدكتور/ عبد الفتاح الحلو.

(٤) الصاحبي/٢٠٨.

(٥) ينظر: شرح عيون الإعراب/٢٥٤ تحقيق الدكتور: حنّا جميل حداد.

والمجاشعي هو: أبوالحسن علي بن فضّال بن علي بن غالب المشهور بالمجاشعي نسبة إلى مجاشع ابن دارم، جد جاهلي، ينسب إليه خلق كثير كما يشتهر «بالقيرواني» نسبة إلى مدينة القيروان، و «بالفرزدقي» نسبة إلى الفرزدق الشاعر المشهور، نحوي لغوي، من مصنفاته: شرح عيون الإعراب، والإشارة إلى تحسين العبارة، وشرح معاني الحروف، توفي ببغداد سنة تسع وسبعين وأربعمائة للهجرة.

ينظر: بغية الوعاة ١٨٣/٢.

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ٦٤٤/٢.

(٧) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٢٢٥/٣. تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن علي سليمان.

(٨) ينظر: مغني اللبيب ١١٩/١.

(٩) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤٦٤/٢، تحقيق الدكتور/محمد كامل بركات.

(١٠) ينظر: همع الهوامع ٢٥٦/٥.

وبالرغم من أن هذا العدد الهائل من العلماء ينسبون إلى الكوفيين ذلك نرى ابن الأنباري ينقل اتفاق الكوفيين والبصريين على غير ذلك في «بل»، وأن الخلاف في «لكن» يقول ابن الأنباري عن الكوفيين: (أجمعنا على أن «بل» يجوز العطف بها بعد النفي والإيجاب فكذلك «لكن» وذاك لاشتراكهما في المعنى، ألا ترى أنك تقول: ما جاءني زَيْدٌ لَكِنْ عَمْروٌ، فتثبت المجيء للثاني دون الأول، فإذا كانا في معنى واحد، وقد اشتركا في العطف بهما في النفي فكذلك في الإيجاب)[١] ووافقه الرضي[٢] والإربلي ينقل أيضاً عن المجاشعي عن الكوفيين أنهم يقولون باختصاصها بالنفي، ويرد عليه بجواز ذلك في البدل عندهم؛ فكيف يمنعونه مع «بل» يقول:(ونقل في المطارحات عن المجاشعي عن الكوفيين اختصاصها بالنفي، وليست مختصة به، لاتفاقهم على أن بدل الغلط مقدر بـ «بل» وقد تقع بعد النفي، وبعد الإثبات، فكما يجوزأن يقول: جاء زيدٌ عمروٌ ـ إذ غلط بذكر «زيد» ـ فيجوز أن يقول: بل عمرو، مع أنه إثبات، ولكن ورودها بعد النفي أكثر)[٣]

ويتمادى أبوحيان في إثبات ذلك عن الكوفيين فيستدل برأيهم هذا على عدم ورود السماع بذلك أوقلّته لأنهم أهل سماع فيقول: (وكون الكوفيين وهم أوسع من البصريين في اتباع كلام شواذ العرب يذهبون إلى أن «بل» لاتجيء في النسق بعد إيجاب دليل على عدم سماعه من العرب أوعلى قلّة سماعه)[٤]

وإذا رجعنا إلى ماسبق في وقوع «بل» بين مفردين، وجدنا النصوص التي أوردها ابن مالك رداً على المبرد واضحة في ورود «بل» عاطفة بعد النفي.

وإذن فلنا أن نستنتج أن هشاماً من الكوفيين ومعه أبوجعفر بن صابر[٥]، هما اللذان قالا بالمنع ونسب إليهما رأي الكوفيين خطأ.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٨٤/٢.

(٢) ينظر:شرح الرضي على الكافية ٤١٧/٤.

(٣) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب/٢٧١، تحقيق الدكتور/ حامد أحمد نيل.

(٤) ارتشاف الضرب ٦٤٤/٢.

(٥) راجع ارتشاف الضرب ٦٤٤/٢، وهمع الهوامع ٢٥٦/٥.

* ثانيًا: بل بين جملتين

سبق أن ذكرنا اتفاق النحاة على مجيء «بل» عاطفة بين المفردات لورودها كذلك في أكثر الأساليب العربية، ولظهور أثر العطف الإعرابي فيما بعد «بل». أما في الأحوال التي تأتي فيها «بل» بين جملتين فقد وقع الخلاف بين النحويين في عدّها عاطفة جملة على جملة أواعتبارها حرف ابتداء واستئناف لجملة جديدة، أواحتسابها عاطفة إذا أفادت الانتقال فقط. وقد عبّر عن ذلك المرادي في الجنى الداني حيث قال: (فإن قلت: هل هي قبل الجملة عاطفة أولا؟ قلت: ظاهر كلام ابن مالك[(١)] أنها عاطفة، وصرّح به ولده في شرح الألفية[(٢)]، وصاحب رصف المباني[(٣)]، وغيرهم[(٤)] يقول: إنها قبل الجملة حرف ابتداء فليست بعاطفة)[(٥)].

غير أنّ ما قاله المرادي عن المالقي ليس على إطلاقه، ذلك أن ما يفهم مما ورد في رصف المباني أنه يفرق بين حالتين:

الأولى: أن يكون بين الجملتين من الصلات المعنوية ما يجعل بينهما تشريكًا يقتضي العطف، ويمثّل لذلك بقوله تعالى:

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ}[(٦)]

حيث أنّ الجملة الأولى تصمهم بالشكّ، والثانية تتوعدهم بالعقاب، وبينهما رابطة السببيّة فشكهم سبب عقابهم، كما أنّ كلتا الجملتين تفسر أنّ ما هم فيه من حيرة وتردّد وإعراض مردّه إلى الشك مرّة وإلى تأخّر العذاب عنهم مرّة أخرى[(٧)]

---

(١) ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد /١٧٧، تحقيق الدكتور/ محمد كامل بركات.

(٢) ينظر /٥٤٠.

(٣) ينظر/٢٣٢.

(٤) كأبي حيان في "ارتشاف الضرب" ٦٤٣/٢، وابن هشام في "مغني اللبيب" ١١٩/١.

(٥) الجنى الداني/٢٥٣، تحقيق الدكتور: طه محسن.

(٦) سورة ص آية ٨.

(٧) يرى الألوسي أن «بل» في هذه الآية إضراب عن الكلامين السابقين ١٦٨/٢٣.

الحالة الثانية: ألا يكون بين الجملتين من الروابط المعنويّة ما يقتضي التشريك، بل يكون معنى الإضراب عن الأولى هوالبارز فتكون الثانية بداية لكلام جديد مستأنف، وهنا تكون «بل» استئنافية، ويمثّل لذلك بقوله: اضرب زيداً بل أنت قائم. فلا علاقة بين طلب ضرب زيد وقيام المخاطب، وكذلك قوله تعالى:

{قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا.....}(١)

وقوله:

{صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}(٢)

ومنه قول الشاعر(٣)

وَحْشاً سِوَى أنّ فُرّادَ السِّباعِ بِها
كأنّها مِنْ تَبَغّي النّاسِ أَطْلاحُ
بَلْ هل أُرِيكَ حُمولَ الحيّ غاديةً
كالنَّخْلِ زَيَّنَها يَنْعٌ وإفْضاحُ(٤)

وقول آخر:(٥)

فَهُوكَقِدْحِ المَنِيحِ أحْوَذَهُ الـقَا
نِصُ يَنْفي عَنْ مَتْنِهِ العَقَبَا

---

(١) سورة ق آية ٢،١.

(٢) سورة ص آية ٢،١، . وسيأتي الحديث عنها.

(٣) قائله أبوذؤيب الهذلي.

(٤) البيت من البسيط، وهذه رواية الكتاب ٢٢٣/٤، ورصف المباني/ ٢٣٣، وروايته في ديوان الهذليين ٤٥/١، «يا هل أريك» وعليه فلا شاهد فيه.

(٥) قائله لبيد بن ربيعة.

بَـلْ مَـنْ يَـرَى الـبَـرْقَ بِـتُّ أرْقُبُه
يُزْجِـي حَـبـيًّا إذا خَـبَـا ثَـقَـبَـا[١]

وقول ثالث:[٢]

بَـلْ بَـلَـدٍ مِـلْءُ الـفِـجَـاجِ قَـتَـمُهْ
لايُشْـتَـرَى كَـتَّـانُـه وَجَـهْـرَمُـهْ[٣]

فـ «بل» في هذه الأبيات الثلاثة جاءت حرف ابتداء واستئناف لأن الشاعر ابتدأ بها كلامًا جديدًا دون أن يبطل كلامه السابق.

كما أن فيها ردٌ على من قال[٤] بأن «بل» إذا وليها اسم تكون حرف خفضٍ للنكرة بمنزلة «رُبَّ» (وليس كذلك بل ما بعدها مخفوضٌ بـ «رُبَّ» مضمرة)[٥]، وحكى ابن مالك[٦] وابن عصفور[٧] الاتفاق على ذلك.

وأول من قال بأن «بل» بين الجملتين حرف استئناف لا غير، إمام النّحاة سيبويه؛ حيث يفهم ذلك من قوله:(وإن شئتَ رفعتَ فابتدأتَ على هُوَفقلتَ: ... مامررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ، ومررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ؛ لأنَّها من الحروف التي يُبْتَدأُ بها)[٨]

---

(١) البيت من المنسرح وهذ ه رواية الكتاب ٢٢٣/٤، وروايته في رصف المباني/ ٢٣٣ «بل من رأى»، وفي ديوانه /٢٩ «يا هل ترى» وعليه فلا شاهد فيه.

(٢) قائله رؤبة بن العجاج.

(٣) ينظر هذا الرجز في ديوانه ١٥٠، ومغني اللبيب ١٢٠/١.

(٤) وربما يقصد ابن قتيبة في تاويل مشكل القرآن/٥٣٦ ـ ٥٣٧، والزجاجي في "حروف المعاني والصفات/٢٩، وابن خالويه في "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم"/ ٦٢

(٥) رصف المباني/ ٢٣٣، وينظر: شرح شواهد الإيضاح / للفارسي/ ٢٨٦ تحقيق:عبد الله بن بري. والجنى الداني/ ٢٥٤،٥٥٥.

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/ ١٤٨.

(٧) ينظر: شرح جمل الزجاجي ٤٧٠/١.

(٨) الكتاب ٤٣٥/١، وقد سبق إيراد هذا النص في المقارنة بين معاني «بل» والبدل المباين.

وابن هشام يرّجح هذا الرأي على القول بالعطف، إذ يقول:(وهي في ذلك كله حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح)[(١)]

وللصفّار[(٢)] والزركشي[(٣)] وأبي حيان[(٤)] ، رأي يختلف عما سبق خلاصته: أن «بل» إذا أتت للإضراب الإبطالي فهي حرف ابتداء مثل قوله تعالى:

{ وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ }[(٥)]

وإذا كان الإضراب انتقاليًا كانت حرف عطف مثل قوله تعالى:

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ... }[(٦)]

وأبوحيان على الرغم من أنه لايجعل «بل» الإبطالية عاطفة نراه يقول بعطفيتها في قوله تعالى:

{ ... قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ... }[(٧)]

فجعل «بل» «عاطفة لجملة لبثت مائة عام» على جملة محذوفة، والتقدير: (ما لبثت. هذه المدة بل لبثت مائة عام)[(٨)] وربما يقصد أنها تكون عاطفة إذا قدر قبلها جملة أخرى تعطف عليها لاعلى الجملة المذكورة.

وبعد ذكر هذه الآراء المتعددة فإني أرى ما قاله المالقي أقرب إلى الدقة لكثرة تطابق الشواهد القرآنية عليه، كما أنه وضع حدًا معينًا للعاطفة وغيرها.

---

(١) مغني اللبيب ١/١١٩.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/٢٥٨، وجزم محققه أن الصفّار في كلام الزركشي هوأبوجعفر النحاس، وعندما رجعت إلى كتابيه "معاني القرآن الكريم" و"إعراب القرآن" لم أجد هذا الرأي له، وربما يكون المراد بالصفار هو: قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليوسي الشهير بالصفار، شارح كتاب سيبويه، والمتوفى بعد الثلاثين وستمائة. ينظر بغية الوعاة ٢/٢٥٦.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/٢٥٨.

(٤) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٤ ورقة ١٧٠.

(٥) سورة الأنبياء/٢٦.

(٦) سررة السجدة/ ٣

(٧) سورة البقرة/ ٢٥٩.

(٨) البحر المحيط ٢/٢٩٠.

وقوع «لا» قبل «بل»

تجيء «لا» قبل «بل» سواء سبقت بإيجاب أم أمر أم نفي أم نهي، فإذا سبقت بإيجاب أوأمرنفته كقولك: «اضرب زيداً لا بل عمراً» و «قام زيدٌ لا بل عمروٌ» فـ «لا» أفادت نفي الضرب عن زيد في المثال الأول، كما أفادت نفي قيامه في المثال الثاني.

أما إذا سُبقت بنفي أونهي فتكون لتأكيد بقاء ذلك النفي والنهي السابقين كقولك: «ما جاء زيدٌ لا بل عمروٌ» و «لاتضرب زيداً لا بل عمراً» وإليه ذهب الجزولي[(١)]، والرضي، يقول الرضي: (وإذا ضممت «لا» إلى «بل» بعد الإيجاب أوالأمر، نحو: «قام زيدٌ لا بل عمروٌ، واضرب زيداً لا بل عمراً» فمعنى «لا» يرجع إلى ذلك الإيجاب أوالأمر المتقدم، لا إلى ما بعد «بل»، ففي قولك: لا بل عمرو، نفيت بـ «لا» القيام عن «زيد» وأثبته لـ «عمرو» بـ «بل»، ولولم تجيء بـ «لا»: لكان قيام زيدٍ كما ذكرنا في حكم المسكوت عنه، يحتمل أن يثبت وألا يثبت، وكذا في الأمر، نحو: اضرب زيداً لا بل عمراً، أي: لاتضرب زيداً، بل اضرب عمراً، ولولا «لا» المذكورة لاحتمل أن يكون أمراً بضرب زيد، وألا يكون مع الأمر بضرب عمرو، وكذا «لا» الداخلة على «بل» بعد النفي والنهي راجعة إلى معنى ذلك النهي والنفي مؤكدة لمعناهما)[(٢)]

وأضاف ابن أبي الربيع قائلاً: (ومن قال: إنها تكون بعد النفي على وجهين، فلا معها تكون أيضاً على وجهين: تكون توكيداً، وتكون نَفْيًا، فتقول: ما قام زيدٌ لا بَلْ عمروٌ، فيكون قولك «لا» نفياً للأوّل، ويكون قولُك: بلْ عمروٌ، أي بل عمروٌ هوالذي ماقام)[(٣)]، وتكون توكيداً بحيث تؤكد النفي السابق كما قال الرضي.

---

(١) ينظر: المقدمة الجزولية في النحو/ ٧١، تحقيق الدكتور: شعبان عبد الوهاب محمد.

(٢) شرح الكافية ٤/٤١٨، ٤١٩.

(٣) البسيط في شرح جمل الزجاجي ١/٣٤٢. وهذا الرأي محمول على قول المبرد والجمهور.

بينما ذهب ابن مالك[(١)] والمرادي[(٢)]، وأبوحيان[(٣)]، وابن هشام[(٤)]، وابن عقيل[(٥)]، والسيوطي[(٦)]، إلى كونها زائدة مؤكدة، يقول ابنّ هشام:(وتُزاد قبلها «لا» لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب، ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي)[(٧)]، وردّ عليهم الدماميني[(٨)] لأنها عند الرضي بعد الأمر والإيجاب مؤسسة، وبعد النفي والنهي مؤكدة، حيث يقول: (ما ذكره المصنف من أن «لا» تُزاد قبل «بل» لتوكيد الإضراب بعد إيجاب؛ محلُ نظرٍ بل هي لنفي الإيجاب لأن كلام الرضي نصٌ في أنّ «لا» الواقعة قبل «بل» فيما ذكر ليست بزائدة بل أتي بها لتأسيس معنى لم يكن)[(٩)].ومع هذا فقد قال ابن هشام عندما ذكر شروط «لا» العاطفة(فإذا قيل: جاءني زيدٌ لا بل عمرو، فالعاطف «بل» و «لا» رد لما قبلها، وليست عاطفة)[(١٠)] (وهذا يقتضي أن لا تكون زائدة فهومعارض لما هنا)[(١١)]

كما نجد أبا حيان يقول: (إن «لا» ردٌّ للإيجاب الذي قبلها، وذلك حملاً على رأي الكوفيين بأن «بل» لا تأتي إلا بعد نفي وعليه خرّج قول الشاعر:[(١٢)]

---

(١) ينظر: شرح عمدة الحافظ / ٦٣٢، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/١٧٧،

(٢) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٢٢٦/٣.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ٦٤٤/٢.

(٤) ينظر مغني اللبيب ١٢٠/١.

(٥) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤٦٥/٢.

(٦) ينظر: همع الهوامع ٢٥٧/٥.

(٧) مغني اللبيب ١٢٠/١.

(٨) هومحمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر القوشي المخزومي الإسكندراني المعروف بابن الدماميني، ولد عام ثلاث وستين وسبعمائة، ومات سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، أديب نحوي تصدر بالجامع الأزهر لإقراء النحو. من مصنفاته: شرح التسهيل،وشرح لامية المعجم للصفدي. ينظر بغية الوعاة ٦٦/١.

(٩) حاشية الدسوقي ١٢١/١، وينظر حاشية الصبان ١١٣/٣.

(١٠) مغني اللبيب ٢٦٦/١.

(١١) حاشية الدسوقي ١٢١/١.

(١٢) قائله مجهول.

وَجْهُكَ البدرُ لا بل الشَّمْسُ لَوْلَمْ
يُقْضَ للشَّمسِ كَسْفَةٌ أوْأفُولُ[(١)]

بأن «لا» ردٌّ لقول «وجهك البدر»[(٢)]

ومذهب ابن دُرُستويه[(٣)] في "الهداية" (أن «لا» تزاد بعد الإيجاب لابعد النفي، لأنها حرف نفي فأغنى عنها تقدم حرف النفي. ففي الإيجاب نحو: جاءني زيدٌ بل عمروٌ، ويجوز «لا بل عمروٌ». وفي النفي: ما قام زيدٌ بل عمروٌ وليس إلا. وذهب الجزولي إلى أن زيادتها بعد الإيجاب والأمر نفي، وفي النفي والنهي تأكيد)[(٤)] كما سبق.

وقد نسب أبوحيان إلى ابن عصفور أنه قال:(إن زيادة «لا» على «بل» في النفي والنهي لاينبغي أن يُقال به إلا أن يشهد له السماع، لأن الجمع بين أداتي نفي على جهة التأكيد قليل في كلام العرب اهـ وما ذهب إليه ابن درستويه واستبعده ابن عصفور مسموع من كلام العرب، قال الشاعر[(٥)] في النفي:

---

(١) البيت من البحر الخفيف، وينظر في مغني اللبيب ١/١٢٠، وهمع الهوامع ٥/٢٥٧، برواية« وأفول» بالواو لا بـ« أو »والدرر اللوامع ٦/١٣٥.

(٢) التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٧١ «بتصرف».

(٣) ابن درستويه، ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين، ومات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة للهجرة، وهوعبد الله بن جعفر بن محمد درستويه (ضبطه السيوطي بضم الدال والراء. وقال: ضبطه ابن ماكولا بالفتح) ابن المرزبان، أبومحمد من علماء اللغة، فارسي الأصل. له تصانيف كثيرة: منها: تصحيح الفصيح، ويعرف بشرح فصيح ثعلب، وكتاب الكتاب، والإرشاد في النحو (وهوماورد في كشف الظنون، ولم يرد فيه اسم الهداية فلعله كتاب آخر لم يقف عليه صاحب الكشف)، ومعاني الشعر، وأخبار النحويين، ونقض كتاب العين، وغير ذلك.

ينظر:بغية الوعاة ٢ /٣٦، والأعلام/ للزركلي ٤/٧٦

(٤) التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٧١.

(٥) قائله مجهول.

ومَـا سَــلَـوتُـكِ لا بَـلْ زَادَنـي شَــفَـفًا
هَــجْــرٌ وبُعْدٌ تمـادٍ لَا إِلـى أَجَـلِ[1]

ومن زيادتها بعد النهي، قول الآخر:[2]

لاتَمَــلَّنَّ طـاعــةَ الـلَّــهِ، لا، بَــلْ
طَـاعـةَ الـلّـهِ مـا حَـيـيـتَ اسـتـدِيمَـا[3]

ومن وردها في الموجب:

وَجْـهُـكَ الـبَـدْرُ، لَا بَـلِ الـشَّـمْـسُ لَـوْلَـمْ
يُقْضَ لـلـشَّـمْـسِ كَـسْـفَـةٌ وَأُفُـولُ[4][5].

بينما نجد ابن عصفور في «المقرب» يقول: (وأما «بل» و «لا بل»، فإن وقع بعدها جملة كانا حرفي ابتداء، ويكون معناهما الإضراب... و«لا» المصاحبة لها لتأكيد معنى الإضراب، وإن وقع بعدها مفرد، كانا حرفي عطف ويكون معناهما الإضراب ...، و«لا» المصاحبة لها في الإيجاب والأمر نفي ... ، وفي النهي والنفي تأكيد)[6].

وبهذا النص ينتمي ابن عصفور إلى رأي القائلين بأن «لا» قبل «بل» مؤسسة، وإنها واردة عن العرب في الإيجاب والأمر وفي النفي والنهي على سواء، وهو الراجح عندي، ولا ندري مم أخذ أبوحيان رأي ابن عصفور؟ هل له في المسألة رأيان اطلع أبوحيان على أحدهما في كتاب آخر؟

ويقال[7] في «لا بل» نابنْ ـ بإبدال اللامين نونًا ـ، ونابل، ولابن.

(١) البيت من البحر البسيط، وينظر في الدرر اللوامع ١٣٧/٦، وفي مغني اللبيب ١٢٠/١، برواية:

وماهجرتك لا بل زادني شغفًا   هجرٌ وبعدٌ تراخى لا إلى أجل

ومثله في همع الهوامع ٢٥٧/٥.

(٢) قائله مجهول.

(٣) البيت من الخفيف، وينظر البيت في همع الهوامع ٢٥٧/٥، وفي الدرر اللوامع ١٣٧/٦.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٧١ بتصرف.

(٦) المقرب/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٧) ينظر الخصائص ٤٤٠/٢، وجواهر الأدب/٢٧٣.

مواضع « بـل » في القرآن الكريم

سبقت الإشارة عن مجيء «بل» في كلام العرب وكلام الله عزّ وجلّ والفرق الجوهري بينهما، والآن سنتناول مواضعها في القرآن الكريم مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول

الآيات الدالة على الإضراب الإبطالي.

القسم الثاني

الآيات الدالة على الإضراب الانتقالي.

القسم الثالث

الآيات التي تحتمل الإضراب الإبطالي والانتقالي.

* القسـم الأول:

الآيات الدالة على الإضراب الإبطالي

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[١]

أي (وقالت اليهود قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه يا محمد، فردّ الله عليهم ذلك بأنها ليست كما زعموا، ولكنه أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلاً ما يؤمنون)[٢]

فـ «بل»: حرف إضراب (وليس إضرابًا عن اللّفظ المقول لأنّه واقع لا محالة فلا يضرب عنه وإنّما الإضراب عن النسبة التي تضمنها قولهم إنّ قلوبنا غلف؛ لأنّها خُلِقت متمكنة من قبول الحق، مفطورة لإدراك الصواب فأخبروا عنها بما لم تخلق عليه، ثم أخبر تعالى أنّه لعنهم بسبب ما تقدم من كفرهم)[٣] قاله أبوحيان، وسبقه إلى هذا الرأي الزمخشري[٤]، والعكبري[٥]، والقرطبي،[٦] ووافقهم أبوالسعود[٧]، والآلوسي[٨].

وعليه فأفادت «بل» هنا إضرابًا عن دعواهم وإبطالاً لها، كما أفادت العطف على ماقبلها لما بينهما من روابط معنوية.

---

(١) سورة البقرة/٨٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن/ للطبري ١/٤٠٨، بتصرف.

(٣) البحر المحيط ١/٣٠١.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/٢٩٥.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٨٩ تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٥.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/١٢٧.

(٨) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١/٣١٩.

{ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[١]

دعا اليهود والنّصارى المؤمنين في هذه الآية إلى الأخذ بدينهم، فردّ اللّهُ عليهم دعوتهم تلك حيث قال:{بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} أي قل لهم يا محمد: لن نكون كما تريدون، بل نتبع ملّة أبينا إبراهيم. وملّة إبراهيم كانت مخالفة لدينهم، ولذلك أضرب اللّهُ عن مقولتهم بـ «بل»[٢]، فجاءت «بل» لإبطال مقولتهم {كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ}، إذ كانت لا تأتي للإبطال في القرآن إلا على سبيل الحكاية عن قوم يقول أبوحيان: («بل» للإضراب والانتقال من شيء من غير إبطال لما سبق، وهكذا تجيء في كتاب الله تعالى، إذا كان ما بعدها من إخبار الله، لا على سبيل الحكاية عن قوم)[٣].

وما بعد «بل» جملة سواء كان لفظ «ملة» منصوبًا أم مرفوعًا، وبالنصب قرأ الجمهور، وهوالأجود والأكثر[٤]، وفيه أربعة أوجه:

أما الأوّل: وهورأي البصريين، إذ يجعلون «ملة» مفعول فعل مضمرٍ، على تقدير: بل نتّبع ملّة إبراهيم، لأن معنى كونوا هودًا أونصارى أي: اتبعوا اليهودية أوالنصرانية. وبه قال سيبويه[٥]، وقدّمه النحاس في كتابه «القطع والائتناف،»[٦] على رأي الكوفيين مصرحًا بمذهب الكسائي وأبي عبيدة، كما قدّمه أيضًا في «إعراب القرآن»[٧] واختاره العكبري،[٨] ولم يُشر إلى غيره، كما قدمّه

(١) سورة البقرة/ ١٣٥.

(٢) ينظر:الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٢، والبحر المحيط ٤٠٥/١ـ٤٠٦.

(٣) البحر المحيط ١٠٣/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٢١٣/١ تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

(٥) ينظر الكتاب ٢٥٧/١.

(٦) ينظر/١٦٥ تحقيق الدكتور: أحمد خطاب العمر.

(٧) ينظر ٢٦٦/١ تحقيق الدكتور: زهير غازي زاهد.

(٨) ينظر التبيان ١٢٠/١.

ابن الأنباري[(١)] وابن عطية،[(٢)] والقرطبي[(٣)].

أما أبوحيان[(٤)] فسوى بينه وبين رأي الكوفيين كما فعل الطبري[(٥)] من قبل.

والثاني: وهورأي الكوفيين، وعلى رأسهم الكسائي[(٦)] إذ يقدرون فعل الكينونة فتكون كلمة «ملة» منصوبة على (أنها خبر كان أي بل نكون ملّة إبراهيم أي: أهل ملة إبراهيم كما قال عدي بن حاتم أني من دين أي من أهل دين)[(٧)] واختاره الزمخشري،[(٨)] والآلوسي،[(٩)] كما أشارا إلى رأي البصريين. إلا أن ابن الأنباري ردّ رأي الكوفيين بقوله: (والوجه الأول أوجه الوجهين، لأنك تفتقر في هذا الوجه إلى إضمارٍ بعد إضمار، إضمار الفعل، وإضمار المضاف، والإضمار على هذا الحدّ من المتناولات البعيدة فلايُصار إليها ما وجد عنها مندوحة)[(١٠)] وهو الأولى في نظري.

الثالث: أنه منصوب على الإغراء، أي الزموا ملة، يقول أبوعبيدة (بل ملة إبراهيم انتصب لأن فيه ضمير فعلٍ كان مجازه بل اتبعوا ملة إبراهيم، أوعليكم ملة إبراهيم)[(١١)] أي: الزموا. (وهذا كالوجه الأوّل في أنه مفعول به وإن اختلف العامل)[(١٢)]

(١) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٢٤ تحقيق الدكتور: طه عبد الحميد طه.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٥٠١ تحقيق: الرّحالي الفاروق، والشيخ عبدالله بن إبراهيم الانصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/١٣٩.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٤٠٥.

(٥) ينظر: جامع البيان ١/٥٦٤.

(٦) ينظر: القطع والائتناف/١٦٥.

(٧) ينظر: البحر المحيط ١/٤٠٥، ٤٠٦.

(٨) ينظر الكشاف ١/٣١٤.

(٩) ينظر: روح المعاني ١/٣٩٤.

(١٠) ينظر: البيان ١/١٢٤.

(١١) مجاز القرآن ١/٥٧ عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزْكين.

(١٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي ٢/١٣٥ تحقيق الدكتور/أحمد الخرّاط.

الرابع: (أنه منصوبٌ على إسقاط الخافض، أي نهتدي بملة إبراهيم، فلما حذف حرف الجرّ صار منصوبًا)[١]

وقوله: {بَلْ مِلَّةَ} يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين فيقدر بـ «نتبع» أونكون أونهتدي كما تقدم، ويحتمل أن يكون خطابًا للكفار فيكون المضمر اتبعوا أوكونوا.[٢]

و«بل» هذه جاءت عاطفة للجملة التي بعدها على ما قبلها على جهة الإضراب الإبطالي، والتقدير:(قالوا اتبعوا اليهودية أوالنصرانية قل بل اتبعوا ملة إبراهيم)[٣] يقول المالقي:(وتكون عاطفة جملة على جملة مضرب عن الأولى)[٤].

أما رفع كلمة «ملّة» فقرأ[٥] به ابن هرمز[٦]، وابن أبي عبلة،[٧] وعليه تكون «بل» حرف ابتداء واستئناف، (وأنت بالخيار في أن تجعله مبتدأ أوخبرًا)[٨]، والتقدير: (بل ملة إبراهيم ملتنا، أوأمرنا ملّته، أونحن ملّته أي أهل ملّته.)[٩]

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢/١٣٩، والبحر المحيط ١/٤٠٦، والدر المصون ٢/١٣٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/٤٠٦.

(٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٤/٨٩، وينظر جامع البيان ١/٥٦٤.

(٤) رصف المباني/ ٢٣٢.

(٥) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/ لابن خالويه/ ١٠، والبحر المحيط ١/٤٠٦.

(٦) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبوداود المدني، تابعي جليل، أخذ القراءة عن أبي هريرة، ومعظم روايته عنه. روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، نزل الإسكندرية؛ فمات بها سنة سبع عشرة ومائة، وقيل سنة تسع عشرة.

ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء/ لابن الجزري ١/٣٨١.

(٧) ابراهيم بن أبي عبلة، شمر بن يقظان الدمشقي، تابعي ثقة، له اختيار شاذ. أخذ عن الزهري، وأخذ عنه موسى بن طارق، وتوفي سنة إحدى وقيل سنة اثنتين، وقيل سنة ثلاث وخمسين ومائة.

ينظر: غاية النهاية ١/١٩.

(٨) التفسير الكبير ٤/٨٩.

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢١٣، والكشاف ١/٣١٤، والمحرر الوجيز ١/٥٠١، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٣٩، والبحر المحيط ١/٤٠٦، والدر المصون ٢/١٣٦.

{وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ}[١]

(نزلت هذه الآية فيمن قُتل ببدرٍ من المسلمين وكان الناس يقولون لمن قُتل في سبيل الله مات فلانٌ، وذهب عنه نعيم الدُّنياولذّاتها، فانزل اللهُ تعالى هذه الآية للنهي عن قولهم عن الشهداء أموات، ثم أخبر تعالى أنهم أحياء)[٢] .حيث قال: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ} برفع {أَمْوَاتٌ} و{أَحْيَاءٌ} (لأنّ كلَّ واحدٍ منهما خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هم أموات بل هم أحياء)[٣] وجملة «هم أموات» (في موضع نصب بقوله {وَلَا تَقُولُواْ} لانه محكيٌّ)[٤].

وأما {بَل هم أحياء}، فيحتمل وجهين:

أحدهما: (ألاّ يكون له محلٌّ من الإعراب، بل هوإخبارٌ من اللّه تعالى بأنهم أحياءٌ، ويرجّحُه قوله: {وَلَكِن لَّاتَشْعُرُونَ} إذ المعنى: لاشعور لكم بحياتهم)[٥] قاله الحلبي، وعليه فـ«بل» حرف ابتداء واستئناف (لأنه لم يقع تشريك بين مابعدها وماقبلها)[٦]، لأن في الجملة الأولى يَنْهى اللهُ عزّ وجلّ عن القول عن الشهداء أنهم أمواتٌ، وفي الجملة الثانية يخبرنا بأنهم أحياء.

أما الآلوسي فيرى أنها عاطفة مابعدها على ما قبلها فيقول: {بَلْ أَحْيَاءٌ} أي بل هم أحياء، والجملة معطوفة على {لَاتَقُولُواْ} إضرابٌ عنه، وليس من عطف المفرد على المفرد ليكون في حيز القول ويصير المعنى بل ـ قولوا أحياء ـ لأن المقصود إثبات الحياة لهم لاأمرهم بأن يقولوا في شأنهم أنهم أحياء وإن كان ذلك

---

(١) سورة البقرة/ ١٥٤.

(٢) البحر المحيط ٤٤٨/١. «بتصرف».

(٣) البيان ١٢٩/١، وينظر: معاني القرآن/ للاخفش ١٥٣/١ تحقيق الدكتور/فائز فارس، وجامع البيان ٤٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٢٢٩/١، وإعراب القرآن/ للنحاس ٢٧٢/١، ومشكل إعراب القرآن/ لمكي بن أبي طالب القيسي ٧٥/١ تحقيق/ياسين محمد السواس، والكشاف ٣٢٣/١، والبحر المحيط ٤٤٨/١، وروح المعاني ٤٠/٢.

(٤) التبيان ١٢٨/١، وينظر:الدر المصون ١٨٤/٢.

(٥) الدر المصون ١٨٥/٢، وينظر:البحر المحيط ٤٤٨/١.

(٦) رصف المباني/٢٣٢.

أيضًا صحيحًا)[١] إلا أني أرى أن تكون «بل» استئنافية أولى لقلة التقدير.

الثاني: (أن يكون محله النصب بقول محذوف تقديره: «بل قولوا هم أحياء)[٢] فبعد ما نهاهم الله عن قولهم «هم أموات» أمرهم أن يقولوا «هم أحياء» إلاّ أنّ أباحيان يرجِّح الوجه الأول، (وهو كونه إخبارٌ من الله تعالى)[٣] وربّما رجحه للعلة التي قالها الآلوسي (أن المقصود إثبات الحياة لهم لا أمرهم بأن يقولوا في شأنهم أنهم أحياء)[٤] وللبعد أيضًا عن التقديرات التي لا حاجة لها. (ولايجوز إعمال القول في «هم أحياء» لأنه ليس بينه وبينه تناسب، كما صح في قولك: قلت كلامًا وحجة).[٥] ويمكن على هذا الوجه الثاني أن تكون بل عاطفة للجملة التي بعدها «قولوا هم أحياء» على الجملة التي قبلها ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ لوجود علاقة بينهما وهوالقول، فبعد ما نهاهم الله عن قول، أمرهم بقول آخر.

وواضحٌ أن الإضراب هنا إبطال لزعم القائلين بأن الشهداء أموات فهوإبطالٌ للمقول وليس ناشئًا عن غلط القائل أونسيانه.

* * *

---

(١) روح المعاني ٢٠/٢.

(٢) الدرّ المصون ١٨٥/٢، وينظر: البحر المحيط ٤٤٨/١.

(٣) البحر المحيط ٤٤٨/١.

(٤) روح المعاني ٢٠/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣١/٢، تحقيق: الرحالي الفاروق، والشيخ عبد الله الأنصاري، والسيد عبدالعال ابراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني. وينظر: التبيان ١٢٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١٧٣/٢.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...}[١]

الضمير في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} يعود على الناس من قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا..}[٢] قاله الطبري،[٣] واختاره الزمخشري،[٤] وأبوحيان حيث قال: (وهذا هوالظاهر ويكون ذلك من باب الالتفات، وحكمته أنهم أبرزوا في صورة الغائب الذي يتعجب من فعله حيث دُعي إلى اتباع شريعة الله التي هي الهدى والنور، فأجاب باتباع شريعة أبيه، وكأنه يقال: هل رأيتم أسخف رأيًا وأعمى بصيرةً ممن دُعي إلى اتباع القرآن المنزل من عند الله، فردّ ذلك وأضرب عنه وأثبت أنه يتبع ما وجد عليه أباه).[٥]

فـ «بل» في هذه الآية جاءت إبطالية إذ أبطل بها اتباعه لشريعة الله، وأثبت اتباعه لآبائه، ولهذا قال أبوالبقاء العكبري: (بل هنا للإضراب عن الأول أي: لانتبع ما أنزل اللهُ، وليس بخروج من قصة إلى قصة)[٦] وهذا يعني أنها جاءت للإبطال وليست للانتقال لأنها تحدثت عن قضية واحدة وهوالاتباع، فبعد ما نفوا اتباعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم أثبتوا اتباعهم لآبائهم لأنه لا يمكن الجمع بين ما بعد «بل» وما قبلها، وهذا كقولك: لم أذاكر الفقه بل ذاكرت النحو، وهوموافق لما قاله النحاة عن بل (للإضراب عن الأوّل والإيجاب للثاني)[٧] بخلاف ما قيل عن المبرد[٨] .أما لوكان في الآية قصتان لاحتمل أن تكون للانتقال، كما أقول: ما خرج زيدٌ بل قام عمروٌ.

---

(١) سورة البقرة/١٧٠.

(٢) سورة البقرة/١٦٨.

(٣) ينظر:جامع البيان ٧٨/٢.

(٤) الكشاف ٣٢٨/١.

(٥) البحر المحيط ٤٨٠/١، وينظر:الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/٢.

(٦) التبيان ١٣٩/١.

(٧) المقتضب ١٥٠/١.

(٨) مرّ ذكره، ينظر ص:٣٢

وتبع العكبري أبوحيان[١]، والسمين.[٢]

كما جاءت «بل» هنا (عاطفة جملة على جملة محذوفة، والتقدير: لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا)[٣]، قاله أبوحيان فجعل «بل» الإبطالية عاطفة مع أنّه قال بعدم عطفيتها[٤] ـ وقد سبق ـ ويمكن التوفيق بين منعه العطف بـ«بل» الإبطالية وإجازته لذلك هنا أنه يمنع العطف على الجملة المضرب عنها وهي ﴿اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ولكنه لايمنعه مع الجملة المقدرة «لانتبع ما أنزل الله» كما تقدم ذلك.

*   *   *

﴿... قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ...﴾[٥]

«بل» في هذه الآية إبطالية إذ نفت أن تكون مدّة موته يومًا أوبعض يوم وأثبتت أنها مائة عام، كما جاءت عاطفة؛ إذ عطفت ما بعدها على جملة محذوفة قبلها يقول أبوحيان (بل لعطف هذه الجملة على جملة محذوفة التقدير: قال مالبثت هذه المدة بل لبثت مائة عام)[٦]. وهي عاطفة أيضًا على رأي المالقي لوجود علاقة معنوية بين ما بعد «بل» ﴿لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ وما قبلها ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وهي مدة اللبث.

ولايمكن أن تكون «بل» هنا انتقالية، لأننا في الانتقال ننتقل من خبر إلى خبر دون أن نبطل الأول، وإبطال الأوّل هنا هوالأهمُّ، وهوقول العُزير.

---

(١) البحر المحيط ٤٨٠/١.

(٢) الدرّ المصون ٢٢٦/٢.

(٣) البحر المحيط ٤٨٠/١، وينظر: الدر المصون ٢٢٦/٢.

(٤) ينظر التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٧٠.

(٥) سورة البقرة/ ٢٥٩.

(٦) البحر المحيط ٢٩٢/٢، وينظر: الدر المصون ٥٦١/٢، وتفسير أبي السعود ٢٥٤/١، وروح المعاني ٢٢/٣.

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[(١)]

بنصب قوله {أَمْوَاتًا} على أنها مفعول ثان لـ {تَحْسَبَنَّ}[(٢)]، أما قوله {أَحْيَاءٌ} في {بَلْ أَحْيَاءٌ} ففيها قراءتان:

١ ـ قراءة بالرفع، وهوما عليه الجمهور،[(٣)] لأن كلمة {أَحْيَاءٌ} خبر[(٤)] لمبتدأ محذوف تقديره: «بل هم أحياء»، و«بل» حرف استئناف وابتداء.

فبعد ما أبطل الله عزّ وجلّ حسبانهم بأن من قُتل في سبيل الله يُعدُّ من الأموات، أخبر بأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون، وهذا موافق لما قاله ابن مالك في حديثه عن وقوع المفرد بعد بل بأن (كان قَبْلَ المُفْرَد نفيٌ أونهيٌ آذنت بتقريرِ حكمِهِ، وبجعلِ ضِدِّه لما بَعْدَه)[(٥)] فبعد ما قرّر نهي الحسبان عنهم بأنهم أموات، جاء بما هوضدّه وهوإثبات حياتهم. وهذا كقولك: لا تضرب خالداً بل بشراً، فخالدٌ قد قرر النهي عن ضربه، وبشرٌ قد أُمر بضربه.

٢ ـ وأما قراءة النصب، حيث قرأ[(٦)] بها ابن أبي عبلة، وخرّجت على وجهين:

الأول: جوّز أبوالبقاء القراءة (بالنصب عطفًا على {أَمْوَاتًا}، كما تقول: ما ظننت زيدًا قائمًا بل قاعدًا)[(٧)] وهذا موافق لرأي المبرد، يقول أبوحيّان: (فإن كان اللسان سبق إلى ذكر الخبر غلطًا فاستدركت نصبت فقلت: «بل قاعداً» في «مازيدٌ قائمًا بل قاعدٌ» كما تقول: «ما ضربت رجلاً بل إمراة» إذ غلطت، قاله بعض أصحابنا)[(٨)] لأن المبرد يجوز انتقال حكم النفي والنهي لما بعد «بل»[(٩)]،

---

(١) سورة آل عمران/ ١٦٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن/ للنحاس ٤١٨/١، والدر المصون ٤٨٠/٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١١٣/٣، والدر المصون ٤٨٢/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن/ للأخفش ١٥٣/١، وإعراب القرآن/ للنّحاس ٤١٨/١، والكشّاف ٤٧٩/١، والتبيان ٣٠٩/١، والبحر المحيط ١١٣/٣، والدرّ المصون ٤٨٢/٣، تفسير أبي السعود ١١٢/١.

(٥) شرح الكافية الشافية ١٢٣٤/٣، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤٦٣/٢.

(٦) البحر المحيط ١١٣/٣، والدر المصون ٤٨٢/٣.

(٧) التبيان ٣٠٩/١.

(٨) ارتشاف الضرب ١٠٦/٢، ١٠٧.

(٩) تقدم ذكره.

وذلك إذا حدث غلط في الخبر، والعكبري يجوز في هذه الآية والمثال انتقال النهي والنفي لما بعدها، وكلام الله بعيد عن الغلط والنسيان حتى يضرب عنه ويأتي بما هوصواب، وهذا ما عليه الجمهور، وفي هذا يقول الجمل: (إن «بل» ليست عاطفة على {أمواتًا}، لأن المعنى يختل إذ يصير التقدير: لاتحسبنّهم أحياء، والغرض الإعلام بحياتهم ترغيبًا في الجهاد)[(١)]

الثاني: وجوّز الزجاج[(٢)] النصب بإضمار فعل تقديره: «بل أحسبهم أحياء» وحذف ذلك لتقدم ما يدلُّ عليه، وتبعه الزمخشري[(٣)]، وأشار إليه العكبري[(٤)]، وغيرهما. إلاّ أن الأخفش والفارسي ردّا هذا القول بتقدير فعل الحسبان حيث قال الفارسي (ولايجوز ذلك لأن الأمر يقين فلا يجوز أن يؤمر فيه بمحسبة)[(٥)] وردّ أبوحيان هذا بقوله: (قد يقع حسب لليقين كما تقع ظنّ لكنه في «ظن» كثيرٌ، وفي «حسب» قليل. قال الشاعر[(٦)]

حَسِبْتُ التُّقَى والجودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ
رباحًا إذَا مَا المرءُ أَصْبَحَ ثَاقِلاً[(٧)]

فـ «حسب» في هذا البيت لليقين لأن المعنى على ذلك)[(٨)].

ويمكن أن تعدُّ «بل» هنا عاطفة لجملة «أحسبهم أحياء» على {وَلَاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا}، وسواء كانت «بل» عاطفة لمفرد أم جملة أم استئنافية، فمعناها الإبطال لحسبانهم أمواتًا.

---

(١) الفتوحات الإلهية ٣٣٥/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٤٨٨/١.

(٣) ينظر: الكشاف ٤٧٩/١.

(٤) ينظر: التبيان ٣٠٩/١، والبحر المحيط ١١٣/٣، والدر المصون٤٨٢/٣، وتفسير أبي السعود ١١٢/١.

(٥) البحر المحيط ١١٣/٣، نقلاً عن كتاب الإغفال/ للفارسي، وينظر: الدر المصون ٤٨٢/٣.

(٦) قائله لبيد بن ربيعة.

(٧) البيت من البحر الطويل. وينظر هذا البيت في ديوانه/٢٤٦، وفي البحر المحيط ١١٣/٣، والدر المصون ٤٨٢/٣، وهمع الهوامع ٢١٦/٢، والدرر اللوامع ٢٤٧/٢.

(٨) البحر المحيط ١١٣/٣. «بتصرف».

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ...﴾(١)

أي لايحسبنّ البخلاء أن بخلهم هو خير لهم بل ذلك البخل شرٌ لهم لاستجلابه العقاب عليهم، فسيلزمون وبال ما بخلوا به.(٢)

فـ «بل» في قوله:﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ جاءت لإبطال من زعم أنّ من منع الزكاة وادّخر مالها كان خيراً له وأثبتت ما هوضدُّه وهوشرٌ له، كما جاءت «بل» هنا مستأنفة استئنافًا بيانيًا لأنه تضمن جواباً مقدراً إذا لم تحسب كذا فماذا تحسب؟ فتقول: هوشرٌ.

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٣)

(لما هدّد اللهُ اليهود بقوله:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾(٤) فعند هذا قالوا: لسنا من المشركين بل نحن خواص الله تعالى كما حكى تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾(٥) ...وعن ابن عباس رضي الله عنه أن قوماً من اليهود أتوا بأطفالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يامحمد هل على هؤلاء ذنب؟ فقال: لا، فقالوا، والله ما نحن إلا كهؤلاء، ما عملناه بالليل كُفّر عنا بالنهار، وما عملناه بالنهار كُفّر عنّا بالليل. فلما بالغ اليهود في تزكيتهم أنفسهم ذكر الله تعالى أنّه لا عبرة بزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له)(٦).

فـ «بل» في قوله:﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾ إضراب وإبطالٌ إذ أبطلت أثر تزكيتهم

(١) سورة آل عمران /١٨٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن/ للزجاج ٤٩٢/١، والكشاف ٤٨٣/١، والجامع لأحكام القرآن/للقرطبي ٢٩٠/٤ ، ٢٩١، والبحر المحيط ١٢٧/٣ ـ ١٢٩.

(٣) سورة النساء/٤٩.

(٤) سورة النساء/٤٨.

(٥) سورة المائدة/١٨

(٦) التفسير الكبير ١٣٠/١٠، وينظر: الكشاف ٥٣٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/٥، والبحر المحيط ٢٧٠/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل/ لابن جزي ١٤٥/١.

لأنفسهم وأثبتت تزكية الله تعالى لمن يشاء، لأنّه هوالمعتدُّ بتزكيته فهوالعالم ببواطن الأشياء، فلما ثبتت تزكيتهم لأنفسهم فعلاً وكان أثر هذه التزكية مفقوداً إذ صدرت ممن لايملكها؛ جاء الإضراب عن جدوى هذه التزكية فقدّر أبوالبقاء قبل بل جملة (أخطأوا بل الله يزكي)[١] وعليه جاءت «بل» عاطفة[٢] على ذلك المقدر.

* * *

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ
وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ
بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣]

نزلت هذه الآية كالآيات التي سبقتها في أحبار اليهود (فبسبب نقضهم المواثيق، وكفرهم بالقرآن أوبما في كتابهم وقتلهم الأنبياء كزكريا ويحيى عليهما السلام، وقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي أن قلوبنا مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أوأنها أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا، فردّ الله عليهم مقولتهم تلك بأنه طبع على قلوبهم لما تكرر من أفعالهم السيئة؛ فختم عليها وجعلهم لايفقهون شيئًا فصارت كالمطبوع عليها لأنها خلقت غلفًا غير قابلة للذكر، ولا متمكنة من قبوله)[٤]

فـ «بل» في قوله ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ (ردٌّ وإنكار وإبطالٌ لقولهم قلوبنا غلف)[٥] ثم إثبات من الله بأنه هوالذي طبع عليها بسبب كفرهم، وكأنه قيل:

---

(١) التبيان ٣٦٤/١.

(٢) ينظر:تفسير أبي السعود ١٨٨/٢، وروح المعاني ٥٤/٥.

(٣) سورة النساء/١٥٥.

(٤) تفسير أبي السعود ٢٥٠/٢ «بتصرف»وينظر:معاني القرآن/ للفراء ٢٩٤/١ تحقيق الأستاذين: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وينظر الكشاف ٥٧٨/١، والتبيان ٤٠٤/١، والمحرر الوجيز/لابن عطية ٢٨١/٤ تحقيق الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد ابراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني.

(٥) الكشاف ٥٧٨/١، وينظر:التبيان ٤٠٤/١، والبحر المحيط ٣٨٨/٣، والدر المصون ١٤٤/٤.

ليست قلوبهم كما زعموا بل مطبوع عليها بكفرهم [١] ، وبل جاءت هنا عاطفة على ذلك المقدر.

* * *

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾ [٢]

قال ابن عباس، وعكرمة، والضَّحَّاك [٣] : إن اللّهَ تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً، وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله سبحانه وتعالى بكفرهم برسوله وتكذيبه؛ كفَّ عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ولمّا لم ينكر عليه الآخرون ذلك ورضوا به نُسبت تلك العظيمة إلى الكل، ثم ردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي أنهما في غاية الجود والسخاء، فنعم الله كثيرة لا تُعدُّ ولاتُحصى [٤].

ومن خلال هذا المعنى يتضح لنا أن «بل» جاءت ردًا وإنكاراً لما ادعوه وزعموه في حق الله، وإثباتًا لنعم اللّهِ التي لا ينكرها أحدٌ من العالمين.يقول الزمخشري: (﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ردٌّ لقولهم وإنكارُه أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه). [٥] و«بل»(عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، أي كلا ليس كذلك بل هوفي غاية مايكون من الجود) [٦] .قاله أبوالسعود، ووافقه الآلوسي [٧] .

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٢/ ٢٥٠، وروح المعاني ٦/ ٨.

(٢) سورة المائدة /٦٤.

(٣) الضحاك بن مزاحم. تابعي أخذ عن سعيد بن جبير، توفي سنة خمس ومائة. ينظر: غاية النهاية ١/ ٣٣٧.

(٤) ينظر الكشاف ١/ ٦٢٨، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٣٨ ، ٢٣٩، والبحر المحيط ٣/ ٥٢٢ ، ٥٢٣، والتسهيل ١/ ١٨٢ ، ١٨٣، وتفسير أبي السعود ٣/ ٥٨، وفتح القدير/للشوكاني ٢/ ٥٧.

(٥) الكشاف ١/ ٦٢٨.

(٦) تفسير أبي السعود ٣/ ٥٨.

(٧) ينظر روح المعاني ٦/ ١٨١.

{وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ
قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ....}[(١)]

هذه الآية تحكي لنا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك حين طرحه إخوته في الجُبِّ، ورجعوا إلى أبيهم يبكون. عند ذلك فزع يعقوب عليه السلام، وقال: هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق، وتركنا يوسف عند متاعنا، فأكله الذئب. فبكى وصاح.... ثم قال: {بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} أي لقد زيّنت لكم أنفسكم أمرًا عظيمًا ارتكبتموه في يوسف غير ما ذكرتموه إلاّ أني أشكو بثي وحزني إلى الله ربِّ العالمين[(٢)].

و"بل" في قوله: {بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًا} إبطال وردّ لما زعموه، قال الرازي: (فهي ردٌّ لقولهم: أكله الذئب كأنه قال: ليس كما تقولون {بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًا})[(٣)].

و"بل" هنا عاطفة لوجود تشريك بين الجملة الأولى والثانية، فالأولى المحذوفة يخبرون فيها بأكل الذئب له، والثانية تكذِّبهم.

* * *

{وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ.
قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًا....}[(٤)].

"بل" للإضراب؛ ولكن ليس عن صريح كلامهم لأنهم صادقون فيما أخبروا به، بل عما يقتضيه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به، وأنه لم يصدر عنهم

(١) سورة يوسف/١٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٣٠٨، والتفسير الكبير ١٨/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٤٩ ـ ١٥٢، وتفسير أبي السعود ٤/٢٦٠.

(٣) التفسير الكبير ١٨/١٠٥، وينظر: البحر المحيط ٥/٢٨٩، وروح المعاني ١٢/٢٠١.

(٤) سور يوسف/٨٢، ٨٣.

ما يؤدي إلى ذلك من قول أوفعل، وكأنه قيل: (ليس الأمر حقيقة كما أخبرتم بل سوّلت)[(١)] لكم أنفسكم أمراً من الأمور فأتيمتوه؛ وهو فُتياهم للملك بأخذ السارق بسرقته.

والذي أرجحه أن إخوة يوسف كانوا أمناء في جوابهم للملك، فالملك سألهم عن جزاء السارق في شرعهم، وكان الجزاء فعلاً حينذاك هو أسر السارق؛ ولذلك قالوا في نهاية كلامهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[(٢)]، وإنما نسب يعقوب إليهم الكذب وأبطل كلامهم؛ لما سبق كذبهم عليه في واقعة دم الذئب، ولذلك جاء قوله: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[(٣)].

وإذن فهي للإبطال والعطف في ظنّ يعقوب، وفي حقيقة الأمر أنها للانتقال والاستئناف.

* * *

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ. قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[(٤)].

"بل" إبطالٌ لقولٍ محذوفٍ ورجوعٍ عنه، وفي تقدير هذا المحذوف قولان:

الأوّل: (ما جئناك بشيءٍ تخافه بل جئناك بالعذاب لقومك إذ كانوا يمترون فيه أي يشكون في وقوعه)[(٥)] قاله أبو حيان، وأشار إليه الزمخشري[(٦)]، ورده أبو السعود[(٧)]، ووافقه الآلوسي[(٨)].

الثاني: (ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به)[(٩)]، وبهذا جعلها إضراباً عما

---

(١) البحر المحيط ٣٣٧/٥، وينظر: تفسير أبي السعود ٣٠١/٤.

(٢) سورة يوسف/٧٥.

(٣) سورة يوسف/٦٤.

(٤) سورة الحجر/٦٢، ٦٣.

(٥) البحر المحيط ٤٦١/٥.

(٦) ينظر: الكشاف ٣٩٤/٢.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ٨٣/٥.

(٨) ينظر: روح المعاني ٦٧/١٤، ٦٨.

(٩) تفسير أبي السعود ٨٣/٥، ٨٤.

ظنّه عليه السلام من ترك النصرة له. ووافقه الآلوسي[١].

والقول الأول أوضح من حيث المعنى، ومن حيث ما يليق بمكانه الأنبياء والملائكة.

وعلى كلا القولين جاءت "بل" عاطفة على مقدر يقتضيه المقام لعلاقة السببية.

* * *

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[٢]

بعدما تحدث الله عز وجل في هذه الآية عن نسخ الآيات بعضها ببعض، واتهام الكفار لرسوله بالافتراء، قال:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أي لايعلمون (أن الله شرع الأحكام وتبديل البعض بالبعض)[٣] وقال {أَكْثَرُهُمْ} لأن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكر عناداً.

وعليه تكون "بل" للإبطال إذ أبطل الله تعالى بها اتهامهم لرسوله بالافتراء والكذب وأثبت أنهم لايعلمون أن ذلك التغيير والتبديل إنما هو من عند الله، كماجاءت عاطفة على ماقبلها.

* * *

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٤/٦٧، ٦٨.

(٢) سورة النحل/١٠١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧٦، وينظر: البحر المحيط ٥/٥٣٥، وتفسير أبي السعود ٥/١٤١، وروح المعاني ١٤/٢٣١.

{لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ.
بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}(١)

"بل" إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب كأنه قال: لكنا لانريده بل شأننا أن نغلب اللهو بالجد وندحض الباطل بالحق (٢).

فعلى هذا التقدير جاءت "بل" ابتدائية استئنافية لما بعدها.

* * *

{قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ. قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}(٣)

ورد ذكر هذه الآية حول قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، إذ قالوا له استبعاداً لما هم عليه من ضلال وطغيان {أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ} أي بالجد {أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ} فتقول ما تقول على وجه المداعبة والهزل، ثم رد عليهم إبراهيم قائلاً: {بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ....} أي لست بلاعب، بل ربكم والقائم على تدبير أموركم خالق السموات والأرض {وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}.

و"بل" في قوله {بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}، للإبطال، وبه قال القرطبي (٤)، وأبو حيان (٥)، وأبو السعود (٦)، إلاّ أنهم اختلفوا في الكلام المضرب

(١) سور الأنبياء/١٧، ١٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٥٦٥، والتفسير الكبير ١٤٨/٢٢، والبحر المحيط ٣٠٢/٦، وتفسير أبي السعود ٦٠/٦، وروح المعاني ٢٠/١٧.

(٣) سورة الأنبياء/٥٥، ٥٦.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩٦/١١.

(٥) ينظر: النهر الماد من البحر المحيط/ لأبي حيان ٤٦٥/٢ تقديم وضبط: بوران وهديان الضناوي، وينظر: البحر المحيط ٣٢١/٦.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٧٣/٦.

عنه، فقال القرطبي تقديره: (أي لست بلاعب بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والأرض)[(١)] ووافقه أبو حيان في "البحر المحيط"،[(٢)] أما في "النهر الماد"[(٣)] فقد وافق أبا السعود[(٤)] فجعلا "بل" إضرابًا عن تلك التماثيل أي (ليست تلك التماثيل أربابًا بل ربكم....).[(٥)]

والقول الأول أقرب إلى الأسلوب الحكيم، و"بل" كما أفادت الإضراب وهو لازم على كل حال، أفادت الاستئناف لعدم وجود تشريك بين ماقبلها ومابعدها.

* * *

{وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ}[(٦)]

"بل" في قوله {بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} (إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين لتلك الآيات والنذر بتكذيبنا لها، أوظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب)[(٧)] وبه قال أبوالسعود، وإليه أشار أبو حيان[(٨)]، والآلوسي.[(٩)]

فـ "بل" جاءت للإضراب الإبطالي عما قبلها، ومعنى الإبطال ظاهر فيها، حيث معناه الغلط، أو النسيان، أو البداء، كما جاءت عاطفة؛ إذ عطفت الجملة التي بعدها {كُنَّا ظَالِمِينَ} على ماقبلها {كُنَّا فِي غَفْلَةٍ} لوجود علاقة تشريك بينهما.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٦/١١.

(٢) ينظر ٣٢١/٦.

(٣) ينظر ٤٦٥/٢.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٧٣/٦.

(٥) النهر الماد ٤٦٥/٢.

(٦) سورة الأنبياء/٩٧.

(٧) تفسير أبي السعود ٨٥/٦.

(٨) ينظر: البحر ٣٤٠/٦.

(٩) ينظر: روح المعاني ٩٣/١٧.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾(١)

الخطاب في هذه الآية ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ للرسول-صلى الله عليه وسلم- خاصة، وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل-رضي الله عنهم-ولمن ساءه ذلك من المؤمنين عامة؛ إذ نهاهم الله عزّ وجلّ أن يظنوا بأن ذلك سيجلب لهم العار، وينزل بهم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنه كان بلاء عظيماً، ومحنة ظاهرة اكتسبتم بها الثواب، وظهرت كرامتكم على الله، وعَظُم شأنكم.

ومن هنا يتضح أن "بل" جاءت لإبطال الجملة التي قبلها ﴿لَا تَحْسَبُوهُ....﴾، وإثبات ما بعدها ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فبعد ما نهاهم الله عزّ وجلّ عن سوء الظن، أمرهم بما هو ضدّه وهو الخير؛ وهذا يوافق ما قاله ابن مالك: وهو أنه إذا وليَ "بل" مفرد، وكان قبلها نفيٌ أو نهي(فهي لتقرير مَا قبلَها، وجعلِ ضدِّه لما بعدها)(٢). إلا أنه تلاها جملة في هذه الآية ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ كما أنها حرف ابتداء، وهذا موافق لقول ابن هشام في المغني، (إذا وليَهَا جُملة فهي حرفُ ابتداءٍ لا عاطفة على الصحيح)(٣).

ويمكن في هذا المقام أن تكون عاطفة لوجود تشريك بين ما بعدها وما قبلها على رأي المالقي.

* * *

(١) سورة النور/١١.

(٢) شرح الكافية الشافية ٣/١٢٣٤.

(٣)١/١١٩.

{قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ}(١)

ولما سألَ سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قومه عن الأصنام التي يعبدونها هل تنفعهم، أو تضرّهم، أو تسمعهم، عندها لم يجدوا جوابًا لما سأل، فعدلوا عن ذلك اعترافًا بأنها بمعزل عن السمع والمنفعة والمضرة، واضطروا إلى إظهار أنّ لاسند لهم سوى التقليد. وكأنهم يقولون: «ما علمنا منهم ما ذكر من الأمور، وإنما وجدنا آباءنا يعبدونها فاقتدينا بهم». فـ"بل" جاءت للإبطال؛ إذ أبطلت ما ذكر عن تلك الأصنام وأثبتت تقليدهم لآبائهم دون تفكر ولاتدبر، وإلى هذا أشار البيضاوي(٢) وأبو السعود(٣) والآلوسي(٤). و"بل" ابتدائية لعدم وجود تشريك بين ماقبلها ومابعدها.

* * *

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ}(٥)

"بل" في قوله: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} للإضراب الإبطالي، والمضرب عنه محذوف تقديره: لا نتبع ماأنزل الله بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا، فأبطلوا اتباعهم لله وأثبتوا اتباعهم لآبائهم وبقائهم على تقليدهم وعليه فـ"بل" عاطفة على مقدر. وتقدم مثلها(٦).

---

(١) سورة الشعراء/٧٢، ٧٣، ٧٤.

(٢) ينظر:تفسير البيضاوي: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان/٤٨٤.

(٣) ينظر:تفسير أبي السعود ٢٤٨/٦.

(٤) ينظر:روح المعاني ٩٤/١٩.

(٥) سورة لقمان/٢١.

(٦) ينظر ص:٤٢.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ
بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾(١)

كان كفار قريش يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما يخبرهم به من بعث وحساب فقالوا: هل ندلكم على رجل ـ يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم ـ يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم إذا متم تبعثون وتنشؤون خلقًا جديداًبعد أن تكونوا رفاتًا. أهو مفتر على الله كذبًا فيما ينسب إليه ذلك، أم به جنون يوهمه بصحة مايقول. فرد الله عليهم بأن محمداً ليس فيه من الافتراء والجنون شيء، بل الكافرن بالبعث واقعون في العذاب الأليم.

ومن هنا يتضح لنا أن "بل" أفادت الإبطال، إذ أبطل الله عزوجل مقولتهم تلك في حقه صلى الله عليه وسلم، وكأنه قيل: ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك.(٢) فـ"بل" تأتي للإبطال في القرآن، وذلك إذا كان إبطالاً للمقول لا للقول كما أشرنا إليه من قبل. وأفادت هنا الابتداء والاستئناف على رأي المالقي.

* * *

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٣)

هذا خطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين وكأنه يقول: أروني هذه الأصنام التي عبدتموها وجعلتموها شركاء لله عزوجل لأنظر بأيٍّ صفة ألحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة. ثم قال الله: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة إذ ليست الأصنام كالله عز وجل في شيء ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المتّسمُ بالحكمة والغلبة(٤).

---

(١) سورة سبأ/ ٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٢٨٠.، وتفسير البيضاوي/ ٥٦٣، والبحر المحيط ٧/ ٢٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٦٣، وتفسير أبي السعود ٧/ ١٢٣.

(٣) سورة سبأ/ ٢٧.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧، الكشاف ٣/ ٢٨٩، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٠٠، والبحر المحيط ٧/ ٢٨٠، والتسهيل ٣/ ١٥٥، وتفسير أبي السعود ٧/ ١٣٣، وروح المعاني ٢٢/ ١٤١.

فجاءت "بل" لإبطال أن يكون لله شريكٌ أو مثيل وإثبات أن الله وحده هو المستحق للعبادة أي: ليس الأمر كما زعمتم بل هو الله العزيز الحكيم. كما جاءت ابتدائية استئنافية إذ تحدثت الجملة التي بعدها عن ملكوت الله وقوته وغلبته بينما الجملة السابقة أي التي قبلها عن إنكار مساواة الأصنام لله.

* * *

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا..}[١]

في يوم المحاسبة الأكبر، وعند الله عزوجل يلوم كل فريق الآخر، فيقول المستضعفون للذين استكبروا في الدنيا لولا أنتم لاتّبعنا دين الحق، ثم يرد عليهم الذين استكبروا فيقولون: أنحن أجبرناكم وحلنـــا بينكم وبين الإيمان بل أنتم الذين منعتم أنفسكم وصددتموها عن الدخول فيه لأنكم كنتم قوماً مجرمين منكرين صادين عن الإيمان، فلما أنكر المستكبرون أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوابقولهم {بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ} أن ذلك باختيارهم، كر عليهم المستضعفون بقولهم: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} قابلوا إضراباً بإضراب مبطل له، كأنهم قالوا: ماكان الإجرام والكفر من قبلنا بل كان من جهة مكركم لنادائباً في الليل والنهار، وحملكم إيانا على الشرك والكفر.

فجاءت "بل" في هذين الموضعين إبطالية ـ كما بيّنا ـ وإليه أشار الزمخشري،[٢] والقرطبي،[٣] والبيضاوي،[٤] وغيرهم.وعاطفة على مقدر قبلها، تقديره في الموضع الأول: ماصددناكم بل كنتم مجرمين، وفي الثاني: ماكان الإجرام من قبلنا بل كان من جهة مكركم ـ كما ذكرت من قبل.

(١) سورة سبأ/٣٢، ٣٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٢٩٠، ٢٩١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٠٣.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي/٥٦٧، والبحر المحيط ٧/٢٨٣، وتفسير أبي السعود ٧/١٣٤، وروح المعاني ٢٢/١٤٥.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾(١)

بعد ما نفى الله عزّ وجلّ أنواع الحجج التي يمكن أن يحتجّ بها المشركون في عبادتهم للأصنام أضرب عنها وبين السبب الذي حملهم على عبادتها.يقول: البيضاوي: (لما تقرر نفي أنواع الحجج في ذلك، أضرب عنه بذكر ماحملهم عليه، وهوتغرير الأسلاف الأخلاف، أو الرؤساء الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه)(٢) ووافقه أبو السعود(٣) والآلوسي(٤) فهم لم يخلقوا شيئًا ولم نؤتهم كتابًا بل غرهم وعد الكبراء لهم بأنهم سيشفعون لهم. وعليه فتكون "بل" للاضراب الإبطالي إذ تقرر بـ "بل" نفي ماقبلها وإثبات مابعدها، وهذا موافق لما قاله ابن مالك من أن "بل" بعد النفي لتقريرما قبلها وإثبات ضده لما بعدها .

* * *

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ. قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٥)

أي قال الأتباع للرؤساء: إنكم كنتم تاتوننا في الدنيا من أقوى الوجوه أو عن طريق الدين كأنكم تنفعوننا فتبعناكم فهلكنا، فقال لهم الرؤساء: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي لم نمنعكم من الإيمان بل لم تؤمنوا باختياركم وإرادتكم، (فهذا إضراب من المتبوعين إبطالي لما ادعاه التابعون)(٦) إذ أضربوا عن إضلالهم إياهم مثبتين إضلالهم لأنفسهم وذلك بعدم إيمانهم، وجيء ب "لم" بعد "بل" لقصد نفي إيمانهم. يقول ابن مالك: (وإن قُصدَ نفي فعلٍ بعد"بل" قُرن بـ"لا" أو بـ "لم")(٧) فـ"بل" للإبطال والعطف.

(١) سورة فاطر/٤٠.

(٢) تفسير البيضاوي/ ٥٧٧.

(٣) ينظر:تفسير أبي السعود ٧/١٥٥.

(٤) ينظر:روح المعاني ٢٢/٢٠٤.

(٥) سورة الصافات/٢٨، ٢٩.

(٦) الفتوحات الإلهية ٣/٥٣٤، وروح المعاني ٢٣/٨٢.

(٧) شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ/٦٣٢.

{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ}(١)

وهذا أيضًا جواب من المتبوعين للاتباع، وفيه أيضًا نفي لأن يكونوا قد أضلوهم، وإثبات لطغيان أتباعهم، وهي أيضًا للإبطال والعطف.

* * *

{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ}(٢)

كان الكفار يكذبون بالتوحيد والنبوة فقالو:{أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} فرد الله عليهم بتكذيبهم وبيان أن ماجاء به رسول الله إنما هو الحقُّ الذي قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فجاءت "بل" لإبطال ماقاله الكفار في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإثبات أن ماجاء به هو التوحيد، كما أفادت العطف. وهذا مايفهم من كلام الزمخشري(٣)، والقرطبي(٤)، وأبي حيان(٥)، وغيرهم.

* * *

{هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ}(٦)

يدعو المتبوعون على أتباعهم حين يدخلون عليهم في نار جهنم بقولهم {لَا مَرْحَبًا بِهِمْ} فيرد عليهم الاتباع {بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ} فهذا الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به منّا لأنكم أنتم الذين أوجبتم لنا هذا العذاب بسبب إغوائكم

---

(١) سورة الصافات/٣٠.

(٢) سورة الصافات/٣٦، ٣٧.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٣٣٩.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/٧٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧/٣٥٨، وتفسير أبي السعود ٧/١٨٩، وروح المعاني ٢٣/٨٤.

(٦) سورة ص/ ٥٩، ٦٠.

لنا في الدّنيا. فأبطلوا أن يكون ذلك الدعاء عليهم، وأثبتوه لمتبوعيهم. فأفادت "بل" الإبطال، والعطف.

* * *

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ.....}(١)

هذه الآية تخبرنا عن الكَفرة(٢)، حيث كان الكفار يشمئزون عند ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسَّهم ضرٌ دَعَوا من اشمأزوا من ذكره، دون من استبشروا بذكره، ثم إذا أُعطي ما أراد من مالٍ وصحّة جحد وكفر، وقال: إنما أعطيت هذا على علم مني بوجوه كسبه، أو لما لي من الاستحقاق، أو على علم من الله تعالى بي، فردّ الله عليه مُنكرًا قوله: ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي مِحنة وابتلاء من الله أتشكر أم تكفر؟. فـ"بل" أبطلت مقولته السابقة، وأثبتت أنها فتنةٌ من الله، وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري(٣)، والبيضاوي(٤)، وأبوحيان(٥)، وأبو السعود(٦)، والجمل(٧)، والآلوسي(٨). كما أفادت العطف على مقدر أي: لم تؤته على علم بل هي فتنة.

---

(١) سورة الزمر ٤٩.

(٢) قال القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٥/٢٦٦(وقيل: إنها نزلت في حذيفة بن المغيرة).

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٤٠٢.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي/٦١٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧/٤٣٣.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٥٨.

(٧) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٦٠٤.

(٨) ينظر: روح المعاني ٢٤/١٢.

{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ}(١)

{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} إضراب وإبطال لما أمروا به، وهو أن يعبدوا آلهتهم مع الله، فكأنه قيل: «لاتعبد ماأمروك بعبادته بل الله فاعبد»(٢)، كما أنها عاطفة على ذلك المقدر.

وقرئ {الله} بالرفع والنصب، إذ قرأ(٣) عيسى(٤) بالرفع {بَلِ اللَّهُ}، وبالنصب قرأ الجمهور(٥)، فتكون كلمة{اللَّهَ} منصوبة من وجهين:

الأول:(أن يكون منصوبًا ب{أعبد}.

الثاني: أن يكون منصوبًا بتقدير فعل، وتقديره: بل أعبد الله فاعبد). قالهما ابن الأنباري(٦) وسبقه إليهما الفراء(٧).

*　*　*

---

(١) سورة الزمر/٦٥، ٦٦.

(٢) ينظر:الكشاف ٤٠٧/٣، وتفسير أبي السعود ٢٦٢/٧، وروح المعاني ٢٣/٢٤.

(٣) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/ ١٣١.

(٤) عيسى بن عمر الثقفي أبوعمر مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم، إمام في النحووالعربية والقراءة مشهور، أخذ عن أبي عمروبن العلاء وغيره، وروى عن الحسن البصري وغيره. صنّف في النحو: الإكمال، والجامع. مات سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمس ومائة.

ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي/٤٠ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، وبغية الوعاة ٢٣٧/٢، وغاية النهاية في طبقات القراء ٦١٣/١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٣٦١/٤.

(٦) البيان ٣٢٦/٢.

(٧) معاني القرآن ٤٢٤/٢.تحقيق: محمد علي النجار.

{رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِنْ كُنتُم مُّوقِنِينَ. لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ. بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}(١)

"بل" إضراب عن ادعائهم اليقين بأن الله رب السموات والأرض إذ لو كانوا موقنين لآمنوا وعملوا بموجب هذا اليقين، فهم لم يقولوا ذلك عن علم ويقين، وإنما قالوه لعبًا ولهوًا.

وعليه فـ"بل" جاءت لإبطال(٢) ادعائهم لعدم جريهم على موجبه.

* * *

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٣)

كان قومُ هود يستعجلون العذاب ويقولون له: إئتنا بما تعدُنا {إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(٤)، {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا} أي فلما رأوا سحابًا عَرَض في أفقِ السماء، متوجهًا ألى أوديتهم فرحوا واستبشروا بقدوم المطر، فقال لهم هود {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ} أي ليس الأمر كما ظننتم بل هو ما استعجلتم به من العذاب، فأضرب عن قولهم، وأخبر بأن هذا هو العذاب(٥)، وعليه فـ"بل" للإبطال، وعاطفة على مقدر، أي: ماهذا بعارض! بل هو ما ستعجلتم به.

* * *

---

(١) سورة الدخان/٧،٨،٩.

(٢) ينظر: روح المعاني ١١٦/٢٥.

(٣) سورة الأحقاف/٢٤.

(٤) سورة الأحقاف/٢٢.

(٥) ينظر: التبيان ١١٥٧/٢، والبحر المحيط ٦٤/٨، وروح المعاني ٢٦/٢٦.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)

أي: (عندما انصرف المؤمنون من الحديبية على صلح من غير قتال، ولم يصيبوا من المغانم شيئًا، وعدهم اللهُ عزّ وجلّ فتح خيبر، وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضًا عن غنائم أهل مكة، حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منها شيئًا)(٢)، وعند ذلك طلب المخلفون من الأعراب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخرجوا معه، فقالوا: (ذرونا نتبعكم إلى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها. يريدون أن يبدلوا كلام الله بأن يشاركوا في الغنائم التي خصّها الله بأهل الحديبية، فرد عليهم رسول الله قائلاً: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي «إن هذا القول الصادر مني وهو لن تتبعونا إنما هو حكم الله؛ لأن غنيمة خيبر جعلت لمن شهد الحديبية، وليس لغيرهم منها نصيب، ولما كان المنافقون لايعتقدون شيئًا بل يظنون أنها حيل على التوصل إلى المرادات الدنيوية تسبب عن قوله ذلك قوله تعالى تنبيهًا على جلافتهم وفساد عقولهم وظنونهم، فسيقولون: ليس الأمر كما ذكر مما ادعيت أنه قول الله تعالى، بل إنما قلتم ذلك لأنكم تحسدوننا ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لايفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلاً في أمر دنياهم، ومن ذلك إقرارهم باللسان لأجلها، وأما الآخرة فلايفهمون منها شيئًا)(٣).

و"بل" ذكرت في هذه الآية في موضعين:

الأول: عند قوله تعالى ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ فجاءت "بل" ردًا وإبطالاً لأن يكون ذلك النهي من الله، وإثباتًا للحسد. يقول الزمخشري: («بل» إضراب معناه رد

---

(١) سورة الفتح/١٥.

(٢) الفتوحات الإلهية ١٦٢/٤، وينظر: جامع البيان ٨٠/٢٦، ٨١. والجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١٦، ٢٧١، وتفسير أبي السعود ١٠٨/٨.

(٣) الفتوحات الإلهية ١٦٣/٤. «بتصرف».

أن يكون حكم الله أن لايتبعوهم وإثبات الحسد)[(١)].

الثاني: عند قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فجاءت "بل" إضرابًا عن وصفهم للمؤمنين بالحسد إلى وصفهم بالجهل، وقلة الفهم؛ إذ لم يفقهوا من قولك ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلا ظاهر النهي، ولم يفهموا من حكمه إلا قليلاً، فحملوه على ما أرادوه، وعللوه بالحسد، يقول الزمخشري: «بل» (إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطمّ منه وهو الجهل، وقلة الفقه)[(٢)].

وعليه فـ"بل" جاءت في هذين الموضعين إبطالية، وعاطفة.

*   *   *

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(٣)]

أمر الله تعالى رسوله بأن يردّ على أولئك الذين يمنون عليه بإسلامهم، فيقول لهم: (لاتعتدوا علي إسلامكم بل الله يعتد عليكم أن مدكم بتوفيقه، حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه إن صح زعمكم، وصدقت دعواكم، إلا أنكم تزعمون وتدعون ماالله عليم بخلافه) قاله الزمخشري[(٤)].

فبعد ما أبطل منّهم على الرسول أثبت أن الله هو صاحب المنّ عليهم، وهذا كقولك: لاتضرب خالدًا بل بشرًا، و"بل" عاطفة للتشريك بين ما قبلها وما بعدها من حيث المعنى.

---

(١) الكشاف ٥٤٥/٣، وينظر: البحر المحيط ٩٤/٨، وتفسير أبي السعود ١٠٨/٨، وروح المعاني ١٠٢/٢٦.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) سورة الحجرات/١٧.

(٤) الكشاف ٥٧١/٣. «بتصرف» وينظر: روح المعاني ١٦٩/٢٦.

* القسم الثاني:

الآيات الدالة على الإضراب الانتقالي:

{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[(١)]

"بل" في قوله {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} فيها قولان:

أحدهما: أنها من باب عطف الجمل، وهذا هو الظاهر، وتكون للإضراب الانتقالي لا الإبطالي؛ لأن الكلام إخبار من الله والطرفان غير متناقضين، فلا يحتمل الإبطال. وإليه ذهب أبو حيان[(٢)]، ووافقه السمين[(٣)]، فيكون قوله {أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} معطوفًا على {نَّبَذَهُ فَرِيقٌ}.

والثاني: أن تكون من باب عطف المفردات، وقوله {أَكْثَرُهُمْ} معطوف على {فَرِيقٌ}، و {لَا يُؤْمِنُونَ} جملة في محل نصب حال[(٤)]، وفائدة هذا الإضراب كما قال أبو حيان: (لما كان الفريق يطلق على القليل والكثير، وأسند النبذ إليه وكان فيما يتبادر إليه الذهن أنه يحتمل أن يكون النابذون للعهد قليل، بيّن أن النابذين هم الأكثر دفعًا للاحتمال المذكور)[(٥)]. وسواء كان ما بعد بل مفردًا أم جملة فهي عاطفة، تفيد أن ما قبلها مسكوت عنه.

* * *

---

(١) سورة البقرة /١٠٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٤.

(٣) الدر المصون ٢/٣٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٤، وروح المعاني ١/٣٣٦.

(٥) البحر المحيط ١/٣٢٤، وينظر: تفسير أبي السعود ١/١٣٥.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾(١)

"بل" في قوله تعالى﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ حرف إضراب وانتقال، لما عرف في أكثر من موضع من أنها كذلك إذا كانت من كلام الله تعالى، وأمكن الجمع بينها. يقول أبو حيان: (بل هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء من غير إبطال لما تضمنه الكلام السابق من معنى النفي؛ لأن معنى الجملة السابقة النفي وتقديرها: ما تدعون أصنامكم لكشف العذاب. وهذا كلام حق لايمكن فيه الإضراب يعني الإبطال)(٢)، كما أنها تفيد العطف؛ إذ تعطف ما بعدها على جملة منفية قبلها تفهم من الكلام السابق، كأنه قيل: لاأحد غير الله تدعون بل إياه تدعون. وإليه أشار أبو السعود(٣)، والآلوسي(٤).

* * *

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(٥)

"بل" في قوله ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ للإضراب، (والمشهور أنه إضراب انتقال)(٦) أما المضرب عنه ففيه قولان:

الأول: إما عن مذكور، فيكون إضرابًا عن الإنكار إلى الإخبار بحالهم التي أفضتهم إلى ارتكاب القبائح، وهي اعتياد الإسراف في كل شيء. وإليه ذهب

---

(١) سورة الأنعام/٤٠، ٤١.

(٢) البحر المحيط ١٢٨/٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٢٣/٦، والدر المصون ٦٢٨/٤.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ١٣٢/٣.

(٤) ينظر: روح المعاني ١٤٩/٧.

(٥) سورة الأعراف/٨١.

(٦) الدر المصون ٣٧٢/٥.

الزمخشري[١] وأبو السعود[٢] والآلوسي[٣]، وأشار إليه أبوحيان[٤].

الثاني: وإما عن محذوف، وأشار إلى هذا الرأي أبو البقاء[٥] وأبو حيان[٦]، (وتقديره عندهما: ماعدلتم، بل أنتم قوم مسرفون) وقال الكرماني:[٧] (بل رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذرأي لا عذر لكم بل)[٨] وعلى هذا التقدير فـ"بل" عاطفة على محذوف.

* * *

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[٩]

ليست "بل" في قوله {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} رجوعًا عن الأول، وإنما هي للانتقال من إخبار إلى إخبار،[١٠] فبعد ماشبههم الله في الجملة الأولى بالأنعام لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من نعم الحواس وغيرها في اتباع الرسل جاء بالجملة الثانية {هُمْ أَضَلُّ} لبيان شدة ضلالهم على جهة المبالغة، فهو انتقال تدرج في صفة الضلال، و"بل" عاطفة كما عند المالقي.

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/٩٢.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٣/٢٤٥.

(٣) ينظر: روح المعاني ٨/١٧٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/٣٣٤.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٥٨١.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٤/٣٣٤.

(٧) محمود بن حمزة بن نصر أبوالقاسم الكرماني المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب "خط المصاحف"، وكتاب "لباب التفاسير"، وغيرهما. قرأ عليه أبوعبد الله نصر بن علي، توفي بعد الخمسمائة.

ينظر: بغية الوعاة ٢/٢٧٧، وغاية النهاية ٢/٢٩١.

(٨) البحر المحيط ٤/٣٣٤، وينظر: تفسير أبي السعود ٣/٢٤٥، وروح المعاني ٨/١٧٠.

(٩) سورة الأعراف/ ١٧٩.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن/ للنحاس ٢/١٦٤، والبحر المحيط ٤/٤٢٨.

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...}(١)

"بل" في قوله {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ماقالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى إظهاره ببيان أنه كلام ناشيءعن جهلهم بشأنه الجليل أي أنهم سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا معانيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من شواهد دالة على قدرة الله عز وجل حتى يعلموا أنه ليس من الممكن أن يأتي أحد من البشر بمثله وكأنه قيل: دع تحديهم بالقرآن وانظر إلى ماهو أهم من ذلك وهو مسارعة تكذيبهم بما لم يحيطوا بعلمه(٢)، و"بل" عاطفة للجمل.

* * *

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(٣)

"بل" للانتقال، إذ تنقل الملأ من قوم نوح من خبر إلى خبر دون أن يبطلوا الأول فبعد ماقالوا لنوح ومن معه إننا لانرى لكم علينا مزية وشرف يؤهلكم للنبوة، ويجعلكم أهلاً لاستحقاق المتابعة انتقلوا إلى تكذيبهم دون أن يبطلوا ماقبل وإنما أرادوا زيادة المبالغة في تكذيبهم، وذلك لشدة حسدهم وحقدهم(٤)، وجاءت "بل" عاطفة.

* * *

---

(١) سورة يونس/٣٨، ٣٩.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/١٤٦، وروح المعاني ١١/١١٩، ١٢٠.

(٣) سورة هود/٢٧،

(٤) لم أر في كتب التفسير التي رجعت إليها من تعرض لهذه الآية، وبناء على ما رأيته في الآيات السابقة ذكرت رأيي.

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا...}(١)

"بل" إضراب وانتقال بترك الكلام الأول وأخذ في غيره، وأما ما بعد "بل" ففيه قولان:

الأول: إما أن يكون إضرابًا عما تضمنته «لو» من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لاتلين له شكيمتهم وإليه أشار الزمخشري(٢) والبيضاوي(٣) وأبو السعود(٤)، والآلوسي(٥).

الثاني: وإما أن يكون المراد بقوله: {بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} أن الإيمان والكفر بيد الله يخلقهما فيما يشاء وبه قال أبو حيان(٦) وإليه أشار الزمخشري(٧)،

وعلى هذا الرأي الثاني تكون "بل" أيضاً انتقالية من قصة إلى قصة ومن موضوع إلى موضوع.

وفي هذين القولين جاءت "بل" استئنافية. (وزعم بعضهم أن الأحسن العطف على مقدر أي ليس لك من الأمر شيء بل الأمر لله جميعًا)(٨) قاله الآلوسي والأولى أنه لاداعي لتقدير محذوف مادام المقام لايحتاج إليه.

---

(١) سورة الرعد/٣١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٣٦٠.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٣٢٦.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٥/٢٢.

(٥) ينظر: روح المعاني ١٣/١٥٦.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٥/٣٩١.

(٧) ينظر: الكشاف ٢/٣٦٠.

(٨) روح المعاني ١٣/١٥٦.

{... وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}(١)

"بل" للانتقال، فبعد ماذكر الله تعالى الدلائل التي تدل على فساد عقائدهم قال: بل. وكأنه يقول: دع ذكر الدليل لأنه لافائدة فيه، فقد زين لهم كفرهم ومكرهم حتى أصبحوا لاينتفعون بشيء. فترك الكلام الأول وأخذ في كلام غيره دون إبطال الأول، لأنه من كلام الله تعالى(٢) ولعدم التناقض بين الكلامين. وقال القرطبي أيضًا (قيل: استدراك على هذا الوجه. أي ليس لله شريك، ولكن زين للذين كفروا مكرهم)(٣) وقد سبق أن قلنا: إن "بل" يمكن أن تخرج عن معنى الإضراب إلى الاستدراك في الاستعمال، فنقول: ماقام زيد بل قام عمرو. فأنت حين نفيت القيام عن زيد خفت أن يتوهم ذلك على عمرو أيضًا لما بينهما من الإلف فقلت: بل قام عمرو مثبتًا القيام لعمرو وبهذا أفادت «بل» الاستدراك.

وفي هذه الآية أيضًا، وبعد ما نفيت أن يكون لله شريك، ربما يتوهم السامع فيفكر إذا لم يكن لله شريك فما الذي يجعلهم يكفرون، فقال تعالى: {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ} أي لكن زين لهم مكرهم حتى بقوا على كفرهم. فلم يُرِد الله إبطال الكلام الأول، وإنما أراد الجمع بينهما. فجاء الكلام متصلاً يكمل ما بعد "بل" ما قبلها، لأنه كالإجابة على سؤال تضمنه ما قبل "بل" فلا انتقال.

وعلى كل فـ"بل" عاطفة.

---

(١) سورة الرعد/٣٣..

(٢) ينظر التفسير الكبير ٥٨/١٩، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/٩، والبحر المحيط ٣٩٥/٥، وتفسير أبي السعود ٢٤/٥، وروح المعاني ١٦٢/١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/٩.

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(١)

"بل" إضراب وانتقال من كلام إلى آخر دون إبطال ماسبق؛ لأنه من كلام الله، وكلام الله لايحتمل الإبطال، فبعد ما ضرب الله المثل، وبين أنه لامساواة بينه وبين الأصنام حتى يتوجّه إليها الكفرة بالعبادة والدعاء، بل يجب أن يكون الحمد لله وحده، قال: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} منتقلاً عن القصة السابقة إلى قصة أخرى دون إبطال الأولى، مخبراً (أنهم لايعلمون ذلك وعليهم أن يعلموا، أو أن فعلهم فعل من لايعلم وإن كانوا يعلمون)(٢)، وبل: ابتدائية استئنافية.

* * *

{وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}(٣)

"بل" في قوله {بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا} جاءت للإضراب بمعنى الانتقال من قصة إلى قصةٍ من غير إبطال لما سبق(٤)؛ لأن ما قبلها واقع لايحتمل الإبطال. ففي يوم القيامة يقف جميع الخلق بين يدي الله كما خلقهم أول مرة، حفاة، عراة، غُرلاً، وليس معهم شيء من مال أو أنصار. وهذا كلام حق، ثم قال: {بَلْ زَعَمْتُمْ...} وهم قد زعموا في الدنيا أنه لن يكون لهم أبداً وقت يتحقق فيه ما وعدوا على ألسن الأنبياء من البعث والنشور.

---

(١) سورة النحل/٧٥.

(٢) إعراب القرآن/ للنحاس ٢/٤٠٤.

(٣) سورة الكهف/٤٨.

(٤) ينظر: التبيان ٢/٨٥٠، تفسير البيضاوي/ ٣٨٧، والبحر المحيط ٦/١٣٤ وتفسير أبي السعود ٥/٢٢٦، وروح المعاني ١٥/٢٩٠.

و"بل" هنا عاطفة ما بعدها على ماقبلها، كما نقل الزركشي[١]، عن الصفار.

* * *

{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا}[٢]

إن الله غفور رحيم ومن دلائل رحمته أنه لم يتعجل بالعذاب لأهل مكة رغم شدة عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإفراطهم فيه، فلم يؤخذاهم بغتة ولكن جعل لهم موعداً لن يفروا منه، وهو يومي بدر، وأحد. وبهذا خرجت "بل" عن معنى الإضراب إلى معنى الاستدراك. فعندما قال الله أنه لن يتعجل بتعذيب المشركين، ربما يقع السامع في وهم وبلبلة، فاستدرك الله ذلك بقوله: {بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ} فجاء مابعد "بل، متمماً لما قبلها من الكلام، ولو كانت للانتقال لا نتقل من قصة تامة إلى قصة تامة أخرى.

* * *

{قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا....}[٣]

"بل" في قوله: {بَلْ أَلْقُوا} للإضراب والانتقال، فبعد ما سأل السحرة موسى أن يختار أحد الأمرين: إلقاءه، أوإلقاءهم، قال لهم: {بَلْ أَلْقُوا} إظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم، فـ "بل" لم تبطل ما قبلها، وإنما تركته على حاله، وانتقلت إلى حال آخر[٤]. كما أفادت العطف.

* * *

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٥٨/٤.

(٢) سورة الكهف/٥٨.

(٣) سورة طه/٦٥، ٦٦.

(٤) لم أر في كتب التفسير التي رجعت إليها من تعرض لـ «بل» في هذه الآية؛ وبناء على دراستي للآيات السابقة؛ ذكرت رأيي فيها.

{أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ}(١)

قال أبو السعود: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ...} (إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن، وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لاينفع الاحتجاج عليهم لأن أكثرهم لايفهمون الحق، ولايميزون بينه وبين الباطل؛ بسبب إعراضهم المستمر عن التوحيد واتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم) (٢)، وعليه فـ"بل" دلت على العطف.

* * *

{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}(٣)

{بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً} (إضراب انتقالي عن قوله {لَوْ يَعْلَمُ} فلما حكى الله عنهم أنهم يستعجلون العذاب الموعود، بين أن سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول ذلك اليوم، وما فيه من عذاب شديد، ثم أضرب عن ذلك دون إبطاله وانتقل إلى بيان كيفية وقوع ذلك العذاب، فقال: {بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً}(٤)

وعليه تكون "بل" انتقالية عاطفة ما بعدها على ماقبلها {لَوْ يَعْلَمُ} وبه أقول؛ لأننا لو اعتبرنا بل عاطفة على {لَا يَكُفُّونَ} كما قال أبو السعود (٥)، ووافقه الآلوسي (٦) لوجدنا في الكلام تكراراً لاداعي له.

---

(١) سورة الأنبياء/٢٤.

(٢) تفسير أبي السعود ٦/٦٣ «بتصرف»، وينظر: روح المعاني ١٧/٣١.

(٣) سورة الأنبياء/٣٩، ٤٠.

(٤) الفتوحات الإلهية ٣/١٢٩ «بتصرف»، وينظر: المفردات في غريب القرآن/ للأصفهاني ٥٩ تحقيق: محمد سيد كيلاني، وروح المعاني ١٧/٥٠.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٦٨.

(٦) ينظر: روح المعاني ١٧/٥٠.

أما قول ابن عطية: (إنه استدراك مقدر قبله نفي تقديره: إن الآيات لاتأتي بحسب اقتراحهم)[١]، فأرى أنه لاداعي إلى تقدير محذوف إذا لم يحتجْ إليه المقام، كما أنه يبعد قليلاً عن معنى الآية. ورده الألوسي أيضًا[٢].

* * *

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾[٣]

أمر الله رسوله ـ عليه السلام ـ بأن يسألهم تقريعًا وتوبيخًا عمن يحفظهم أيام بأس الله حتى يقروا ويتنبهوا إلى قدرة الله فيتوقفوا عن الاستهزاء، ثم أضرب عن ذلك الأمر بقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي دعهم يامحمد عن هذا السؤال لأنهم لايصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله، فهم مستمرون على إعراضهم سواء ذكروا ونبهوا أم لا؟ فبعد ما نفى أن يكون لهم مانع أو كالئ، أثبت إعراضهم عن ذكر الله[٤].

و"بل" أفادت العطف.

* * *

(١) البحر المحيط ٦/٣١٤.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٧/٥٠.

(٣) سورة الأنبياء/٤٢.

(٤) ينظر: الكشاف ٢/٥٧٣، والبحر المحيط ٦/٣١٤، وتفسير أبي السعود ٦/٩٦، وروح المعاني ١٧/٥١.

{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ. بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ...}[1]

"بل" (إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم، وهو الاستدراج، والتمتع الذي قُدّر لهم من الأعمار.

أو إضراب عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك، وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا، أو أمهلهم حتى طالت أعمارهم، فحسبوا أنهم لايزالون كذلك، وأن تمتيعهم بسبب ماهم عليه، وأنهم يستحقونه)[2].

وعلى كلا القولين فـ"بل" عاطفة وانتقالية؛ إذ نفت أولاً أن تكون تلك الآلهة هي التي تحفظهم من الله، ثم انتقلت إلى قصة أخرى دون إبطال لما قبلها.

* * *

{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ}[3]

"بل" في هذه الآية جاءت للإضراب الانتقالي[4] عن الحسبان، أي: أيحسبون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من أموال وبنين لرضا من الله، وأنهم أهل للثواب، كلا ليس كذلك بل هم لايشعرون أن ذلك استدراج لهم وفتنة، فيتأملوا ويتفكروا في هذه النعم: هل هي استدراج، أم مسارعة في الخير؟ فهم أشباه البهائم لافطنة بهم ولاشعور.

و"بل" عاطفة على مقدر محذوف.

* * *

---

(١) سورة الأنبياء/٤٣، ٤٤.

(٢) تفسير البيضاوي/٤٢٥، وينظر: الكشاف ٢/٥٧٤، والتسهيل ٣/٢٧، وتفسير أبي السعود ٦/٦٩، وروح المعاني ١٧/٥٢.

(٣) سورة المؤمنون/٥٥، ٥٦.

(٤) الفتوحات الإلهية ٣/١٩٥، وينظر: الكشاف ٣/٣٥، والبحر المحيط ٦/٤١٠، وتفسير أبي السعود ٦/١٣٩.

{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}[١]

"بل" في قوله {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ} إضراب عما قبله[٢]، والضمير للكفار، أي أن قلوبهم في غمرة من هذا الكتاب الذي دُوِّن فيه جميع أعمالهم. يقول الجمل: (هذا رجوع لأحوال الكفار المحكية فيما سبق بقوله {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم...}[٣] الآية، والجمل التي بينهما وهي قوله: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم}[٤] إلى قوله: {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} اعتراض في خلال الكلام المتعلق بالكفار)[٥]، وهي للإضراب الانتقالي أيضًا عند ابن هشام[٦].

ونقل أبو حيان عن أبي مسلم[٧] رأيًا مفاده (أن الضمير في قوله: {بَلْ قُلُوبُهُمْ} يعود إلى المؤمنين المشفقين {فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا}؛ إذ وصفهم سبحانه بالحيرة، فكأنه قال: هم كالمتحيرين في أعماله: أهي مقبولة، أم مردودة ؟ ولهم أعمال من دون ذلك، أي لهم أيضًا من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه)[٨]، ورجح هذا الرأي الرازي[٩].

وسواء عاد الضمير على الكفار أم المؤمنين فـ"بل" للانتقال من كلام إلى كلام دون إبطال لما قبلها.

---

(١) سورة المؤمنون/٦٢، ٦٣.

(٢) ينظر:تفسير أبي السعود ٦/١٤١، وروح المعاني ١٨/٤٦، ٤٧.

(٣) آية /٥٥.

(٤) آية /٥٧.

(٥) الفتوحات الإلهية ٣/١٩٦.

(٦) ينظر:مغني اللبيب ١/١١٩.

(٧) هومحمد بن بحر الأصفهاني الكاتب أبومسلم، كان نحويًا كاتبًا بليغًا متكلمًا معتزلاً عالمًا بالتفسير وغيره من صنوف العلم، له "جامع التأويل لمحكم التنزيل"، و"الناسخ والمنسوخ"، وكتاب في النحو، وجامع رسائله. مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة.

ينظر:بغية الوعاة ١/٥٩.

(٨) البحر المحيط ٦/٤١٢ «بتصرف»

(٩) ينظر:التفسير الكبير ٢٣/١١٠.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾(١)

"بل" إضراب وانتقال، فبعد مالامهم الله عزّ وجلّ على كراهتهم للحق في قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(٢) انتقل إلى التشنيع عليهم بالإعراض عما جبلت عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرُها، ففي القرآن فخرهم وشرفهم الذي يجب أن يحافظوا عليه، ويعملوا بما فيه، وإليه ذهب أبو السعود(٣)، ووافقه الآلوسي(٤)، والجمل(٥)، كما أن "بل" هنا حرف عطف كسابقتها.

* * *

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾(٦)

الخطاب في هذه الآية موجه لمنكري البعث، ومنهم أهل مكة؛ إذ يلومهم الله عز وجل على عدم تدبرهم وتفكرهم في قدرة الله، بل إنهم اتبعوا السابقين فيما قالوا، فـ"بل" إضراب وانتقال عن محذوف، والتقدير: فلم يعتبروا ويتعظوا بما جرى لسابقيهم، بل قالوا.. وعليه فـ"بل" جاءت عاطفة مابعدها على محذوف قبلها(٧).

* * *

---

(١) سورة المؤمنون/٧١.

(٢) آية /٧٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ١٤٤/٦.

(٤) ينظر: روح المعاني ٥٣/١٨.

(٥) ينظر: الفتوحات الإلهية ١٩٨/٣.

(٦) سورة المؤمنون/٨٠، ٨١.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٤١٨/٦، وتفسير أبي السعود ١٤٧/٦، والفتوحات الإلهية ١٩٩/٣، وروح المعاني ٥٧/١٨.

{تَبَارَكَ الَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا. بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}[(١)]

"بل" في قوله {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} (إضراب وانتقال عن الكلام المتقدم من غير إبطال لمعناه، وأخذ في لفظ آخر)[(٢)] ، أما المضرب عنه ففيه أقوال:

الأول: عن قوله: {مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ}[(٣)] على معنى: بل أتوا بأعجب من ذلك كله، وهو تكذيبهم بالساعة وإنكارها، فتكون «بل» عاطفة ما بعدها على ما قبلها. يقول الزمخشري: ({بَلْ كَذَّبُوا} عطف على ما حكى عنهم، يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة)[(٤)] . وإليه أشار أبو حيان[(٥)] ، وأبو السعود[(٦)] ، والآلوسي[(٧)] .

الثاني: أنه متصل بقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِيٓ إِن شَآءَ...}. يقول الزمخشري: (ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال: بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ؟ وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لايؤمنون بالآخرة؟)[(٨)] . وحكاه أبو حيان[(٩)] ، وأبو السعود[(١٠)] ، والآلوسي[(١١)] . وبل عاطفة على ماقبلها للمشاركة في المعنى.

---

(١) سورة الفرقان/١٠، ١١.

(٢) البحر المحيط ٦/٤٨٥ . «بتصرف».

(٣) آية ٧.

(٤) الكشاف ٣/٨٣.

(٥) ينظر: البحر ٦/٤٨٤.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٠٥.

(٧) ينظر: روح المعاني ١٨/٢٤١.

(٨) الكشاف ٣/٨٣.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٦ /٤٨٥.

(١٠) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٠٥.

(١١) ينظر: روح المعاني ١٨/٢٤١.

الثالث: (توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة، والانتقال منها إلى توبيخهم على جناياتهم الأخرى)[١]. قاله أبو السعود، وحكاه الآلوسي[٢].

الرابع: وقيل: (المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية، وظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال، وجعلوا فقرك ذريعة إلى تكذيبك)[٣] قاله البيضاوي، وإليه أشار أبو السعود[٤].

وثالث الآراء هو الأقرب إلى الصواب عندي، وهو قريب في الحقيقة من الرأي الأول؛ لتمشيه مع سياق الآيات، ولعدم حاجته إلى تقدير محذوف.

* * *

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٥]

والمعنى: أتحسب يامحمد أن أكثر هؤلاء يسمعون ويعقلون حتى تجهد نفسك في إيمانهم، وتهتم بشأنهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم انتفاعهم بالآيات، وعدم تدبرهم فيما يشاهدونه من دلائل معجزة ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الانعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتطلب ما ينفعها، وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء لاينقادون لربهم، ولايميزون بين فضل الله عليهم، وإساءة الشيطان لهم، ولايجدون في طلب الثواب، ودرء العقاب.

فـ"بل" جاءت للانتقال؛ إذ انتقلت من وصفهم كالأنعام إلى ما هو أشد. و"بل" عاطفة[٦].

(١) تفسير أبي السعود ٦/٢٠٥.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٨/٢٤١.

(٣) تفسير البيضاوي/ ٤٧١.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٠٦.

(٥) سورة الفرقان/٤٤.

(٦) تقدم مثلها.

{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}(١)

بعد ما أخبرنا الله عزّ وجلّ عن قوم لوط بأنهم يأتون الذكران، وهذه فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين، انتقل إلى قوله {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} أي متجاوزون الحدّ في الظلم. وأرى أنهم عادون بإتيانهم الذكران، فليست للانتقال إلى شيء جديد، بل إلى النتيجة، أو أن عدوانهم في تشهي الرجال دون النساء جزء من عادتهم في العدوان، والانتقال من الفظيع إلى الأفظع (فهو إضراب بمعنى الانتقال من شيء إلى شيء لأنه إبطال لما سبق من الإنكار عليهم وتقبيح فعالهم)(٢). وعليه فـ"بل" عاطفة وقد تقدم مثلها.

كما استشهد الرضي(٣) بهذه الآية على أن "بل" الانتقالية يجوز أن تأتي بعد استفهام وليست الابطالية كذلك؛ لأن الأولى لاتنفي الاستفهام، بل تتركه على حاله، أي أن الاستفهام للتقرير لا للنفي.

* * *

{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ}(٤)

يقول الزمخشري: (لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لايعرفون سبب رضا ولافرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لايعلمون غيرها، ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها، ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها)(٥).

(١) سورة الشعراء/١٦٥، ١٦٦.

(٢) البحر المحيط ٣٦/٧، وينظر: شرح المفصل ١٠٥/٨.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤١٩/٤.

(٤) سورة النمل/٣٦.

(٥) الكشاف ١٤٨/٣.

فيفهم من كلام الزمخشري أن "بل" إنما خرجت هنا عن معنى الإضراب إلى الاستدراك، ولكن لا لرفع الوهم عن المخاطب، وإنما لتعليل ما سبق. فبعد ما أنكر عليهم تلك الهدايا، ذكر السبب الذي دفعهم إلى بعثها، وهو شدة حبهم للدنيا، وقصور همتهم عليها. والمعنى: بل أنتم بهديتكم تفرحون حباً لزيادة المال؛ لأنكم لاتعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا.

وعلى كل فـ"بل" جاءت للعطف.

* * *

{قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَآئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}[١]

أصاب قوم صالح القحط فقالوا له {اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ} فرد عليهم بقوله: {طَآئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ} أي ما يصيبكم من خير أو شر فهومكتوب عند الله بقضائه إن شاء رزقكم وإن شاءحرمكم ثم أضرب عن قوله السابق منتقلاً إلى الإخبار عنهم بحالهم فقال: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} أي ماأنتم فيه من تشاؤم وتطير إنما هو لاختباركم فالله يختبركم بتعاقب السراء والضراء، والشيطان يفتنكم بوسوسته إليكم الطيرة،[٢] فـ"بل" للإضراب الانتقالي كما أنها عاطفة.

* * *

{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}[٣]

{بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} إضراب عن إتيانهم الرجال لفعل الفاحشة وإنكار ذلك عليهم إلى الإخبار عنهم بأنهم قوم يجهلون عاقبة ذلك الفعل أو أنهم يفعلون فعل السفهاء المجان. فـ"بل"للإضراب الانتقالي، وعاطفةعلى مقدر قبلها أي: ماهذا بفعل العقلاء العالمين بضرر ذلك وبأن محل الشهوة النساء لا الرجال، وقد تقدم مثلها.

* * *

---

(١) سورة النمل/٤٧.

(٢) ينظر:البحر المحيط ٨٢/٧، وتفسير أبي السعود ٢٩٠/٦، وروح المعاني ٢١٢/١٩.

(٣) سورة النمل/٥٥.

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}[(١)]

{بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} (إضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكايته بضمير الغائب لغيرهم أي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل أمر من الأمور، فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين)[(٢)] قاله أبو السعود ووافقه الجمل،[(٣)] والآلوسي[(٤)]، فـ"بل" جاءت عاطفة.

* * *

{أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[(٥)]

{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} إضراب انتقالي أيضاً ـ كسابقتها ـ من تبكيتهم إلى بيان أن أكثرهم لايفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره ووضوحه[(٦)].

* * *

(١) سورة النمل/٦٠.

(٢) تفسير أبي السعود ٦/٢٩٤.

(٣) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٣٢٣.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٠/٥.

(٥) سورة النمل/٦١.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٩٥.

{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ}(١)

في قوله: {ادَّارَكَ} عدة قراءات(٢) منها:

الأولى: بوصل الألف وتشديد الدال، وألف بعدها(٣) أي: {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ}؛ لأن (أصل ادّراك تدارك فأدغمت التاء في الدال فسكنت فاجتلبت همزة الوصل ليسلم السكون، وهو من تدارك القوم، إذا تلاحقوا: أي لحق آخرهم أولهم)(٤).

وقرأ أبي(٥) {بَلْ تَدَارَكَ}، وهو أصل قراءة من قرأ ادّارك، فأصل التدارك التتابع والتلاحق مطلقًا. يقول ابن قتيبة: (أي تدارك ظنهم في الآخرة وتتابع بالقول والحدس)(٦)، ويقول الآلوسي: (والتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك، وهو مراد من فسر التدارك هنا بالاضمحلال والفناء.... والمعنى: بل تتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع

---

(١) سورة النمل/٦٥، ٦٦.

(٢) ينظر: المحتسب/ لابن جني ١٤٢/٢ ، ١٤٣.تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور/عبد الفتاح شلبي، ومختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/ ١١٠.

(٣) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.

ينظر "التيسير في القراءات السبع" للداني/١٦٨. عني بتصحيحه «أوتويرتزل»، والنشر في القراءات العشر/لابن الجزري ٣٣٩/٢، أشرف على تصحيحه/ الأستاذ علي محمد الضباع. و"اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر" للدمياطي الشهير بالبنّاء/٣٣٩.

(٤) ينظر مادة «درك» في لسان العرب.

(٥) هوأبي بن كعب بن قيس أبوالمنذر الانصاري، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه سلم للإرشاد والتعليم، اختلف في موته، فقيل سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين، وقيل سنة ثلاث وعشرين، وقيل غير ذلك.

ينظر:معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ للذهبي ٢٨/١ تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الارناؤوط، وصالح مهدي عباس. وينظر غاية النهاية ٣١/١.

(٦) غريب القرآن/ لابن قتيبة/ ٣٢٦ تحقيق: أحمد صقر، وينظر: مشكل إعراب القرآن ١٥٤/٢.

وفني، ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعًا، مع توفر أسبابه، فهو ترقٍ عن وصفهم بجهل فاحش إلى وصفهم بجهل أفحش، وليس تدارك علمهم بذلك على معنى أنه كان لهم علم به على الحقيقة فانتفى شيئًا فشيئًا، بل على المجاز بتنزيل أسباب العلم، ومبادئه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه، وإجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها إلى الانقطاع)[١] ، ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها إلى بيان ماهو أسوأ منه، وهو حيرتهم في ذلك، حيث قيل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾، ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ماهم فيه أشد وأفظع عن الشك؛ حيث قيل: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

القراءة الثانية: بقطع الهمزة وإسكان الدال من غير ألف بعدها[٢] ، وقد فسره الحسن البصري[٣] فيما رواه عنه الأصفهاني قال: (معناه: جهلوا أمر الآخرة وحقيقته انتهى علمهم في لحوق الآخرة فجهلوها)[٤] فـ "أدرك الشيء": (بلغ وقته وانتهى، وأدرك أيضًا فني)[٥]

وقال الأصفهاني: (إذا حصلوا في الآخرة لأن مايكون ظنونًا في الدنيا فهو في الآخرة يقين).[٦] (فهذه الإضرابات الثلاثة ماهي إلا تنزيل لأحوالهم ووصفهم أولاً بأنهم لايشعرون بوقت البعث، ثم بأنهم لايعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يتخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه، والإزالة مستطاعة)[٧] ثم بأن بصائرهم قد

---

(١) روح المعاني ٢٠/١٣، ١٤، ١٥، وينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. ينظر التيسير في القراءات/١٦٨، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩. واتحاف فضلاء البشر/٣٣٩.

(٣) هوالإمام أبوسعيد الحسن بن الحسن البصري، كان إمامًا في القراءة، توفي بالبصرة سنة عشرومائة للهجرة. ينظر معرفة القراء الكبار ١/٦٥، وغاية النهاية ١/٢٣٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن/ ١٦٨، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/١٥٤.

(٥) ينظر مادة «درك» في لسان العرب.

(٦) المفردات في غريب القرآن/ ١٦٨.

(٧) الكشاف ٣/١٥٧.

عميت عنها. فكررت "بل" تنبيهًا على رجحان ماولي المتأخرة[١] ، وجاءت عاطفة من حيث المعنى لوجود علاقةالسببية بين الجمل.

* * *

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[٢]

هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لايقرأ ولايكتب، ولو كان يعرف القراءة والكتابة لتطرق الشك إلى نفوس الكفار فيقولون بأنه تعلم هذا الكتاب أو قرأه، فلما كان القرآن متنزهًا عن أي شك أضرب الله عزوجل عن ذلك وانتقل إلى بيان أنه آيات بينات أي واضحات لمن أراد الهداية، فكان الإضراب عن محذوف مفهوم من الكلام السابق أي: (ليس القرآن مما يرتاب فيه لوضوح أمره بل هو ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾[٣] وعلى هذا المعنى فـ"بل" عاطفة على هذا المقدر.

* * *

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤]

في هذه الاية ثلاثة أوجه:

الأول: (إضراب عن جهلهم الخاص في إتيانهم بما هو حجة عليهم، وانتقال إلى أن ذلك حدث منهم لكونهم مسلوبي العقول. وجملة ﴿قل الحمد لله﴾على هذا معترضة)[٥] قاله الآلوسي.

---

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٢/٦٤٤، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٦٥.

(٢) سورة العنكبوت ٤٨، ٤٩.

(٣) روح المعاني ٢١/٥.

(٤) سورة العنكبوت/٦٣.

(٥) روح المعاني ٢١/١٢.

الثاني: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} حمداً لله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} إضراب عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لايعقلون)[(١)] . قاله ابن جزي الكلبي.

الثالث: (أو {لَا يَعْقِلُونَ} ماتريد بقولك الحمد لله ولايفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم)[(٢)] . قاله الزمخشري ورده الآلوسي (لخفائه وقلة جدواه وتكلف توجيه الإضراب فيه)[(٣)] .

وعلى كل فـ"بل" في هذه الآية جاءت للإضراب والانتقال من خبر إلى خبر، وللعطف على ماقبلها.

* * *

{ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}[(٤)]

بين الله تعالى في هذه الآية الأولى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها مع الله تعالى فضرب هذا المثل ومعناه: أيها الناس إذا كنتم لاترضون أن يسوى بينكم وبين عبيدكم فيما تملكون من أموال وغيره فكيف ترضون بالتسوية بين خالقكم وخالق جميع مافي الكون وبين هذه الأصنام التي لاتملك شيئاً، ثم أضرب بالآية الثانية بـ"بل" عماتضمنته الآية المتقدمة كأنه يقول: (ليس لهم حجة

---

(١) التسهيل ١١٩/٣.

(٢) الكشاف ٢١١/٣.

(٣) روح المعاني ١٢/٢١.

(٤) سورة الروم/٢٨، ٢٩.

ولامعذرة فيما فعلوا من إشراكهم بالله بل ذلك لمجرد هوى بغير علم)[١]. و"بل" عاطفة على ماقبلها وتقديره: (لم يعقلوا شيئًا من الآيات المفصلة بل اتبعوا أهواءهم)[٢].

* * *

{هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[٣]

"بل" في قوله: {بَلِ الظَّالِمُونَ} إضراب وانتقال عن تبكيتهم وتقريعهم إلى التسجيل عليهم بأنهم في حيرة وضلال واضحين ـ لمن تدبر حالهم ـ يستحيل معه فهم تلك المقدمات المعقولة الحقة[٤].

* * *

{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[٥].

"بل" إضراب وانتقال من كلام إلى آخر دون إبطال لماسبق، فبعد ماذكر الله عزوجل إقرارهم واعترافهم بخلق الله للسموات والأرض انتقل إلى عدم إيقانهم لذلك الاعتراف وما يتوجبه عليهم من إيمان بالله وحده[٦].

* * *

(١) البحر المحيط ٧/١٧١، وينظر: التسهيل ٣/١٢٢، والفتوحات الإلهية ٣/٣٩١.

(٢) تفسير أبي السعود ٧/٥٩.

(٣) سورة لقمان/١١.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٢٣١، والبحر المحيط ٧/١٨٥، وتفسير أبي السعود ٧/٧٠، وروح المعاني ٢١/٨٢.

(٥) سورة لقمان/٢٥.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/٢٣٦، والبحر المحيط ٧/١٩٠، وتفسير أبي السعود ٧/٧٥، وروح المعاني ٢١/٩٦.

{وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ}[١]

"بل" (إضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ماهو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة ومايلقونه فيها من الأحوال والأهوال جميعًا)[٢] لأنهم يظنون أن الموت نهايتهم ويدعون أن البعث مستبعد عقلاً ولكن الدافع الحقيقي لذلك أن قلوبهم أنكرت وكفرت بلقاء الله بعد الموت فيحاسبهم على ماقدمت أيديهم. و"بل" عاطفة على ماقبلها.

* * *

{قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}[٣]

بعد مانفى أن يكون التذكير والتوعد سببًا للشؤم انتقل إلى بيان سوء حالهم وهو إسرافهم وتماديهم في ضلالهم أي: ليس الأمر كما ذكرتم بل أنتم قوم من عادتكم الإسراف، وتجاوز الحد في العصيان فلذلك أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله الذين يجب إكرامهم[٤]. فجاءت "بل" للإضراب والانتقال[٥] والعطف على ماقبلها.

* * *

---

(١) سورة السجدة/١٠.

(٢) تفسير أبي السعود ٨٢/٧، وينظر:الكشاف ٢٤٢/٣، والفتوحات الإلهية ٤١٥/٣، وروح المعاني ١٢٥/٢١.

(٣) سورة يس/١٩.

(٤) ينظر:الكشاف ٣١٨/٣، والبحر المحيط ٣٢٧/٧، وتفسير أبي السعود ١٦٣/٧.

(٥) ينظر:إعراب القرآن/للنحاس ٣٨٨/٣.

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}(١)

"بل" للإضراب، إما عن مقدر دل عليه {فَاسْتَفْتِهِمْ} أي هم لايقرون ولايجيبون بما هو الحق، أو عن الأمربالاستفتاء أي لاتستفتهم فإنهم معاندون لاينفع فيهم الاستفتاء ولايتعجبون من تلك الدلائل بل أنت يامحمد ومن هو على دينك ممن يتعجب منها أما هؤلاء الكفار فيسخرون ويستهزئون.(٢)

* * *

{صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}(٣)

"بل" فيها معنيان:

الأول: أن تكون واقعة في جواب القسم بمعنى "إن" والتقدير: إن الذين كفروا...الخ

قاله الجوهري(٤) والإربلي(٥) عن الأخفش، وأشار إليه ابن فارس(٦) والطبري(٧)

الثاني: أن تكون للإضراب والانتقال، وفيه قولان أيضًا:

١ ـ أن تكون للإضراب والانتقال (من هذا القسم والمقسم عليه إلى حالة تعزز الكفار ومشاقتهم في قبول رسالتك وامتثال ماجئت به)(٨).

---

(١) سورة الصافات/١١، ١٢.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٥٣٢، وروح المعاني ٢٣/٧٦.

(٣) سورة ص ١، ٢.

(٤) ينظر مادة «بلل» في الصحاح، ولم أجده في معاني القرآن/للأخفش.

(٥) ينظر: جواهر الأدب/٢٧٦.

(٦) ينظر: الصاحبي/٢٠٩.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ٢٣/١١٩.

(٨) البحر المحيط ٧/٣٨٣.

٢ ـ أن تكون للإضراب عن الجواب المحذوف؛ بأن يقال مثلاً: إنه لمعجز بل الذين كفروا في استكبار من الإذعان لإعجازه[1] ، وهو القول الراجح عندي؛ لأن المفهوم من الآية أن من كفر لم يكفر لخلل في كتاب الله، بل كفر تكبراً عن اتباع الحق وعناداً، فيأتي معنى الإضراب واضحاً فيه، وأفادت مع الإضراب الابتداء، كما عند المالقي[2] .

* * *

{أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ}[3]

"بل" في قوله: {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي} إضراب عن مقدر قبله، فكأنه قال: (إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك)[4] .

فاستغرابهم لنزول الذكر على محمد من دونهم اعتراف بأن ما نزل على محمد ذكر يرفع ذكرهم، ويذكرهم بالحقائق، فلو كانوا يعقلون هذا المعنى عن يقين لآمنوا بالذكر، ولكنهم في شك من كونه ذكراً أصلاً وهم يقولون عنه إنه ذكر تهكماً ومجاراة لما يردده المؤمنون.

وأما "بل" في قوله: {بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} ففي المضرب عنه قولان:

الأول: (أن تكون إضراباً عن مجموع الكلامين السابقين حديث الحسد في قوله: {أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا}، وحديث الشك في قوله: {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ} أي لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من صد وشك)[5] . قاله

---

(١) التسهيل ٣/١٧٩. «بتصرف».

(٢) ينظر: رصف المباني/٢٣٢.

(٣) سورة ص /٨

(٤) الفتوحات الإلهية ٣/٥٦٢.

(٥) روح المعاني ٢٣/١٦٨.

الآلوسي، وهذا ما يفهم أيضًا من كلام الزمخشري[(١)].

الثاني: أن تكون إضرابًا عما قبلها، أي: لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم شكهم، فتكون إضرابًا عن الإضراب السابق {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ}[(٢)]. وذهب إليه الجمل.

والأول في نظري هو السديد؛ لأنه يتمشى مع ما بعده من آيات.

وعلى كل فـ"بل" جاءت انتقالية[(٣)] في هذين الموضعين؛ إذ بين في الموضع الأول سبب إنكارهم للذكر، وهو شكهم، ثم بيّن سبب شكّهم بعدم ذوقهم للعذاب، فإنهم لو ذاقوا العذاب لأيقنوا بالقرآن، ولآمنوا به، وعلى هذا المعنى يتعين العطف[(٤)] بـ"بل".

* * *

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[(٥)]

"بل" إضراب وانتقال يقول أبو السعود: (بل إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس، وهم المشركون لايعلمون ذلك مع كمال ظهوره، فيبقون في ورطة الشرك والضلال)[(٦)]، و "بل" جاءت عاطفة.

* * *

(١) الكشاف ٣٦١/٣.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية ٥٦٢/٣

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن/٥٣٦، والبرهان في علوم القرآن ٢٥٩/٤، والفتوحات الإلهية ٥٦٣/٣.

(٤) ينظر: رصف المباني /٢٣٢.

(٥) سورة الزمر/٢٩.

(٦) تفسير أبي السعود ٢٥٣/٧، وينظر: الفتوحات الإلهية ٦٠٠/٣، وروح المعاني ٢٦٣/٢٣.

{أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}(١)

بعد مانفى الله تعالى أن يكون لهؤلاء الكفرة حجة عقلية، أو نقلية يحتجون بها على عبادة غيره تعالى، أخبرنا بأنه لاحجة لديهم سوى تقليدهم لآبائهم، وعليه فـ "بل" أفادت الإضراب والانتقال والعطف؛ إذ انتقلت من الفظيع إلى الأفظع، وهو التمسك بما يعمله الآباء، وإن لم يكن لهم به حجة.

* * *

{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ}(٢)

{بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ}قال أبو السعود: (إضراب عن محذوف ينساق إليه الكلام، كأنه قيل: جعلها كلمةً باقية في عقبه، بأن وصى بها بنيه، رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد، فلم يحصل مارجاه بل متّعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول-صلى الله عليه وسلم-من أهل مكة بالمدّ في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة، وانهمكوا في الشهوات، وشغلوا بها عن كلمة التوحيد)(٣) ، أي فعندما لم يرجعوا، لم يعاجلهم الله بالعقوبة، بل أعطاهم النعم في المال، والصحة، وإرسال الرسول، فوجب عليهم أن يشكروا منعمها، فلم يفعلوا بل زاد طغيانهم لاغترارهم(٤) .

* * *

(١) سورة الزخرف/٢١، ٢٢.

(٢) سورة الزخرف/٢٨، ٢٩.

(٣) تفسير أبي السعود ٨/٤٥.

(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية ٤/٨٣، وروح المعاني ٢٥/٧٧.

{وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ}[(١)]

بعد سؤالهم أيّهما خير آلهتهم أم عيسى بيّن الله ـ عزّ وجلّ ـ أنهم لم يردوا بقولهم هذا كلمة حق، وإنما أرادوا بذلك الجدلّ والخصام، ثم أضرب عن ذلك إلى الإخبار بما هو أسوأ، وهو أنهم قوم خصمون، أي مجبولون على الجدل واللجاج [(٢)]، فأفادت "بل" الإضراب الانتقالي التدرجي من الفظيع إلى الأفظع، و"بل" عاطفة.

* * *

{فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ.....}[(٣)]

"بل" إضراب انتقالي من نفي نصرة تلك الآلهة لمن عبدها من عذاب الله إلى الإخبار بما هو أعظم منه، وهو عدم العثور عليهم بالكلية. وإليه أشار الجمل [(٤)].

* * *

{قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ}[(٥)]

{بل عجبوا} بل إضراب وانتقال، يقول العكبري: (بَلْ للخروج من قِصَّةٍ إلى قِصَّة)[(٦)]

---

(١) سورة الزخرف/٥٨.

(٢) لم أر في كتب التفسير من تكلم عن معنى «بل» في هذه الآية فذكرت رأيي قياساً على ما سبق ذكره.

(٣) سورة الأحقاف/٢٨.

(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية ١٣٥/٤.

(٥) سورة ق/١-٢.

(٦) التبيان ١١٧٣/٢.

وفي المضرب عنه قولان:

١ ـ إما أنه إضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف؛ لبيان حالهم الزائدة في الشناعة علي عدم الإيمان والكفر والعناد، كأنه قيل: (والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس فلم يؤمنوا به، بل جعلوا المنذر والمنذر به عرضة للتكبر والتعجب. أو التقدير: والقرآن المجيد إنك لمنذر، ثم قيل بعده، إنهم شكّوا فيه، ثم أضرب عنه إلى جزمهم بالخلاف حتى جعلوه من الأمور العجيبة)[(١)] . وبه قال أبو السعود، والآلوسي[(٢)] .

٢ ـ وإما أنه إضراب عن وصف القرآن بالمجيد. (كأنه قيل: ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لامجد له ولكن لجهلهم) وبه قال الراغب[(٣)] وذكره أبو السعود[(٤)] والآلوسي أيضاً.[(٥)]

والراجح هو الأول مثل ماذكرنا في آية ﴿صٓ﴾[(٦)] ، وجاءت "بل" للابتداء كما عند المالقي[(٧)] .

* * *

---

(١) تفسير أبي السعود ١٢٥/٨. «بتصرف»، وينظر: البحر المحيط ١٢٠/٨.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٧٢/٢٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن/٥٩.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ١٢٥/٨.

(٥) ينظر: روح المعاني ١٧٢/٢٦.

(٦) ينظر ص ٩٠، ٩١.

(٧) ينظر: رصف المباني/٢٣٢.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ. بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾(١)

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ إضراب وانتقال (أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم السابق وهوالتكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولاتدبر)(٢) ، وعليه فجاءت "بل" عاطفة على ماقبلها.

* * *

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٣).

إن الله لم يعجز عن الخلق الأول حتى يعجز عن إعادته مرة ثانية، ومع ذلك فالكفرة لاينكرون قدرة الله على الخلق الأول، لكنهم ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم في حيرة وتردد بما ألبسه عليهم الشيطان بوسوسته(٤) .

و"بل" هنا عاطفة إذ (عطفت مابعدها على مقدر يدل عليه ماقبله كأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلطة وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة)(٥) . قاله أبو السعود.

* * *

---

(١) سورة ق/٤، ٥.

(٢) الكشاف ٤/٤، وينظر: البحر المحيط ١٢١/٨، تفسير أبي السعود ١٢٦/٨، وروح المعاني ١٧٤/٢٦.

(٣) سورة ق/١٥.

(٤) ينظر: الكشاف ٥/٤. وتفسير أبي السعود ١٢٨/٨، والفتوحات الإلهية ١٩٢/٤.

(٥) تفسير أبي السعود ١٢٨/٨.

{أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ}[(١)]

أي أنهم إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا: الله {بَل لَّا يُوقِنُونَ} أي أنهم لايقولون هذا عن علم ويقين وإلا لما أعرضوا عن عبادة الله وإنما قالوه مقلدين لآبائهم، شاكين فيما يقولون لأن من يقل هذا بإيقان يجب عليه الإيمان. فبعد مانفى أن يكونوا هم الخالقون للسموات والأرض انتقل إلى إثبات أنهم أناس لايوقنون الحق على سبيل الإضراب والانتقال، أي: (ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئاً {بَل لَّا يُوقِنُونَ}الحق)[(٢)] و"بل" عاطفة على هذا المقدر.

* * *

{أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ}[(٣)]

أي: (أأنزل عليه الوحي من بيننا وفي القوم من أحق بشرف هذه النبوة، لا فليس الأمر كما يدعيه، وإنما يريد أن يتعاظم ويتكبر من غير استحقاق)[(٤)]. فكأنهم بعد ماأنكروا عليه النبوة انتقلوا إلى ما هو أعظم من ذلك فاتهموه بالافتراء والكذب، فجاءت "بل" للإضراب والانتقال، كما أنها عاطفة على هذا المقدر المحذوف أي: (ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بماادعاه)[(٥)].

* * *

(١)سورة الطور/٣٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٧٤.

(٣)سورة القمر/٢٥.

(٤) الكشاف ٤/٣٩. «بتصرف»، وينظر:الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٣٨، والبحر المحيط ٨/١٨٠، وتفسير أبي السعود ٨/١٧١، وروح المعاني ٢٧/٨٨.

(٥) تفسير أبي السعود ٨/١٧١.

{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}(١)

كان مشركو مكة يقولون: {نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ}(٢) فرد الله عليهم {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} وكان ذلك يوم بدر ولم يكتف الله بذلك بل قال: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ} أي ليس هذا كل عقابهم بل يوم القيامة سيجدون أضعاف ذلك إذ انتقل بـ"بل" من الأقوال السابقة إلي أمر الساعةالتي عذابها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال(٣). و"بل" عاطفة على مقدر.

* * *

{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}(٤)

{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} أي ملزمون غرامة ماأنفقنا أو أننا مهلكون لهلاك رزقنا ثم قالوا: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} أي لاحظ لنا ولا بخت أو محرومون الرزق فكأنهم لما قالوا: إنا ملزمون غرامة ماأنفقنا أضربوا عنه إلى ماهو أهم وهو أنهم محرومون الرزق بالكلية، أو عند ما قالوا: إنا مهلكون لهلاك رزقنا أضربوا عنه إلى أنهم أناس لا حظَّ لهم لنحوسة طالعهم(٥). و"بل" جاءت عاطفة.

* * *

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}(٦)

{بَل لَّجُّوا..} إضراب انتقالي (عن مقدر يقتضيه المقام وكأنه قيل إثر هذا التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل تمادوا في عتوهم ونفورهم عنادًا واستكبارًا)(٧). وعليه جاءت "بل" عاطفة على هذا المقدر.

(١) سورة القمر/٤٥، ٤٦.

(٢) آية/٤٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٨٣/٨.

(٤) سورة الواقعة/٦٦، ٦٧.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ١٩٨/٨، وروح المعاني ١٤٩/٢٧.

(٦) سورة الملك/٢١.

(٧) تفسير أبي السعود ٩/٩، وينظر: الفتوحات الإلهية ٣٧٩/٤ ، ٣٨٠، وينظر روح المعاني ٢٢/٢٩.

{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ. فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ. بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً}[١]

"بل" إضراب انتقالي[٢] عن مقدر يقتضيه المقام وكأنه قيل: (لايكتفون بتلك التذكرة ولايرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ)[٣] قاله أبو السعود، ووافقه الألوسي[٤]، وإليه أشار الجمل[٥]. و"بل" عاطفة على مقدر محذوف.

* * *

{كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ}[٦]

إضراب انتقالي[٧] من ردعهم وزجرهم على مااقترحوه من آيات إلى بيان سبب هذا التعنت والاقتراح وهو عدم خوفهم من اليوم الآخر بسبب اغترارهم بالدنيا وماهم فيه من نعمة الصحة والعافية والمال. فإعراضهم عن التذكرة ليس بسبب إيتاء الصحف وإنما هو بسبب اغترارهم بالدنيا، وعدم خوفهم من الآخرة، ومافيها من عذاب، وبل عاطفة على ماقبلها.

* * *

(١) سورة المدثر/٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢.

(٢) الفتوحات الإلهية ٤/٤٤٤.

(٣) تفسير أبي السعود ٩/٦٣.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٩/١٦٨.

(٥) ينظر: الفتوحات الإلهية ٤/٤٤٤.

(٦) سورة المدثر/٥٣.

(٧) الفتوحات الإلهية ٤/٤٤٥.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ . بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾(١)

"بل" إضراب وانتقال من كلام إلى آخر من غير إبطال لما سبق،وقال الزمخشري (﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون مثله استفهامًا وأن يكون إيجابًا، على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر،أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب)(٢) والأرجح هو الثاني الذي يضرب فيه عن مستفهم إلى موجب لأن فيه إضرابًا عن إنكار الحسبان إلى الإخبار عن حال الإنسان، وكأنه قيل: دع تعنيفه فإنه أشط من ذلك وأنى يرتدع وهو يريد أن يدوم على فجوره، فتلحظ فيه معنى الانتقال من أطم إلى آخر، خاصة وأن الإنسان عالم بوقوع البعث لكنه متغاب عنه.

* * *

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾(٣)

والمعنى: أن الإنسان يوم القيامة ينبأ بجميع أعماله لايخفى منها شيء، وإن لم ينبأ ويخبر بذلك فهو حجة بينة على نفسه لأن جوارحه ستنطق بذلك. وعليه جاءت "بل" للإضراب والانتقال لبيان ماهو أهم من الأول(٤). و"بل" عاطفة على ماقبلها لوجود علاقة معنوية بينهما.

* * *

---

(١) سورة القيامة/٣،٤،٥.

(٢) الكشاف ١٩٠/٤.

(٣) سورة القيامة/١٣، ١٤.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٦٦/٩، وروح المعاني ١٧٧/٢٩.

{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}(١)

"بل" إضراب وانتقال عما سبق، إلا أنه اختلف في معنى الآية: فمنهم من قال:إنها توجيه وتنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لايعجل كما هو الشأن في البشر، وحث له على الأناة والتؤدة، وقوله: {بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} تعني أنكم يابني آدم ـ لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه ـ تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة (٢).

أما أبو حيان فقال: (لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره المنكر للبعث، وأن همه إنما هو في تحصيله حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة، إذ هو منكر لذلك)(٣) وهذا هو الأظهر.

* * *

{وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ}(٤)

"بل" (إضراب وانتقال من كونهم لايسجدون عند قراءة القرآن إلى أنهم يكذبون به صريحاً)(٥). كما أنها عاطفة.

* * *

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ}(٦)

أي أن قومك يامحمد أشد كفراًوطغياناً من الأقوام السابقة لأنهم سمعوا

---

(١) سورة القيامة/١٩، ٢٠.

(٢) ينظر: الكشاف ١٩١/٤ ، ١٩٢، وتفسير أبي السعود ٦٧/٩.

(٣) البحر المحيط ٣٨٨/٨، وينظر: روح المعاني ١٧٩/٢٩.

(٤) سورة الإنشقاق/٢١، ٢٢.

(٥) روح المعاني ١٠٧/٣٠.

(٦) سورة البروج/١٧، ١٨، ١٩.

قصص ماحل بمن قبلهم ورأوا آثارهم ومع ذلك فهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن. وهذا إضراب انتقالي من الفظيع إلى الأفظع وكأنه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا.[(١)] و"بل" عاطفة.

* * *

{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى. بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[(٢)]

"بل" للإضراب الانتقالي، وإليه ذهب ابن هشام[(٣)] والزركشي[(٤)]، فهو (إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام، كأنه قيل: إثر بيان مايؤدي إلى الفلاح لاتفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة فتسعون لتحصيلها. والخطاب إما للكفرة،فالمراد: إيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية. أو الخطاب للكل، فالمراد بإيثارها ماهو أعم مما ذكر وما لايخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادىء)[(٥)] قاله أبو السعود.

* * *

{وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ. كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ}[(٦)]

"بل" إضراب وانتقال من بيان سوء أقوالهم إلى بيان سوء أفعالهم، فليس إعطاؤهم المال من الإكرام ولا منعهم من الإهانة لكنهم جهلوا ذلك لوضعهم المال في

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/٢٤٠، وتفسير أبي السعود ٩/١٣٩، والفتوحات الإلهية ٤/٥١٦.

(٢) سورة الأعلى/١٥، ١٦.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ١/١١٩.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/٢٥٨.

(٥) تفسير أبي السعود ٩/١٤٦، وينظر: الكشاف ٤/٢٤٥، والبحر المحيط ٨/٤٦٠، والفتوحات الإلهية ٤/٥٢٣.

(٦) سورة الفجر /١٦، ١٧.

غير موضعه، فأنكر الله على الإنسان قوله {رَبِّيٓ أَهَانَنِ} إلى ما هو أشر من ذلك وهو عدم إكرامهم اليتيم[(١)] . فـ"بل" جاءت للإضراب من قبيح إلى أقبح للترَقِّي في ذمهم، و"بل" عاطفة.

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٩/١٥٦.، وينظر الكشاف ٤/٢٥٢، والمفردات في غريب القرآن/٥٨، والبحر المحيط ٨/٤٧١.

* القسم الثالث:

الآيات التي تحتمل الإضراب الإبطالي والانتقالي

{وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ}[(١)]

(قالت اليهود عزيزٌ ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال المشركون الملائكة بنات الله، ولما كان اتّخاذ الولد بالنسبة لله في غاية الاستحالة، جاء باللفظ الذي يقتضي التنزيه، وهو قوله {سُبْحَانَهُ} ثم أخذ في إبطال مقولتهم فقال: {بَل لَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} أي جميع ذلك مملوك له ومن جملتهم من ادعوا أنهم ولد الله وأن الجميع قانتون لله مطيعون)[(٢)].

و"بل" في هذه الآية فيها قولان:

أحدهما: أنها للإبطال، إذ أبطلت مازعموه وادعوه على الله من اتخاذ الولد، يقول أبو السعود: ({بَل لَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه، وكلمة "بل" للإضراب عما تقتضيه مقولتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من مخلوقاته)[(٣)].

والجملة التي جاءت بعدها {لَّهُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} هي بداية لكلام جديد مستأنف، وعليه فـ"بل" هنا استئنافية؛ لأنه لم يقع تشريك بين ما قبلها وما بعدها كما قال المالقي[(٤)]، و«(أن "بَلْ" من الحروفِ التي يُبتدأ بِهَا)[(٥)].

الثاني: أنها للانتقال، يقول السمين الحلبي: (بل إضراب وانتقال)[(٦)]، وهذا

---

(١) سورة البقرة/١١٦.

(٢) البحر المحيط ٣٦٢/١. «بتصرف»، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٥/٢، والتسهيل ٥٨/١.

(٣) تفسير أبي السعود ١٥١/١، وينظر: البحر المحيط ٣٦٢/١، وروح المعاني ٣٦٦/١.

(٤) رصف المباني/٢٣٢.

(٥) الكتاب ٤٣٥/١.

(٦) الدّرّ المصون ٨٣/٢.

موافق لما ذهب إليه ابن مالك حيث قال: «إنها لاتكون في القرآن إلا على هذا الوجه»[(١)]، فبعد ما أخبرنا الله بمقولتهم الباطلة، وهو ادعاء الولد على الله، انتقل إلى قصة أخرى، وهي الإخبار بملكوت الله في السموات والأرض.

وقد وفّق بين هذين الرأيين الصّبّان في حاشيته، حيث قال: (فإذا كان المضرب عنه الكلام المقول كانت "بل" للإضراب الإبطالي، أما إذا كان المضرب عنه القول فـ"بل" للإضراب الانتقالي؛ إذ الإخبار بصدور ذلك منهم ثابت لايتطرق إليه إبطال)[(٢)].

فإذا قلنا أن الله أضرب عن مقولتهم كانت "بل" للإبطال، أما إذا أضربنا عن القول وانتقلنا إلى قول آخر كانت "بل" للانتقال، وقد تقدم الحديث عن هذه الآية.

والقول بالإبطال في هذه الآية هو ما أكده المفسرون؛ لأن الرد على كلامهم وإبطال زعمهم أولى من الانتقال من خبر إلى خبر، وبه أقول وإليه أميل.

* * *

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}[(٣)]

في لفظ الجلالة من قوله: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ} قراءتان:

أحدهما: الرفع، على أن تكون مبتدأ، و {مَوْلَاكُمْ} خبره.[(٤)] وتفيد "بل" في هذه القراءة الانتقال، والمعنى: ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء، بل الله مولاكم، فهي لم تبطل الكلام الأول وإنما تركته للأخذ في كلام غيره. وإليه ذهب أبو حيان[(٥)]، ووافقه الألوسي[(٦)]. وتكون "بل" ابتدائية.

(١) شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣.

(٢) ١١٣/٣. «بتصرف».

(٣) سورة آل عمران/١٤٩، ١٥٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٣٧/١، والتبيان ٣٠٠/١، وروح المعاني ٨٧/٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧٦/٣.

(٦) ينظر: روح المعاني ٨٧/٤.

والثانية: النصب، إذ قرأ[(١)] الحسن البصري {اللَّهَ} بنصب لفظ الجلالة على إضمار فعل يدلّ عليه الشرط الأول، لأن الشرط السابق يتضمن معنى النهي، أي: لاتطيعوا الذين كفروا فتكفروا، بل أطيعوا الله. وجوز الفراء هذه القراءة بقوله: (ولو نصبته : بل أطيعوا الله مولاكم كان وجهًا حسنًا)[(٢)] . وتكون "بل" في هذه القراءة إبطالية عاطفة، فهي كقولك: لاتضرب زيداً بل عمراً، أي: لاتضرب زيداً بل اضرب عمراً. وما بعد "بل" معطوف على ماقبلها، فبعدما أبطل طاعة الكفار ، أمر بطاعة الله وحده.

* * *

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[(٣)]

"بل" في قوله: {بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} جعلها أبو حيان إبطالية، حيث قال: (هذا إبطال لما ادعوه من قتله وصلبه، وهو حيٌّ في السماء الثانية على ما صحّ عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ)[(٤)] ، وتبعه أبو السعود[(٥)] ، والآلوسي[(٦)] .

إلا أني أرى أنها انتقالية؛ لأن قولهم: {إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ....} ردٌّ بقوله: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ}. يقول القرطبي: ({وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} ردٌّ لقولهم)[(٧)] . ثم قال {وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ} أي لم يقتلوه حقيقة.

---

(١) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/ ٢٢، وينظر البحر المحيط ٧٦/٣.

(٢) معاني القرآن/للفراء ٢٣٧/١.

(٣) سورة النساء/١٥٧، ١٥٨.

(٤) البحر المحيط ٣٩١/٣.

(٥) ينظر تفسير أبي السعود ٢٥٢/٢.

(٦) ينظر: روح المعاني ١٢/٦.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٦.

أما قوله: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} فجاء مستأنفًا لكلام جديد، حيث انتقل من قصة عدم قتله إلى قصة رفعه إلى السماء دون أن يبطل الأولى. وعليه فـ"بل" (استئنافية)[١].

ويجوز أن تكون عاطفة مابعدها على ما قبلها من باب عطف الجمل.

ففي هذه الآية قولان: إما أن تكون "بل" فيها للإبطال، وإما للانتقال.

* * *

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ...}[٢]

(حكاية لما صدر عن الفريقين - اليهود والنصارى - من الدعوى الباطلة، وبيان لبطلانها، إذ قالت اليهود: نحن أشياع ابنه عزيز، وقالت النصارى: نحن أشياع ابنه المسيح، فقال الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ} لهم يامحمد إلزامًا وتبكيتًا {فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم} أي إن صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل، والأسر، والمسخ، وقد عرفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أيامًا بعدد أيام عبادتكم العجل، ولو كان الأمر كمازعمتم لما صدر عنكم ما صدر، ولما وقع عليكم ما وقع، ثم قال: {بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ} أي من غير مزية لكم على باقي البشر، فتحاسبون على الطاعة والمعصية، ويجازى كل بما عمل)[٣].

و"بل" في قوله {بَلْ أَنتُم بَشَرٌ} فيها قولان:

أحدهما: أنها إبطالية، وذلك إذا أبطلت بنوتهم لله، وأثبتت كونهم بشرًا،

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٠.

(٢) سورة المائدة /١٨.

(٣) تفسير أبي السعود ٣/٢٠، ٢١. «بتصرف»، والكشاف ١/٦٠٢، والتبيان ١/٤٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٦/١٢٠، ١٢١، والبحر المحيط ٣/٤٥٠.

وهذا ما ذهب إليه العكبري حيث قال: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ رد لقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾[١].

الثاني: أنها انتقالية، وذلك إذا انتقل من حكاية بنوتهم لله إلى قصة كونهم بشراً دون إبطال الأولى. قال أبو حيان: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ أضرب عن الاستدلال من غير إبطال له إلى استدلال آخر من ثبوت كونهم بشراً من بعض من خلق)[٢].

إلا أني أرى الأولى القول الأول؛ لأن فيه رداً لزعمهم الباطل ثم إثباتاً لكونهم بشراً بإخبار الله تعالى، وهذا أقوى من بقاء القصة كما هي دون إبطال والانتقال إلى قصة أخرى؛ لأن تكذيبهم ورد افترائهم أولى.

وسواء كانت إبطالية أم انتقالية فـ"بل" عاطفة[٣]، لوجود علاقة بين ما بعدها وما قبلها مفهومة من سياق الكلام، أي: لستم كذلك بل أنتم بشر.

* * *

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤]

"بل" فيها قولان:

الأول: أن تكون لإبطال كلام الكفرة، أي: ليس الأمر على ما قالوه لأنهم لم يقولوا ذلك رغبة وطمعاً في الإيمان، بل قالوه إشفاقاً من العذاب وطلباً للرحمة[٥].

---

(١) التبيان ٤٢٩/١.

(٢) البحر المحيط ٤٥١/٣.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٢١/٣، وروح المعاني ١٠٢/٦.

(٤) سورة الأنعام/٢٧، ٢٨

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٢٠٣/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٤١٠/٦، والدر المصون ٥٩١/٤، وتفسير أبي السعود ١٢٣/٣.

وقال الزجاج فيما نقل عنه صاحب البحر المحيط: (بل: هنا استدراك وإيجاب نفي كقولهم: ما قام زيد بل عمرو)[(١)].

(والظاهر أن النفي الذي أراده الزجاج هو الذي في قوله ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ إذا جعلناه مستأنفًا على تقدير ونحن لانكذب، والمعنى: بل إنهم مكذبون)[(٢)].

والثاني: أن تكون للانتقال من غير إبطال لما سبق، وإليه ذهب أبو حيان[(٣)]، والسمين[(٤)]، والقول بالإبطال هو الراجح عندي؛ لأن الإبطال منصب على القول والتمني، لأن تحقيقهما مستحيل من قبل أن الله حكم على من مات أنه لايرجع إلى الدنيا، والإثبات متوجه إلى ظهور حقيقة اعتقادهم الذي رسخ عندهم وصار ملازمًا لهم حتى إذا رجعوا فرضًا لعادوا لما نهوا عنه.

* * *

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[(٥)]

و"بل" في قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ إضراب وانتقال من الكلام الأول دون إبطاله. فهم لم يُبْطلوا ما تتخيله أبصارهم، وإنما انتقلوا عنه إلى ماتتخيله عقولهم فكأنهم أرادوا أولاً أن يخبروا بتسكير أبصارهم فقالوا: (سكرت أبصارنا لاعقولنا ونحن وإن كنا نتخيل بأبصارنا هذه الأشياء لكنّا نعلم أن الحال بخلافه، أي لاحقيقة له، ثم أضربوا عن الحصر في الإبصار وقالوا: بل تجاوز ذلك إلى عقولنا بسحر صنعه لنا محمد)[(٦)]، فكأنهم انتقلوا إلى درجة عظمى من سحر العقل[(٧)].

ويجوز أن يكون إبطاليًا من باب البداء، وعلى كلا القولين فـ"بل" عاطفة.

---

(١) البحر المحيط ١٠٣/٤، ولم أجده في معاني القرآن وإعرابه/للزجاج.

(٢) الدر المصون ٥٩١/٤، وينظر: معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٢٣٩/٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٠٣/٤.

(٤) ينظر: الدر المصون ٥٩١/٤.

(٥) سورة الحجر ١٤، ١٥.

(٦) الفتوحات الإلهية ٥٤٠/٢. «بتصرف»

(٧) ينظر: البحر المحيط ٤٤٩/٥.

{قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ}[١]

"بل" في هذه الآية تحتمل عدة أوجه:

الأول: إما أن تحمل "بل" في هذه المواضع الثلاثة على الإضراب الإبطالي من جهتهم على معنى أنهم استمعوا للقرآن لاهين، واتهموا من يؤمن به بأنه واقع تحت تأثير سحره، ثم أبطلوا ذلك بأنه أضغاث أحلام، ثم أبطلوا ذلك أيضًا بأنه افتراء، ثم أبطلوه بأنه كلام شاعر.

وعلي هذا الرأي النحاس[٢]، والقرطبي[٣]، والزمخشري[٤]، وأبو حيان[٥]، وأشار إليه أبو السعود[٦] بصيغة التضعيف، وما ذهبوا إليه موافق لما قاله ابن مالك: (وقد تُكَرر "بَلْ" رُجوعًا عما وَليَ المتقَدِمة)[٧].

الثاني: وإما أن الإضراب إبطالي من جهة الله في "بل" الأولى: {بَلْ قَالُوا} وهو إبطالي أيضًا من جهتهم في الثانية {بَلِ افْتَرَاهُ}، والثالثة {بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}، وعلي هذا أبو السعود[٨]، والآلوسي[٩].

الثالث: وإما أن الإضراب انتقالي على معنى أنهم يثبتون للقرآن كل هذه

---

(١) سورة الأنبياء/٤، ٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٣/٦٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٧٠.

(٤) ينظر: الكشاف ٢/٥٦٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٩٧.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٥٥.

(٧) تسهيل الفوائد/١٧٧، وينظر: توضيح المقاصد والمسالك ٣/٢٢٧، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٦٥.

(٨) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٥٥.

(٩) ينظر: روح المعاني ١٧/١٠.

الصفات، وأنهم تدرجوا تنازلياً في الوصف، وعلى هذا الرأي الرازي[١]، وأشار إليه الزمخشري[٢]، وأبو حيان[٣]، والألوسي[٤]، والراغب[٥].

الرابع: وإما أن الإضراب انتقالي على معنى أن بعضهم قال: إنه سحر، وبعضهم قال: إنه أضغاث أحلام، وبعضهم قال: إنه مفترى، وآخرون قالوا: إنه شعر، وقد أشار إلى ذلك القرطبي[٦]، والألوسي[٧].

وسواء كانت "بل" للإبطال أم للانتقال فهي عاطفة، لوجود روابط معنوية بين الجمل.

* * *

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[٨]

"بل" في هذه الآية كالتي ذكرت في سورة البقرة[٩]، فيها قولان:

أحدهما: أنها للإضراب الإبطالي؛ أذ أبطلت قولهم ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾. يقول أبو السعود: (﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل: ليست الملائكة كما قالوا: بل هم عباد له تعالى)[١٠]. وإليه ذهب المبرد[١١]، وأبو حيان[١٢]،

(١) ينظر:التفسير الكبير ١٤٣/٢٢.

(٢) ينظر:الكشاف ٥٦٣/٢.

(٣) ينظر:البحر المحيط ٢٩٧/٦.

(٤) ينظر:روح المعاني ١٠/١٧.

(٥) ينظر:المفردات في غريب القرآن/٥٩.

(٦) ينظر:الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١١.

(٧) ينظر:روح المعاني ١٠/١٧.

(٨) سورة الأنبياء/٢٦.

(٩) آية/١١٦.

(١٠) تفسير أبي السعود ٦٣/٦.

(١١) ينظر:المقتضب ٣٠٥/٣.

(١٢) ينظر:البحر المحيط ٣٠٧/٦.

وابن هشام[١] . فالإبطال لم يكن ناشئًا لغلط أو نسيان، وإنماهو إبطال للمقول ورد على زعمهم، وإثبات أنهم عباد لله.

الثاني: أنها للإضراب الانتقالي كما قال ابن مالك[٢] ، فتكون إضرابًا عن القول، وانتقالاً إلى قصة أخرى. فجملة القول إخبار من الله تعالى عن مقولتهم، صادقة غير باطلة، وإنما أفاد الإضراب الانتقال من الإخبار عن الكفار إلى الإخبار عن وصف ما وقع الكلام فيه عن النبي والملائكة.

والقراءة المتواترة المعتمدة لدى القراء العشرة برفع كلمة "عباد" وإعرابها واضح، فهي خبر لمبتدأ محذوف[٣] ، وبه قال سيبويه[٤] ، و"بل" هنا استئنافية.

وقد افترض الفراء، والزجاج ومن تابعهما أن كلمة عباد يجوز فيها النصب عربية، يقول الفراء: (ولو كانت بل عبادًا مكرمين مردودة على الولد أي لم نتخذهم ولدًا، ولكن اتخذناهم عبادًا مكرمين، كان صوابًا)[٥] .

وقد أنكر الزجاج هذه القراءة لمخالفتها المصحف، غير أنه قال: إنها (في العربية جائزة، ويكون المعنى: بل اتخذ عبادًا مكرمين، والرفع أجود وأحسن)[٦] ، فعبارة الفراء والزجاج فيهما ما يوحي أن كلمة "عباد" معطوفة على ولد من عطف المفردات؛ إذ العامل واحد فيهما وهو قوله: "اتخذ".

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ١١٩/١.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢٣٣/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢٠١/٢، وإعراب القرآن/للنحاس٦٨/٣، ومشكل إعراب القرآن ٨٣/٢، والبيان ١٦٠/٢، والتبيان ٩١٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٨١/١١، والبحر المحيط ٣٠٧/٦، وتفسير أبي السعود ٦٣/٦.

(٤) ينظر: الكتاب ٤٣٥/١، وينظر شرح عيون كتاب سيبويه/للقيسي القرطبي/١٣٢، ١٣٣. تحقيق الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه.

(٥) معاني القرآن/للفراء ٢٠١/٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٦٨/٣، والبيان ١٦٠/٢، إلا أنه على تقدير: «بل خلقهم عبادًا مكرمين» وهي قراءة مفترضة لم ترد في شواذ ابن خالويه، ولا المحتسب.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٩/٣.

وسـواء كانت "بل" عاطفة لمفرد كما في كلام الفراء، أم كانت استئنافية كما في القراءة الثابتة فمعنى الإبطال فيها ظاهر.

* * *

{قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ. قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ}[1]

قال أبو حيان: (والظاهر أن "بل" للإضراب عن جملة محذوفة، أي قال: لم أفعله {بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ})[2]، وقصدُ سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، فإنه لو كان حقًا إلهٌ فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله، فيفهم منه أن "بل" جاءت للإبطال، وإليه ذهب الراغب[3].

ويمكن أن تكون للانتقال، وكأنه قال: دعوا ذلك عنكم بل فعله كبيرهم واسألوه حتى تتأكدوا. وأرى أني أميل إلى هذا الوجه لتنزيه سيدنا إبراهيم من شبهة الإنكار والكذب، كأنه قال: ليس المهم أن تعرفوا أني فعلت هذا دعوا هذا الاستفهام. وإن كنتم تريدون الإجابة عليه فاسألوا كبيرهم هذا.

* * *

{أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ}[4]

"بل" فيها قولان:

الأول: أن تكون للإضراب الانتقالي، إذ افترى كفار مكة على رسول الله، واتهموه بعدة اتهامات منها: قولهم: إنه شاعر، وإنه ساحر، وإنه مجنون، وهذه

---

(١) سورة الأنبياء/٦٢، ٦٣.

(٢) البحر المحيط ٦/٣٢٤.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٥٨.

(٤) سورة المؤمنون/٧٠.

الأقوال ثابتة عنهم لايتطرق إليها إبطال، لذا جاءت "بل" للانتقال، وهذا موافق لما ذهب إليه ابن مالك بأن كل ما في القرآن من مواضع "بل" فهو للانتقال.

الثاني: أن تكون للإضراب الإبطالي، إذ أبطل الله - عزّ وجلّ - مقولتهم {بِهِ جِنَّةٌ} وأثبت أن ماجاء به نبيه هو الحق من ربه، أي: ليس الأمر كما زعموا في حقّ القرآن، وحقّ رسوله، بل ما جاءهم به هو الحق الذي لامحيد عنه أصلاً. وبالإبطال والابتداء قال أبو حيان[1] والمرادي[2]، وابن هشام[3]، والزركشي[4]، وهو الأظهر.

وسواء كانت "بل" للانتقال أم للإبطال فهي عاطفة على مقدر قبلها.

* * *

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ. بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[5]

"بل" في قوله: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ} (إضراب عن قولهم {إِنْ هَذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}[6]، أي أنهم كذبوا بالبعث واستهزءوا به، فقال الله - عز وجلّ - {بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ} أي جئناهم بالحق، وهو القول بالصدق، لاما تقوله الكفار من إثبات الشريك، ونفي البعث. فيمكن أن تكون "بل" للإبطال، ويمكن أن تكون للانتقال، كقوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ...}[7]، و"بل" عاطفة.

* * *

(١) ارتشاف الضرب ٦٤٣/٢.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ٢٢٥/٣.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ١١٩/١.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٥٨/٤.

(٥) سورة المؤمنون/٨٩، ٩٠.

(٦) آية ٨٣.

(٧) آية /٧٠، وقد تقدم ذكرها. ينظر ص١١٢.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١]

"بل" في هذه الآية فيها أقوال:

الأول: أن تكون إضرابًا عن الحيف، لأنه لايمكن أن يحيف الله عليهم ورسوله، وإليه ذهب الزمخشري[٢]، وأشار إليه الرازي[٣].

الثاني: أن تكون إضرابًا عن الكل، وإليه ذهب الرازي[٤]، وأبو حيان[٥]، وأبوالسعود[٦]، والآلوسي[٧].

الثالث: (أن تكون إضرابًا عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول، ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم، أو في الحاكم، وهذا باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته يمنعه، فتعين الأول، وهو ما في قلوبهم من مرض ونفاق)[٨]. قاله البيضاوي. وهذا هو الأقرب.

وعلى هذه الأقوال الثلاثة جاءت "بل" للإضراب الإبطالي.

الرابع: أن تكون للانتقال، حيث قال العلامة الطيبي فيما نقله عنه الآلوسي: (الحق أن بل إضراب عن نفس التقسيم، وهو إضراب انتقالي، كأنه قيل: دع التقسيم فإنهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك الأوصاف فلذلك صدوا عن حكومتك)[٩]. وسواء كانت إبطالية أم انتقالية فهي عاطفة على مقدر قبلها، أي ليس ذلك لشيء مما ذكر بل أولئك هم الظالمون.

---

(١) سورة النور/٥٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٧٢/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٢١/٢٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: البحر المحيط٤٦٧/٦.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ١٨٧/٦.

(٧) ينظر: روح المعاني ١٩٦/١٨.

(٨) تفسير البيضاوي/٤٦٦.

(٩) روح المعاني ١٩٦/١٨، ١٩٧.

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا}(١)

"بل" فيها قولان:

أحدهما: أنها للإبطال، حيث أضرب بها عن عدم اتعاظهم لما رأوه من آثار الأمم السابقة إلى بيان سبب ذلك وهو عدم إيمانهم بالعقوبة. وكأنه قيل: هم رأوا ماجرى لأهل القرى من العقوبة ولكن لم يتعظوا لإنكارهم كون ذلك عقوبة لمعاصيهم فهم منكرون للجزاء الأخروي، فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة(٢).

الثاني: أنها للانتقال، فبعدما وبخهم بترك التذكر انتقل إلى توبيخ أهم منه وأعظم وهو عدم توقع النشور مع تحققه حتماً وشموله للناس. وإليه أميل. و"بل" في كلا القولين عاطفة.

* * *

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ...}(٣)

"بل" في قوله {بَلْ هُوَ الْحَقُّ} فيها قولان:

١ ـ أن تكون للإبطال، وذلك إذا اعتبرناها إبطالاً للافتراء وحده. أي ليس القرآن كما قالوامفترى بل هو الحق. فبعد ما نفى الافتراء عنه، أثبت وقرر أنه الحق من ربك. وبه قال السمين(٤)، وإليه أشار الزمخشري(٥) والقرطبي(٦)

(١) سورة الفرقان/٤٠.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٢١٩/٦، والفتوحات الإلهية ٢٥٨/٣، وروح المعاني ٢١/١٩ ، ٢٢.

(٣) سورة السجدة/٣.

(٤) الدر المصون ٣٢٦/٢.

(٥) ينظر: الكشاف ٢٤٠/٣.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٤.

وأبوحيان[1] وهذا يوافق ماقاله الصبان (فإذا كان المضرب عنه القول بالميم كانت "بل" للإضراب الإبطالي)[2]

٢ ـ أن تكون للانتقال، وذلك (إذا كان المضرب عنه القول، لأن صدور ذلك عنهم ثابت لايتطرق إليه إبطال)[3] فبعد ماأخبرنا الله عما قالوا أضرب عنه وانتقل إلى بيان أنه الحق. وبه قال السمين[4]، و"بل" عاطفة.

* * *

{قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم
بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ}[5]

نفى الملائكة أن تكون هناك موالاة بينهم وبين الكفرة، وأثبتوا موالاتهم لله وحده، ومعاداتهم لأولئك الكفار وكأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم، ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم: {بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ} أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله[6]، وعلى هذا المعنى تكون "بل" قد أفادت معنى الإبطال.

أما الجمل[7] فقد ذهب إلى أنها أفادت معنى الانتقال وذلك بنفي أن يكون للملائكة مدخلية في عبادة الكفرة لها إلى بيان السبب الذي دفعهم إلى ذلك وهو طاعتهم للجن في عبادة غير الله إذ كانوا يخيلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم.

و"بل" عاطفة على كلا القولين.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١٩٧/٧.

(٢) حاشية الصبان ١١٢/٣. «بتصرف».

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: الدر المصون ٢٢٦/٢.

(٥) سورة سبأ /٤١.

(٦) ينظر: الكشاف ٢٩٢/٣، وتفسير أبي السعود ١٣٧/٧.

(٧) ينظر: الفتوحات الإلهية ٤٧٧/٣.

{مَالَكُمْ لَاتَنَاصَرُونَ. بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ}[١]

هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ماكانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين، واليوم جاءوا مستسلمين منقادين لظهور عجزهم فكلهم مستسلم غير منتصر. ف"بل" في هذه الآية يمكن أن تكون إضرابًا عن قوله {لَاتَنَاصَرُونَ} أي لايقدر بعضهم على نصر بعض بل هم منقادون للعذاب. وإما أن تكون إضرابًا عن مضمون ماقبله أي لاينازعون في الوقوف وغيره بل ينقادون أو يخذلون[٢]. وللإضراب فيها قولان:

الأول: أن تكون للإبطال إذ أبطلت نصرتهم، وأثبتت استسلامهم وانقيادهم.

الثاني:أن تكون للانتقال، فبعد توبيخهم بعجزهم عن التناصر انتقل إلى إثبات استسلامهم وخصومهم، وبه أقول، وعلى كلا القولين ف"بل"جاءت عاطفة.

* * *

{ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ.مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ}[٣]

يُسأل المشركون يوم القيامة عن أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا فيقولون: {ضَلُّوا عَنَّا} أي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولاننتفع بهم ثم أضربوا عن قولهم السابق فقالوا: {بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا} أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئًا وماكنا نعبد بعبادتهم شيئًا، وهذا من أشد الاختلاط في النظروالذهن، وقولهم هذا ليس إنكارًا لعبادة الأصنام بل هو اعتراف بأن عبادة الأصنام كانت باطلة.ففي إجابتهم بأنهم ضلواعنهم إثبات أن معبوديهم يبحثون عنهم فلا يجدونهم فقد ضلواعن مكانهم ثم جاء الإضراب عن ذلك إضراب غلط أو

---

(١) سورة الصافات/٢٥، ٢٦.

(٢) ينظر:روح المعاني ٨١/٢٣.

(٣) سورة غافر/٧٣، ٧٤.

بداء بأنهم لم يكونوا شيئًا ينفع و يضر ويسمع.

وعلى هذا فـ"بل" للإبطال، ويمكن أن تكون للانتقال إذا لم تُبطل القول السابق لأنه يمكننا أن نجمع بينهما. وعلى كلا الرأيين فهي عاطفة[(١)].

* * *

{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا. بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا}[(٢)]

جاءت "بل" في هاتين الآيتين للإضراب الانتقالي، حيث أضرب الله تعالى في قوله {بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} عن تكذيبهم في اعتذارهم إلى إيعادهم بأنه سيجازيهم بما عملوا بإظهار ماأخفوه في صدورهم، ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان السبب الذي حملهم على التخلف فقال: {بَلْ ظَنَنتُمْ...} (وإيضاح ذلك أنه أمر نبيه بأن يجيبهم بأجوبة ثلاثة على الترقّي، يقول أولاً على سبيل الكلام المنصف {فَمَن يَمْلِكُ} ثم يضرب عن هذا الجواب إلى قوله {بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} وفيه نوع تهديد ثم ترقّى وصرح بمكنون ضمائرهم والكشف عن فضائحهم في قوله {بَلْ ظَنَنتُمْ})[(٣)]. ويمكن أن تكون "بل" في قوله {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ..} للإبطال، إذ أبطلت ماقالوه اعتذارًا عن التخلف، وبينت ماأضمرته نفوسهم حقيقة، فتكون إبطالاً للمقول. وفي كلا الآيتين جاءت "بل" عاطفة.

---

(١) لم أر في كتب التفاسير التي رجعت لها حديثًا يتعلق بـ «بل» فكتبت هذا قياسًا على ما ذكر في الآيات السابقة.

(٢) سورة الفتح ١١، ١٢.

(٣) الفتوحات الإلهية ١٦٢/٤، وينظر: روح المعاني ٩٩/٢٦.

{أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}[1]

"بل" فيها ثلاثة أقوال:

الأول: إضراب وانتقال من نفي أن يكون هناك اتفاق بين الكفرة جميعًا على تكذيب الأنبياء لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد إلى بيان ماحملهم على ذلك وهو طغيانهم . يقول الجمل: (ثم أضرب عن هذا النفي والتوبيخ وبين ما هو الحامل لهم عليه بالحقيقة بقوله: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} فهو إضراب انتقالي)[2] .

الثاني: إضراب وإبطال: كأنه قال: لا لم يتواصوا به بل هم قوم طاغون. فبعدما أضرب عن أن يكون بينهم اتفاق، وتواصٍ على الشر أثبت اتفاقهم على علة واحدة جمعتهم جميعًا، وهي الطغيان[3] .

وعلى كلا القولين تكون "بل" عاطفة.

* * *

---

(١) سورة الذاريات/٥٣.

(٢) الفتوحات الإلهية ٢٠٩/٤.

(٣) ينظر: الكشاف ٢٠/٤، والجامع لأحكام القرآن ٥٤/١٧، والبحر المحيط ١٤٢/٨، وتفسير أبي السعود ١٤٤/٨، والفتوحات الإلهية ٢٠٩/٤، وروح المعاني ١٩/٢٧ ، ٢٠.

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ}[(١)].

"بل" فيها قولان:

١ ـ للانتقال عن القول، أي أضرب وانتقل عنه إلى إثبات أنهم أناس لايؤمنون، ولهذا يرمون القرآن بهذه المطاعن.

٢ ـ للإبطال، أي لإبطال ما قالوه في حق القرآن بأنه مفترى، وهم يعلمون ببطلان قولهم؛ لأنه لو كان رسول الله يمكنه أن يأتي بمثل هذا القرآن لأتوا هم أيضًا به، فما محمد إلا واحد من العرب[(٢)].

* * *

{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}[(٣)]

"بل" فيها قولان:

١ ـ للإبطال، (فعندما وصلوا إلى جنتهم ورأوا ما فيها من هلاك، ظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا الطريق، ولما تيقنوا أنها هي جنتهم، أضربوا عن قولهم السابق إضرابًا إبطاليًا؛ لكونهم ضالين مثبتين حرمانهم منها، أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا)[(٤)].

٢ ـ للانتقال، أي بعد ما قالوا {إِنَّا لَضَالُّونَ} انتقلوا إلى ماهو أهم، وهو أنهم محرومون من جنتهم بسبب ما جنوه على أنفسهم. فلم يبطل القول الأول، وإنما ترك كما هو وأخذ في كلام ثان. والأول أرجح؛ إذ لم يكونوا ضالين عنها.

* * *

(١) سورة الطور/٣٣.

(٢) لم أر في كتب التفاسير التي رجعت إليها حديثًا يتعلق بـ «بل»؛ فكتبت هذا قياسًا على ما ذكر في الآيات المشابهة.

(٣) سورة القلم/٢٦، ٢٧.

(٤) ينظر: الكشاف ٤/١٤٥، وتفسير أبي السعود ٩/٦٦، والفتوحات الإلهية ٤/٣٨٧، وروح المعاني ٢٩/٣٩.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾[١]

"بل" فيها قولان:

أحدهما: أنها للانتقال، إذ هي إضراب عن جملة مقدرة تفهم من سياق الكلام، وكأنه قيل: وأنتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك، حيث تكذبون بالجزاء والبعث، أو بدين الإسلام الذي هما من جملة أحكامه، فلاتصدقون سؤلاً ولاجواباً، ولاثواباً ولاعقاباً[٢]. فبعد ما انتهى من الكلام الأول أخذ في كلام ثانٍ بواسطة "بل" يبين فيه ما هو السّبب الأصلي الذي حملهم علي هذا الاغترار.

الثاني: أنها للإبطال، وهذا ما قاله الراغب، والقرطبي[٣]،والتقدير: (ليس ههنا مقتضى لغرورهم، ولكن تكذيبهم هو الذي حملهم علي ما ارتكبوه)[٤].

* * *

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ. كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٥]

"كلا" لنفي ما تقدم وتحقيق غيره[٦]، أي ليس في القرآن ما يصح أن يقال عنه هذا القول، لكن قلوبهم هي التي صدأت بما غطاها من الكفر والمعاصي. فـ"بل" للإبطال عند الراغب[٧]، والقرطبي[٨]. هذا إذا كانت إبطالاً للمقول.

---

(١) سورة الإنفطار/٨،٩.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/٢٢٨، وتفسير أبي السعود ٩/١٢١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٤٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن/٥٩.

(٥) سورة المطففين/١٣، ١٤.

(٦) ينظر:الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٤٧.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن/٥٨.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٥٩، وتفسير أبي السعود ٩/١٢٧.

أما إذا كانت إضرابًا عن القول فهي للانتقال إلى كلام آخر دون إبطال ما قبله.

والأَوْلَىٰ القول الأول؛ لأن "بل" إذا سبقت بلا بعد إيجاب فهي لنفي ما قبله كقولك: جاء زيد لا بل عمرو. وعليه فتكون للإبطال.

* * *

{بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ. وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ. بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ}[١]

"بل" في قوله {بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ} فيها قولان:

الأول: أن تكون للإبطال، فهي (رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم، أي ليس الأمر كما قالوا بل هو كتاب شريف، عالي الطبقة)[٢].

الثاني: أن تكون للانتقال، وهي (إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بأنه مجيد)[٣]. (والأَوَّلُ أَوْلَى)[٤] لإبطال قولهم.

و"بل" عاطفة.

---

(١) سورة البروج/١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) تفسير أبي السعود ١٣٩/٩، وينظر: الفتوحات الإلهية ٥١٦/٤، وروح المعاني ١١٩/٣٠.

(٣) الفتوحات الإلهية ٥١٦/٤، وينظر: روح المعاني ١١٩/٣٠.

(٤) روح المعاني ١١٩/٣٠.

الفصل الثاني

«أم» المنقطعة ومواضعها ومعانيها

الفرق بين قسمي «أم»

تفترق "أم" المتصلة وتسمى المعادلة، وأم المنقطعة وتسمى المنفصلة من جهتي اللفظ والمعنى بأربعة أوجه:

أولاً: من جهة اللفظ.

١ ـ تسبق "أم" المتصلة باستفهام لفظًا ومعنى، أو استفهام لفظًا لامعنى. ومثال الأول: قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ وهذا استفهام يراد به التعيين بمعنى: أيهما عندك؟.

ومثال الثاني: قولك: سواء علي أقمت أم قعدت، وهذا ما يعرف بالتسوية؛ إذ إن معنى الاستفهام قد خلع عن همزة التسوية، وانسبك منها وما دخلت عليه مصدر، والتقدير: سواء علي قيامك وقعودك، وقد يعبر عن التسوية بأنها لازمة الاستفهام؛ حيث إن المستفهم قد استوى عنده وجود المستفهم عنه وعدمه، وهذا كلام قابل للتصديق والتكذيب بخلاف الأول.

أما المنقطعة فإما أن تسبق باستفهام كقوله تعالى: {... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ... }[1]، وإما أن تسبق بخبر كقوله تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...}[2].

٢ ـ الاستفهام قبل المتصلة لايكون بغير الهمزة المطلوب بها التعيين أو التسوية.

أما الاستفهام قبل المنقطعة فيكون تارة بالهمزة التي يطلب بها التصديق، وتارة بغير الهمزة.

٣ ـ "أم" المتصلة لاتدخل على أدوات الاستفهام، أما المنقطعة فإنها تدخل على

---

(١) سورة الرعد/١٦

(٢) سورة السجدة/٢،٣.

جميع أدواته عدا الهمزة، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ...﴾[(١)]

٤ ـ المتصلة تقع بين مفردين كقولك: أزيد قائم أم عمرو، أو جملتين في تأويل مفردين كقول الشاعر[(٢)]:

فَقُمْتُ للطَّيْفِ مُرْتاعًا فَأَرَّقَنِي　　فَقُلْتُ: أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ[(٣)]

أما المنقطعة فلاتقع إلا بين جملتين لاتتأولان بمفردين؛ لأن ما بعدها يكون مستقلاً عما قبلها، وذلك كقول الله عز وجلّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[(٤)]

ثانيًا: من جهة المعنى:

١ ـ المتصلة لطلب التصور، والمنقطعة لطلب التصديق.

٢ ـ المتصلة تفيد معنى واحدًا، وهو طلب التعيين أو التسوية، والمنقطعة تفيد معنيين غالبًا وهما الإضراب والاستفهام، ولهذا تقدر بـ"بل، والهمزة".

٣ ـ المتصلة تكون ملازمة لإفادة الاستفهام أو التسوية، فإذا تجردت عنه صارت مهملة، أما المنقطعة فلها معنيان ـ كما تقدم ـ فإذا تجردت عن الاستفهام بقيت للإضراب فقط.

٤ ـ الاستفهام الذي تفيده المتصلة لايكون إلا حقيقيًا، أما الذي تفيده

---

(١) سورة الملك/٢٠.

(٢) قائله زياد بن حمل، وقيل زياد بن منقذ، أو المرار بن منقذ.

(٣) البيت من البسيط،ويقول الشاعر في هذا البيت: إني رأيت الحبيبة في المنام، فظننت أنها أتتني فلما استيقظت، قلت: أهي أتتني حقيقة، أم أتاني خيالها في النوم؟

والشاهد فيه: وقوع "أم" المتصلة بين جملتين في تأويل مفردين، والتقدير:أسرت هي أم عاد حلمها؟ أي: أي هذين حصل؟

ينظر البيت في: همع الهوامع ٥/٢٤٠، وخزانة الأدب ٥/٢٤٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون،والدرر اللوامع ١/١٩٠.

(٤) سورة يونس/٣١.

المنقطعة فيكون حقيقيًا كقوله تعالى: {... مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ}[١]، وقول العرب «إنها لإبل أم شاء» على أحد الاحتمالين، وغير حقيقي كقوله تعالى: {أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ}[٢]

وهذه الفروق اللفظية والمعنوية بهذا التنظيم الذي وضعه السيوطي[٣]، هي الخلاصة لما قرره النحاة[٤] قبله. فالرضي يقرر (أن المتصلة لازمة لمعنى الاستفهام وضعًا وهي مع أداة الاستفهام قبلها بمعنى أيّ الشيئين؟ فشاركت همزة الاستفهام التي هي أيضًا عريقة في باب الاستفهام وعادلتها حتى كانتا معًا بمعنى أي)[٥]

وسميت متصلة لأن الكلام معها واحد، فالسؤال بأم يكون إذا عرفت كون أحد المسئول عنهما عنده وأردت تعيينه، والجواب يكون بالتصريح بالاسم، ولايكون بـ "نعم" أو "لا".

أما المنقطعة، (فما قبلها كلام مستقل عما بعدها، فهي على كلامين، مفهومها إضراب عن الأول، وشروع في استفهام مستأنف، فهي إذن بمعنى "بل" التي تدل على أن الأول وقع غلطًا، أو بمعنى "بل" التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر، لا لتدارك الغلط)[٦]، وجوابها يكون بـ "نعم" أو "لا"[٧] هذا ولايخرج عن هذه

---

(١) سورة النمل/٢٠.

(٢) سورة الطور/٣٩.

(٣) ينظر: الأشباه والنظائر ٧٢/٤ ـ ٧٦، تحقيق: فايز ترحيني.

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الكتاب ١٦٩/٣ ـ ١٧٢، والأصول / لابن السراج ٥٧/٢ ـ ٥٨، تحقيق الدكتور: عبد الحسين الفتلي، ونظم الفرائد وحصر الشرائد/ للمهلبي ١٢٠، ١٢١ تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن العثيمين، وتقريب المقرب في النحو/ لأبي حيان ١٧٦، ١٧٧. تحقيق: محمد جاسم الدليمي، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل/ للسلسيلي ٧٨٥/٢، ٧٨٦. تحقيق الدكتور/ عبد الله الحسيني.

(٥) شرح الرضي على الكافية ٤٠٤/٤، ٤٠٥.

(٦) شرح الرضي على الكافية ٤٠٥/٤ «بتصرف».

(٧) شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٣٦، وينظر: رصف المباني/ ١٨٠.

الضوابط ماورد في كتب النحاة قبل الرضي، منذ سيبويه وستأتي بعض نصوصهم فيما بعد.

وحين أراد النحاة تطبيق هذه الفروق الضابطة لكل منهما وجدوا أن بعض الأساليب تصلح لأن تكون "أم" فيها متصلة، كما تصلح لأن تكون منقطعة، بحسب إرادة المتكلم وغرضه. فإن كان بعد "أم" جملة نظر: هل قبلها همزة ظاهرة أومقدرة، فإن لم تكن قبلها تلك الهمزة كانت منقطعة. وإن كانت قبلها همزة ميّزت المتصلة بأن الاستفهام قبلها للتصور، أما المنقطعة فيكون الاستفهام معها للتصديق. فقولك: أقام زيد أم قعد عمرو، إذا أردت بـ "أم" الإضراب عن الأول كانت منقطعة، وإذا أردت الاستفهام عن الواقع بين النسبتين فـ "أم" متصلة. فالكلام على هذا محتمل للاتصال والانقطاع.

ومن نتائج هذه الضوابط جاءت هذه الأحكام السابقة التي تضمنتها الفوارق بينهما.

« أم » المنقطعة

من البدهي أن اهتمامنا في هذا البحث سينصب على "أم" المنقطعة؛ إذ هي التي فيها معنى الإضراب، وما ذكرنا المتصلة إلا لبيان الفرق بينهما، ولتمييز المنقطعة وإبرازها، ولذلك نشعر بالحاجة إلى مزيد من التفصيل في بيانها بعد الإلمامة السابقة.

أولاً: تعريف "أم" المنقطعة، ومعناها:

المنقطعة: هي التي تأتي بعد كلام تام مشتمل على خبر أو استفهام، وقد سميت "أم" هذه بالمنقطعة لانقطاع ما بعدها عما قبلها، ولوقوعها بين جملتين مستقلتين.

أما معناها ففيه مذاهب:

الأول: (ذهب الكسائي، وهشام من الكوفيين إلى أنها بمنزلة "بل" ومابعدها مثل ما قبلها. فإذا قلت: قام زيد أم قام عمرو، فالمعنى بل قام عمرو، وإذا قلت: هل قام زيد أم قام عمرو؟ فالمعنى: بل هل قام عمرو. وردّ بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾[(١)]، إلى قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[(٢)].

فـ"أم" لم يتقدّمها استفهام، وقد استؤنف بـ "أم" السّؤال على جهة الإنكار والرّدّ، ولايمكن أن يكون ما بعد "أم" موجباً ألبتة، فما بعد "أم" ليس مثل ما قبلها كما زعما)[(٣)]، إذ يستحيل أن يجعل الله الصالحين كالمفسدين، والمتقين كالفجار.

وقال الفراء: (وربما جعلت العرب "أم" إذا سبقها استفهام لاتصلح "أي" فيه على جهة "بل" فيقولون: هل لك قبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم. يريدون:

---

(١) سورة ص/٢٧.

(٢) سورة ص/٢٨.

(٣) التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٦٢«بتصرف»، وينظر: همع الهوامع ٥/٢٤٢،٢٤٣.

بل أنت رجل معروف بالظلم، وقال الشاعر[(١)]:

فَوَاللَّهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ   أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إليَّ حَبِيبُ)[(٢)]

معناه: بل كلٌّ إلي حبيب.

وردّه أبو حيان بقوله: (إن ما استدل به لاحجة فيه؛ لأن المعنى على الاستفهام كأنه قال: بل أَكُلٌّ إليّ حبيب، لأنها لما تمثلت لعينه لم يَدْرِ أذلك في النوم أم صارت من الغُول، لأنَّ العرب تزعم أنها تبدو متزيّنة لتفتن، ثم لما جوّز أن تكون تغولت داخله الشك في ذلك فقال: بل أكل إليَّ حبيب أي الغُول وسلمى، كُلٌّ واحد منهما حبيب إليَّ)[(٣)].

فـ"أم" الأولى متصلة لكونها مسبوقة بـ"ما أدري"، ومما يرجح هذه الرد أن المعهود في "أم" المتصلة أن تسبق بهمزة قبلها سواء أو لاأدري؛ إذ هاتان الكلمتان منبئتان عن الحيرة والتردد بين شيئين، لأنه احتار بين سلمى والغول، ثم قال: بل كل إلي حبيب.

أما الثانية فإنها منقطعة، والخلاف يدور حول "أم" الثانية هل هي بمعنى "بل" أو بمعنى "بل" والهمزة".

ومن الواضح أن الفرق بين الرأيين يكمن في أن الكسائي يجعلها كـ"بل" مطلقًا، والفراء يجعلها كذلك في بعض الأساليب؛ إذ يعبر عن ذلك بكلمة "ربّما" ثم إن الفراء يشترط في ثنايا كلامه أن الاستفهام الذي يسبق المتصلة لابد أن تصلح "أي" فيه، أي أنه استفهام عن أحد شيئين، فإذا لم تصلح "أي" فيه أحتمل الأسلوب "أم" المنقطعة.

---

(١) قائله مجهول، والبيت من الطويل.

ينظر البيت في: همع الهوامع ٥/٢٤٣، والدرر اللوامع ٦/١٠٢.

(٢) معاني القرآن ١/٧٢.

(٣) التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٦٢، ينظر: همع الهوامع٥/٢٤٣.

هذا وقد اتفق الزجاج(١) مع الكسائي وهشام على أن "أم" معناها "بل" واستدلّ على ذلك برواية لبيت ذي الرمّة حيث قال:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمسِ في رَوْنَقِ الضُّحى ... وصُورَتِها أَمْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ(٢)

وعلى حين يرى رؤوس أهل الكوفة أنها بمعنى "بل" يرى بعض العلماء أنها بمعنى همزة الاستفهام إذا لم يتقدمها استفهام، وإليه ذهب الهروي(٣)، وبه قال الفراء - فيما يظهر من كلامه - أيضاً(٤). أما أبو عبيدة(٥) فجعلها كالهمزة مطلقًا في بعض المواضع، وجعل منه قوله تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ...}(٦) ورد هذين القولين بعض حذاق النحويين حيث قال: (لاتاتي "أم" بمعنى الألف، ولو كان ذلك لوقعت في أول الكلام كالألف، ولايجوز ذلك فيها، وأما {أَمْ تُرِيدُونَ} فهي المنقطعة التي تتقدر بمعنى "بل والهمزة" أي بل أتريدون)(٧).

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١٣٩/٢، ولعل هذا الرأي من كتاب للزجاج غير "معاني القرآن وإعرابه" حيث إنه لم يقل فيه هنا غير: (معناه: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة، ٢٨٥/١.

(٢) هذا البيت موجود في ملحقات ديوان ذي الرمة ١٨٥٧/٣ تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، برواية "أو" بدل "أم"،وذكره أبو حيان بـ "أم" في البحر المحيط ١٣٩/٢.

والبيت من الطويل، ينظر البيت في: معاني القرآن /للفراء ٧٢/١، واستشهد به الفراء على أن "أم" تاتي بمعنى"بل"، وينظر: الخصائص٤٥٨/٢،والمحتسب٩٩/١ تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور/ عبد الحليم النجار، والدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

(٣) ينظر:التذييل والتكميل ٤ورقة ١٦٢، وهمع الهوامع ٢٤٣/٥.

والهروي: هو أحمد بن عبد الرحمن الباشاني، صاحب الغريبين أبو عبيد الهروي، وله أيضاً كتاب «ولاة هراة".قال ياقوت: قرأعلى أبي سليمان الخطابي وأبي منصور الأزهري، وروى عنه عبد الواحد المليجي، وأبو بكر الأرنستاني. مات في شهر رجب سنة إحدى وأربعمائة.

ينظر: بغية الوعاة ٣٧١/١.

(٤) ينظر:معاني القرآن٧١/١.

(٥) ينظر: همع الهوامع ٢٤٤/٥، إذ ذكره السيوطي عن أبي عبيدة ولم أجده في "مجاز القرآن".

(٦) سورة البقرة/١٠٨، وسياتي ذكرها.

(٧) التذييل والتكميل ٤ورقة ١٦٢«بتصرف"، وينظر:همع الهوامع ٢٤٤/٥، وشرح أبيات المغني/ للبغدادي ٢٣٥/١، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق.

ومما يستشهد به على رد القولين السابقين، قول علقمة بن عبدة:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ
أَمْ حَبْلُها إِذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومُ
أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَه
إِثْرَ الأَحِبَّةِ يومَ البَيْنِ مَشْكُومُ[(١)]

فلو كانت "أم" بمعنى الهمزة لوقعت في أول الكلام وذلك لايجوز، ولورودها للاستفهام بعده، (إذ استأنف السؤال بـ"أم" عما بعدها مع تقدم الاستفهام، لأن المعنى: بل أحبلها. ويدل على ذلك أنه قد شك في مجازاته على بكائه بدليل قوله: أم هل كبير بكى لم يقض عبرته...... ولو كان المعنى بل حبلها إذ نأتك اليوم مصروم لكان قاطعاً بأنها لاتجازيه على بكائه، وبهذا رد ما ذهب إليه الهروي، وبعض الكوفيين لأنهم أنكروا الاستفهام بها إذا تقدم عليها الاستفهام، وفيه تقدم الاستفهام، وقد استفهم بها)[(٢)].

أما البصريون فقد نسب إليهم ابن الشجري الإجماع على أنهم يقدرون "أم" المنقطعة بـ"بل والهمزة" حيث قال: (والبصريون مجمعون على أنها لاتكون بمعنى "بل" إلا بتقدير همزة الاستفهام معها)[(٣)]، ونقل هذا الإجماع عن ابن الشجري، ابن هشام في المغني[(٤)]، والصبّان في حاشيته[(٥)]؛ حيث يقول ابن هشام: (ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنها أبداً بمعنى بل والهمزة جميعاً، وأن الكوفيين خالفوهم في ذلك، والذي يظهر لي قولهم، إذ المعنى في نحو: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[(٦)]، ليس على الاستفهام، ولأنه يلزم البصريين دعوى التأكيد في نحو:

---

(١) البيت من البسيط، وينظر هذا البيت في ديوانه/١٧، والكتاب ١٧٨/٣، والمقتضب ٢٩٠/٣، والدرر اللوامع١٠٤/٦.

(٢) ينظر: التذييل والتكميل٤/ورقة ١٦٢، وهمع الهوامع ٢٤٤/٥،والدرر اللوامع ١٠٤/٦.

(٣) الأمالي الشجرية ٣٣٥/٢.

(٤)-ينظر ٤٥/١.

(٥) ينظر ١٠٤/٣.

(٦) سورة الرعد/١٦.

{أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ}[١])[٢].

وقد يكون لابن الشجري عذر في ادعائه الإجماع، حيث أتت معظم نصوص النحويين البصريين على ذلك، قال سيبويه: (ويدُلّك على أنّ هذا الآخر منقطعٌ من الأوّل.قولُ الرجل: إنّها لإبلٌ. ثم يقول: أم شاءٌ ياقوم، فأدركَه الشكُّ بعد أن مضى كلامُه على اليقين)[٣].

فكلام سيبويه يوحي بتقدير الاستفهام إذ قال: إنما أدركه الشك. وإذن فـ"أم" هنا عنده بمنزلة "بل والهمزة". ويقول أبو سعيد السيرافي: (شبه النحويون "أم" في هذا الوجه بـ"بل" ولم يريدوا بذلك أن ما بعد "أم" محقق كما يكون مابعد "بل" محققًا، وإنما أرادوا أن "أم" استفهام مستأنف بعد كلام يتقدمها، كما أن "بل" تحقيق مستأنف بعد كلام تقدمها. والدليل على أنها ليست بمنزلة "بل" مجردة قوله عزّ وجلّ: {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ...}[٤] الآية، ولايجوز أن تكون بمعنى بل اتخذ تعالى الله عن ذلك، وتقديره في اللفظ آتخذ بالألف للاستفهام والمعنى الإنكار والرد لما ادعوه لأنّ ألف الاستفهام قد تدخل للتقرير والرد والإنكار والتوبيخ والتوعد)[٥]، ووافقهما الفارسي[٦]، والجرجاني[٧]، وابن الأنباري[٨]، وابن يعيش[٩]. بل إن أبا حيان يبالغ في تقدير الهمزة حتى مع وجود "هل" بعدها. يقول: (أم في قوله {أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ}[١٠] منقطعة تقدّر

---

(١) سورة الرعد/١٦.

(٢) مغني اللبيب ١/٤٥.

(٣) الكتاب ٣/١٧٢ «بتصرف»، وينظر المقتضب ٣/٢٨٩.

(٤) سورة الزخرف/١٦.

(٥) تقريرات وزبد من شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ١/٤٨٤.

(٦) ينظر: المسائل العضديات/١٦١. تحقيق: الدكتور/ علي جابر المنصوري.

(٧) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح ٢/٩٥٣.

(٨) ينظر: أسرار العربية/٣٠٥، ٣٠٦.

(٩) ينظر: شرح المفصل ٨/٩٨.

(١٠) سورة الرعد/١٦.

بـ"بل" والهمزة على المختار، والتقدير: بل أهل تستوي، وهل وإن نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر[(١)]:

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشَدَّتِنَا   أَهَلْ رَأَوْنَا بوادِي القفر ذي الأكَمِ[(٢)]

وإذا جامعتها مع التصريح بها فلأن تجامعها مع "أم" المتضمنة لها أولى)[(٣)]، ولعدم جواز دخول الاستفهام على الاستفهام، فإن الهمزة وإن كانت قد دخلت على "هل" فهي باقية على معناها، أما "هل" فقد خرجت عن الاستفهام إلى معنى قد.[(٤)]

وهناك مذهب آخر وقف موقفًا عدلاً بين البصريين والكوفيين، قاله ابن مالك[(٥)]، ووافقه الرضي، وابن هشام[(٦)]، وغيرهم. يقول الرضي: (وفي المنقطعة معنى "بل" وفيها مع معنى "بل" معنى الهمزة الاستفهامية في نحو: إنها لإبل أم شاء، والهمزة الإنكارية في نحو: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[(٧)]. وقد يجيئ بمعنى "بل" وحدها، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾[(٨)]؛ إذ لا معنى للاستفهام ههنا، وكذا إذا جاءت بعد أداة استفهام كقوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[(٩)]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾[(١٠)])[(١١)]،

---

(١) قائله زيد الخيل.

(٢) البيت من البسيط، وروايته في الديوان/١٠٠"بسفح القاع"، وكذلك في الدرر اللوامع ١٤٦/٥. ورواه المبرد في المقتضب ٢٩١/٣ "بسفح القف".

(٣) البحر المحيط ٣٧٩/٥.

(٤) ينظر: المسائل المنثورة /١٩٣، ١٩٤، والخصائص ٤٦٢/٢، ٤٦٣، وشرح عمدة الحافظ/٣٨٥.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢١٩/٣.

(٦) ينظر: مغني اللبيب ٤٥/١.

(٧) سورة السجدة/٣.

(٨) سورة الزخرف/٥٢.

(٩) سورة الرعد/١٦.

(١٠) سورة الملك/٢٠.

(١١) شرح الكافية ٤٠٦/٤.

وقول الشاعر[1]:

عُوجوا فَحَيُّو أَيُّها السَّفْرُ　　　أَمْ كَيْفَ يَنْطِقُ مَنْزِلٌ قَفْرُ[2]

أي: بل كيف.

ومنه قول الآخر[3]:

أَنىّ جزَوْا عامراً سُوءى بفعلهم
أَمْ كيف يجزُونني السوءى من الحسنِ؟
أَمْ كيفَ ينفعُ ما تُعطي العلُوقَ به
رئمانُ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبنِ؟[4]

أي: بل كيف في هذين الموضعين، وهذا ما وجهه الفارسي بقوله: (هذه المسألة فيها إشكال: وهو أن "أم" للاستفهام، ودخلت على "كيف" فوجه ذلك أن "أم" هاهنا عاطفة، و "كيف" للاستفهام)[5]، ووافقه ابن جني[6]، والبغدادي، قال: (لاوجه لجمع استفهامين إلا على وجه التأكيد، ولايضطر إليه مع إمكان التأسيس)[7].

ومنه:

ومَاأَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُها رَبعِيّةً　　　يُخَطُّ لها من ثَرْمَدَاء قليبُ[8]

---

(١) قائله: عمرو بن أحمد الباهلي.

(٢) البيت من الكامل، وينظرفي ديوانه/٨٦ تحقيق: الدكتور/ حسين عطواني، وفي شرح عمدة الحافظ/٦١٩.

(٣) قائله أفنون التغلبي.

(٤) البيت من البحر البسيط . وينظر هذا البيت في شرح الرضي علي الكافية ٤٠٦/٤، ومغني اللبيب ٤٥/١، وهمع الهوامع ٢٤٦/٥/ والدرر اللوامع ١١١/٦-١١٣.

(٥) المسائل المنثورة/١٩٣.

(٦) ينظر الخصائص ١٠٧/٣.

(٧) خزانة الأدب ١٣٩/١١.

(٨) قائله علقمة الفحل، والبيت من البحر الطويل، وينظر في ديوانه/١٢، وفي همع الهوامع ٢٤٥/٥، والدرر اللوامع ١١٠/٦.

ومن هنا يتضح لنا أن "أم المنقطعة تدخل على جميع أدوات الاستفهام عدا الهمزة، هذا وقد علل سيبويه لذلك بقوله: (تقول: أم مَن تقول، أم هل تقول، ولاتقول: أم أتقول؟ وذلك لأنّ أمْ بمنزلة الألف، وليست: أيّ ومَنْ ومَا ومَتَى بمنزلة الألف، وإنّما هي أسماء" بمنزلة هَذَا وذَاكَ، إلاّ أنهم تَركوا ألف الاستفهام ههنا إذ كان هذا النحو من الكلام لايقع إلا في المسألة فلمّا علموا أنه لايكون إلا كذلك استغنوا عن الألف، وكذلك هَلْ: إنّما تكون بمنزلة قَدْ، ولكنّهم تركوا الألف إذْ كانت هَلْ لاتقع إلاّ في الاستفهام، قلتُ: فما بالُ "أمْ" تدخلُ عليهن بمنزلة الألف؟ قال: إنّ "أمْ" ههنا تجيء بمنزلة لابل، للتحوُّل من الشيء إلى الشيء، والألفُ لاتجيء أبداً إلاّ مستقبلَةً، فهم قد استغنوا في الاستقبال عنها واحتاجوا إلى أم)[١].

ولكثرة الشواهد التي دخلت فيها "أم" المنقطعة على أدوات الاستفهام ردّ أبو حيان على من قال بقلتها، حيث يقول في "الارتشاف": (وهو كثير فصيح خلافاً لما في شرح "الصفار" الذي كتبه ابن عصفور، فإنه ادعى أنه لايحفظ فيه إلا قوله:

- أَمْ هل كَبيرٌ بَكَى......[٢]

- ومَا أَنْتَ أَمْ ماذِكْرُها رَبَعيةً[٣] ......وقوله:

- أَمْ هَلْ لامَني فِيكَ لَائِمُ[٤] ......

وأنه من الجمع بين أداتي معنى وهو قليل جداً، وفي كتاب الله تعالى ﴿أَمْ مَاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥]، ﴿أَمْ مَنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾[٦]، ﴿أَمْ مَنْ هَـٰذَا الَّذِي

(١) الكتاب٣/١٨٩، ١٩٠.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) تقدم ذكره.

(٤) سيأتي ذكره. ورواية سيبويه "لك" بدل "فيك" الكتاب ٢/١٧٦

(٥) سورة النمل/٨٤.

(٦) الملك/٢٠.

يَرْزُقُكُمْ﴾[١])[٢].

ومن أمثلة دخولها على الاستفهام أيضًا، قول الشاعر[٣]:

لعمركَ ما يَدري الفتى كيف يتقي نوائبَ هذا الدهرِ أم كيف يحذرُ[٤]،

وقوله:[٥]

فأصْبَحَ لايَدْرِي أيَقْعدُ فيكم على حَسَكِ الشَّحْنَاء أمْ أيْنَ يَذْهَبُ[٦]

---

(١) الملك/٢١.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/٦٥٥.

(٣) قائله مجهول.

(٤) البيت من الطويل. ينظر: في شرح عمدة الحافظوعدة اللافظ/٦٢٠.

(٥) قائله مجهول.

(٦) البيت من البحر الطويل. ينظر البيت في ارتشاف الضرب ٢/٦٥٦، وهمع الهوامع ٥/٢٤٦، والدرر اللوامع ٦/١١٥.

ثانياً: مواضع «أم» المنقطعة

تفصيلاً وتوضيحاً للضوابط العامة السابقة، ولأن ما يهمنا في هذا البحث هو "أم" المنقطعة رأيت أن ألقي ضوءاً على مواضعها وملابساتها، حيث تأتي "أم" المنقطعة بعد الخبر والاستفهام بأنواعه، وتدخل على أدوات الاستفهام عدا الهمزة، كما سبق عن قريب.

١ ـ فمثال وقوعها بعد الخبر قولهم: "إنها لإبل أم شاء". فجاءت "أم" بعد الخبر لأن قوله "إنها لإبل" إخبار محض، ثم جاء بعده الاستفهام الذي هو "أم" كأن قائل هذا الكلام رأى أشباحًا، فسبق إلى نفسه أنها إبل، ولما قرب منها اعترضه الشك فأضرب عن الإخبار السابق منه مستفهمًا، فقال: أم شاء. والتقدير: بل أهي شاء، لأن "بل" يدل على أنه أضرب عن الإخبار الذي شك فيه، والهمزة تدل على أنه قد صار يستفهم صاحبه الذي كان يخبره أولاً عن تلك الأشخاص فيقول: أهي شاء. فما بعد "بل" كلام مستأنف غير متصل بما قبله.

ولهذا تُرجمت "أم" بـ "بل والهمزة، جميعًا"[(١)] . وسيأتي رأي بأنها هنا بمعنى "بل" فقط، والتقدير: بل هي شاء[(٢)] .

قال سيبويه: (وزعم الخليل أنّ قول الأخطل :

كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّبابِ خَيالاَ[(٣)]

كقولك: إنَّها لإبلٌ أم شاءٌ)[(٤)] ، أي: أن "أم" منقطعة في قوله "أم رأيت" بمعنى بل والهمزة، وقد استؤنف بها الاستفهام من غير أن يتقدم قبله استفهام.

---

(١) ينظر: الكتاب ١٧٢/٣، والمقتصد في شرح الإيضاح ٩٥٢/٢.

(٢) ينظر ص١٤٩ .

(٣) البيت مطلع قصيدة للأخطل التغلبي هجا بها جريراً.

والبيت من البحر الكامل. وينظر البيت في ديوانه/٣٨٥، والكتاب١٧٤/٣، والمقتضب٢٩٥/٣، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٣٥/١.

(٤) الكتاب١٧٤/٣، وينظر شرح أبيات سيبويه/للنحاس/٣٢٥ تحقيق: د/وهبة متولي سالمة.

كما جوّز سيبويه[(١)] ، ووافقه الرضي[(٢)] ، أن تكون "أم" متصلة في هذا البيت بتقدير همزة قبلها. أي: أكذبتك عينك أم رأيت بواسط. وقد وردت أساليب بدون الهمزة، وكانت "أم" فيها متصلة، كقول عمر بن أبي ربيعة:

لَعَمْرك مَاأَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا ... بِسَبْعٍ رَمَيْن الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ[(٣)]

أي: أبسبع رمين........

إلا أن المبرد ردّه بقوله: (وليس هذا بالأجود، ولكنه ابتدأ متيقنًا ثم شك فأدخل "أم" كقولك: إنها لإبل ثم تشك فتقول: أم شاء ياقوم)[(٤)] . وأجدني أرتاح لرأي المبرد؛ لأن الكلام إذا أمكن حمله على التمام امتنع حمله على الحذف؛ لأنه دعوى خلاف الأصل.

أما أبو عبيدة فقال بعد ما ذكر هذا البيت: (يقول: كذبتك عينك، هل رأيت، أو بل رأيت)[(٥)] . وابن هشام اكتفى بأحد هذين التقديرين قائلاً: (وزعم أبو عبيدة أنها قد تأتي بمعنى الاستفهام المجرد، والتقدير: هل رأيت)[(٦)] ، وكأنه أشار إلى أن الاستفهام الذي أراده أبو عبيدة في البيت للتصديق، بمعنى هل، لا الاستفهام التصوري[(٧)] .

ومن مجيئها بعد الخبر أيضًا قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...﴾[(٨)] كأنه يقول ـ والله أعلم ـ: بل أيقولون افتراه، فدل

(١) ينظر: الكتاب ١٧٤/٣، ١٧٥.

(٢) ينظر: شرح الكافية ٤٠٤/٤.

(٣) البيت من البحر الطويل، وينظر البيت في ديوانه/٢٩٩، وروايته:

فوالله ماأدري وإني لحاسب ... بسبع رميت الجمر أم بثمان

والكتاب ١٧٥/٣، وشرح المفصل ١٥٤/٨، وهمع الهوامع ٢٤٠/٥، والدرر اللوامع ١٠٠/٦ ـ ١٠٢.

(٤) الكامل ٧٩٣/٢ تحقيق: محمد أحمد الدالي.

(٥) مجاز القرآن ١٣٠/٢.

(٦) مغني اللبيب ٤٥/١.

(٧) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ٢٣٥/١، ٢٣٦.

(٨) سورة السجدة/٢، ٣. وسنتناولها فيما بعد.

على الإضراب عن الأول والاستفهام جميعًا. فقوله: يقولون كلام مستأنف بعد "أم" وهي منقطعة إذ ليس في الكلام معنى "أي"، كما في قولك: أزيد عندك أم عمروٌ؟

٢ ـ ومثال مجيئها بعد همزة الاستفهام الحقيقي قولك: "أعندك زيد أم عندك عمرو"؟ فإن السائل ظن أولاً أن زيدًا عندك، ثم أدركه الشك فأضرب عن زيد مستفهمًا عن عمرو. فجاءت "أم" هذه منقطعة بعد همزة الاستفهام الحقيقي. والذي يؤكد لك انقطاعها أنك ذكرت لكل واحد خبره، وهو قولك "عندك" ولم تقتصر على ذكره مرّة واحدة كما فعلت ذلك في قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ على معنى أيهما عندك، لأن ما بعد "أم" مستأنف لايتعلق بما قبله.

ولأن ابن هشام لم يذكر هذا الموضع عندما حصر المنقطعة في ثلاثة أنواع هي:

بعد الخبر المحض، وبعد همزة لغير استفهام حقيقي كأن تكون لاستفهام إنكاري، وبعد استفهام بغير همزة اعترض عليه الدسوقي بقوله: (وتكلف الشمني فأدرج هذا المثال في النوع الثاني بناء على أن المراد بغير الاستفهام المعهود في المتصلة وهو ما كان عن التعيين) [(١)]، أما أبو حيان فقال: (والمنقطعة تأتي بعد استفهام بغير الهمزة، وبعد جملة خبرية) [(٢)]. مع أنه استشهد بعدة آيات سبقت فيها "أم" المنقطعة بهمزة الاستفهام وستذكر فيما بعد.

٣ ـ وتأتي المنقطعة أيضًا بعد همزة لغير استفهام حقيقي، كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا....﴾ [(٣)]، فالهمزة فيها للإنكار بمعنى النفي، أي لاأرجل لهم ولاأيد....

ومنه قوله تعالى: ﴿... أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ...﴾ [(٤)]، وقد دار خلاف حول هذه الآية. هل أم فيها زائدة أو معادلة، أو منقطعة، وسيأتي شرحها في موضعها [(٥)]

(١) حاشية الدسوقي ٤٦/١.

(٢) الارتشاف ٦٥٤/٢.

(٣) سورة الأعراف/١٩٥، وسيأتي شرحها.

(٤) سورة الزخرف/٥١، ٥٢. وسيأتي شرحها.

(٥) ينظر ص ٢٠٩

ومنه قول كثير عزة:

أَلَيْسَ أَبِي بالنَّضْرِ أَمْ لَيْسَ وَالِدِي لكلِّ نَجِيبٍ من خُزَاعَةَ أَزْهَرَا(١)

فجاءت "أم" منقطعة بعد همزة الإنكار والتقرير، والذي دل على انقطاعها تكرار ليس بعدها.

٤ ـ ومن مواضع "أم" المنقطعة أنها تأتي بعد استفهام بغير الهمزة، كقوله تعالى: {... مَالِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ}(٢)

وقول الشاعر(٣):

أَبَا مَالِكٍ هَلْ لُمْتَنِي مُذْ حَضَضْتَنِي عَلى القَتْلِ، أَمْ هَلْ لَامنِي لَكَ لَائِمُ(٤)

ويروى: "أو هل لامني" (فأما الذين قالوا: أم هل لامني لك لائم، فإنما قالوه على أنه أدركه الظن بعدما مضى صدر حديثه. وأما الذين قالوا: أوهل، فإنهم جعلوه كلامًا واحدًا)(٥) فعلى رواية "أم" يحمل الكلام على الانقطاع، وعلى "أو" يحمل على العطف والاتصال.

ومن هنا يتضح لنا أن "أم" المتصلة لاتقع إلا بعد الهمزة (وإنما لزمت الهمزة في الأغلب دون "هل" لأن "أم" المتصلة لازمة لمعنى الاستفهام وضعًا، وهي مع أداة الاستفهام التي قبلها بمعنى أي الشيئين، أما "هل" فإنها دخيلة في معنى الاستفهام لأن أصلها "قد")(٦) نحو قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ....}(٧) ، ولهذا

(١) البيت من البحر الطويل. وينظر البيت في ديوانه /٢٣٢، وفي الكتاب ١٧٤/٣، والمقتضب ٢٩٣/٣.

(٢) سورة النمل/٢٠.

(٣) نسبه الأعلم الشنتمري للجحاف بن حكيم، وأنشده سيبويه لزفر بن الحارث.

(٤) البيت من البحر الطويل، وينظر في «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب" بهامش كتاب سيبويه ٤٨٦/١.

(٥) ينظر: الكتاب ١٧٧/٣، وشرح أبيات سيبويه/ لابن السيرافي ٣٨/٢، ٣٩.تحقيق: د/محمد علي سلطاني.

(٦) شرح الرضي على الكافية٤ /٤٠٤،٤٠٥.

(٧) سورة الإنسان/١.

يقول الرضي: (وربما يجيء "هل" قبل المتصلة على الشذوذ نحو: هل زيد عندك أم عمرو؟)[١]، بينما نجد ابن مالك يستشهد بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجابر (هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أم ثَيِّبًا؟)[٢]، فقال ابن مالك: (هذا شاهد على أن "هل" قد تقع موقع الهمزة المستفهم بها عن التعيين فتكون"أم" بعدها متصلة غير منقطعة، لأن استفهام النبي - صلى الله عليه وسلم - جابراً لم يكن إلا بعد علمه بتزوجه، إما بكراً وإما ثيباً. فطلب منه الإعلام بالتعيين، كما كان يطلب بـ "أي" فالموضع إذاً موضع الهمزة، لكن استغني عنها بـ"هل" ويثبت بذلك أن "أم" المتصلة قد تقع بعد "هل" كما تقع بعد الهمزة)[٣].

وأقول إن لهذا الحديث عدة روايات بالهمزة ودونها، وابن مالك اعتمد على رواية واحدة، بينما ذكر في كتاب البيوع برواية (قال: تَزَوَّجْتَ؟ قلتُ: نَعَم. قال: بِكْرًا أمْ ثَيِّبًا؟ قلت: بَلْ ثَيِّبًا)[٤].

كما نرى المالقي يدرج قول علقمة بن عبدة:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ أَمْ حَبْلُهَا إذ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومُ[٥]

تحت المتصلة فيقول: (ويقع قبلها - أي المتصلة - حرف الاستفهام ظاهراً أومقدراً، ولايشترط أن تتقدمها الهمزة لاغير، بل تتقدم "هل" إذا وقع الاستفهام عن كل جملة، وإن كان المعنى المعادلة، لأن المعنى في هذا البيت: أي هذين كان؟)[٦]، إلا أني أجد ما قاله المالقي مخالفًا لما ذهب إليه أكثر النحاة - وقد تقدم -

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في عمدة القاري شرح صحيح البخاري المسمى بالعيني على البخاري في كتاب الجهاد/ باب استئذان الرجل الإمام١٤/٢٢٨.

(٣) شراهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح/٢٠٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ كتاب البيوع/ باب شراء الدواب والحمير ١١/٢١٤، وينظر: كتاب الاستقراض/باب الشفاعة في وضع الدين١٢/٢٤٥. وكتاب المغازي ١٧/١٤٧، وكتاب النكاح/باب تزويج الثيبات ٢٠/٧٦، وهذا بخلاف ماذكر في المعجم المفهرس مادة"زوج"، وينظر صحيح مسلم بشرح النووي/كتاب الرضاع/ باب استحباب نكاح البكر ١٠/٥٢ - ٥٦. إذ ذكرت هذه الكتب رواية الحديث بالهمزةودونها.

(٥) تقدم ذكره.

(٦) رصف المباني/١٧٩.

وهو مجيء "أم" المتصلة بعد الهمزة، وهو مخالف أيضًا لما قاله سيبويه: (وإنْ شئت قلت: هل تأتيني أم تحدِّثني، وهل عندك بُرٌّ أم شَعيرٌ، على كلامين، وكذلك سائرُ حروف الاستفهام، وعلى هذا قالوا: هل تأتينا أم هل تحدِّثُنَا؟)[١].

فيفهم من قوله: (على كلامين) أن "أم" إذا جاءت بعد أداة غير الهمزة تكون منقطعة لاغير، كما أن المعنى لايتمشى مع الاتصال، لأنه قال: هل تبوح بما استودعتك من سرها يأسًا منها، أو تصرم حبلها فتقطعه لنأيها وبعدها عنك وانقطاعها. فهو لم يحدد أحد الشيئين حتى يختار أيهما، وإنما سأل سؤالاً ثم أضرب عنه واستأنف آخرًا.

---

(١) الكتاب ١٧٦/٣.

* هل تأتي "أم" المنقطعة عاطفة أو لا؟

إذا وليها جملة فيها قولان:

الأول: أنها (ليست بعاطفة، لأن ما بعدها ليس مع ماقبلها كلاماً واحداً بل كلاماً مستأنفاً منقطعاً)(١)، قاله ابن عصفور، وعليه جمهور النحويين.

الثاني: أنها عاطفة، وهذا ما فُهم(٢) من كلام ابن مالك، حيث قال: (وعطفها المفرد قليل)(٣)، أما ابن طاهر(٤) فعدها عاطفة (إذا كانت بمعنى "بل" كقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾(٥)، وقوله ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾(٦))(٧)، والفارسي عدها عاطفة إذا وليها استفهام(٨).

أما إذا وليها مفرد فالمتفق عليه بين النحاة أن يقدر لها محذوف لأن "أم" لاتدخل على مفرد. ومع أن ابن مالك يرى أن الأكثر اقتضاؤها مع الإضراب استفهاماً كجمهور البصريين، ومثل لذلك بقولهم: إنها لإبل أم شاء. وقدّر ذلك

---

(١) شرح جمل الزجاجي١/٢٣٧.

(٢) ينظر:التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٦٣، وشرح الفريد للإسفرايني/٤٦٨، تحقيق:نوري ياسين حسين.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/١٧٦.

(٤) ابن طاهر: هو محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الأشبيلي. قال ابن الزبير:نحوي مشهور حافظ بارع اشتهر بتدريس الكتاب فما دونه، وله على الكتاب طرر مدونة مشهورة اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه، وكان يرحل إليه في العربية، موصوفاً فيها بالحِذْق والنّبل، وكان من حذاق النحويين وأئمة المتأخرين .

ولد في أشبيلية، ومات في عشر الثمانين وخمسمائة.

ينظر: بغية الوعاة١/٢٨، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين/ لعبد الباقي اليماني/٢٩٥، تحقيق: د/ عبد المجيد دياب.

(٥)سورة الطور/٣٠.

(٦) سورة النمل/٢٠.

(٧) البرهان في علوم القرآن ٤/١٨٢.

(٨) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٣.

بـ"بل" أهي شاء[١]، فإنه يرى أنها تعطف المفرد قليلاً[٢]، وهي منقطعة كقوله: إن هناك لإبلاً أم شاء. وهنا موضع الخلاف بينه وبين أبي حيان وابن هشام فهو لايقدر فعلاً بعد "أم" ويعتبر "أم" كـ"بل" وقد أخطأ محقق المساعد[٣]، في اختيار اللفظ المناسب لرأي ابن مالك؛ حيث قال: ومنه (إنها لإبل أم شاء)[٣]. والمثال الصحيح هو ما بالنسختين د، ز، (إن هناك لإبلاً أم شاء؟ إن هناك إبلاً أم شاء؟)[٣].

أما نسبة ابن هشام في "المغني"[٤]، والسيوطي في "الهمع"[٥] إلى ابن مالك أنه يقيس المرفوع على المنصوب فلم أجد نصًا صريحًا في "التسهيل" ولافي "شرح الكافية" ولافي "شرح عمدة الحافظ" يفيد ذلك، فقد يكون ذلك في كتب أخرى، وحينئذ يكون لابن مالك رأيان: صرح بأحدهما في شرح الكافية،وفي شرح عمدةالحافظ، وتقديره: بل أهي شاء. والآخر: ما ذكره هناك. فإن لم يوجد لابن مالك نص صريح في هذا فحكم ابن هشام وأبي حيان مبني على القياس.

---

(١) شرح الكافيةالشافية ١٢١٩/٣، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ/٦١٨.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد /١٧٦.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤٥٦/٢.

(٤) ٤٦/١.

(٥) ٢٤٦/٥.

مواضع « أم » المنقطعة
في القرآن الكريم

مواضع "أم" المنقطعة في القرآن الكريم

سبق وأن أشرنا إلى رأي السهيلي، وابن القيم في عدم وجود "أم" المنقطعة في القرآن.

غير أن هذا الحكم حين نضعه في الميزان فإننا نرى أن هناك تكلفًا. وقد سبق أن ذكرنا في الجانب النحوي آراء النحاة المستنبطة من النصوص العربية والقرآن الكريم حول "أم" المتصلة وشروطها، وهي: أن تسبق بهمزة استفهام أو تسوية، وأن تقع بين مفردين أو جملتين في تأويل مفردين.

وعندما نريد أن نطبق هذين الشرطين على جميع الأمثلة، نجد أن بعضها لايمكن تحقيق هذين الشرطين عليه أو أحدهما إلا بتأويلات وتقديرات قد تطول، والقاعدة تنص على أنه إذا استقام المعنى دون حذف، فعدم الحذف أولى. وحمل القرآن على ظاهره أولى من التقدير فيه.

وبناء عليه كانت نظرتنا إلى الآيات التي وردت فيها "أم" متصلة دون تقدير أو تأويل أو تكلف، وافقنا على أنها متصلة.

وما لايمكن أن تكون إلا بتقدير سلكنا القول فيها بأنها منقطعة. وبما أن موضوعنا متعلق بأساليب الإضراب والاستدراك، فإننا لسنا بحاجة إلى ذكر المواضع التي جاءت "أم" فيها متصلة، وإنما اقتصرنا على المواضع التي جاءت "أم" فيها منقطعة. وعليه قسمنا تلك الآيات إلى:

أولاً: ما اتفق الجمهور على أنها منقطعة خلافًا للسهيلي وابن القيم.

ثانيًا: ما اختلف فيها هل هي متصلة أو منقطعة، والأرجح الانقطاع.

ثالثًا: ما اختلف فيها هل هي متصلة أو منقطعة، والأرجح الاتصال.

أولاً: ما اتفق على أنها منقطعة.

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا. أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.....}[١]

"أم" في قوله {أَمْ يَحْسُدُونَ} منقطعة عند جمهور النحاة والمفسرين، ولم يخالف في ذلك إلا ما سبق عن السهيلي، وأبو عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣]، حيث قالا بأنها بمعنى همزة الاستفهام الإنكارية، وقد رُد عليهم،ومع قول الجمهور إنها منقطعة اختلفوا هل هي بمعنى بل والهمزة أو بمعنى "بل" فقط.

فذهب الزمخشري[٤]، وأبوحيان[٥]، وأبو السعود[٦]، والآلوسي[٧] إلى أنها بمعنى"بل والهمزة" على تقدير: بل أيحسدون على معنى الانتقال من توبيخهم بالبخل إلى ما هو شرٌ منه وهو الحسد.

وذهب ابن عطية والرازي إلى أنها بمعنى "بل" والتقدير: بل يحسدون. قال ابن عطية: (أم هذه على بابها، لأن الاستفهام الذي في تقديرنا قد فهم من "أم" الأولى المقدرة بـ "بل ألهم")[٨]، ووافقه الرازي[٩]. وأشار إلى أنها انتقالية أيضًا. فبعد ما أنكر أن يكون لهم شيء من الملك انتقل إلى صفة أخرى ذميمة وهي شدة حسدهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين. وعليه فـ"بل" عاطفة ما بعدها على ما قبلها. وإلى هذا الرأي أذهب وبه أوقول.

---

(١) سورة النساء /٥٣، ٥٤.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ١/١٣٠.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن/٥٤٦.

(٤) ينظر: الكشاف ١/٥٣٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٣/٢٧٣.

(٦) ينظر: تفسير أبو السعود ٢/١٩٠.

(٧) ينظر: روح المعاني ٥/٥٧.

(٨) المحرر الوجيز ٤/١٠٣«بتصرف"

(٩) ينظر: التفسيرالكبير ١٠/١٣٦.

{وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا.......}[١].

ذكرت "أم" في هذه الآية ثلاث مرات: في قوله: {ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ}، وقوله: {أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ}، وقوله: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ}، وفي الموضعين الأولين جاءت "أم" متصلة[٢]؛ لأنها معادلة للهمزة، وهي بمعنى أي. أمافي الموضع الثالث {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ} فهي المنقطعة، وتقدر بـ"بل والهمزة" وبل (للانتقال من توبيخهم في نفي علمهم بذلك إلى توبيخهم في نفي شهادتهم وذلك وقت توصية الله إياهم. والمعنى بل أكنتم شهداء)[٣] قاله أبو حيان، وإليه ذهب الزمخشري[٤]، والعكبري[٥]، والسمين[٦]، وأبو السعود[٧]، والآلوسي[٨].

* * *

{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[٩]

ذكر الله عز وجل في هذه الآية حججًا دامغة من أحوال الرزق والحواس والموت والحياة وتدبير الأمور، وبنى سبحانه الحجج على الاستفهام، وطلب من رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يوجهها للمشركين ليكون أبلغ في إلزام الحجة، وأوقع في النفوس، وسيكون جوابهم أن القائم بهذه الأمور كلها من إحياء وإماته....الخ هو الله إن أنصفوا وعملوا ما يوجبه الفكر الصحيح.

(١) سورة الأنعام/١٤٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن/ للنحاس ١٠٣/٢، والبيان ٣٤٦/١.

(٣) البحر المحيط ٢٤٠/٤.

(٤) ينظر: الكشاف ٥٧/٢.

(٥) ينظر: التبيان ٥٤٤/١.

(٦) ينظر: الدر المصون ١٩٥/٥.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ١٩٣/٣، ١٩٤.

(٨) ينظر: روح المعاني ٤٢/٨.

(٩) سورة يونس/٣١.

و "أم" في قوله {أَمَّنْ يَمْلِكُ.....} منقطعة بمعنى "بل" وحدها[(١)] دون الهمزة، لأنه ذكر بعدها اسم استفهام صريح وهو "من". والمنقطعة تدخل على جميع أدوات الاستفهام إلا الهمزة. وتقدر بـ"بل" فقط. قاله الفارسي في المسائل المنثورة[(٢)] كما سبق، كما قاله ابن مالك[(٣)]، ووافقه الرضي[(٤)]، وأبو حيان[(٥)]، والسمين[(٦)]، وغيرهم. والإضراب الذي أفادته "بل" في هذه الآية هو الانتقال من الاستفهام الأول إلى استفهام آخر دون إبطال لما سبق، كما أنها أفادت العطف على مذهب الفارسي الذي ذكرناه سابقًا.

* * *

{وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ.....}[(٧)]

الضمير في قوله: {ٱفْتَرَاهُ} إما يعود إلى نوح[(٨)] عليه السلام، وإما إلى محمد[(٩)] ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأول هو الأظهر، وعليه أكثر المفسرين[(١٠)].

وعلى كل فـ "أم" منقطعة، تقدر بـ "بل والهمزة" أي "بل أيقولون" وإليه ذهب أبو حيان[(١١)]، وأبو السعود[(١٢)]، والآلوسي[(١٣)].

(١) ينظر: البحر المحيط ٥/١٥٤، والدر المصون ٦/١٩٥، وتفسير أبي السعود٤/١٤١، وروح المعاني ١١/١١٠.

(٢) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٣.

(٣) ينظر: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ/٦١٩.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/٤٠٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/١٥٤، وارتشاف الضرب ٢/٦٥٥.

(٦) ينظر: الدر المصون ٦/١٩٥.

(٧) سورة هود/٣٤، ٣٥.

(٨) تفسير أبي السعود ٤/٢٠٥.

(٩) جامع البيان ١٢/٣٢.

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز ٧/٢٨٣ تحقيق: الشيخ/ عبد الله الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، والبحر المحيط ٥/٢٢٠، وتفسير أبي السعود ٤/٢٠٥.

(١١) ينظر: البحر المحيط ٥/٢٢٠.

(١٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/٢٠٥.

(١٣) ينظر: روح المعاني ١٢/٤٨.

وقدره الطبري [١] بالهمزة وحدها، أي: أيقول، وابن عطية [٢] قدره بـ "بل" وحدها.

أما قول الطبري فقد رُد من قبل لأن "أم" لاتأتي في أول الكلام، وإنما يجب أن يتقدمها كلام ولو كانت بمعنى الهمزة لوقعت في أول الكلام.

أما بالنسبة لقول ابن عطية فأرى أنه يمكن، فبعد ما أضرب عن الكلام الأول انتقل إلى كلام ثانٍ أي: بل يقولون. وكأنه انتقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو اتهامهم له بالافتراء. إلا أن الأولى تقدير: بل والهمزة فبعد ما أضرب عن السابق انتقل إلى توبيخ آخر يكون أشد وقعًا عليهم.

* * *

﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ....﴾ [٣]

ذكرت "أم" في هذه الآية في موضعين، الأول: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي...﴾. والثاني: ﴿أَمْ جَعَلُوا...﴾. وفي كلا الموضعين جاءت منقطعة، إلا أنها في الموضع الأول جاءت بمعنى "بل" وحدها لمجيء الاستفهام بعدها، فهذا أغنى عن تقدير الهمزة معها، والتقدير: بل هل تستوي ...فبعدما نفى أن يكون هناك استواء ومشابهة بين الأعمى والبصير، انتقل إلى استفهام آخر لنفي أن تكون مساواة أيضًا بين الظلمات والنور، وبدهي أن الآية تشير إلى أن البصير هو المؤمن، وأن الكافر هو الأعمى، وأن كفرهم وضلالاتهم هي الظلمات. أما الحق الذي أتى به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو النور. وقد أشار الأخفش [٤] إلى انقطاع "أم" هنا، وعدّها الإربلي [٥] عاطفة جملة على أخرى إذ عطفت مابعدها على ماقبلها، كما ذهب

(١) ينظر: جامع البيان ١٢/٣٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٧/٢٨٣.

(٣) سورة الرعد/١٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن/ للأخفش ٢/٣٧٢.

(٥) ينظر: جواهر الأدب/٢٢٨.

الفارسي [(١)] من قبل. أما أبو حيان فقدرها بـ "بل والهمزة" على ما أطلقه الجمهور، والتقدير: بل أهل تستوي [(٢)]، وقد رددناه.

أما في الموضع الثاني: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ فهي بمعنى "بل والهمزة" التي للإنكار أي لإنكار أن يكون لله شركاء، والتقدير: «بل أجعلوا»، وإليه ذهب الزمخشري [(٣)]، وابن جزي [(٤)]، وأبو السعود [(٥)]، والآلوسي [(٦)]. أما ابن هشام فقدرها بـ "بل" فقط، حيث قال: (لأن المعنى على الإخبار عنهم باعتقاد الشركاء) [(٧)]، ثم استشهد بقول الفراء: (يقولون هل لك قبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم، يريد، بل أنت) [(٨)]، إلا أن الأولى عندي أن تقدر بـ "بل والهمزة" يقول الدماميني: (ولامانع من جعلها متضمنة للاستفهام التوبيخي، ففيه مع الإخبار بإشراكهم إفادة توبيخهم وهو أولى من جعلها لمجرد الإضراب) [(٩)]. أما بالنسبة لقول الفراء: فلا يصح تضمين أم معنى الاستفهام؛ لأن المخاطب ظالم قطعًا لايحتاج ظلمه إلى استفهام [(١٠)].

---

(١) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/٣٧٩.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/٣٥٥.

(٤) ينظر: التسهيل ٢/١٣٣.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٥/١٣.

(٦) ينظر: روح المعاني ١٣/١٢٨.

(٧) مغني اللبيب ١/٤٤.

(٨) معاني القرآن ١/٧٢.

(٩) حاشية الدسوقي ١/٤٦.

(١٠) ينظر:المرجع السابق.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ....﴾[1]

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ إضراب وانتقال من إظهار تفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة شركاء لله تعالى شأنه، والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه، والمعنى: بل اتخذوا آلهة من دونه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة ومع خلو آلتهم عن خصائص الألوهية[2] .

وذهب القرطبي[3] إلى أن "أم" بمعنى "هل" وهذا لايتفق مع آراء النحاة، ولا مع الآية السابقة، وذهب الطبري[4] إلى أنها بمعنى الهمزة، وقد رددناه من قبل.

* * *

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ. أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾[5]

"أم" منقطعة، وما فيها من معنى "بل" للإضراب والانتقال من بيان جهلهم بحفظه تعالى إياهم إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ إليها، و"الهمزة" لإنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والتقدير: "بل ألهم آلهة"[6] ، وهو الراجح عندي.

أما الطبري[7] فذهب إلى تقديرها بالهمزة أيضًا، أي: ألهم آلهة، وتبعه

---

(١) سورة الأنبياء/٢٣،٢٤.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٦٢، وروح المعاني ١٧/٣١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٧٩.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٧/١٤.

(٥) سورة الأنبياء/٤٢،٤٣.

(٦) ينظر: الكشاف ٢/٥٧٣، والبحر المحيط ٦/٣١٤، وتفسير أبي السعود ٦/٦٩، وروح المعاني ١٧/٥١.

(٧) ينظر: جامع البيان ١٧/٣٠.

الرازي[١] ، والقرطبي[٢] ، وابن جزي[٣] ، وأشار إلى هذا القول أبو حيان[٤] ، والآلوسي[٥]

* * *

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ. أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ. أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ}[٦]

ذكرت "أم" في هذه الآيات الأربعة منقطعة، ففي الآية الأولى {أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} جاءت بمعنى "بل والهمزة" حيث أفادت "بل" الانتقال عن التوبيخ الأول وهو عدم تدبرهم لآيات الله إلى توبيخ آخر. والهمزة للإنكار، أي بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا في الكفر والضلال، أم جاءهم الأمن من انتقام الله مالم يأت آباءهم حين خافوا وآمنوا بالله ورسله وكتبه، وآباؤهم على هذا الرأي هم المؤمنون كإسماعيل وعدنان وقحطان. وذكر هذا الرأي الزمخشري[٧] ، وأبو السعود[٨] ، والجمل[٩] ، لكن الآلوسي[١٠] ضعفه.

أما الطبري فقال: (يحتمل أن تكون "أم" بمعنى "بل" فقط، أي: أفلم يدبروا

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ١٧٤/٢٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/١١.

(٣) ينظر: التسهيل ٢٧/٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٣١٤/٦.

(٥) ينظر: روح المعاني ٥١/١٧.

(٦) سورة المؤمنون/٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢.

(٧) ينظر: الكشاف ٣٦/٣.

(٨) ينظر: تفسيرأبي السعود ١٤٣/٦.

(٩) ينظر: الفتوحات الإلهية ١٩٧/٣.

(١٠) ينظر: روح المعاني ٥٠/١٨.

القول؟ بل جاءهم مالم يأت أباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر، وأعرضوا عنه)[١]، وأشار إلى هذا القول القرطبي[٢]، إلا أني أرى الأولى أن تقدر الهمزة مع "بل" لتوبيخهم وتقريعهم، وهذا أكثر ردعًا وتأثيرًا في النفس، ولأن "بل" وحدها تفيد ثبوت ما بعدها على ماقدمناه.

و"أم" في قوله {أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ....} إضراب وانتقال من التوبيخ بما سبق إلى التوبيخ بوجه آخر، والهمزة للإنكار، أي: بل ألم يعرفوا رسولهم... بالأمانة والصدق[٣].

و"أم" فيقوله {أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ} أيضًا إضراب وانتقال، أي: بل أيقولون به جنة مع أنه أرجحهم رأيًا وأثقبهم ذهنًا[٤].

وفي قوله: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ} إضراب وانتقال من التوبيخ السابق بوجه آخر، والمعنى: بل أتسألهم أجرًا[٥].

* * *

---

(١) ينظر: جامع البيان ٤١/١٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١٢.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ١٤٣/٦، والفتوحات الإلهية ١٩٧/٣، ١٩٨، وروح المعاني ٥١/١٨.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤١٥/٦، وتفسير أبي السعود ١٤٥/٦، وروح المعاني ٥٣/١٨.

{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا. أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}[1]

بعد أن أنكر الله عز وجل أن يكون رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفيظًا وكفيلاً لهؤلاء الكفرة، لأن الهداية والضلال بيد الله سبحانه وتعالى، انتقل إلى إنكار حسبانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبئ عنه اهتمامه بإرشادهم ودعوتهم. أي: بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من آيات أو يتدبرون معانيها {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}.

ومن هنا يتضح لنا أن "أم" منقطعة بمعنى بل والهمزة أي: بل أتحسب (وهذا هو المذهب الصحيح، وكأنه قال: بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقّت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول)[2] قاله أبو حيان، وأشار إليه الزمخشري[3]، وأبو السعود[4]، والرازي[5]، والجمل[6]، والآلوسي[7].

أما القرطبي فقال نقلاً عن بعضهم: ("أم" بمعنى "بل" في مثل هذا الموضع)[8].

* * *

---

(١) سورة الفرقان/٤٣، ٤٤.

(٢) البحر المحيط ٥٠١/٦.

(٣) ينظر: الكشاف ٩٣/٣.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٢١/٦.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٨٦/٢٤.

(٦) ينظر: الفتوحات الإلهية ٢٥٩/٣.

(٧) ينظر: روح المعاني ٢٤/١٩.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٦/١٣.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)]

﴿أَمَّاذَا﴾ قرأها الجمهور بالتشديد وذلك بإدغام ميم "أم" في ميم "ما" الاستفهامية، وقرأها[(٢)] أبو حيوة[(٣)] بتخفيف الميم ﴿أَمَاذَا﴾ فأدخل أداة الاستفهام الهمزة على اسم الاستفهام "ما" على سبيل التوكيد[(٤)].

يخاطب الله عز وجل الكفار في هذه الآية على سبيل التقريع والإهانة لعدم تدبرهم آيات الله وإنما كذبوا بها دون تدبر وتفكر فقال لهم: «أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون». أي إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوا، وليس لهم إلا التكذيب والكفر. فـ "أم" منقطعة وتقدر بـ "بل" وحدها، وبل أفادت الإضراب والانتقال من الإنكار والتوبيخ إلى إنكار وتوبيخ آخرين. ولم تقدر الهمزة معها لوجود الاستفهام إذ لايدخل الاستفهام على الاستفهام[(٥)].

* * *

---

(١) سورة النمل/٨٤.

(٢) البحر المحيط ٩٩/٧.

(٣) أبو حيوة : هو شريح بن يزيد الحضرمي، صاحب القراءة الشاذة، ومقرىء الشام، روى القراءة عن الكسائي وغيره، وروى عنه قراءته ابنه حيوة، وروى أيضاً عنه قراءة الكسائي. توفي سنة ثلاث ومائتين.

ينظر: غاية النهاية ٣٢٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٩٩/٧.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٩٨/٧، وشرح اللمحة البدرية ٢١٨/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤٥٦/٢، وتفسير أبي السعود ٣٠٢/٦.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ....}(١)

ذكرت "أم" في موضعين من هذه الآية الكريمة: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ}، {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا} وفي كلا الموضعين جاءت منقطعة بمعنى "بل والهمزة" والتقدير: بل ألهم شرك، بل أآتيناهم كتاباً(٢). وفي هذه الآية يأمر الله عز وجل نبيه أن يقول للمشركين أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها وتدّعون لها ما تدعون هل استبدت بخلق أي جزء من الأرض، أم اشتركت مع الله في خلق السموات حتى تستحق ما تزعمون، أم لديهم كتب تؤيد شركتهم مع الله. فـ "أم" في هذين الموضعين أفادت الانتقال من خبر إلى خبر لما فيها من معنى "بل والهمزة" لإنكار ما يدعون أن يكون لهذه الأصنام.

* * *

---

(١) سورة فاطر/٤٠.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية ٤٩٨/٣، وروح المعاني ٢٠٣/٢٢

{أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ}(١)

{أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ} إضراب وانتقال من توبيخهم بسبب ادعائهم على الله الولد إلى توبيخ آخر وهو إن كان لهم حجة وبرهان على ما يدعون فليأتوا به، ولاسند لهم من النقل ولا من العقل. والتقدير: بل ألكم(٢). على سبيل الانقطاع.

وقدره الطبري بالهمزة وحدها ـ كما هي عادته فيما سبق ـ أي: ألكم حجة(٣).

* * *

{أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ . أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ}(٤)

"أم" في قوله {أَمْ عِندَهُمْ} منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" والمعنى: بل أعندهم خزائن رحمة الله حتى يتصرفوا فيها حسبما يشاءون، فيمنحوها من شاءوا، ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم، لا بل الله وحده مالك كل شيء يعطي ما يشاء لمن يشاء من عباده(٥).

* * *

(١) سورة الصافات/ ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٠٨/٧، والفتوحات الإلهية ٥٥٦/٣، وفتح القدير/ للشوكاني ٤١٤/٤، وروح المعاني ١٥١/٢٣.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٠٧/٢٣.

(٤) سورة ص/٨، ٩.

(٥) ينظر: تفسيرالبيضاوي/٥٩٨، والتسهيل ١٨٠/٣.

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}(١)

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا....} (أم منقطعة وما فيها من معنى "بل" للإضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليًا عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أي: بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث ومايترتب عليه من الجزاء، ثم قال: {أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} إضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة)(٢)، قاله أبو السعود.

أما أبو عبيدة(٣)، والطبري(٤)، وابن جزي(٥)، والقرطبي(٦)، فقدروها بالهمزة أي: أنجعل الذي آمنوا... ، وأنجعل المتقين.... ومعنى الهمزة الإنكار أي أن الله لايجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار بل يجازي كل واحد بعمله، والأولى أن تقدر بـ"بل والهمزة" لإفادة معنى الانتقال والإنكار معًا أما الهمزة وحدها فتفيد الإنكار فقط ولم توجد تلك العلقة بين الجمل، ولايمكن أن تقدر بـ"بل" وحدها حتى لايثبت مابعدها وهو التسوية بين الفريقين كما ذكرنا من قبل.

* * *

---

(١) سورة ص/٢٧، ٢٨.

(٢) تفسير أبي السعود ٢٢٤/٧، وينظر: الكشاف ٣٧٢/٣، والبحر المحيط ٣٩٥/٧، وروح المعاني ١٨٨/٢٣، ١٨٩.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ١٨١/٢.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٥٢/٢٣.

(٥) ينظر: التسهيل ١٨٤/٣.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩١/١٥.

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ}(١)

"أم" في قوله: {أَمِ اتَّخَذُوا} منقطعة بمعنى "بل والهمزة"(٢) للإنكار، و"بل" أفادت الإضراب والانتقال من قوله {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أي إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها أو إرسالها إلى أجل مقدر لآيات على قدرة الله لمن أراد أن يتعظ ويعتبر، ثم قال: {أم اتخذوا..} أي ومع ذلك فقريش لم تعتبر بكل تلك الآيات والمواعظ بل اتخذت أصناماً وعبدتها مع الله. فينكر عليهم الله فعلهم هذا لأن هذه الأصنام لاتقدر على نفع ولاضر فكيف تستطيع أن تشفع لهم؟

ويمكن بحسب القواعد السابقة أن تكون "أم" هنا بمعنى بل فقط حيث أنهم اتخذوا فعلاً من دون الله شفعاء، والإنكار عليهم واضح عقب هذا في قوله سبحانه {قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ}.

* * *

{... وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ...}(٣)

"أم" في قوله {أَمِ اتَّخَذُوا} منقطعة بمعنى "بل والهمزة" أي بل أتخذوا. و"بل" للانتقال من كلام إلى كلام، والهمزة لإنكار اتخاذهم أولياء من دون الله متجاوزين الله، فالله هو الولي الحقيقي ولا ولي غيره لأنه القادر على النفع والضر. فبعد ما نفى أن يكون هناك ولي أو نصير لأولئك الظالمين الكفرة انتقل إلى إنكار اتخاذ الأولياء من دون الله تعالى. وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري(٤)،

---

(١) سورة الزمر/٤٢، ٤٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٤٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٦٣، والبحر المحيط ٧/٤٣١، والتسهيل ٣/١٩٦، وتفسير أبي السعود ٧/٢٥٧، وروح المعاني ٢٤/٩.

(٣) سورة الشورى/٨، ٩.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٤٦١.

وأبوحيان[١]، والقرطبي[٢]، وأبو السعود[٣]، والآلوسي[٤].

وقيل: بمعنى الهمزة فقط[٥].

* * *

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٦]

"أم" منقطعة بمعنى "بل" والهمزة للإنكار، فبعد ما بين الله عز وجل ما شرعه وما وصى به نوحًا في قوله: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا...}[٧] أخذ ينكر ما شرعه غيره، فلا مشرع إلا الله، وليس لهم شرع ولاشارع. وإليه ذهب أبوالسعود[٨]، والآلوسي[٩]، وهذا مايفهم من كلام الزمخشري[١٠]، وأبي حيان[١١].

أما القرطبي فقدر "أم" بالهمزة حيث قال: (الميم صلة والهمزة للتقريع، أي: ألهم)[١٢]. وقد رددناه في أول هذا الفصل.

* * *

(١) ينظر: البحر المحيط ٥٠٩/٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٤/٨.

(٤) ينظر: روح المعاني ١٥/٢٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥٠٩/٧.

(٦) سورة الشورى/٢١.

(٧) آية /١٣.

(٨) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٩/٨.

(٩) ينظر: روح المعاني ٢٨/٢٥.

(١٠) ينظر: الكشاف ٤٦٦/٣.

(١١) ينظر: البحر المحيط ٥١٥/٧.

(١٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٦.

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[١]

إن الكلام في هذه السورة يركز بصفة خاصة على موضوع الوحي والرسالة من بداية قوله: {كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٢]. ثم اتصل الكلام بعضه ببعض إلى أن وصل إلى قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ} وفيه الشبهة التي يعللون بها موقفهم من الوحي إذ أنهم يزعمون أن الرسول لم يوح إليه شيء، وأنه يفتري ذلك على الله، وهذا قول مردود، فما كان الله ليدع أحداً يدعي أن الله أوحى إليه، وهو لم يوح إليه شيئًا ولايجعله عبرة للخلق.

ومن هنا يتضح أن "أم" منقطعة للإضراب والانتقال من غير ابطال لما قبله، والهمزة لإنكار ما ادعوه على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوبيخهم على ذلك، وكأنه قيل: "أيتمالكون التفوه بنسبة مثله عليه الصلاة والسلام إلى الإكتراء، وهو معروف بينهم بالصدق والأمانة، ثم إلى الافتراء على الله عز وجل الذي هو أعظم الفرى وأفحشها، والتقدير: بل أيقولون"[٣].

أما القرطبي[٤] فقدر "أم" بالهمزة حيث جعل الميم صلة، والتقدير: أيقولون افترى.

* * *

(١) سورة الشورى/٢٤.

(٢) آية /٣.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٤٦٨، والبحر المحيط ٧/٥١٦، وتفسير أبي السعود ٨/٣٠، وروح المعاني ٢٥/٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٥.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ . أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (١)

"أم" في قوله ﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ للإضراب والانتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ مشركي مكة على ما كانوا يفعلونه ضد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والهمزة للإنكار، فإن كان هؤلاء المشركون يريدون الكيد لرسول الله فالله قادر على كيدهم وخذلانهم ونصر رسوله. والتقدير: بل أأبرموا (٢) .

ويمكن أن تقدر بـ "بل" وحدها. أي: بل أبرموا (٣) ، وتكون "بل" للانتقال كما تقدم.

وكذلك "أم" في قوله ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ للانتقال إذ انتقل الله عز وجل من أمر كيدهم إلى ظنهم بأن الله لايسمع ما يتسارون به، فأنكر عليهم ذلك الحسبان فهو العالم بما في السموات والأرض وبما نخفي وما نعلن ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) . والتقدير: بل أيحسبون (٥) .

* * *

---

(١) سورة الزخرف/ ٧٨، ٧٩، ٨٠.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٨/ ٥٥، وروح المعاني ٢٥/ ١٠٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٨.

(٤) سورة الملك/ ١٤.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٨/ ٥٦، وروح المعاني ٢٥/ ١٠٤.

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(١)

"أم" في قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} اضراب وانتقال عن تسميتهم للقرآن سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وهو الكذب على الله عمداً، وإن كان كلاهما كفراً. والهمزة المتضمنة في "أم" للإنكار التوبيخي المتضمن للتعجب من نسبته إلى الافتراء مع قولهم هو سحر لعجزهم عنه، والتقدير: بل أيقولون(٢) .

وقدرها القرطبي بالهمزة حيث جعل الميم صلة، والتقدير: أيقولون(٣) ، مع أنه قال بتقديرها بـ "بل والهمزة" أيضاً.

*   *   *

{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ. أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ}(٤)

أي ليس كفاركم يا أهل مكة، ويامعشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد، وثمود، وقوم لوط، وآل فرعون، فكيف تظنون أنكم ستنجون من عذاب الله ثم أضرب عن هذا الإنكار منتقلاً إلى إنكار آخر{أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} أي بل ألكم براءة من العذاب سجلت لكم في كتب الله السابقة، فلذلك أنتم مصرون على فعل المعاصي؟، ثم انتقل أيضاً إلى إنكار آخر {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ} أي بل أيقولون نحن أولو عزم وقوة وسننتصر على محمد وصحبه، ثم رد الله عليهم بقوله: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}(٥).

---

(١) سورة الأحقاف/٨،٧.

(٢) ينظر: الكشاف ٥١٦/٣، والتفسير الكبير ٦/٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٦، وروح المعاني ٨/٢٦.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٦.

(٤) سورة القمر/٤٣، ٤٤.

(٥) آية /٤٥ وينظر: تفسير أبي السعود ١٧٣/٨، ١٧٤. وروح المعاني ٩٢/٢٧.

من خلال ما تقدم وجدنا أن "أم" جاءت بمعنى بل والهمزة في الآية مرتين.

أما الفراء[١] - فيما هو ظاهر من كلامه - والطبري[٢] فقدراها بالهمزة وحدها، أي: ألكم، وأيقولون.

* * *

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ . سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ . أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ... وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٣]

ذكرت "أم" في هذه الآيات خمس مرات، وفيها جميعاً وردت منقطعة، بمعنى "بل" التي للإضراب الانتقالي لا الإبطالي، والهمزة للتقريع والتوبيخ، فقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتعلقوا به في تحقيق دعواهم حيث نفى الدليل العقلي بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، ونفى الدليل النقلي بقوله سبحانه: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ ثم نفى أن يكون قد وعدهم بذلك بقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ ثم نفى وجود شركاء، وبعد ذلك نفى أن يكون رسوله قد طلب منهم أجراً على دعوتهم للحق، أو أن يكون لهم علم بالمغيبات. وإلى هذا أشار أبو حيان[٤]، وأبو السعود[٥]، والجمل[٦]، والآلوسي[٧].

أما الفراء[٨] - فيما هو ظاهر كلامه - والطبري[٩]، والقرطبي[١٠]، فقدروا "أم" في جميع هذه المواضع بالهمزة فقط.

(١) ينظر: معاني القرآن ٣/ ١١٠.

(٢) جامع البيان ٢٧/ ١٠٨.

(٣) سورة القلم/ ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣١٥.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٩/ ١٧، ١٨.

(٦) ينظر: الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٧) ينظر: روح المعاني ٢٩/ ٤١، ٤٢، ٤٥.

(٨) ينظر: معاني القرآن ٣/ ١٧٨.

(٩) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٧، ٣٨، ٤٤.

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨.

ثانيًا: ما اختلف فيها هل هي متصلة أو منقطعة، والأرجح الانقطاع.

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ.... }[١]

"أم" في قوله: {أَمْ تُرِيدُونَ} منقطعة،وهو الظاهر، وتقدر بـ "بل والهمزة" والمعنى: بل أتريدون. فـ "بل" للإضراب والانتقال من جملة إلى جملة دون إبطال للأولى، والهمزة للتوبيخ، وبه قال النحاس[٢]، والعكبري[٣]، والقرطبي[٤]، وأبوحيان[٥].

أما الفراء فقال: (لو ابتدأت كلامًا ليس قبله كلام، ثم استفهمت لم يكن إلا بالألف أو بهل، ... أما قوله: {أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ} فإن شئت جعلته على مثل هذا، وإن شئت قلت: قبله استفهام، فرد عليه ، وهوقول الله {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٦])[٧]. فيفهم من كلامه أن "أم" إماأنتكون منقطعة بمعنى الهمزة، وإما أن تكون متصلة معادلة لقوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. وعلى الأول وافقه أبو عبيدة[٨]، والطبري[٩]، ورد ذلك بعض حذاق النحويين بأن ("أم" لا تأتي بمعنى الألف، ولو كان ذلك لوقعت في أول الكلام كالألف، ولايجوز ذلك فيها، أما {أَمْ تُرِيدُونَ} فهي المنقطعة التي تتقدر بمعنى "بل والهمزة" أي: بل أتريدون)[١٠]. وقد تقدم.

(١) سورة البقرة/١٠٧،١٠٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ١/٢٥٥.

(٣) ينظر: التبيان ١/١٠٤.

(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن ٢/٦٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط ١/٣٤٦.

(٦) آية /١٠٦.

(٧)معاني القرآن ١/٧١.

(٨) ينظر: همع الهوامع ٥/٢٤٤.

(٩) ينظر: جامع البيان ١/٤٨٥.

(١٠) ينظر: التذييل والتكميل ٤ ورقة ١٦٢، وشرح أبيات المغني ١/٢٣٥.

وعلى الثاني وافقه ابن عطية[١]، إلا أن أبا حيان رده بقوله: (وما قالوه ليس بجيد بل هذا استفهام معناه التقرير فلايحتاج إلى معادل ألبته، والأولى أن يكون المخاطب السامع والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم جدًا)[٢]. ومثله يقال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وذهب الآلوسي إلى أنه يمكن أن تكون متصلة ومنقطعة، فعلى وجه الاتصال يقدر" تعلمون" قبل "تريدون" أي: أتعلمون ذلك أم تريدون. بناء على دلالة السياق وهو ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ والسياق وهو الاقتراح فإنه لايكون إلا عند التعنت، كأنه قيل: أي الأمرين من عدم العلم بما تقدم، أو العلم مع الاقتراح واقع، والاستفهام حينئذ للإنكار بمعنى لاينبغي أن يكون شيء منهما، وإن لم يقدر كانت منقطعة، للإضراب عن عدم علمهم بالسابق إلى الاستفهام عن اقتراحهم كاقتراح اليهود إنكارًا عليهم بأنه لاينبغي أي يقع)[٣].

وقد رجح الآلوسي الاتصال بناء على أن المخاطبين هم المؤمنون، فاشتراك الجملتين الفعليتين في الفاعل يجعل "أم" متصلة، كما قال الرضي[٤] وذلك نحو: أقمت أم قعدت؟ ويتفق الآلوسي في قوله بالاتصال مع السهيلي[٥]، وابن القيم[٦] إذ قالا بعدم وجود "أم" المنقطعة في القرآن.

إلا أنني أرى ما قاله أبو حيان ـ سابقًا ـ هو الأقرب للصواب؛ إذ ما لايحتاج إلى تقدير أولى ممايحتاج. ويعضده قول العكبري: (أم: هنا منقطعة، إذ ليس في الكلام همزة تقع موقعها، فموقع "أم" أيهما، والهمزة في قوله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ليس من "أم" في شيء والتقدير: بل أتريدون)[٧]. ووافقه الزركشي[٨].

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٤٤٢/١.

(٢) البحر المحيط ٣٤٤/١.

(٣) روح المعاني ٣٥٥/١. «بتصرف».

(٤) ينظر: شرح الكافية ٤٠٨/٤.

(٥) ينظر: نتائج الفكر ٢٦١.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٥/١، ٢٠٦.

(٧) التبيان ١٠٤/١، وينظر: تفسير أبي السعود ١٤٤/١، والفتوحات الإلهية ٩٣/١.

(٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١٨٣/٤.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١]

في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ قولان:

الأول: أن تكون منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" ومعنى الهمزة الإنكار، أي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت، وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه؟ و"بل" للإضراب الانتقالي؛ إذ انتقل من الجملة الأولى إلى الثانية دون إبطال الأولى، والخطاب في هذه الآية مع اليهود والنصارى. وإليه أشار العكبري[٢]، والقرطبي[٣]، والرازي[٤]، وأبو حيان[٥]، وأبو السعود[٦]، والآلوسي[٧]. أما الزمخشري فقال: (الخطاب للمؤمنين، وهي منقطعة)[٨] أيضًا بمعنى بل والهمزة. وقيل:(أم بمعنى بل وحدها... والمعنى: بل كنتم شهداء أي كان أسلافكم قد نقلوا إليكم ذلك وهو وصية يعقوب لبنيه، وفي إثبات ذلك إنكار عليهم مانسبوه إلى يعقوب من اليهودية، والخطاب لمن كان بحضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحبار اليهود والنصاري ورؤسائهم)[٩].

وقدرها الأخفش[١٠]، والطبري وابن عطية بالهمزة وحدها إلا أنهم اختلفوا

(١) سورة البقرة/١٣٢، ١٣٣.

(٢) ينظر: التبيان ١/١١٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/١٣٧.

(٤) ينظر: التفسير الكبير ٤/٨٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط ١/٤٠٠.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ١/١٦٤.

(٧) ينظر: روح المعاني ١/٣٩٠.

(٨) الكشاف ١/٣١٢، وينظر: روح المعاني ١/٣٩٠.

(٩) البحر المحيط ١/٤٠٠، ٤٠١، وينظر: المحرر الوجيز ١/٤٩٨.

(١٠) ينظر: معاني القرآن ١/١٤٩.

في محلها، فقال الطبري: (إن "أم" يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره، وهذا منه)[(١)]، وقال ابن عطية: (و"أم" تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام، لغة يمانية)[(٢)]، ورد أبوحيان[(٣)]، كلا الرأيين.

والحق أن "أم" هنا منقطعة بمعنى "بل والهمزة" ـ كما ذكرنا من قبل ـ وهو ما ذهب إليه ابن عطية أيضًا بعد ذكر مقولته السابقة قال: (والأظهر أنها التي بمعنى بل وألف الاستفهام معًا)[(٤)].

الثاني: أن تكون متصلة (على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، يعني أن أوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له إذ دعا بنيه إلى ملة الإسلام والتوحيد، وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ماهم منه براء) قاله الزمخشري[(٥)]، وإليه أشار الرازي[(٦)]، وهذا القول بالاتصال وتقدير محذوف قبل "أم" موافق لما نادى به السهيلي[(٧)]، وابن القيم[(٨)] من عدم وجود لأم المنقطعة في القرآن وعليه يجب تقديرالمحذوف حتى تكون متصلة، واعترض أبو حيان على الزمخشري، ورد قوله السابق (بأنه لانعلم أحدًا أجاز حذف هذه الجملة، ولايحفظ ذلك لا في شعر ولاغيره.... لكن الذي سمع من كلام العرب حذف "أم" المتصلة مع المعطوف، قال:

دَعَانِي إليها القَلْبُ إِنّي لِأَمْرِهِ سَـميعٌ فما أَدْرِي أَرُشْـدٌ طِلَابُها[(٩)]

يريد: أم غير رشد فحذف لدلالة الكلام عليه)[(١٠)].

وعليه فتكون "أم" منقطعة، مقدرة بـ "بل والهمزة".

---

(١) جامع البيان ٥٦٢/١. «بتصرف"

(٢) المحرر الوجيز ٤٩٧/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤٠١/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٩٨/١.

(٥) الكشاف ٣١٣/١.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ٨٢/٤.

(٧) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٨) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٦/١.

(٩) قائله: أبو ذؤيب الهذلي، وروايته في ديوان الهذليين ٧١/١، «عصاني" مكان «دعاني".
ينظر البيت في مغني اللبيب ٦/١، ٤٣، وهمع الهوامع ٢٤١/٥، والدرر اللوامع ١٠٢/٦.

(١٠) البحر المحيط ٤٠١/١، وينظر: روح المعاني ٣٩٠/١.

{قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(١)

ذكرت "أم" في هذه الآية في موضعين: الأول: {أَمْ تَقُولُونَ}، والثاني: {أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}، وفي هذا الموضع الثاني جاءت متصلة بمعنى "أيكم أعلم؟" وهو استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ في ادعائهم بأنهم كانوا هودًا أو نصارى؛ إذ رد الله عليهم بأنه أعلم بهم منكم، أي لم يكونوا هودًا ولانصارى(٢)، ووقعت "أم" بين مفردين، كما توسط المسئول عنه، لأن المراد معرفة أيهما أعلم على سبيل التهكم، لذا جعل الاسم الآخر عديلاً للأول، فصار الذي لايسأل عنه بينهما(٣)، وبما أن بحثنا يدور حول "أم" المنقطعة، فسنعود إلى الموضع الأول وهو: {أَمْ تَقُولُونَ} وفيه قراءتان: بالتاء {أَمْ تَقُولُونَ}وقرأه ابن عامر وحفص، وحمزة، والكسائي(٤)، وقرأه الباقون "بالياء" {أَمْ يَقُولُونَ}(٥).

أما "أم" على قراءة التاء {أَمْ تَقُولُونَ} فتحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون متصلة، معادلة للهمزة في قوله: {أَتُحَآجُّونَنَا} بمعنى أي الأمرين تأتون: المحاجة في الله أم الادعاء على إبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا هودًا أو نصارى، والمراد بالاستفهام انكارهما معًا، بمعنى كل من الأمرين منكر ينبغي أن لايكون وهو إقامة الحجة وتنوير البرهان على حتمية ما أنتم عليه، والتشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء عليهم السلام. وبه قال

(١) سورة البقرة/١٣٩، ١٤٠.

(٢) ينظر: التبيان ١/١٢٣، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٤٧، والبحر المحيط ١/٤١٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/١٦٩، ١٧٠.

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١/٢٦٦ تحقيق: د/ محيي الدين رمضان، والتيسير في القراءات السبع/٧٧ والإقناع في القراءات السبع/ لابن الباذش ٢/٦٠٤ تحقيق: د/ عبد المجيد قطامش.

(٥) ينظر: المراجع السابقة.

الطبري[١] ، والأخفش[٢] ، والنحاس[٣] ، والقرطبي[٤] ، ورجحه ابن عطية بقوله: (وإنما تتجه معادلة "أم" للألف على الحكم المعنوي كان معنى {قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا} أي أتحاجون محمداً أم تقولون؟)[٥] .

وأشار إليه بصيغة الاحتمال الزمخشري[٦] ، وهذا القول بالاتصال يتفق مع قول الرضي: (إذا كانت الجملتان الفعليتان مشتركتين في الفاعل فـ "أم" متصلة، نحو: أقمت أم قعدت)[٧] .

والثاني: أن تكون (منقطعة، مقدرة بـ "بل" والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام)[٨] قاله أبو السعود، وإليه أشار الزمخشري[٩] ، أما أبو عبيدة[١٠] فيقدرها بالهمزة أي: أتقولون، وردَّ هذا التقدير.

وعلى قراءة الياء فيها قولان أيضاً:

الأول: أن تكون منقطعة، وعليه يكون الكلام مستأنفاً غير داخل في حيز الأمر بل وارد منه تعالى توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم. وبه قال الأخفش[١١] ـ كما يفهم من كلامه ـ والنحاس[١٢] ، والزمخشري[١٣] .

---

(١) ينظر: جامع البيان ٥٧٣/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن ١٥١/١.

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٢٦٨/١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٢.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٥٠٧/١، وينظر: روح المعاني ٣٩٩/١.

(٦) ينظر: الكشاف ٣١٦/١، والبحر المحيط ٤١٤/١، وتفسير أبي السعود ١٦٩/١.

(٧) شرح الكافية ٤٠٨/٤.

(٨) تفسير أبي السعود ١٦٩/١.

(٩) ينظر: الكشاف ٣١٦/١، والبحر المحيط ٤١٤/١، وروح المعاني ٤٠٠/١.

(١٠) ينظر: مجاز القرآن ٥٩/١.

(١١) ينظر: معاني القرآن ١٥١/١.

(١٢) ينظر: إعراب القرآن ٢٦٨/١.

(١٣) ينظر: الكشاف ٣١٦/١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٢، ١٤٧، والبحر المحيط ٤١٤/١، وتفسير أبي السعود ١٦٩/١، وروح المعاني ٤٠٠/١.

الثاني: أن تكون متصلة، قال ابن عطية: (وحكى الطبري[(١)] عن بعض النحاة أنها ليست بالمقطوعة لأنك إذا قلت: أتقوم أم يقوم عمرو؟ فالمعنى: أيكون هذا أم هذا؟ وهذا المثال غير جيد لأن القائل فيه واحد والمخاطب واحد، والقول في الآية من اثنين والمخاطب اثنان غيران)[(٢)].

ووجه أبو حيان إمكانية الاتصال على قراءة الياء: (بأن يكون ذلك من باب الالتفات لأن فيه خروجًا من خطاب إلى غيبة والضمير لناس مخصوصين)[(٣)] ورد بأنه لايحسن[(٤)] هذا في المتصلة، وإنما يحسن في المنقطعة، والقول بالانقطاع وإن لم يكن متعينًا فلا أقل من أنه أولى.

والأولى في القراءتين أن تكون "أم" منقطعة يقول ابن عطية: (وحجة ذلك اختلاف معنى الآيتين وأنها ليسا قسمين، بل الحاجة موجودة في دعواهم الأنبياء عليهم السلام. كما أن الله وقفهم على موضع الانقطاع في الحجة بقوله: {أَمۡ تَقُولُونَ} فإن قالوا: إن الأنبياء المذكورين كانوا على اليهودية والنصرانية كذبوا، لأنه قد علم أن هذين الدينين حدثا بعدهم، وإن قالوا: لم يكونوا على ذلك فقد أقروا بالحق)[(٥)]. وكأنه هو الراجح عنده، ووافقه أبو حيان[(٦)]، والسمين الحلبي[(٧)]، لأنا لو أردنا الاتصال لكان سؤالاً عن تعيين إحداهما، وليس الأمر كذلك إذ وقعا معًا[(٨)]، وإلى هذا القول أذهب وبه أقول.

* * *

(١) جامع البيان ١/٥٧٣.

(٢) المحرر الوجيز ١/٥٠٧.

(٣) البحر المحيط ١/٤١٤.

(٤) ينظر: روح المعاني ١/٤٠٠.

(٥) المحرر الوجيز ١/٥٠٧، ٥٠٨. "بتصرف".

(٦) ينظر: البحر المحيط ١/٤١٤.

(٧) ينظر: الدر المصون ٢/١٤٧.

(٨) ينظر: البحر المحيط ١/٤١٤.

{... وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[١]

"أم" في قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ} فيها قولان:

الأول: أنها منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة"، وفائدة "بل" الإضراب والانتقال من كلام إلى كلام دون إبطال للأول، والهمزة لإنكار الحسبان واستبعاده والتقدير: بل أحسبتم {أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم} من الأنبياء والمؤمنين أي أنه لم يأتكم مثلهم ولم تبتلوا بما ابتلوا به.

وإلى هذا التقدير ذهب ابن الأنباري[٢]، والعكبري[٣]، وأبو حيان[٤]، وإليه أشار الزمخشري[٥].

وقدرها الفراء[٦] -كما هو ظاهر كلامه- والطبري[٧]، وأبو عبيدة[٨]، وابن عطية[٩] بالهمزة، والتقدير: أحسبتم، ورده أبو حيان فقال: (بأنها تقدر بـ "بل" والهمزة فكما أن "بل" لابد أن يتقدمها كلام حتى يصير في حيز عطف الجمل فكذلك ما تضمن معناه)[١٠].

فـ "أم" مثل "بل" لايبتدأ بها الكلام.

---

(١) سورة البقرة/٢١٣، ٢١٤.

(٢) ينظر: البيان ١/١٥٠.

(٣) ينظر: التبيان ١/١٧١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢/١٣٩، وتفسير أبي السعود ١/٢١٥، وروح المعاني ٢/١٠٣.

(٥) ينظر: الكشاف ١/٣٥٥.

(٦) ينظر: معاني القرآن ١/١٣٢.

(٧) ينظر: جامع البيان ٢/٣٤٠، ٣٤١.

(٨) ينظر: مجاز القرآن ١/٧٢.

(٩) ينظر: المحرر الوجيز ٢/٢١٢.

(١٠) البحر المحيط ٢/١٣٩.

وقدرها القرطبي[(١)] بـ "بل" وحدها، ونسب أبو حيان[(٢)] هذا الرأي إلى الزجاج. والأولى عندي أن تقدر بـ "بل والهمزة".

الثاني: أنها متصلة، بتقدير معادل محذوف، والتقدير: (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فصبروا على استهزاء قومهم بهم أفتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم)[(٣)]. هذا ما ذكره الرازي عن القفال[(٤)]، ووافقه السهيلي[(٥)]، وابن القيم[(٦)].

والراجح عندي القول بالانقطاع لأمرين:

الأول: أن المتصلة لابد وأن تسبق بهمزة استفهام أو تسوية، ويكون قبلها جملة معادلة، وسبق أن رد أبو حيان حذف المعطوف عليه.

الثاني: أن في الانتقال من غيبة إلى خطاب يترجح الانقطاع.

*　*　*

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢/١٣٩، وعند رجوعي إلى "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج وجدته يقدر "أم" بـ "بل" والهمزة أي بل أحسبتم. ١/٢٨٥. وربما نقل ذلك من كتاب آخر للزجاج.

(٣) التفسير الكبير/ للرازي ٦/١٩. ، ينظر: البحر المحيط ٢/١٣٩.

(٤) القفال: هو محمد بن علي الشاشي، عالم باللغة والدين، من أهل ماوراء النهر، من مصنفاته «أصول الفقه" توفي سنة خمس وستين وثلثمائة.

ينظر: الأعلام ٦/٢٧٤.

(٥) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[(١)]

لـ "أم" في قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ} وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة وتقدر إما بـ :

١ ـ "بل والهمزة" وفائدة "بل" الإضراب والانتقال عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة إلى تحقيق أنها من مبادئ الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي: بل أحسبتم)[(٢)]، ومعناه: أنه لاينبغي لكم أن تظنوا أنكم ستدخلون الجنة مع أنكم لم تجاهدوا ولم تصبروا على شدائد الحروب.

٢ ـ "بل" وحدها، قاله القرطبي[(٣)].

٣ ـ وإما بالهمزة وحدها، وإليه ذهب الفراء[(٤)]، وعبر عن ذلك بعضهم بقوله: (الميم زائدة، والمعنى: أحسبتم)[(٥)].

الثاني: أن تكون متصلة، وفيها قولان:

أ ـ قال ابن بحر: (هي عديلة همزة تتقدر من معنى ما تقدم وذلك أن قوله: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ....}[(٦)] إلى آخر القصة يقتضي أن يتبع ذلك أتعلمون أن التكليف يوجب ذلك أم حسبتم

---

(١) سورة آل عمران/١٤١، ١٤٢.

(٢) تفسير أبي السعود ٢/٩١، وينظر: الكشاف ١/٤٦٦، والبيان ١/٢٢٣، والمحرر الوجيز ٣/٣٤٣، تحقيق: الشيخ عبد الله الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، وينظر: التفسير الكبير ٩/٢٠، والتبيان ١/٢٩٥، والبحر المحيط ٣/٦٥، وروح المعاني ٤/٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن ١/١٣٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٠.

(٦)آية/١٤٠.

أن تدخلوا الجنة من غير اختبار وتحمل مشقة)[١]، ووافقه على ذلك ابن القيم[٢]، وابن هشام[٣]. وقد رد هذا القول من أبي حيان في الآية السابقة[٤]، وأضيف إلى ذلك أنه لايحتاج المعنى إلى تقدير جملة معادلة لأن المعنى متمشى مع الانقطاع، وتقدير المعادل فيه تكلف، كما أن شرط المتصلة تقدم همزة استفهام أو تسوية، وهذه لاتوجد هنا، فالأولى عندي حملها على الانقطاع وأن يقدر بـ "بل والهمزة"، كما ذهب إليه أكثر المفسرين.

ب - وقال ابن بحر أيضاً: (أم حسبتم نهي وقع بلفظ الاستفهام الذي يأتي للتبكيت، وتلخيصه: لاتحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد، فلما قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟...﴾[٥] كان في معنى: أفتعلمون أن ذلك كما تؤمرون به، أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير مجاهدة وصبر، وإنما استبعد هذا لأن الله تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة، وأوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه مصالحها في الدين والدنيا، فلما كان كذلك كان من البعد البعيد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع إهمال هذه الطاعة)[٦]. ثم علق على ذلك أبو حيان فقال: (وظاهره أن "أم" متصلة)[٦].

* * *

(١) البحر المحيط ٣/٦٥، ٦٦.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ٢/٦٩٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٤٠١.

(٥) سورة آل عمران/١٣٩.

(٦) البحر المحيط ٣/٦٦ «بتصرف».

{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً. أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً}[(١)]

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ} فيهاقولان:

الأول: أن تكون منقطعة، وفي معناها ثلاثة أوجه:

١- أن تكون بمعنى "بل والهمزة"، والتقدير: بل ألهم، وهذا مذهب سيبويه[(٢)]، وبه قال ابن عطية[(٣)]، والعكبري[(٤)] والرازي[(٥)]، وأبو حيان[(٦)]، وإليه أشار الزمخشري[(٧)]، واالقرطبي[(٨)].

ومعنى "بل" الإضراب والانتقال من ذمهم على قبائحهم إلى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبخلهم المفرط، والهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وإبطال لما يدعونه من أن الملك سيصير إليهم في آخر الزمان.

٢ ـ أن تكون بمعنى "الهمزة" أي: ألهم. والمعنى: ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم شيء منه لبخلوا به على غيرهم. وعبر عن ذلك القرطبي بقوله: (أي ألهم؟ والميم صلة)[(٩)]، وأشار إليه الرازي[(١٠)]، وأبو حيان[(١١)]. وردَّه ابن عطية بأنَّه(غير مشهور للعرب)[(١٢)].

(١) سورة النساء/٥٢، ٥٣.

(٢) ينظر: الكتاب ١٧٢/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ١٠٢/٤.

(٤) ينظر: التبيان ٣٦٥/١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ١٣٤/١٠.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٢٧٣/٣.

(٧) ينظر: الكشاف ٥٣٤/١.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٥.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٥.

(١٠) ينظر: التفسير الكبير ١٣٤/١٠.

(١١) ينظر: البحر المحيط ٢٧٣/٣.

(١٢) المحرر الوجيز ١٠٢/٤.

٣ ـ أن تكون بمعنى "بل" قاله بعض المفسرين، وعلى هذا التقدير أوجبوا ما بعدها، والمعنى عندهم:(بل هم ملوك أهل دنيا وعتو وتنعم، لايبغون غير ذلك، فهم بخلاء حريصون على ألا يكون ظهور لغيرهم)[(١)].

والأرجح هو القول الأول، وكأنه لما تم الكلام الأول انتقل إلى آخر بـ "بل" الانتقالية، وهمزة الإنكار. يعني: ليس لهم من الملك شيء، وهو الرجح أيضًا عند ابن عطية[(٢)]، والرازي[(٣)]، وأبي حيان[(٤)]، فلو جعلناها بالهمزة وحدها لقطعت العلاقة بين ما قبلها وما بعدها، وإذا جعلناها بـ "بل" وحدها لأوجبت ما بعدها، والأولى نفيه عنهم لتوبيخهم وذمهم علي قبائحهم.

الثاني: أن تكون متصلة، وذلك بتقدير معادل محذوف قبلها، والمعنى: أهم أولى بالنبوة ممن أرسلته أم لهم نصيب من الملك، وإليه ذهب النحاس[(٥)]، وأشار إليه الرازي[(٦)]، والقرطبي[(٧)]، والأول هو الأرجح لما قلناه في أكثر من موضع.

* * *

---

(١) المحرر الوجيز ١٠٢/٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ١٣٤/١٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٧٢/٣.

(٥) ينظر: إعراب القرآن ٤٦٣/١.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ١٣٤/١٠.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٥.

﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[١]

﴿أَم مَّن يَكُونُ﴾ فيها قولان:

١ ـ أن تكون منقطعة[٢]، بمعنى "بل" لمجيء "من" الاستفهامية بعدها، لأن المنقطعة تدخل على جميع أدوات الاستفهام عدا الهمزة، وتكون بمعنى "بل" والتقدير: بل من يكون. ويمكن أن نعتبرها عاطفة للاستفهام الذي بعدها على الاستفهام السابق بناء على ماذهب إليه الفارسي[٣]، إذ جعل "أم" عاطفة إذا وليها استفهام كما في قول الشاعر:

أَمْ كيفَ ينفعُ ما تُعطي العلُوق به ... رئمانُ أنفٍ إذَا ما ضُنَّ باللبنِ[٤]

٢ ـ أن تكون متصلة، عاطفة، معادلة للاستفهام السابق، أو للاستفهام المتضمن في "من"، و "من" الثانية اسم موصول، فعطفت "أم" مابعدها على الاستفهام السابق، وما بعد الموصول معادل لـ "من". وإليه أشار مكي بن أبي طالب[٥]، والرازي[٦]، والمعنى: من الذي يكون محامياً ومحافظاً لهم من عذاب الله؟.

والصحيح عندي أنها منقطعة بمعنى "بل"، فإذا كانت "ما" أو "من" متضمنة معنى الهمزة، إلا أن الهمزة لاتظهر معها مطلقًا، ومبنى القواعد على ما يظهر من اللفظ، كما أن شرط الاتصال أن يتقدم "أم" لفظ الهمزة، وهذه الهمزة وضعت للتفريق بين المتصلة والمنفصلة، وإذا حذفت وضمنت أداة استفهام أخرى معناها لايظهر الفرق بينهما.

---

(١) سورة النساء/١٠٩.

(٢) التبيان ٣٨٨/١، والدر المصون ٨٧/٤.

(٣) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٣.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٠٥/١، ٢٥٤/٢.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ٣٧/١١.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[١]

ذكرت "أم" في هذه الآية في ثلاثة مواضع في قوله ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ...﴾، و ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ﴾، و﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ...﴾ وفي مواضعها الثلاثة جاءت منقطعة بمعنى بل والهمزة والتقدير: "بل ألهم" (وهو إضراب على معنى الانتقال لاعلى معنى الإبطال، والهمزة لنفي كل واحدة من هذه الجمل، وكان ترتيب هذه الجمل هكذا لأنه بدئ بالأهم وهو الأيدي، ثم أتبع بما هو دونه إلى آخرها)[٢]، وإليه أشار ابن عطية[٣]، وابن مالك[٤].

أما ابن عقيل فجعلها متصلة (وقدر أم والهمزة بمعنى أي)[٥]، والأولى عندي أنها منقطعة لأمرين:

١ ـ أن الجمل الواقعة بعد "أم" جمل تامة، ويمكن أن تستغني كل واحدة منها عما قبلها، فلو أريد الاتصال لم يكن هناك داع لاعادة قوله: ﴿لَهُمْ﴾ في كل جملة، وهذا موافق لقول الرضي: (إن ولي "أم" والهمزة جملتان مشتركتان في أحد الجزأين فالأولى فيها الانقطاع لأنك كنت قادراً على الاكتفاء بمفرد منها لوقصدت الاتصال)[٦].

٢ ـ الهمزة في قوله: "ألهم" على سبيل الانكار لا الاستفهام. يقول ابن عطية في هذا: ("أم" في هذه الآية إضراب لكل واحدة عن الجملةالمتقدمة لها، وليست "أم" المعادلة للألف.. لأن المعادلة إنما هي في السؤال عن شيئين أحدهما حاصل، فإذا وقع التقدير على شيئين كلاهما منفي فـ"أم" إضراب عن الجملة الأولى)[٧].

(١) سورة الأعراف/١٩٥.

(٢) البحر المحيط ٤/٤٤٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٦/١٨١ تحقيق: الشيخ عبد الله الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني.

(٤) ينظر: شرح الكافية الشافية ٣/١٢١٩. وينظر: تفسير أبي السعود ٣/٣٠٦، والفتوحات الإلهية ٢/٢٢٠، وروح المعاني ٩/١٤٤، ١٤٥.

(٥) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٥٤.

(٦) شرح الكافية ٤/٤٠٧، ٤٠٨ «بتصرف».

(٧) المحرر الوجيز ٦/١٨١.

﴿.... وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(١)]

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾أم منقطعة بمعنى "بل والهمزة" والتقدير: بل أحسبتم[(٢)]، والهمزة للتوبيخ على وجود الحسبان والمعنى: بل أحسبتم أن تتركوا على ما أنتم عليه ولاتؤمروا بالجهاد، ولاتبتلوا بما يمحصكم فيتبين الخلص منكم الذين لم يتخذوا بطانة من دون الله وهم المجاهدون في سبيله من غيرهم.

وقدرها النحاس[(٣)]، والقرطبي[(٤)] بـ "بل" وحدها، وقدرها الفراء[(٥)] ـ كما هو ظاهر كلامه ـ والطبري[(٦)]، بالهمزة وحدها أي: أحسبتم.

أما ابن القيم فقال بأنها متصلة، وقدر لها معادلاً محذوفًا أي: (أحسبتم أن تدخلوا الجنة بغير جهاد فتكونوا جاهلين أم لم تحسبوا ذلك فتكونوا مفرطين)[(٧)].

والحق أنها منقطعة بمعنى "بل والهمزة" وقد تقدم مثلها.

* * *

---

(١) سورة التوبة/١٥، ١٦.

(٢) ينظر: الكشاف ١٧٨/٢، والمحرر الوجيز ٤٣٢/٦، والبحر المحيط ١٨/٥، والتسهيل ٧٢/٢، وتفسير أبي السعود ٤٩/٤، وروح المعاني ٦٣/١٠.

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٢٠٦/٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨٨/٨ حيث قال النحاس والقرطبي: (أم" خروج من شيء إلى شيء) فيحتمل فيه رأيان:

أ ـ أن تكون بمعنى «بل" فقط، كما هو ظاهر هذه العبارة.

ب ـ وإما أن تكون بمعنى «بل والهمزة" كما هو متفق عليه.

(٥) معاني القرآن ٤٢٦/١، ٣٩٩/٢.

(٦) جامع البيان ٩٢/١٠.

(٧) بدائع الفوائد ٢٠٧/١.

{وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ-أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[١]

{أَمْ يَقُولُونَ} فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" على مذهب سيبويه والجمهور ـ كما تقدم ـ والتقدير: بل أيقولون افتراه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتقل من الكلام الأول وأخذ في كلام آخر دون إبطال للأول، والهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم، وإنكار لقولهم واستبعاد...

وقدرها الفراء[٢] ـ كما يفهم من كلامه ـ بالهمزة فقط، وعبر القرطبي عن ذلك فقال: (الميم زائدة على الهمزة)[٣]، ورده السمين بقوله: (وهذا كلام ساقط؛ إذ زيادة الميم قليلة جداً لاسيما هنا)[٤].

أما أبو عبيدة فقال: (مجاز "أم" هاهنا مجاز الواو ويقولون)[٥] والتقدير: ويقولون افتراه.

الثاني: أن تكون متصلة، وذلك بتقدير معادل محذوف قبلها، والتقدير: أيقرون به أم يقولون افتراه[٦]، وبه قال السهيلي[٧]، وابن القيم[٨].

والأولى عندي هو الوجه الأول؛ لبعده عن تقدير محذوف؛ ولأن المعنى حينئذ يكون متمشياً مع السياق دون اللجوء إلى تقدير. وهوالراجح عند أكثر المفسرين والنحاة ـ كما تقدم ـ

---

(١) سورة يونس/٣٧، ٣٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن ٧١/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٤/٨.

(٤) الدر المصون ٢٠٤/٦.

(٥) مجاز القرآن ٢٧٨/١.

(٦) ينظر: البحر المحيط ١٥٨/٥.

(٧) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٨) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٧/١.

{... وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ...}[(١)]

"أم" في قوله {أَمْ يَقُولُونَ} فيها قولان:

الأول: أن تكون منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" والتقدير: بل أيقولون. وإليه ذهب ابن عطية[(٢)]، وأبوحيان[(٣)]، وأبو السعود[(٤)]، والآلوسي[(٥)]، فكأنه أضرب عن الكلام الأول واستفهم في الثاني على معنى التقرير.

أما الطبري[(٦)] فقدره بالهمزة وحدها أي: أيقولون. وقد رددناه في أكثرمن موضع. والقرطبي[(٧)] بـ "بل" وحدها، وهذا يجوز لثبوت قولهم بالافتراء، ولكن الأرجح إنكار قولهم لتبكيتهم.

والثاني: أن تكون متصلة، نقله أبو حيان عن بعضهم فقال: ("أم" استفهام توسط الكلام على معنى أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن أم يقولون إنه ليس من عند الله)[(٨)]، وبه قال ابن القيم[(٩)] أيضاً، (والظاهر الانقطاع)[(١٠)].

* * *

---

(١) سورة هود/١٢،١٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢٥٠/٧.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٠٨/٥.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ١٩١/٤.

(٥) ينظر: روح المعاني ٢٠/١٢.

(٦) ينظر: جامع البيان ٩/١٢.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢/٩.

(٨) البحر المحيط ٢٠٨/٥.

(٩) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٧/١.

(١٠) البحر المحيط ٢٠٨/٥.

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ....}[(١)]

"أم" في قوله {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ} منقطعة، وفيها أقوال:

الأول: أن تقدر بـ "بل والهمزة"، أي: بل أتنبئونه، والهمزة تدل على التوبيخ والتقرير، أي: بل أتنبئون الله وتخبرونه بشركاء لايعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض ولايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والمراد: نفي أن يكون له شريك في الأرض أو في السماء. وبه قال الزمخشري[(٢)]، والبيضاوي[(٣)]، وابن عطية[(٤)].

أما الطبري[(٥)]، فقدرها بالهمزة فقط، أي: أتخبرون الله بأن في الأرض إلهًا، ولاإله غيره. ويرد عليه الجرجاني[(٦)]: بأنه لاتقدر بالهمزة وحدها لأنها لاتوجد علقة بين ما قبلها وما بعدها.

وذهب القرطبي[(٧)] إلى أنها متصلة معادلة لقوله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ}.

و"أم" في قوله {أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ} فيها قولان أيضًا:

أحدهما: أنها منقطعة بمعنى "بل والهمزة" أي: بل أتسمونهم بشركاء بظاهر من القول دون أن تكون لهم حقيقة. وإليه أشار الزمخشري[(٨)]، وأبو حيان[(٩)]، وأبو السعود[(١٠)].

---

(١) سورة الرعد/٣٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٣٦١/٢.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي/٣٢٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١٧٥/٨ تحقيق: الشيخ عبد الله الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، وينظر: البحر المحيط ٣٩٤/٥، وتفسير أبي السعود ٢٤/٥، وروح المعاني ١٦١/١٣.

(٥) جامع البيان ١٦٠/١٣.

(٦) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح ٩٥٤/٢، وشرح المفصل ٩٨/٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/٩.

(٨) ينظر: الكشاف ٣٦١/٢.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٣٩٥/٥.

(١٠) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٤/٥.

الثاني: أنها متصلة، قاله القرطبي، وللمعادل عنده له عدة أقوال منها:

الأول: (قل لهم أتنبئون الله بباطن لايعلمه، أم بظاهر من القول يعلمه؟[(١)])

الثاني: (أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجين)[(٢)].

والأولى أن تكون منقطعة مقدرة بـ "بل والهمزة" ومعنى بل يفيد الانتقال من جملة إلى أخرى، والهمزة تفيد الإنكار والتوبيخ إذ تنكر عليهم وجود الآلهة في الأرض وفي السماء كما تنكر عليهم تسميتهم لتلك الآلهة بأسماء زائفة باطلة، وتقررهم على أن ما يقولونه هو كذب وافتراء، وهو الظاهر عند أبي حيان[(٣)].

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/٩.

(٢) المرجع السابق ٣٢٣/٩.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣٩٥/٥.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا. أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ...﴾[(١)]

"أم" في قوله ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ فيها قولان:

الأول: أنها منقطعة، بمعنى "بل والهمزة"، أي: بل أأمنتم[(٢)]. و"بل" للإضراب والانتقال، والهمزة للإنكار. فالله قادر على إهلاكهم في البر وإن نجاهم من البحر وأهواله، بل ويستطيع أن يعيدهم فيه مرة أخرى، ويغرقهم وعندها لايجدون من ينصرهم من عقاب الله.

الثاني: أنها متصلة، إذ ذهب الزجاجي[(٣)] إلى أنها بمعنى "أو" فتكون عنده متصلة عاطفة بمعنى: أي الأمرين تأمنون: خسف الله بكم الأرض، أم إنزاله الحاصب عليكم، وجوزه السمين[(٤)] مع قوله بالانقطاع: وهذا القول بالاتصال موافق لما ذهب إليه السهيلي[(٥)] وابن القيم[(٦)]. والظاهر الانقطاع لأمرين:

١ ـ مجيء "أم" بين جملتين مشتركتين في الفاعل، وتكرار الفعل بعد "أم"، فلو أراد الاتصال لاكتفى بالفاعل بعد "أم" ولم يُعد الفعل[(٧)].

٢ ـ أن المعنى يقوم علي إنكار الأمرين معًا، وليس فيه تعيين لأمر، فالأولى إنكار الأول، ثم الانتقال لإنكار الثاني.

---

(١) سورة الإسراء/٦٨، ٦٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦/٦٠، وتفسير أبي السعود ٥/١٨٥، والفتوحات الإلهية نقلاً عن السمين ٢/٦٣٦، وروح المعاني ١٥/١١٧.

(٣) حروف المعاني والصفات/٥٦، وذكرت رأي الزجاجي هنا قياسًا مني على ماذكره في سورة الملك/١٧. ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ...﴾

(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية ٢/٦٣٦.

(٥) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

(٧) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/٤٠٧.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[١]

"أم" في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ منقطعة، وفيها ثلاثة معان:

الأول: أنها بمعنى "بل والهمزة" أي بل أحسبت، و"بل" للإضراب والانتقال من الكلام الأول إلى كلام آخر لابمعنى الإبطال، والهمزة للإنكار، والمراد إنكار الحسبان، فأصحاب الكهف ليسوا أعجب آيات الله، فآيات الله كلها عجب. وإليه ذهب النحاس[٢]، والعكبري[٣]، وأبو حيان[٤].

الثاني: أنها بمعنى الهمزة للإنكار، قاله بعضهم[٥].

الثالث: أنها بمعنى الهمزة للإنكار، قاله الطبري[٦].

أما السهيلي فجعلها متصلة، حيث قال: (فإذا وجدت "أم" وليس قبلها استفهام في اللفظ فهو متضمَّن في المعنى معلوم بقوة الكلام كأنه يقول: "أتقولون كذا أم تقولون كذا؟ وأبلغك كذا أم حسبت أن الأمر كذا؟)[٧]، وتبعه ابن القيم[٨].

* * *

(١) سورة الكهف/٨،٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٢/٤٤٨.

(٣) ينظر: التبيان ٢/٨٣٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٦/١٠٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٦.

(٦) ينظر: جامع البيان ١٥/١٩٨.

(٧) نتائج الفكر/٢٦١.

(٨) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾[١]

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة الدلائل على وحدانيته، وأن كل ما في السموات والأرض ملك له وأن الملائكة لايفترون عن عبادته عاد مرة أخرى إلي توبيخ المشركين وذمهم، فهم لم يتخذوا آلهة تتصف بالقدرة على الإحياء والإماته، بل اتخذوا آلهة جماداً لاتنفع ولاتضر.

وعليه فـ "بل" المتضمنة في "أم" للإضراب والانتقال من الكلام السابق إلى كلام آخر دون إبطال لما سبق والهمزة للإنكار[٢].

(ولاتكون "أم" هنا بمعنى "بل" لأن ذلك يوجب لهم إنشار الموتى، إلا أن تُقَدَّر "أم" مع الاستفهام فتكون "أم" المنقطعة، فيصح المعنى. وقيل: أم بمعنى "هل" أي: هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى...؟)[٣]، ولاأرى أن "هل" تأتي في موضع "أم" المنقطعة لأنها مثل الهمزة حيث أنها تأتي للاستفهام المستأنف، فلاتوجد علاقة بين مابعدها وما قبلها كما أشرنا سابقاً.

وقدرها الطبري بالهمزة: أي (أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون)[٤].

(وقيل "أم" عطف على المعنى، أي: أفخلقنا السماء والأرض لعباً، أم هذا الذي أضافوه إلينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة؟ أو هل ما اتخذوه من الآلهة في الأرض يحي الموتى فيكون موضع شبهة؟ وقيل: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥]. ثم عطف عليه بالمعاتبة، وعلى هذين التأويلين تكون "أم" متصلة)[٦].

والظاهر أن "أم" منقطعة وتقدر بـ "بل والهمزة" لأن من شروط المتصلة أن تسبق بما يعادلها ولاوجود لمعادل قبلها، ولاداعي لتقدير المعادل حتى تحمل على الاتصال.

---

(١) سورة الأنبياء/٢٠، ٢١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٥٦٦، والبحر المحيط ٦/٣٠٤، وتفسير أبي السعود ٦/٦١، وروح المعاني ١٧/٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٧٨، بتصرف".

(٤) جامع البيان ١٧/١٣.

(٥) سورة الأنبياء/١٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٧٨.

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ}[(١)]

"أم" في قوله: {أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ}، فيها وجهان:

الأول: أنها منقطعة بمعنى "بل والهمزة"، وبه قال النحاس[(٢)]، والزمخشري[(٣)]، والرازي[(٤)]، وأبوحيان[(٥)].

فحين تفقد سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ الطير نظر إلى مكان الهدهد فلم يره، فقال: ({مَالِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ} على الاستخبار، أي أنه لايراه وهو حاضر لساتر يستره، أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة مالاح له، وهو كقولهم: إنها لإبل أم شاء. والتقدير: بل أهو غائب؟)[(٦)]. و "بل" هنا للإبطال، والهمزة للاستفهام الحقيقي مع أنها في أغلب مواضعها مع "بل" تكون للإنكار.

أما ابن طاهر فقدرها بـ "بل" وحدها، وجعلها عاطفة[(٧)].

الثاني: أنها متصلة، وبه قال القيسي[(٨)]، وابن عطية[(٩)]، والسهيلي[(١٠)]، وابن القيم[(١١)].

---

(١) سورة النمل/٢٠.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٣/٢٠٢.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/١٤٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير ٢٤/١٨٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧/٦٥، وينظر: تفسير أبي السعود ٦/٢٧٩. وروح المعاني ١٩/١٨٢.

(٦) الكشاف ٣/١٤٢، "بتصرف"

(٧) البرهان في علوم القرآن ٤/١٨٢.

(٨) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/٢٥٤.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٧/٦٤.

(١٠) ينظر: نتائج الفكر/٢٦٢.

(١١) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

ويقول ابن عطية: (﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ مقصد الكلام الهدهد غاب ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه وهو أنه لايراه، فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز، والاستفهام الذي في قوله ﴿مَالِيَ﴾ ناب مناب الألف التي تحتاجها "أم")[(١)].

ورد هذا القول أبو حيان بقوله: (والصحيح أن "أم" في هذا هي المنقطعة لأن شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام، وهنا تقدم "ما" ففات شرط المتصلة)[(٢)]. كما أن الهمزة لاتظهر مطلقًا مع "ما" و "من" ومبنى القواعد على مايظهر من اللفظ، وهذه الهمزة وضعت للتفريق بين المتصلة والمنقطعة، ويترجح الانقطاع أيضًا لأن فيه توعدًا بالعقاب على غيابه.

وتقدر المنقطعة في هذه الآية بـ "بل والهمزة" لاكما ذهب ابن طاهر بـ "بل" وحدها، لأن "بل" تثبت ما بعدها، وسيدنا سليمان ـ على ما يبدو من كلامه ـ لم يجزم بغيابه، وإنما أضرب عن كلامه السابق واستفهم على سبيل الحقيقة، فكان يريد جوابًا لسؤاله.

* * *

---

(١) البحر المحيط ٦٤/٧.

(٢) البحر المحيط ٦٥/٧.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.

أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ.

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(١)]

ذكرت "أم" في ستة مواضع، الموضع الأول:﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(جاءت متصلةعلى معنى: أيهما خير؟)[(٢)] ، أما في المواضع الباقية ففيها اختلاف بسبب تعدد القراءات في قوله: ﴿أَمَّن﴾ حيث قرأ[(٣)] الأعمش[(٤)] ، والمطوعي[(٥)] بالتخفيف ﴿أَمَن﴾، وقرأ الجمهور بالتشديد حيث أدغموا ميم "أم" في ميم "من".

---

(١) سورة النمل/٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٢) البحر المحيط ٨٩/٧.

(٣) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١١٠، ينظر: البحر المحيط ٨٩/٧، وإتحاف فضلاء البشر/٣٣٨.

(٤) هو: سليمان بن مهران الكوفي أخذ عن النخعي وعاصم وغيرهما، وروى عنه حمزة الزيات وغيره. توفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

ينظر: معرفة القراء الكبار ٩٤/١، وغاية النهاية ٣١٥/١.

(٥) هو: الحسن بن سعيد بن جعفر أبو العباس المطوعي، مؤلف كتاب معرفة اللامات وتفسيرها، إمام عارف ثقة في القراءة، قرأ على إدريس بن عبد الكريم وغيره، وقرأ عليه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي. توفي سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

ينظر: معرفة القراء الكبار ٣١٧/١، وغاية النهاية ٢١٣/١.

وعلى قراءة التشديد يوجد قولان في "أم":

الأول:أنها منقطعة، ولها معنيان:

١ ـ بمعنى "بل والهمزة"، أي: بل أمن خلق السموات والأرض، و"بل" للإضراب والانتقال من توبيخ إلى توبيخ آخر، و "من" اسم موصول [١]، والخبر محذوف قدره الزمخشري (خير أما يشركون، تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لايقدر على شيء) [٢].

وقدره ابن عطية:(يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى) [٣].

والأولى ما قدره الزمخشري؛ لأنه قدّر ماأثبت في الاستفهام الأول، ولم يحتج إلى تقديرات وتأويلات خارجة عنه.

وإلى القول بالانقطاع، وتقدير "أم" بـ "بل والهمزة" في جميع المواضع ذهب الزمخشري [٤]، وأبو حيان [٥]، والسمين [٦]، وأبو السعود [٧]. إلا أن الزمخشري قال: ﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ [٨]،والأولى أن تكون كل جملة مستغنية عن التي قبلها. يقول أبو السعود: (والأظهر أن كل واحدة إضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر) [٩].

٢ ـ بمعنى "بل" وحدها على أساس أن "مَنْ" اسم استفهام، و"أم" المنقطعة تدخل على أدوات الاستفهام عدا الهمزة، وبه قال

---

(١) معاني القرآن/للأخفش ٢/٤٣١.

(٢) الكشاف ٣/١٥٤.

(٣) البحر المحيط ٧/٨٩.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/١٥٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧/٨٩.

(٦) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٣٢٢.

(٧) ينظر: تفسير أبو السعود ٦/٢٩٣، وينظر: روح المعاني ٢٠/٤.

(٨) الكشاف ٣/١٥٥.

(٩) تفسير أبي السعود ٦/٢٩٤.

سيبويه[(١)]، والمبرد[(٢)]، والرضي[(٣)]، والزركشي[(٤)]، والتقدير: بَلْ مَنْ خلق....

ولاتقدر بـ "بل والهمزة" حتى لايدخل استفهام على استفهام. و﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ خبر.

هذا وقد فات الشيخ عضيمة[(٥)] أن الزمخشري يجعل "من" موصولة، فاعترض عليه تقديره "أم" بـ "بل والهمزة" لأن "من" عند عضيمة استفهامية كما هي عند سيبويه ومن تبعه، وإذن فلا محل للاعتراض.

فكلا الرأيين قيل به إلا أن الأولى أن تحمل على الثاني حتى لاتحتاج إلى تقدير خبر.

الثاني: أنها متصلة، بتقدير معادل محذوف قبلها، وبه قال الطبري حيث قدر في الآية الأولى: (أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لاتضر ولاتنفع خير أم عبادة من خلق السموات والأرض)[(٦)]، وهكذا في الآيات التالية. وقد رُدَّ من قبل لأنه لم يسمع عن العرب حذف المعطوف عليه.

أما النحاس، فقدر المعادل المحذوف بعدها حيث قال: (أعبادة الذي خلق السموات والأرض خير أم عبادة مالاينفع ولايضر)[(٧)]، فحذف المعادل مع "أم" بعدها، وذلك جائز إذا كان ما بعدها نقيض ما قبلها إلا أنها هنا لم يتقدمها همزة استفهام أو تسوية حتى تحمل على الاتصال.

وعلى قراءة التخفيف: ﴿أَمَنْ﴾ لاتوجد "أم" بل همزة الاستفهام دخلت على "مَنْ" الموصولة.

---

(١) ينظر: الكتاب ١٨٩/٣، ١٩٠.

(٢) ينظر: المقتضب ٢٩١/٣.

(٣) ينظر: شرح الكافية ٤٠٦/٤.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١٨٢/٤.

(٥) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج١ ق١ ص٣١٤.

(٦) جامع البيان ٤٠٣/٢٠. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٣.

(٧) القطع والائتناف/٥٣٨.

{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[(١)]

لـ "أم" في قوله: {أَمْ حَسِبَ} وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" و"بل" للإضراب والانتقال عن توبيخ المؤمنين بإنكار حسبانهم متروكين غير مفتونين إلى إنكار ما هو أبطل من الحسبان الأول وهو ظن من يعملون السيئات أنهم سيفرون من عذاب الله، والتقدير: بل أحسب[(٢)].

الثاني: أن تكون متصلة، يقول ابن عطية: (أم معادلة للألف في قوله {أَحَسِبَ} وكأنه عزّ وجلّ قرر الفريقين: قرر المؤمنين على ظنهم أنهم لايفتنون، وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أنهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه)[(٣)].

وإلى القول بالاتصال ذهب السهيلي[(٤)]، وابن القيم[(٥)]، وابن جزي[(٦)]، كما في قولك: أقام زيد أم عمرو. والقول بالانقطاع هو الأولى والأرجح؛ (لأنك كنت قادراً على الاكتفاء بمفرد منها لو قصدت الاتصال)[(٧)] كما رجحه أبو حيان فقال: (إن المتصلة يشترط فيها شرطان:

---

(١) سورة العنكبوت/٢، ٣، ٤.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/١٩٦، والبحر المحيط ٧/١٤٠وتفسير أبي السعود ٧/٣٠، والفتوحات الإلهية ٣/٣٦٧، وروح المعاني ٢٠/١٣٦.

(٣) البحر المحيط ٧/١٤٠.

(٤) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٥) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٨.

(٦) ينظر: التسهيل ٣/١١٣.

(٧) شرح الكافية ٤/٤٠٧.

أحدهما: أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام. وهذا الشرط موجود هنا.

والثاني: أن يكون بعدها مفرد أو ما هو في تقدير المفرد، وجوابها بالتعيين، وهنا بعد "أم" جملة ولايمكن الجواب هنا بأحد الشيئين، وعليه فـ"بل" هنا منقطعة تتقدر بـ "بل والهمزة" للتقريع والإنكار فلاتقتضي جوابًا لأنه في معنى كيف وقع حسبان ذلك)[(١)].

* * *

{لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ}[(٢)]

{أَمْ أَنزَلْنَا} فيها قولان:

أحدهما: أن "أم" منقطعة بمعنى "بل والهمزة" و"بل" تفيد الانتقال من كلام إلى كلام دون إبطال لما سبق، و"الهمزة" للإنكار والتوبيخ، والتقدير: بل أأنزلنا. قاله أبوحيان[(٣)]، ووافقه الآلوسي[(٤)]، أما النحاس فقدرها بالهمزة وحدها[(٥)].

الثاني: أن "أم" متصلة، قاله الرازي[(٦)]، وإليه أشار السهيلي[(٧)]، وابن القيم[(٨)]، والتقدير: (أهم يتّبعون الأهواء من غير علم؟ أم لهم دليل على ما يقولون؟ وليس الثاني حاصلاً[(٩)] فيتعين الأول)[(١٠)].

---

(١) البحر المحيط ١٤٠/٧ «بتصرف»، وينظر: روح المعاني ١٣٦/٢٠.

(٢) سورة الروم/٣٤، ٣٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٧٣/٧.

(٤) ينظر: روح المعاني ٤٢/٢١.

(٥) ينظر: إعراب القرآن ٢٧٣/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٤.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ١٢٣/٢٥.

(٧) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٨) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٦/١.

(٩) خبر ليس مقدر.

(١٠) التفسير الكبير ١٢٣/٢٥.

إلا أن الأولى عندي هو القول الأول، إذ فيها التفات من الخطاب إلى الغيبة، وهذا يحسن في المنقطعة، كما أنها لم تسبق بهمزة استفهام حتى تحمل على الاتصال.

* * *

{تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...}[1]

"أم" في قوله {أَمْ يَقُولُونَ} منقطعة بمعنى "بل والهمزة" أي: بل أيقولون، و"بل" تفيد الانتقال من حديث إلى حديث، والهمزة تفيد التوبيخ، وبه قال سيبويه[2]، والمبرد[3]، والزمخشري[4]، فبعد ما أضرب الله عز وجل عن الكلام الأول بـ "بل" أنكر قولهم إنه مفترى لظهور عجزهم عن الإتيان بمثله.

أما الفراء[5] - فيما يظهر من كلامه - والأخفش[6]، وابن قتيبة[7]، والطبري[8] - فيما صرحوا به - فقدروها بالهمزة، أي: أتقولون، وقد رددناه من قبل.

وأبو عبيدة قدرها بـ "بل" و "الواو" حيث قال: (مجازه مجاز "أم" التي توضع في موضع معنى الواو، ومعنى "بل" سبيلها. ويقولون و"بل" يقولون)[9]. وقد وافقه الصبان في معنى "بل" حيث قال: (إنها لم تقتض الاستفهام هنا لعدم

(١) سورة السجدة/٢، ٣.

(٢) ينظر: الكتاب ٣/١٧٢، ١٧٣.

(٣) ينظر: المقتضب ٣/٢٩٢.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٢٤٠، وينظر: التبيان ٢/١٠٤٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٨٥، والبحر المحيط ٧/١٩٧، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢١٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن ١/٧١.

(٦) ينظر: معاني القرآن ١/٣١.

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن/٥٤٦، ٥٤٧.

(٨) ينظر: جامع البيان ٢١/٩٠.

(٩) مجاز القرآن ٢/١٣٠.

احتياج المقام إليه)[(١)] ، ورده الألوسي[(٢)] لأن تقدير الهمزة مع "بل" يفيد إنكار افترائهم، أما "بل" فتفيد ثبوت قولهم وهذا مما لايشك فيه أحد.

وقدر الرازي "أم" هذه متصلة أي:(أتعترفون به أم تقولون)[(٣)] ، ووافقه السهيلي[(٤)] ، وابن القيم[(٥)] ، إلا أن "أم" هنا سُبقت بخبر، ولم تسبق بهمزة استفهام أو تسوية حتى تحمل على الاتصال، ولاداعي لتقدير محذوف..

* * *

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[(٦)]

"أم" في قوله ﴿أَمْ خَلَقْنَا﴾ فيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة، بمعنى "بل والهمزة"، فبعد ما أنكر الله عليهم تلك القسمة، وأنها قسمة ضيزى انتقل إلى توبيخ وإنكار آخرين، وهو أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة حتى يقولوا عنهم إنهم إناث، والتقدير: بل أخلقنا. وبه قال الزجاج[(٧)] ، والنحاس[(٨)] ، وأبو السعود[(٩)] ، والجمل[(١٠)] ، والألوسي[(١١)] .

الثاني: أن تكون متصلة (معادلة للهمزة، كأن المستفهم يدعى ثبوت أحد

(١) حاشية الصبان ٣/١٠٥.

(٢) روح المعاني ٢١/١١٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/١٦٧.

(٤) ينظر: نتائج الفكر/٢٦١.

(٥) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٧.

(٦) سورة الصافات/١٤٩، ١٥٠.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٣١٤.

(٨) ينظر: إعراب القرآن ٣/٤٤٣.

(٩) ينظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٠٧.

(١٠) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٥٥٥.

(١١) ينظر: روح المعاني ٢٣/١٥٠.

الأمرين عندهم ويطلب تعيينه منهم قائلاً: أي هذين الأمرين تدعونه)[(١)]. جوزه الجمل مع قوله بالانقطاع.

والراجح عندي هو القول الأول؛ لأن الاستفهام لايحتمل التعيين إذ يقوم الأمر على إنكار الأمرين معًا.

* * *

{أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ. أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ}[(٢)]

ذكرت "أم" في موضعين: في قوله: {أَمْ عِندَهُمْ} وسبق أن تحدثنا عنه[(٣)]، وفي قوله {أَمْ لَهُم مُّلْكُ} وتحتمل "أم" فيه معنيين:

الأول: أن تكون منقطعة بمعنى بل والهمزة، إذ بعد ما أنكر الله عليهم تصرفهم في خزائن الله انتقل إلى إنكار ما هو أعم وهو أن يكون لهم شأن في الأمور العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية، ويتحكموا في التدابير الإلهية، والتقدير: بل ألهم[(٤)].

الثاني: أن تكون متصلة عاطفة معادلة لما قبلها[(٥)].

والأرجح الانقطاع؛ لأن الله ينكر عليهم كلا الأمرين فلا يحتمل الكلام تعيينًا لأحدهما إلا أن يكون على سبيل التبكيت.

* * *

---

(١) الفتوحات الإلهية ٣ /٥٥٥.

(٢) سورة ص/٩، ١٠.

(٣) ينظر ص ١٥٩ .

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي/٥٩٨، والتسهيل ٣/١٨٠، وتفسير أبي السعود ٧/٢١٦، وروح المعاني ٢٣/١٦٨، ١٦٩.

(٥) ينظر: التسهيل ٣/١٨٠.

{وَقَالُواْ مَالَنَا لَانَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ. أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}[(١)]

قرأ البصريان، وحمزة، والكسائي، وخلف بوصل همزة "اتَّخَذْنَاهُمْ" على الخبر، وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة على الاستفهام[(٢)]، وهذا من الاستفهام المراد به التعجب والتوبيخ، لذا يجوز بالاستفهام وبطرحه[(٣)]. وعلى حسب هاتين القراءتين تعددت الأقوال حول "أم".

فعلى قراءة القطع وجهان:

الوجه الأول: أن تكون متصلة، وبه قال المبرد[(٤)]، والمعنى: (أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم ازدراؤهم وتحقيرهم على معنى إنكار الأمرين معًا مع أنهم قد فعلوا كل ذلك)[(٥)]، وإليه أشار الفراء[(٦)] - فيما يظهر من كلامه - وأبوعبيدة[(٧)]، والنحاس[(٨)]، والزمخشري[(٩)]، وغيرهم.

الوجه الثاني: أن تكون منقطعة بمعنى "بل والهمزة" والتقدير: أتخذناهم سخريًا بل أزاغت عنهم.... وهذا كقولك: أزيد عندك أم عندك عمرو؟ "بل"

---

(١) سورة ص/٦٢، ٦٣.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر/للاصبهاني/٣٨١ تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٢٣٣، والتيسير في القراءات السبع/١٨٨، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٦٢، وإتحاف فضلاءالبشر/٣٧٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/٤١١.

(٤) ينظر: المقتضب ٣/٢٨٦.

(٥) الكشاف ٣/٣٨٠.

(٦) ينظر: معاني القرآن ١/٧١.

(٧) ينظر: مجاز القرآن ٢/١٨٦.

(٨) ينظر: إعراب القرآن ٣/٤٧١.

(٩) ينظر: الكشاف ٣/٣٨٠، وينظر: التفسير الكبير ٢٦/٢٢٣، والبحر المحيط ٧/٤٠٧، والتسهيل ٣/١٨٨، وتفسير أبي السعود ٧/٢٣٣، وروح المعاني ٢٣/٢١٨.

للإضراب والانتقال من توبيخ أنفسهم على الاستسخار إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير. وإليه أشار الزمخشري [(١)]، وأبو حيان [(٢)]، وأبو السعود [(٣)]، والآلوسي [(٤)].

وقدّرها أبو عبيدة بـ "بل" وحدها حيث قال: (ومن لم يستفهم ففتحها على القطع فإنها خبر ومجازها مجاز بل) [(٥)]. وهذا من أغرب ما ورد عن أبي عبيدة حيث لايوجد فعل من هذه المادة بهذا الوزن بهمزة القطع، وإنما الهمزة المفتوحة هي همزة الاستفهام.

وعلى قراءة الوصل ثلاثة أقوال:

١ - أن تكون منقطعة بمعنى "بل والهمزة"، أي: بل أزاغت، حيث جاءت بعد الخبر، وهي كقولهم: إنها لإبل أم شاء. فكأنهم أضربوا عن إنكار الاستسخار بهم إلى إنكار أنهم جعلوهم محقرين لاينظر إليهم. وإليه أشار النحاس [(٦)]، والزمخشري [(٧)]، وابن جزي [(٨)]، وأبو حيان [(٩)]، وغيرهم.

وقدرها الفراء [(١٠)] بالألف - كما يظهر من كلامه - والقرطبي [(١١)] بـ "بل" وحدها.

---

(١) ينظر: الكشاف ٣/٣٨٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧/٤٠٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٣٢.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٣/٢١٨.

(٥) مجاز القرآن ٢/١٨٦.

(٦) ينظر: إعراب القرآن ٣/٤٧١.

(٧) ينظر: الكشاف ٣/٣٨٠.

(٨) ينظر: التسهيل ٣/١٨٨.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٧/٤٠٧. وينظر: روح المعاني ٢٣/٢١٨.

(١٠) معاني القرآن ١/٧١.

(١١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٢٥.

٢ ـ أن تكون متصلة، حيث جوز الزمخشري[١] ذلك بتقدير همزة محذوفة لدلالة الاستفهام عليها، وهذا كقول الشاعر:

. . . . بسبع رمين الجمر أم بثمان[٢]

أي: أبسبع، ووافقه العكبري[٣]، وأبو حيان[٤].

٣ ـ أن تكون متصلة، معادلة لـ "ما" المتضمنة معنى الهمزة في قوله: {مالنا لانرى....} والتقدير: أتفقدونهم أم زاغت عنهم الأبصار. واختار هذا الرأي الطبري[٥] وأشار إليه القيسي[٦]، والرازى[٧]، والعكبري[٨]، وغيرهم.

وإذن فاحتمالها للاتصال قائم على كلتا القراءتين. والأرجح أن تكون منقطعة. لأن الهمزة كما ذكرنا ليست للاستفهام، كما أن الفعلين قد تحققا فلا يحتاج إلى تعيين فيهما. وأما قولهم إن "ما" متضنة للهمزة فلايُذهب إليه لأن شرط المتصلة تقدم الهمزة وليس ما تضمن معناها. ثم إن ما بعدها جملة. وقد سبق من أمثال ذلك الكثير.

* * *

---

(١) الكشاف ٣/٣٨٠.

(٢) قد تقدم ذكره.

(٣) التبيان ٢/١١٠٦.

(٤) البحر المحيط ٧/٤٠٧.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٣/١٨١.

(٦) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/٢٥٤.

(٧) ينظر: التفسير الكبير ٢٦/٢٢٣.

(٨) ينظر: التبيان ٢/١١٠٦، والتسهيل ٣/١٨٨، وتفسير أبي السعود٧/٢٣٣، وروح المعاني ٢٣/٢١٨.

{قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ}[١]

في قوله {أَسْتَكْبَرْتَ} قراءتان:

الأولى: قرأ الجمهور بهمزة الاستفهام {أَسْتَكْبَرْتَ}.

الثاني: قرأ[٢] ابن محيصن[٣] بوصل الألف {اسْتَكْبَرْتَ}.

فعلى القراءة الأولى تكون ("أم" متصلة معادلة لهمزة الاستفهام، ومعنى الهمزة التقرير والتوبيخ، والتقدير: أستكبرت بنفسك حين أبيت عن السجود لآدم، أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبّرت لهذا)[٤]. قاله القرطبي، وإليه أشار أبو حيان[٥]، (إلا أن ابن عطية نقل عن كثير من النحويين أن "أم" لاتكون معادلة للألف مع اختلاف الفعلين، وإنما تكون معادلة إذا دخلت على فعل واحد كقولك: أزيد قام أم عمرو؟ وقولك: أقام أزيد أم عمرو؟ فإذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة)[٦]، إلا أن أبا حيان ردّه (بأنه مذهب غير صحيح لقول سيبويه[٧]: أضربت زيداً أم قتلته.. كأنك قلت أي ذلك كان، فعادل بـ "أم" الألف مع اختلاف الفعلين)[٨]، ويحتمل أن تكون منقطعة كقولك: أقمت أم قعدت.

وعلى القراءة الثانية فـ "أم" فيها قولان:

---

(١) سورة ص/٧٥.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٣٠، وينظر: إتحاف فضلاء البشر/٣٧٤.

(٣) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير. قال ابن مجاهد: وكان ممن تجرد للقراءة وقام بها في عصر ابن كثير محمد بن عبد الرحمن ابن محيصن، وكان نحوياً يقرأ القرآن على ابن مجاهد. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة وقيل غيره.

ينظر: غاية النهاية ١٦٧/٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٥. «بتصرف».

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤١٠/٧، والتسهيل ١٨٩/٣، وتفسير أبي السعود ٢٣٦/٧، وروح المعاني ٢٢٦/٢٣.

(٦) البحر المحيط ٤١٠/٧.

(٧) الكتاب ١٧١/٣.

(٨) البحر المحيط ٤١٠/٧.

الأول: أن تكون منقطعة، وماقبلها ﴿اسْتَكْبَرْتَ﴾ مخبراً به كقولهم: إنها لإبل أم شاء. ومعنى "أم" بل والهمزة على سبيل التقريع للاستخفاف به، أي: بل أأنت من العالين. وإليه أشار الزمخشري[١] ، وأبو حيان[٢] .

الثاني: أن تكون متصلة، وحذف حرف الاستفهام لدلالة "أم" عليه، كقوله:

.... بسبع رمين الجمر أم بثمان[٣]

وإليه أشار الزمخشري[٤] ، وأبوحيان[٥] .

وعلى هذا فـ "أم" منقطعة لعدم توافر شرطي الاتصال وهما: أن تسبق بهمزة الاستفهام، وأن تقع بين مفردين أو جملتين في تأويل مفردين.

* * *

---

(١) ينظر: الكشاف ٣٨٢/٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤١٠/٧. وينظر: روح المعاني ٢٢٧/٢٣.

(٣) تقدم ذكره.

(٤) ينظر: الكشاف ٣٨٣/٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤١٠/٧، وينظر: روح المعاني ٢٢٧/٢٣.

{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[(١)]

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ} قرأ الحرميان، وحمزة بتخفيف {أَمَن}، وقرأ الباقون بتشديدها[(٢)].

فعلى القراءة الأولى {أَمَن} وجهان:

الأول: أن تكون الهمزة للاستفهام، داخلة على "مَنْ" الموصولة، والجواب محذوف تقديره: أمَنْ هو قانت يفعل كذا كمن هو على خلاف ذلك، وعلى هذا فالآية خارجة عن موضوعنا.

أو أمَن هو قانت آناء الليل أفضل أم من جعل لله أندادًا، ودل على المحذوف، قوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} فتكون أم ومعادلها محذوفين. وإليه أشار الفراء[(٣)]، والنحاس[(٤)]، وابن الأنباري[(٥)].

الثاني:(أن تكون الهمزة للنداء، وتقديره: يامَنْ هو قانت آناء الليل أبشر فإنك من أصحاب الجنة، لأن ما قبله دل عليه، وهو قوله تعالى: {إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ})[(٦)]، وهذا أقوى[(٧)]؛ لأن في الأول لابد من تقديرالحذف للخبر أوللمعادل مع"أم".

(١) سورة الزمر/٨،٩.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر/٣٨٤، والتيسير في القراءات السبع/١٨٩.

(٣) ينظر:معاني القرآن ٢/٤١٦.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ٤/٥.

(٥) ينظر: البيان ٢/٣٢٢، وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٢٣٧، والكشاف ٣/٣٩٠، والتفسير الكبير ٢٦/٢٥٠، والبحر المحيط ٧/٤١٨.

(٦) البيان ٢/٣٢٢، وينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/٤١٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٥٨، وإعراب القرآن / للنحاس ٤/٥.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٢٣٧.

وعلى القراءة الثانية "أم" أيضًا فيها وجهان:

الأول: أن تكون متصلة، و "من" بمعنى الذي، إذ لايدخل استفهام على استفهام، ومعادلها محذوف قبلها تقديره: العاصون ربهم خير أم من هو قانت، ودل على المحذوف أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.وإليه أشار الفراء[(١)]، والزمخشري[(٢)]، وابن الأنباري[(٣)].

إلا أن أبا حيان قال: (ويحتاج مثل هذا التقدير إلى سماع من العرب وهو أن يحذف المعادل الأول)[(٤)]. وقد أشرنا إليه سابقًا لكن الآلوسي[(٥)] يرى أنه لابأس من حذفه إذا ظهر المعنى، وهذا موافق لابن القيم[(٦)]، والسهيلي[(٧)] من قبله.

الثاني: أن تكون منقطعة، وتقدر بـ "بل والهمزة" وتقديره: (بل أمن هو قانت أفضل مما ذكر. و "من" بمعنى الذي)[(٨)]. قاله النحاس، ووافقه العكبري[(٩)]، وأبوحيان؛ إلا أنه قدر الخبر(إنك من أصحاب الجنة لدلالة ماقبله عليه وهو ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ إذ لافضل لمن قبله حتى يجعل هذا أفضل)[(١٠)].

وفي كلا الوجهين تقدير سواء كانت منقطعة أم متصلة، وإذن فلا مرجح.

* * *

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٢/٤١٧.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٣٩٠.

(٣) ينظر: البيان ٢/٣٢٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/٢٥٨، والتفسير الكبير ٢٦/٢٥٠، والتبيان ٢/١١٠٩، والبحر المحيط ٧/٤١٨.

(٤) البحر المحيط ٧/٤١٩.

(٥) ينظر: روح المعاني ٢٣/٢٤٦.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد ١/٢٠٦.

(٧) ينظر: نتائج الفكر/٣٦١.

(٨) إعراب القرآن ٤/٥.

(٩) ينظر: التبيان ٢/١١٠٩، وينظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٤٥.

(١٠) البحر المحيط ٧/٤١٩.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ. أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾[1]

﴿أَمِ اتَّخَذَ﴾ فيها قولان:

الأول: أن تكون منقطعة، وفيها معنيان:

١ ـ معنى "بل والهمزة" و "بل" للإضراب والانتقال من بطلان أن يكون لله ولد إلى بطلان أن يكون ذلك الولد من الإناث، لأنهم أنفر خلق الله من الإناث قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2] فكيف يزعمون أن الله اتخذ لنفسه ما هم يكرهونه لأنفسهم. والتقدير: بل اتخذ[3].

٢ ـ معنى الهمزة فقط أي: أتخذ، ومعنى الهمزة التوبيخ، وإليه أشار الطبري[4]، والقرطبي[5].

ولايجوز أن تكون بمعنى "بل" لأن بل تثبت ما بعدها أي: إن الله اتخذ الملائكة بناتًا، وهذا كفر وتعالى الله عن ذلك[6].

الثاني: أن تكون متصلة: وبه قال ابن القيم، وذلك بتقدير معادل محذوف. وإليه أشار سيبويه[7]، لكن الصحيح هو الأول وهو ما أجمع عليه المفسرون كما تقدم.

*   *   *

(١) سورة الزخرف/١٥، ١٦.

(٢) سورة الزخرف/١٧.

(٣) ينظر: الكشاف ٤٨١/٣، والبيان ٣٥٣/٢، وشرح اللمحة البدرية ٣١٨/٢، وتفسير أبي السعود ٤٢/٨.

(٤) ينظر: جامع البيان ٥٦/٢٥.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧٠/١٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ينظر: الكتاب ١٧٣/٣.

{وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. أَمْ آتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ}[1]

"أم" في قوله: {أَمْ آتَيْنَٰهُمْ} فيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة، بمعنى "بل والهمزة"، والتقدير: بل أآتيناهم[2]، حيث أضرب الله عز وجل مبطلاً عن نفي أن يكون لهم سند من جهة العقل إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل، فقال: {أَمْ آتَيْنَٰهُمْ}.

الثاني: أن تكون متصلة، قال القرطبي: وهذا معادل لقوله: {... أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ...}[3]، والمعنى: أحضروا خلقهم أم آتيناهم كتابًا من قبله، أي من قبل القرآن، بما ادعوه، فهم به متمسكون يعملون بما فيه[4]. وهذا بعيد من حيث المعنى والسياق، والأولى هو الوجه الأول الذي جرى عليه أكثر المفسرين من أنها منقطعة بمعنى بل والهمزة.

*   *   *

---

(١) سورة الزخرف/٢٠،٢١.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي/٦٤٩، وروح المعاني ٢٥/٧٣.

(٣) سورة الزخرف/١٩.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/٧٤.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾(١)

دار حول هذه الآية الكريمة جدل ونقاش طويلان في كتب النحو والتفسير، واختلفت وجهات النظر في تحديد انتماء "أم" فيها إلى أي القسمين الاتصال أو الانقطاع؛ ذلك أنها سبقت بهمزتي استفهام، الأولى: داخلة على جملة ﴿لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾، والثانية: على جملة ﴿فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ثم إن ما بعدها ليس هو المعادل لما قبلها، ذلك أن المعادل المعهود في اللغة إما أن يتفق مع ما قبلها في الاسمية والفعلية، وإما أن يختلف مع إمكان تحويل أحدهما إلى مثيل الآخر، وأيضًا فما بعدها جملة والمعهود أن ما بعد المتصلة مفرد.

وإزاء هذه السمات الخاصة لتلك الآية وردت آراء العلماء كأنها متضاربة، فمن نظر إلى سبق همزة الاستفهام الأولى جعلها متصلة على معنى "أي" فكأن فرعون يعادل بين عدم ملكه لمصر حيث بدا في الأفق من ينازعه إياه، وملكه لها حيث هو خير ممن ينازعه إياه في زعمه، فجملة ﴿لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ معادلة لجملة ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ على هذا المعنى، وهذا الرأي أشار إليه الفراء في معاني القرآن(٢) بقوله: (وإن شئت رددته على قوله ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾، ونسبه القرطبي إليه أيضًا مفسرًا الرد بالنسق حيث قال: (وإن شئت جعلتها نسقًا على قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾)(٣).

ومن نظر إلى سبق همزة الاستفهام الثانية في قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ جعلها متصلة أيضًا ولكن على معنى المعادلة بين عدم الإبصار والإبصار غير أن ما بعد "أم" ليس فيه لفظ الإبصار؛ ومن هنا اختلفوا هل وضعت جملة ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع جملة ﴿تُبْصِرُونَ﴾ على أن ظن فرعون أنهم إن كانوا بصراء عرفوا أنه خير من منافسه أو أن المعادل هنا محذوف تقديره "أم تبصرون"، وجملة ﴿أَمْ أَنَا

(١) سورة الزخرف/٥١، ٥٢.

(٢) ٣ / ٣٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٩٩.

﴿خَيْرٌ﴾مستقلة.

بالرأي الأول قال سيبويه[١]، والخليل[٢]، وتبعهما الزمخشري[٣]، وذكره الأخفش[٤] ـ نقلاً عن بعضهم ـ وابن هشام في "المغني"[٥]، والسيوطي في "الهمع"[٦]، وأيد نسبة هذا الرأي إلى سيبويه أبو حيان في "البحر"[٧]، وناقشه فيه، وكذلك الآلوسي في "روح المعاني"[٨].

أما الرأي الثاني القائل بحذف المعادل فقد حكاه الفارسي عن الأخفش في كتابه "المسائل المنثورة"[٩]، وليس في معاني الأخفش، والتقدير كما قال: أفلا تبصرون أم تبصرون. فحذف "أم تبصرون" لدلالة ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عليه، لأنه نقيضه وجملة ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ مبتدأ كلام، ثم عقب الفارسي (بأن هذا الرأي قريب من كلام الخليل، لأن الخليل قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ بمنزلة "تبصرون"، وقال أبو الحسن: "هو بمنزلة "أم تبصرون")[١٠].

وأقول: إما أنه قريب من رأي الخليل فمن حيث المعنى فقط لأن ما حُكي عن الأخفش أن جملة ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾مبتدأ كلام، وليس بمنزلة "أم تبصرون".

وكذلك نسب القرطبي[١١]، هذا الرأي إلى الأخفش، وقد ناقش أبو حيان هذا الرأي حيث رفضه (لأنه لم يعهد حذف المعطوف مع بقاء العاطف، وإنما يُحذف

---

(١) ينظر: الكتاب ١٧٣/٣.

(٢) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٢.

(٣) ينظر: الكشاف ٤٩٢/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن ٢٩/١.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ٤٣/١.

(٦) ينظر: همع الهوامع ٢٤١/٥.

(٧) ينظر: البحرالمحيط ٢٢/٨.

(٨) ينظر: روح المعاني ٩٠/٢٥.

(٩) ينظر: ص١٩١.

(١٠) المسائل المنثورة/١٩٢. «بتصرف»

(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٦.

المعادل بعد أم لا، فأما حذفه دون "لا" فليس من كلامهم)[(١)]، كما ناقش أبو حيان رأي سيبويه في قوله: إنها متصلة، وأن جملة {أَنَا خَيْرٌ} في معنى "تبصرون" فتكون معادلة حيث قال: (وهذا القول متكلف جداً إذ المعادل إنما يكون مقابلاً للسابق فإن كان السابق جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية أو اسمية يتقدر منها فعلية كقوله: {أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ}[(٢)] لأن معناه أم صممتم. أما هنا فلايتقدر منها جملة فعلية لأن قوله {أم أنا خير} ليس مقابلاً لقوله: {أَفَلَا تُبْصِرُونَ})[(٣)].

ومن العلماء من نظر إلى جملة {أَمْ أَنَا خَيْرٌ} على أنها مستقلة منفصلة عما قبلها ابتدأ بها فرعون كلاماً جديداً على أساس أن "أم" متصلة أيضاً وأن همزة الاستفهام مقدرة هي والمعادل كأنه قال: "أهو خير أم أنا خير". وهذا الرأي هو الذي صدّر به الفراء كلامه عن الآية في معانية حيث قال: (من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله)[(٤)] أي أن كلاماً قبله محذوف هو المعادل، وقد حكاه النحاس في إعرابه[(٥)]، والقرطبي[(٦)] في تفسيره كلام الفراء هذا، كما وافقهم ابن القيم[(٧)]، وقد فسره الطبري بتقدير آخر، إذ قدر المعادل بعد لا قبل، حيث قال: (وقال بعض نحويي الكوفة هو من الاستفهام االذي جُعل بـ"أم" لاتصاله بكلام قبله، ويكون معنى الكلام: أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين أم هو؟ ثم ترك ذكر أم هو؟ لما في الكلام من الدليل عليه، ثم قال: وهذا أولى التأويلات)[(٨)].

ومن العلماء من رأى أن "أم" في هذه الآية منقطعة، ومن أوائل من قطع بهذا

---

(١) البحر المحيط ٢٣/٨.

(٢) سورة الأعراف/١٩٣.

(٣) البحر المحيط ٢٢/٨.

(٤) معاني القرآن ٣٥/٣.

(٥) ينظر: إعراب القرآن ١١٣/٤.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٦.

(٧) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٧/١.

(٨) جامع البيان ٨١/٢٥، ٨٢.

الرأي ابن الأنباري في كتابه "البيان في إعراب القرآن" حيث قال: (أم، ههنا المنقطعة لأنه لو أراد المعادلة لقال: أم تبصرون. لكنه أضرب عن الأول بقوله: ﴿أنا خير﴾ فلما كان فيه معنى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ﴾ لم تكن "أم" المعادلة للهمزة)[(١)].

ومنهم أيضًا ابن شُقير، غير أنه جعل لها شكلاً ومضمونًا فقال: (مخرجها منقطعة، ومعناها متصلة، أي: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء)[(٢)]، وقد تبعه العكبري حيث قال: (منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها، وهي في المعنى متصلة معادلة، إذ المعنى أنا خير منه أم لا)[(٣)].

كما قال المبرد (فإنما تأويلها ـ والله أعلم ـ: (أنه قال: أفلا تبصرون أم أنا خير؟ على أنهم لو قالوا له: أنت خير لكانوا عنده بصراء، فكأنه قال: أفلا تبصرون أم تبصرون. وهذه "أم" المنقطعة، لأنه أدركه الشك في بصرهم)[(٤)].

وجوز انقطاعها الزمخشري أيضًا حيث قال في الكشاف: (ويجوز أن تكون منقطعة على "بل أأنا خير" والهمزة للتقرير، كأنه قال: أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي)[(٥)]، وهذا الرأي هو الظاهر عند أبي حيان[(٦)]، والزركشي[(٧)]، والآلوسي[(٨)].

بعد هذه الجولة في آراء الأئمة تتوقف الباحثة عند فهم الزركشي في "البرهان"[(٩)]، والبغدادي في "الخزانة"[(١٠)]، والصبّان[(١١)] على شرح الأشموني لكلام

(١) البيان ٢/٣٥٤.

(٢) الجمل/ ٣٢٠، ٣٢١ تحقيق: د/ فخر الدين قباوة.

(٣) التبيان ٢/ ١١٤٠.

(٤) المقتضب ٣/٢٩٥، ٢٩٦.

(٥) الكشاف ٣/٤٩٢.

(٦)ينظر: البحر المحيط ٨/٢٢.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/١٨٢، ١٨٣.

(٨) ينظر: روح المعاني ٢٥/٩٠.

(٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/١٨٢، ١٨٣.

(١٠) ينظر: خزانة الأدب ١١/٦٣.

(١١) ينظر: حاشية الصبان ٣/١٠٥.

سيبويه على أنه يرى أن "أم" منقطعة. ولم يخطىء من قال: إن سيبويه يقول: إن "أم" متصلة، ولامن قال: إن سيبويه يقول: إنها منقطعة. فبالاتصال قياساً على قوله تعالى{... أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ}[1]، وبالانقطاع قياساً على قولك: أزيد عندك أم لا؟.

يقول الزركشي: (والمشهور أنها منقطعة لأنه لايسألهم عن استواء علمه في الأول والثاني لأنه إنما أدركه الشك في تبصرهم بعد ما مضى كلامه على التقرير، وهو مثبت، وجواب السؤال "بلى" فلما أدركه الشك في تبصرهم، قال {أَمْ أَنَا خَيْرٌ}.

وسأل ابن طاهر شيخه أبا القاسم بن الرّماك: لِمَ لم يجعل سيبويه أم متصلة! أي: "أفلا تبصرون، أم تبصرون؟" أي: أي هذين كان منكم؟ فلم يُحر جوابًا، وغضب وبقي جمعة لايقرر حتى استعطفه.

والجواب من وجهين: أحدهما أنه ظن أنهم لايبصرون، فاستفهم عن ذلك، ثم ظن أنهم يبصرون، لأنه معنى قوله: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ}. فأضرب عن الأول واستفهم، وكذلك: أزيد عندك أم لا؟

والثاني: أنه لوكان الإبصار وعدمه عنده متعادلين لم يكن للبدء بالنفي معنى، فلايصح إلا أن تكون منقطعة)[2].

فلو كان الزركشي يدافع عن رأي الانقطاع لما كان هناك توقف، لكنه ينسب هذا الرأي إلى سيبويه، ويعلل له بجوابين بالرغم من كل ما سبق من فهم العلماء لكلام سيبويه واعتراضهم عليه في جعله لها متصلة.

ويقول البغدادي في الخزانة: (وقول سيبويه في الآية إن "أم" منقطعة، قال: كأن فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء)[3].

---

(١)سورة الأعراف/١٩٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١٨٢/٤، ١٨٣.

(٣) خزانة الأدب ٦٣/١١.

والغرابة هنا أشد لأن التقدير الذي ذكره يجعلها متصلة لا منقطعة، وليس في كلام سيبويه ما يساعده على أنها منقطعة.

أما الصبان في شرحه على الأشموني فإنه يفهم رأي سيبويه من قاعدة أخرى لامن كلامه على هذه الآية، فيقول: (والذي نص عليه سيبويه أنها منقطعة فإنه قال ما حاصله: أنه إذا كان ما بعد "أم" نقيض ما قبلها فهي منقطعة، نحو: أزيد عندك أم لا؟ وذلك لأن السائل لو اقتصر على قوله أزيد عندك؟ لاقتضى استفهامه هذا أن يجاب بنعم أو لا، فقوله: أم لا مستغنى عنه في تتميم الاستفهام الأول، وإنما يذكره الذاكر ليبين أنه عرض له ظن نفي أنه عنده فاستفهم عنه كما كان قد عرض له ظن ثبوت أنه عنده فاستفهم عنه، وكذا في الآية لو اقتصر على قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لاستدعى أن يقال له نبصر أو لانبصر. فكان في غنية عن ذكر ما بعده لكنه أفاد بقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ أنه عرض له ظن إبصارهم بعد ما ظن أولاً عدمه)[(١)].

وهنا أسأل: أين كلام سيبويه الذي اعتمد عليه الصبان، أغلب الظن أنه القياس على قاعدة سبق لسيبويه أن تعرض لها بعيداً عن الآية، يدل على ذلك قوله:(وكذا في الآية) وهذه عبارة الصبان لاعبارة سيبوية، ولعله أخذ ذلك من ذكر سيبويه لذلك المثال: أزيد عندك أم لا ؟ كما أن سيبويه ذكر هذه الآية في باب "أمْ" المنقطعة وأوردها مع مثال ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[(٢)] حيث قال: (ومثل ذلك: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ كأن فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء. فقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ بمنزلة "أم أنتم بصراء"، لأنهم لو قالوا: أنت خير منه كان بمنزلة قولهم: نحن بصراء عنده وكذلك: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ بمنزلته لوقال: أم أنتم بصراء)[(٣)]. فسيبويه وإن كان وضعها في باب المنقطعة إلا أنها مقحمة في هذا الموضع بدليل أنه عندما حل معناها حلّه على أن "أم" متصلة.

---

(١) حاشية الصبان ٣/١٠٥.

(٢) سورة السجدة/٣.

(٣) الكتاب ٣/١٧٣.

وإذا كان لي من ترجيح لهذه الآية فإني أضعها في باب "أم" المنقطعة بمعنى بل فقط، فبعد ما أضرب عن قوله {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} قال: {أَنَا خَيْرٌ}. مثبتًا خيريته وفاقًا لما ذهب إليه السدي[(١)] ، وأبو عبيدة[(٢)] .

أما أبو زيد[(٣)] الأنصاري فقال: إن "أم زائدة، والتقدير: أفلا تبصرون أنا خير"، والأولى أن لاتحمل على الزيادة لأن ابن عصفور[(٤)] خص زيادتها بالشعر، وأنها قليلة، ولاينبغي أن تحمل عليها الآية، لأنه يمكن حملها على ما هو أحسن من ذلك، وهو الانقطاع كما ذكرنا[(٥)] ، ولاداعي لأن نجعل زيادة في القرآن.

و لـ "أم" في هذه الآية قراءة أخرى وهي "أما أنا خير". قال الفراء: (وقد أخبرني بعض المشيخة أظنه الكسائي أنه بلغه أن بعض القراء قرأ "أما أنا خير" وقال لي هذا الشيخ: لو حفظت الأثر فيه لقرأت به، وهو جيد في المعنى)[(٦)] ، فقال الطبري تعليقًا على هذا: (ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار لكانت صحيحة، وكان معناها حسنًا، غير أنها خلاف ما عليه قراء الأمصار، فلا أستجيز القراءة بها، وعلى هذه القراءة لوصحت لاكلفة له في معناها ولامؤنة)[(٧)] .

وعلى هذه القراءة فلا شاهد في الآية.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٦.

والسدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن، تابعي مفسر سكن الكوفة. وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة. وقيل ثمان وعشرين ومائة. ينظر الأعلام ٣١٧/١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢٠٤/٢.

(٣) هو سعيد بن أوس بن ثابت الإمام المشهور. كان إمامًا نحويًا صاحب تصانيف أدبية ولغوية، وغلبت عليه اللغة والنوادر، توفي سنة خمس عشرة ومائتين. وقيل غير ذلك.

ينظر: مراتب النحويين/ لأبي الطيب اللغوي/٧٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وغاية النهاية ٣٠٥/١، وبغية الوعاة ٥٨٢/١.

(٤) ينظر: ضرائر الشعر/٧٥تحقيق: السيد إبراهيم محمد.

(٥) ينظرخزانة الأدب ٦٣/١١.

(٦) معاني القرآن ٣٥/٣. وذكر ابن خالويه هذه القراءة عن الفراء في كتابه «مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع»/١٣٧.

(٧) جامع البيان ٨١/٢٥.

{هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ. أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}(١)

"أم" في قوله {أَمْ حَسِبَ} فيها وجهان:

الأول: الانقطاع، وتكون إما بمعنى "بل" والهمزة للإنكار، أي: بل أحسب(٢). فبعد ما بين الله حال الظالمين والمتقين انتقل إلى بيان حالي المسيئين والصالحين، ونفى أن يكون بينهما تسوية في المحيا أو في الممات وكذلك في الجزاء.

وإما أن تكون بمعنى الهمزة للإنكار، أي: أحسب، قاله الجمل(٣).

الثاني: الاتصال، وذلك بتقدير معادل محذوف، أي: (والله ولي المتقين، أفيعلم المشركون ذلك أم حسبوا أن نسوّي بينهم؟)(٤)، وإليه ذهب الرازي(٥)، والقرطبي(٦)، وابن القيم(٧).

والانقطاع أظهر، بمعنى بل والهمزة، ولاتحمل على الاتصال لعدم توافر شرطيه.

* * *

---

(١) سورة الجاثية/٢٠، ٢١.

(٢) ينظر: الكشاف ٥١١/٣، والبحر المحيط ٤٦/٨، وتفسير أبي السعود ٧٢/٨، وروح المعاني ١٤٩/٢٥.

(٣) الفتوحات الإلهية ١١٧/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١٦.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٢٦٧/٢٧.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١٦.

(٧) ينظر: بدائع الفوائد ٢٠٨/١.

{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[(١)]

أي قل لهم يامحمد: ماالذي فعلته هذه الأصنام حتى أصبحت مستحقة لعبادتكم: هل خلقت شيئًا من الأرض أم لها شركة مع الله عز وجل في خلق السموات{ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ} تثبت أحقيتهم للعبادة، وما هذا إلا تبكيت لهم وتعجيز عن الإتيان بسند نقلي بعد تعجيزهم عن الإتيان بسند عقلي، وبهذا فلا حجة لهم على عبادتهم تلك الجمادات.

فـ "أم" منقطعة بمعنى "بل والهمزة" أي: بل ألهم[(٢)]، والمراد نفي استحقاق آلهتهم للعبودية على أتم وجه، فقد نفى أولاً مدخليتها في خلق شيء من أجزاء العالم السفلي، وثانيًا: مدخليتها على سبيل الشركة في خلق شيء من أجزاء العالم العلوي، ونفي ذلك يستلزم نفي استحقاق العبودية. ولايمكن أن تقدر بـ"بل" وحدها حتى لايؤدي إلى ثبوت ما بعدها.

وقيل: الأظهر أن تجعل الآية من حذف معادل "أم" المتصلة لوجود دليله، والتقدير: ألهم شرك في الأرض أم لهم شرك في السموات[(٣)]، وهذا موافق لما قاله ابن القيم، إلا أنه لاداعي لتقدير معادل محذوف وهمزة استفهام حتى تحمل على الاتصال مادام المقام لايحتاج إليه.

* * *

---

(١) سورة الأحقاف/٤.

(٢) البحر المحيط ٨/٥٥.

(٣) ينظر: روح المعاني ٢٦/٥.

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}[(١)]

"أم" فيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة. أي ألا يتصفحون ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لايقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات {أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} فلايصل إليها شيء منه، فـ "بل" للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكونها مقفلة لاتقبل التدبر، والهمزة للتقرير، حتى تسجل ما عليه قلوبهم من إدبار عن القرآن. والتقدير: بل أعلى قلوبهم أقفال[(٢)]. وقدرها القرطبي بـ "بل" فقط[(٣)].

الثاني: أن تكون متصلة، وبه قال الرازي[(٤)]، والآلوسي، حيث قال الآلوسي:(وكأنه قيل: أفلا يتدبرون القرآن إذ وصل إلى قلوبهم أم لم يصل إليها فتكون "أم" متصلة على مذهب سيبويه)[(٥)] أي في مثل قوله تعالى: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ}[(٦)].

والانقطاع أرجح كذلك للبعد عن التقديرات ولإبراز معنى التهكم بهم.

*　*　*

(١) سورة محمد/٢٤.

(٢) ينظر: الكشاف ٥٣٦/٣، والبحر المحيط ٨٣/٨، وتفسير أبي السعود ٩٩/٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٦.

(٤) ينظر: التفسير الكبير ٦٥/٢٨.

(٥) ينظر: روح المعاني ٧٤/٢٦.

(٦) سورة الزخرف/٥٢.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾(١)

"أم" فيها قولان:

الأول: أن تكون منقطعة، بمعنى "بل والهمزة" أي بل أحسب المنافقون أن الله لن يظهر ما في قلوبهم من حقد وعداوة للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين، فتبقى أمورهم مستورة، وهذا لن يحصل، بل سيبرزهم الله على حقيقتهم. وإليه أشار أبو السعود(٢)، والآلوسي(٣).

وقدرها الطبري بالهمزة فقط، أي: (أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم أن لن يخرج الله أحقادهم)(٤).

الثاني: أن تكون متصلة، وبه قال الرازي، فقدر المعادل المحذوف بقوله: (أحسب الذين كفروا أن لن يعلم الله أسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها، والكل قاصر، وإنما يعلمها ويظهرها. ويؤيد هذا أن المنقطعة لاتكاد تقع في صدر الكلام)(٥). وممن قال باتصالها أيضاً ابن القيم كماذكرنا من قبل.

والصحيح عندي هو الأول، ولم تقع في أول الكلام لأنه جيء بها للانتقال والإضراب عن الكلام السابق.

* * *

---

(١) سورة محمد/٢٨، ٢٩.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ١٠٠/٨.

(٣) ينظر: روح المعاني ٧٦/٢٦، ٧٧.

(٤) جامع البيان ٦٠/٢٦.

(٥) التفسير الكبير ٦٩/٢٨.

﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

"أم" في قوله ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ فيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة. يقول ابن الأنباري: ("أم" ههنا المنقطعة لا المتصلة، لأنك قد أتيت بعدها بجملة اسمية تامة، كقولك: أزيد قائم أم عمرو قائم؟ ولو لم يكن بعدها جملة تامة لكانت متصلة كقولك: أزيد عندك أم عمرو؟)[2] والتقدير: بل أكنتم. (وقيل: إن أم بمعنى بل، أي بل كنتم لاتبصرون في الدنيا ولاتعقلون)[3].

الثاني: أن تكون متصلة. يقول الزمخشري: والمعنى (كنتم تقولون للوحي هذا سحر ، أفسحر هذا الذي ترونه أمامكم يريد أهذا المصداق أيضًا سحر أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم لاتبصرون في الدنيا فكنتم عميًا عن الخبر)[4]. وبه قال ابن عطية[5]، والرازي[6].

والأرجح عندي الانقطاع؛ لما قاله ابن الأنباري، ويقول الرضي أيضًا: (إن كانت الجملتان غير مشتركتين في جزء كقولك: أقام زيد أم قعد عمرو. فالمتأخرون على أنها منفصلة، وابن الحاجب والأندلسي جوزا الأمرين)[7].

* * *

---

(١) سورة الطور/١٤، ١٥.

(٢) البيان ٢/٣٩٤، ٣٩٥. وينظر: روح المعاني ٢٧/٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٦٤.

(٤) الكشاف ٤/٢٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٨/١٤٧.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ٢٨/٢٤٧.

(٧) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٠٨ «بتصرف».

{فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ. أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ. أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ. أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ. أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ. أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ. أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ. أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ. أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ. أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}(١)

ذكرت "أم" في هذه الآيات خمس عشرة مرة منقطعة بإجماع أكثر النحاة(٢)، والمفسرين(٣)، يقول ابن جني: (وقد توالت "أم" هذه في هذه المواضع من هذه السورة، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} أي: بل أيقولون ذلك ؟ {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} أي: بل أهم قوم طاغون؟ أخرجه مخرج الاستفهام، وإن كانوا عنده تعالى قوماً طاغين، تلعباً بهم وتهكماً عليهم، وهذا كقول الرجل لصاحبه الذي لايشك في جهله: أجاهل أنت؛ توبيخاً له، وتقبيحاً عليه)(٤).

وقد قرأ(٥) مجاهد(٦) "بل يأمرهم أحلامهم" كما قدر أبو عبيدة في بعض مواضع "أم" "بل" في قوله:{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ} و{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}(٧)، ووافقه

---

(١) سورة الطور/٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣.

(٢) منهم على سبيل المثال/ ابن يعيش في "شرح المفصل" ٩٨/٨ ، وابن هشام في "مغني اللبيب" ٤٤/١، وابن عقيل في "المساعد على تسهيل الفوائد" ٤٥٥/٢، والسيوطي في "الأشباه والنظائر" ٧٦/٤.

(٣) ومنهم: أبو حيان في "البحر المحيط" ١٥١/٨.

(٤) المحتسب ٢٩١/٢.

(٥) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٤٦، وجامع البيان ٣٢/٢٧.

(٦) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين، قرأ على عبد الله بن عباس، وأخذ عنه ابن كثير، مات سنة ثلاث ومائة على الراجح.

ينظر: معرفة القراء الكبار ٦٦/١، ٦٧، وغاية النهاية ٤١/٢.

(٧) ينظر: مجاز القرآن ٢٣٣/٢.

القرطبي[١]، أما الطبري فقدر "أم" في أغلب هذه المواضع بالهمزة الدالة على الإنكار[٢] إلا قوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ فقال: بل هم قوم طاغون. ذكره عن مجاهد.

وأما الإمام الرازي فحمل "أم" على الوجه الآخر وهو الاتصال، وقدر لها معادلاً محذوفًا قبلها[٣]، والسهيلي وابن القيم يعضدان هذا الرأي كما تكرر التنبيه عليه.

* * *

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ. أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾[٤]

"أم" في قوله: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ فيها قولان:

الأول: أن تكون منقطعة، ومعناها الإضراب عن اتباعهم التوهم الباطل والهوى إلى إنكار ماهو أفحش منه وهو أن يكون لهم ما يتمنونه من شفاعة آلهتهم مثلاً، أو أنهم سيظفرون بالحسنى عند الله يوم القيامة؛ لأن الأمر كله لله. وعلى كل فهي بمعنى "بل والهمزة" ـ كما تقدم ـ والتقدير: بل أللإنسان ما تمنى[٥]. وقدرها الرازي على أحد قوليه بالهمزة فقط فقال: (المشهور أن "أم" منقطعة معناه: أللإنسان ما اختاره واشتهاه؟)[٦].

الثاني: أن تكون متصلة، وإليه أشار الرازي فقال: (فإن قلت: هل يمكن أن

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٧.

(٢) جامع البيان ٣٢/٢٧-٣٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٢٥٦/٢٨-٢٦٧.

(٤) سورة النجم/٢٣، ٢٤.

(٥) ينظر: الكشاف ٣١/٤، والتبيان ١١٨٨/٢ وتفسير أبي السعود ١٥٩/٨، وروح المعاني ٥٨/٢٦.

(٦) التفسير الكبير ٣٠٢/٢٨.

تكون "أم" ههنا متصلة؟ نقول: نعم والجملة الأولى حينئذ تحتمل وجهين:

أحدهما: أنها مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾[١]، كأنه قال: ألكم الذكر وله الأنثى على الحقيقة أو تجعلون لأنفسكم ما تشتهون وتتمنون، وعلى هذا فقوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[٢]، وغيرها جمل اعترضت بين كلامين متصلين.

ثانيهما: أنها محذوفة، وتقرير ذلك ... أنه حين قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[٣] أي يستحقان العبادة أم للإنسان أن يعبد ما يشتهيه طبعه وإن لم يكن يستحق العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي هل له أن يعبد بالتمني والاشتهاء، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ أي عبدتم بهوى أنفسكم ما لايستحق العبادة فهل لكم ذلك)[٤].

فالراجح أن تكون منقطعة بمعنى "بل والهمزة". أما تقديرها على الاتصال، فلا يصار إليه لبعد المعادل مرة، ولعدم الحاجة إلى التقدير مرّة أخرى.

* * *

(١) سورة النجم/٢١.

(٢) سورة النجم/٢٢.

(٣) سورة النجم/١٩.

(٤) التفسير الكبير ٢٨/٣٠٢.

{أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ}[١]

أي أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها أن يتحمل صاحبه عنه ذنوبه يوم القيامة {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ} بل ألم يخبر بما جاء في صحف موسى وإبراهيم إذ كان الرجل لايؤخذ بذنب غيره في شريعتهما.

فـ "أم" فيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة بمعني "بل والهمزة"، وإليه أشار ابن الأنباري[٢]، وأبو حيان[٣]، والآلوسي[٤]، وأن تكون بمعنى الهمزة وحدها أي: ألم يخبر، والهمزة للتقرير، وقدرها بذلك الفراء[٥] فيما يبدو من كلامه.

الثاني: أن تكون متصلة، ومعادلها الأول قوله: {أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ}، وإليه أشار ابن الأنباري[٦].

* * *

(١) سورة النجم/٣٥، ٣٦.

(٢) ينظر: البيان ٢/٣٩٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٨/١٦٧.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٧/٦٥.

(٥) معاني القرآن ٣/١٠١.

(٦) ينظر: البيان ٢/٣٩٩.

{أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ. أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ. أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ. أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ.أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ}(١)

قوله: {أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ} وما بعدها من آيات يجوز فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون قوله {أَنتُمْ} مبتدأ، والجملة بعده خبر. وإليه أشار أبوحيان(٢).

الثاني: أن يكون {أَنتُمْ} فاعلاً لفعل محذوف والتقدير: أتخلقونه أنتم. فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل عنه الضمير، واختاره أبو حيان(٣)، وابن هشام(٤)؛ (لأن الاستفهام بالفعل أحق منه بالاسم، لأن الاستفهام عما يشك فيه وهو الأحوال لأنها تتجدد وأما عن الذوات فقليل، وقد يقال لاينبغي في هذه الآية ترجيح تقدير كونه فاعلاً على كونه مبتدأ بل يجوز الأمران على حد سواء، لأن للفعلية مرجحاً وهو كثرة إيلاء الفعل للهمزة، وللاسمية مرجحاً وهو تناسب المتعاطفين فاستويا)(٥). قاله الدماميني.

ثم ذكرت "أم" في مواضع أربعة: وفيها وجهان:

الأول: أن تكون منقطعة، بمعنى "بل والهمزة"، و "بل" للانتقال من شيء إلى شيء، والهمزة للتقرير، أي: بل أنحن الخالقون، بل أنحن الزارعون، بل أنحن المنزلون، بل أنحن المنشئون.

---

(١) سورة الواقعة/٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢١١/٨، وروح المعاني ١٤٧/٢٧.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢١١/٨.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ٤١/١.

(٥) حاشية الدسوقي ٤٣/١، وينظر: شرح التصريح/للشيخ خالد الأزهري١٤٣/٢.

فبعد ما سألهم الله عمن خلقهم، وهو سؤال فيه إنكار انتقل إلى إثبات ذلك إليه وهو ما سيكون عليه جوابهم إقراراً لهم بذلك. وإلى ذلك أشار أبوحيان[(١)] وأبوالسعود[(٢)] والآلوسي[(٣)].

الثاني: أن تكون متصلة، معادلة للهمزة، على معنى أي الأمرين كان؟ وكأنه قيل: {أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ}. ثم جيء بـ {الْخَالِقُونَ} بعد بطريق التوكيد لا بطريق الخبرية أصالة قاله قوم من النحاة[(٤)].

والأرجح الانقطاع.

* * *

{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ}[(٥)]

"أم" في قوله {أَمْ أَمِنتُم} منقطعة، بمعنى «بل والهمزة»، أي بل أأمنتم[(٦)]، إضراب عن التهديد بما تقدَّم وهو خسف الأرض بهم إلى التهديد بوجه آخر وهو إرسال الحاصب عليهم: فـ "بل" للإضراب والانتقال، والهمزة للإنكار.

وقدَّر الزجاجي "أم" بـ "أو" فقال :أوأمنتم[(٧)] فتكون عنده متصلة عاطفة، والأرجح الانقطاع كما تقدم في مثلها.

* * *

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٨/٢١١.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٨/١٩٧.

(٣) ينظر: روح المعاني ٢٧/١٤٧.

(٤) البحر المحيط ٨/٢١١.

(٥) سورة الملك/١٦،١٧.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٩/٧، والفتوحات الإلهية ٤/٣٧٨، وروح المعاني ٢٩/١٩.

(٧) ينظر: حروف المعاني والصفات/٥٦، والبرهان في علوم القرآن ٤/١٨٤.

{أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ. أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ. أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} (١)

في قوله {أَمَّنْ} قراءتان، القراءة الأولى بالتشديد، وبها قرأ الجمهور، و"أم" في هذين الموضعين {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ ....} و {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ...} منقطعة، مقدرة بـ "بل" للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل إلى التبكيت بما ذكر، وهو نفي أن يكون لهم ناصر من عذابه تعالى، ثم انتقل إلى نفي أن يكون لهم رازق غيره تعالى. ولاسبيل إلى تقدير الهمزة مع "بل" لأن بعدها {مَنْ} الاستفهامية، والاستفهام لايدخل على استفهام، فـ {مَنْ} مبتدأ، و {هَٰذَا} خبره، والمعنى: من هو ناصركم إن ابتلاكم بعذابه، وكذلك من هو رازقكم إن أمسك رزقه، والمعنى: لاأحد ينصركم ويرزقكم (٢) .

بينما قدر الزمخشري (٣) ، والرازي (٤) "من" موصولة في هذين الموضعين، والبيضاوي (٥) جعلها موصولة في الموضع الثاني {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ}.

وقال البيضاوي أيضًا ("أم" في {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ} معادل لقوله {أولم يروا} على معنى: أولم ينظروا في أمثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تغذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب، أم لكم جند ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه) (٦) .

---

(١) سورة الملك/ ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) ينظر: التبيان ٢/١٢٣٣، البحر المحيط ٨/٣٠٣، وتفسير أبي السعود ٩/٨، وروح المعاني ٢٩/٢١.

(٣) ينظر: الكشاف ٤/١٣٨، ١٣٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير ٣٠/٧٢.

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي/٧٥٦.

(٦) تفسير البيضاوي/٧٥٦.

فجعل "أم" متصلة، و "من" استفهامية، وكأنه أشار بذلك إلى صحة كل من الأمرين في الموضعين، وحديث لزوم اجتماع الاستفهامين في بعض الصور ودخول الاستفهام على الاستفهام إذ قال بعضهم إنه ليس بضائر إذ لامانع من اجتماع الاستفهامين إذا قصد التأكيد. وقد رد هذا الرأي البغدادي في الخزانة[1]؛ لأنه لاداعي للتأكيد مع إمكان التأسيس.

أما القراءة الثانية (فقرأ طلحة بتخفيف الأول وتثقيل الثاني (قال أبو الفضل معناه: أهذا الذي هو جند لكم ينصركم أم الذي يرزقكم) فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير والتوبيخ)[2].

* * *

---

(١) ينظر: خزانة الأدب ١٣٩/١١.

(٢) البحر المحيط ٣٠٣/٨.

ثالثًا: ما اختلف فيها هل هي متصلة أو منقطعة والأرجح الاتصال

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)

الهمزة في قوله ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ للاستفهام، وسقطت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام(٢).

و "أم" في قوله ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يجوز فيها وجهان: الاتصال والانقطاع. يقول الزمخشري: ("أم" إما أن تكون معادلة بمعنى: أي الأمرين كائن على سبيل التقرير؛ لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة)(٣). وإلى هذين الرأيين أشار أبو حيان(٤)، وعلى وجه الاتصال جعل ابن عطية قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معادلاً لقوله: ﴿أَتَّخَذْتُمْ....﴾ وكأنه يقول: أي هذين واقع: اتخاذكم العهد عند الله، أو افتراؤكم على الله؟ وخرج هذا الكلام مخرج المتردد في تعيينه على سبيل التقرير، وإن كان الله يعلم ما هو واقع(٥).

وعلى وجه الانقطاع قدر أبو السعود "أم" بـ "بل والهمزة"، (أي: بل أتقولون، ومعنى "بل" فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ماتفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه وتعالى، والهمزة لإنكار الاتخاذ ونفيه)(٦).

فإذا جعلنا "أم"؛ منقطعة فهي غير عاطفة، إذ تقدر بـ "بل والهمزة"، وإذا

---

(١) سورة البقرة/٨٠.

(٢) التبيان ٨٢/١.

(٣) الكشاف ٢٩٢/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٧٨/١، وينظر: الدر المصون ٤٥٤/١، ٤٥٥، وتفسير أبي السعود ١٢١/١، وروح المعاني٣٠٥/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٣٦٩/١، والبحر المحيط ٢٧٨/١، والدر المصون ٤٥٤/١.

(٦) تفسير أبي السعود ١٢١/١.

جعلناها متصلة فهي عاطفة ما بعدها على ماقبلها.

وبالتأمل فيما سبق من أقوال يمكننا أن نرجح أن "أم" متصلة، وذلك لأمور:

١ ـ أن في الآية شقين، أحدهما منفي، والآخر معلوم، (ولتحقق العلم بالشق الأخير)[١] فتحمل على الاتصال على معنى: أي هذين واقع؟.

٢ ـ يمكن تأويل هاتين الجملتين الواقعتين قبل "أم" وبعدها بمفردين، فتقول: أي هذين واقع اتخاذكم العهد أم قولكم على الله مالاتعلمون؟

ولهذا نقول لمن قال بتعين الانقطاع إنه لامجال لاحتجاجه حيث جعل علامة (أم المنقطعة كون ما بعدها جملة)[٢]، فالمتصلة تقع بعدها جملة أيضًا في تأويل مفرد.

* * *

(١) تفسير أبي السعود ١٢١/١.

(٢) روح المعاني ٣٠٥/١.

{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}[(١)]

"أم" في قوله: {أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون متصلة، عاطفة، والمعنى: «أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بأمره، أم تفترون عليه وتنسبون إليه مالا يليق به» فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين، وهم لايمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك، فلم يبق إلا أنهم افتروه. ذكره الزمخشري[(٢)]، وابن عطية[(٣)]، وأبو حيان[(٤)]، والسمين[(٥)]، وأبو السعود[(٦)]، والآلوسي[(٧)].

الثاني: جوّز الزمخشري أن تكون "أم" منقطعة، والهمزة التي قبلها للإنكار، إذ أنكر أن يكون ذلك التحليل والتحريم من الله، ثم انتقل إلى إثبات افترائهم علي الله تقريراً للافتراء. والتقدير: بل أعلى الله تفترون[(٨)]. ووافقه أبو حيان[(٩)]، والسمين[(١٠)]، وأبو السعود[(١١)]، والآلوسي[(١٢)]. أما القرطبي فقدر المنقطعة بـ "بل" وحدها[(١٣)].

---

(١) سورة يونس/٥٩.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٢٤٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٧/١٧١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٥/١٧٢.

(٥) ينظر: الدر المصون ٦/٢٢٧.

(٦) تفسير أبي السعود ٤/١٥٦.

(٧) روح المعاني ١١/١٤٢.

(٨) الكشاف ٢/٢٤٢.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٥/١٧٢.

(١٠) ينظر: الدر المصون ٦/٢٢٧.

(١١) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/١٥٦.

(١٢) ينظر: روح المعاني ١١/١٤٢.

(١٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٥، والفتوحات الإلهية ٢/٣٥٨.

والظاهر أنها متصلة لأمرين:

١ ـ أنه يمكن أن تكون مع الهمزة التي قبلها بمعنى أي؟ والتقدير: أي الأمرين وقع؟

٢ ـ أنه يمكن تأويل الجملتين التي قبلها والتي بعدها بمفردين. أي: إذن الله لكم أم افتراؤكم عليه؟ ولتحقق العلم بالشق الأخير تسهل المعادلة بينهما.

* * *

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١)

ذُكرت "أم" في هذه الآية في موضعين: في قوله: ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ و ﴿أَمْ يَخَافُونَ﴾ وفيها وجهان:

الأول: أنها منقطعة، بمعنى "بل والهمزة" و "بل" للانتقال من أمر إلى أمر، والهمزة للإنكار يقول أبو حيان: ("أم" هنا منقطعة، والتقدير: بل ارتابوا. بل أيخافون. وهو استفهام توقيف وتوبيخ ليقروا بأحد هذه الوجوه التي عليهم في الإقرار بها ما عليهم)(٢)، ووافقه السمين(٣).

الثاني: أنها متصلة، يقول الزمخشري: (ثم قسّم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين الحيف في قضائه)(٤). ووافقه البيضاوي(٥)، وابن عقيل(٦)، واستظهره الآلوسي(٧)، وهو الراجح عندي على سبيل نفي ذلك كله.

(١) سورة النور/٥٠.

(٢) البحر المحيط ٦/٤٦٧.

(٣) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٢٣٤.

(٤) الكشاف ٣/٧٢.

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي/٤٦٦.

(٦) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٥٤.

(٧) ينظر: روح المعاني ١٨/١٩٧.

الفصل الثالث

«أو» معانيها ومواضعها

معنى «أو»

"أو" حرف عطف، وأكثر[١] النحاة يجعل "أو" مشركة من حيث اللفظ لا المعنى، (لأنك إذا قلت: قام زيد أو عمرو. فالفعل واقع من أحدهما. وقال ابن مالك: (إنها تُشرّك في الإعراب والمعنى، لأن ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لأجله، ألا ترى أن كل واحد منهما مشكوك في قيامه؟[٢] . قلت: وكلاهما صحيح باعتبارين)[٣] قاله المرادي.

ومن المتفق عليه بين النحاة: أن "أو" تكون لأحد الشيئين أو الأشياء في الخبر وغيره، ولها في ذلك معان: فبعد الخبر تأتي للشك كقولك: رأيت زيداً أو عمراً، وللإبهام كقولك: جاءني زيد أو عمرو. والفرق بين الشك والإبهام أن الشك يكون من المتكلم، والإبهام يكون على السامع بحيث يكون المتكلم عالمًا به، ويريد إبهامه على السامع. والتفصيل كقولك: الاسم نكرة أو معرفة. وبعد الطلب تأتي للإباحة نحو: تعلم الفقه أو النحو. وللتخيير نحو: خذ ثوبًا أو ديناراً أو درهمًا. ويكمن الفرق بين الإباحة والتخيير في أن الإباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على أحدهما، وفي التخيير يتحتم أحدهما ولايجوز الجمع بينهما.

وهذه المعاني هي من أشهر ما ذكر في كتب النحو وعليه أكثر النحاة[٤]، والمفسرين[٥].

---

(١) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ٦٣٩/٢.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢٠٣/٣.

(٣) الجنى الداني/٢٤٥.

(٤) الرماني في كتابه «معاني الحروف" /٧٧ تحقيق: د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، والصيمري في كتابه «التبصرة والتذكرة" ١٣٢/١، وابن يعيش في «شرح المفصل" ٩٩/٨، وابن مالك في «شرح الكافية الشافية" ١٢٢٠/٣ ومابعدها، وابن هشام في «شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب" /٤٤٧ تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٥) النحاس، والزجاج، والطبري، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وغيرهم.

وأجاز الكوفيون موافقتها لمعنى "بل" في الإضراب، كما قالوا بمجيئها بمعنى الواو[(١)]. أما البصريون فقالوا: (الأصل في "أو" أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام، بخلاف الواو، و"بل" لأن الواو معناها الجمع بين شيئين، و"بل" معناها الإضراب، وكلاهما مخالف لمعنى "أو"، والأصل في كل حرف أن لايدل إلا على ما وُضِع له، ولايدل علي معنى حرف آخر)[(٢)].

إلا سيبويه فيقول في معرض حديثه عن الحرف "عنْ": (بأنها لما عدا الشيء ويؤول ما يوهم خلاف ذلك فيؤول مثل: جلس عن يمينه بأنه جعله مُتراخياً عن بدنه، وجعله في المكان الذي بحيال يمينه. ومثل: أضربتُ عنه تريد أنه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره، ومثل: أخذتُ عنْه حديثًا أي:عدا منه إلى حديث)[(٣)].

ويتحدث عن "إلى" فيقول: بأنها (منتهى لابتداء الغاية)[(٤)]، ولايتحدث عن معنى آخر لها.

(وهكذا اقتصر سيبويه على معنى كلي أصيل واحد للحرف لايفارقه، ورجع المعاني الأخرى التي ورد الحرف دالاً عليها إلى هذا المعنى نفسه بطريق المجازكما أن سيبويه لم يرفض فكرة النيابة في حد ذاتها ولكنه رفض التوسع فيها بدليل قوله في أعقاب شرحه لمعنى "عن" (وقد تقع "من" موقعها أيضًا، تقول: أَطْعَمَهُ من جوع، وكساه من عُرْيٍ، وسقاه من العيمة)[(٥)])[(٦)]. هذا ما فهمه صاحب البحث من كلام سيبويه، وإليه أذهب وبه أقول.

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٧٨، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٢٠.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٨٠، ٤٨١. «بتصرف"

(٣) الكتاب ٤/٢٢٦، ٢٢٧. «بتصرف» وينظر: هذا الموضوع في كتاب «تناوب حروف الجر في لغة القرآن/للدكتور محمد حسن عواد/٧ ومابعدها.

(٤) الكتاب ٤/٢٣١.

(٥) الكتاب ٤/٢٢٧.

(٦) من مقالة للدكتور: محمد مختار محمد المهدي. بعنوان: حروف الجر بين التناوب والتأويل/٢١٩ ضمن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر/ العدد الأول.

فسيبويه أول من قال من البصريين بمجيء "أو" بمعنى "بل" يقول: (ألا ترى أنك إذا أخبرت فقلت: لست بشراً أو لست عمراً، أو قلت: ما أنت ببشر، أو ما أنت بعمرو، لم يجيء إلا على معنى: لابل ما أنت بعمرو، ولابل لست بشراً، وإذا أرادوا معنى أنك لست واحداً منهما قالوا: لست عمراً ولابشراً، أو قالوا: أوبشراً، كما قال عزوجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[١]. ولو قلت: أولاتطع كفوراً انقلب المعنى)[٢]. يعني أنه يصير إضراباً عن النهي الأول، ونهياً عن الثاني فقط[٣]. (فسيبويه يجيز ذلك بشرطين: تقدم نفي أو نهي، وإعادة العامل نحو: ما قام زيد أو ما قام عمرو. ولايقم زيد أو لايقم عمرو)[٤].

أما الكوفيون فقالوا: بأن "أو" تأتي للإضراب مطلقاً[٥]، حيث قال الفراء: (اذْهب إلى زَيْد أو دع ذلك فَلاتَبْرَح اليَوْم)[٦]. ومعنى الإضراب صريح هنا. ووافق الكوفيين أبو علي، وابن برهان[٧] - على ما نقله عنهما ابن مالك - وابن جنى[٨]، والرضي[٩]، وابن مالك[١٠]؛ حيث يقول ابن برهان: (قال أبو عَلِيّ: "أَوْ" حَرْفٌ يستعمَلُ على ضَرْبَيْن: أَحَدُهُمَا: أن يكونَ لأحدِ الشَّيئين أو الأَشْياء. والآخَر: أن يكونَ للإضراب، وقال ابنُ بَرْهَان: وأما الضَّرْبُ الثاني: فنحو: أَنَا أخْرج، ثُمَّ تقولُ:

---

(١) سورة الإنسان/٢٤.

(٢) الكتاب ١٨٨/٣.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ٦٧/١، إذ نسب ابن هشام هذا القول لابن عصفور.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مغني اللبيب ٦٧/١، وينظر: شفاء العليل في إيضاح التسهيل ٧٨٦/٢.

(٦) معاني القرآن ٧٢/١.

(٧) ابن برهان: هو عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان «بفتح الباء»، صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب. مات في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة، وله ذكر في جمع الجوامع.

ينظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة/١٩٩.

(٨) المحتسب ٩٩/١.

(٩) شرح الرضي على الكافية ٣٩٦/٤.

(١٠) شرح الكافية الشافية ١٢٢١/٣.

أوأقيم. أضْرَبْتَ عن الخروجِ وأثبتَّ الإقامَةَ، كأنَكَ قلتَ: لابَلْ أُقيم)[١] .

كما استشهدوا بقول جرير يخاطب هشام بن عبد الملك:

مَا ذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرِمْتُ بِهِم
لَمْ أُحْصِ عِدَّتَهُم إِلَّا بِعَدَّادِ
كانُوا ثَمانِين أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً
لَوْلاَ رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلَادِي[٢]

على أن "أو" فيه بمعنى "بل" للإضراب الانتقالي[٣] ، وقيل: للشك، كأن كثرتهم أوجبت الشك في عدتهم، ومن ثم احتاج في عدتهم إلى عدّاد[٤] . وقال بعض الكوفيين أنها بمعنى الواو.[٥] .

والراجح عندي أن تحمل على أصلها من الشك، لأن المتكلم عندما رأى أبناءه ساوره الشك والتردد في عددهم لكثرتهم هل هم ثمانون أو أكثر؟ ولذلك احتاج إلى عداد حتى يعدّهم ويحصيهم، ويحتمل أن تكون للإبهام، بحيث يكون المتكلم عالمًا بعددهم، ولكنه أراد أن يبهمه على المخاطب، ونظير ذلك قول القائل: أكلت بسرة أو رطبة، وهو عالم أي ذلك أكل، ولكنه أبهم علي المخاطب.

كما استشهدوا ببيت ذي الرمة:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشّمسِ في رَوْنَقِ الضُّحى
وصُورَتِها أَوْ أَنْتِ في الْعَيْنِ أَمْلَحُ[٦]

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣/١٢٢١.

(٢) ينظرالبيت في شرح ديوانه/١٥٦ تاليف:محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، والبيت من البسيط.

(٣) ينظر: شرح أبيات المغني ٢/٥٤، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٢١، وجواهر الأدب/٢٦٤.

(٤) ينظر: شرح أبيات المغني ٢/٥٤.

(٥) ينظر: شرح أبيات المغني ٢/٥٤. وجواهر الأدب/٢٦٤.

(٦) تقدم ذكره ينظر ص١٣١ .

على أن تكون "أو" فيه بمعنى "بل" ورده ابن جني بقوله: (إنها على بابها من الشّك، ألا ترى أنه لو أراد بها معنى "بل" فقال: بل أنت في العين أملح. لم يف بمعنى "أو" في الشك لأنه إذا قطع بيقين أنها في العين أملح كان في ذلك سَرَف منه ودعاء إلى التهمة في الإفراط له، وإذا خرج الكلام مخرج الشك كان في صورة المقتصد غير المتحامل ولا المتعجرِف. فكان أعذب للفظه، وأقرب إلى تقبل قوله)[(١)].

ووافقه ابن عصفور[(٢)]. وما قاله ابن جني هو الأقرب إلى الصواب.

✲ ✲ ✲ ✲ ✲

---

(١) الخصائص ٢/٤٥٨.

(٢) ينظر شرح جمل الزجاجي ١/٢٣٥، ٢٣٦.

مواضع

«أو»

في القرآن الكريم

مواضع «أو» في القرآن الكريم

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً....}(١)

تحتمل "أو" في هذه الآية عدة معان:

الأول: أن تكون للشك، قال الطبري: (و"أو" عند أهل العربية إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى جلّ ذكره غير جائز في خبره الشك. قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية أنها عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد مارأوا العظيم من آيات الله كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة عندهم وعند من عرف شأنهم)(٢). وهذا هو الأولى عنده، وذكره أبوحيان(٣)، والآلوسي(٤)، وأشار إليه القرطبي(٥).

الثاني: أن تكون للإبهام، فإن الله تعالى أراد أن يبهم على المخاطب حال قلوبهم، وهذا كقوله عز وجل: {... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}(٦). فهو عالم أي ذلك كان، وكما يقول المرء لغيره: أكلت خبزًا أو تمرًا، وهو لايشك أنه أكل أحدهما إذا أراد أن لايبينه لصاحبه. وهذا ما أجازه السهيلي(٧)، وابن القيم(٨).

---

(١) سورة البقرة/٧٤.

(٢) جامع البيان ٣٦٣/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٦٢/١.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٩٥/١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٦٤/١.

(٦) سورة سبأ/٢٤.

(٧) ينظر: نتائج الفكر/٢٥٤.

(٨) ينظر: بدائع الفوائد ١٩٩/١.

الثالث: أن تكون للتفصيل والتنويع. (فكأن قلوبهم على قسمين: قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة، أجمل ذلك في قوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم}، ثم فصل ونوّع إلي مشبه بالحجارة وإلى أشد منها)[١].

وهذا القول اختاره الطبري[٢]، وأبو حيان[٣]، والسهيلي[٤]، وابن القيم[٥]، وإليه أشار القرطبي[٦].

الرابع: أن تكون للتخيير، بحيث يختار أحد التشبيهين، فإما أن يشبهها بالحجارة، وإما أن يشبهها بما هو أقسى من الحجارة. وإليه أشار ابن عطية[٧].

الخامس: أن تكون للإباحة، والمعنى: (إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون)[٨]. قاله الزجاج، وذكره أبو حيان[٩]، وردّه السهيلي[١٠]، وابن القيم[١١].

السادس: أنها بمعنى الواو. كما في قوله تعالى: {... وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}[١٢] أي وكفوراً. قاله الرازي[١٣]، وابن مالك[١٤]، وأبو حيان[١٥]،

---

(١) البحر المحيط ٢٦٢/١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٦٣/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٦٢/١.

(٤) ينظر: نتائج الفكر/٢٥٤.

(٥) ينظر: بدائع الفوائد ١٩٩/١.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٦٤/١، والتفسير الكبير ١٣٨/٣، وروح المعاني ٢٩٥/١.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز ٣٥٤/١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٦٣/١، ٤٦٤، والبحر المحيط ٢٦٢/١.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/١.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٢٦٢/١.

(١٠) ينظر: نتائج الفكر/٢٥٤.

(١١) ينظر: بدائع الفوائد ١٩٩/١.

(١٢) سورة الإنسان/٢٤.

(١٣) ينظر: التفسير الكبير ١٣٨/٣.

(١٤) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢٢٣/٣، ١٢٢٤.

(١٥) ينظر: البحر المحيط ٢٦٢/١.

وأشار إليه القرطبي[(١)] .

السابع: أنها بمعنى "بل" وتأويله: فهي كالحجارة بل أشد قسوة. ذكره الطبري[(٢)] ، (ويحتاج هذا التأويل إلى تقدير مبتدأ إذا قلنا باختصاص ذلك بالجمل)[(٣)] .

وهذان المعنيان (**السادس، والسابع**) مما يوافق مذهب الكوفيين.

وأقرب الأقوال عندي إلى الصواب القول بالتفصيل والتنويع، فقلوب بني اسرائيل لاتخرج عن أحد هذين النوعين، فهي إما أن تكون كالحجارة في قسوتها، وإما أن تكون أشد منها قسوة فبعضها كذا وبعضها كذا. وهذا ما رجحه أبو حيان في "البحر المحيط"[(٤)] .

* * *

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٦٣/١.

(٢) جامع البيان ٣٦٣/١، وينظر: المحرر الوجيز ٣٥٤/١، والتفسير الكبير ١٣٨/٣، والبحر المحيط ٢٦٢/١.

(٣) روح المعاني ٢٩٥/١.

(٤) ٢٦٢/١.

{وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَاسِقُونَ. أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}(١)

لـ "أو" في قوله تعالى {أَوَكُلَّمَا} قراءتان:

الأولى: قرأ الجمهور(٢) بتحريك الواو، أي {أَوَكُلَّمَا}، واختلف النحويين في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن هذه الواو واو عطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، وهذا ماذهب إليه سيبويه(٣)، والطبري(٤)، والزجاج(٥)، وابن عطية(٦)، والقرطبي(٧)، وأبوحيان(٨)، وغيرهم. وهو الصحيح.

الثاني: أنها واو العطف، والهمزة داخلة على محذوف مناسب لما بعده، تقديره: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا. قاله الزمخشري(٩).

الثالث: (إن الهمزة للاستفهام، والواو زائدة)(١٠). قاله الأخفش. وهذا على رأيه في جواز زيادتها، وردّه الطبري(١١). فمع صحة معناه إلا أنه لايجوز أن يحكم بالزيادة في القرآن، مع أن مراد الأخفش الزيادة الاصطلاحية التي تعني التوكيد، ولاتعني أن وجودها وعدمها سواء.

---

(١) سورة البقرة/٩٩، ١٠٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٣، والدر المصون ٢/٢٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/١٨٨، ١٨٩.

(٤) ينظر: جامع البيان ١/٤٤١.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/١٨٠.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ١/٤١١.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٩.

(٨) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٣.

(٩) ينظر: الكشاف ١/٣٠٠.

(١٠) ينظر: معاني القرآن ١/١٤١.

(١١) ينظر: جامع البيان ١/٤٤١، ٤٤٢، ومشكل إعراب القرآن ١/٦٤، والبحر المحيط ١/٣٢٣.

الرابع: قال الكسائي: (هي "أوْ" العاطفة التي بمعنى "بل" وإنما حرّكت الواو بالفتح، ويؤيده قراءة من قرأها ساكنة)[(١)] . ورده القيسي[(٢)] ، والقرطبي[(٣)] ، وأبو حيان[(٤)] ، والآلوسي[(٥)] لضعفه؛ حيث لم يأت بعدها ساكن يستدعي تحريك الساكن.

الثانية: قرأ[(٦)] أبو السمّال العدوي[(٧)] بتسكين واو {أَوْكُلَّمَا}، وفيها أيضاً أقوال:

الأول: ذهب الزمخشري إلى أنها عاطفة على "الفاسقين" وقدره بمعنى: (إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مراراً كثيرة)[(٨)] يعني أنه عطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويله.

الثاني: قال المهدوي[(٩)] : ("أو" لانقطاع الكلام بمنزلة "أم" المنقطعة، يعني أنها بمعنى "بل" وهذا موافق لرأي الكوفيين)[(١٠)] القائلين بتقارب الحروف. وإليه ذهب ابن جني حيث قال: (كأنه قال: وما يكفر بها إلا الفاسقون بل كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم. يؤكد ذلك قوله تعالى من بعده {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَايُؤْمِنُونَ} فكأنه قال: بل كلما عاهدوا عهداً بل أكثرهم لايؤمنون)[(١١)] .

---

(١) الدر المصون ٢/٢٤، وينظر: البحر المحيط ١/٣٢٣.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/٦٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٩.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٣.

(٥) ينظر: روح المعاني ١/٣٣٥.

(٦) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٨، وينظر: التبيان ١/٩٧، والبحر المحيط١/٣٢٤.

(٧) أبو السمال العدوي هو: قعنب بن أبي قعنب أبو السمال - بفتح السين وتشديد الميم وباللام- العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة.

ينظر: غاية النهاية ٢/٢٧.

(٨) ينظر: الكشاف ١/٣٠٠.

(٩) المهدوي: هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، نحوي، لغوي، مقرئ، مفسر، له عدة مصنفات. توفي بعد الثلاثين والأربعمائة.

ينظر: إنباه الرواة ١/١٢٦، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٩٩، وبغية الوعاة ١/٣٥١.

(١٠) البحر المحيط ١/٣٢٤، والدر المصون ٢/٢٥.

(١١) المحتسب ١/٩٩.

وإذن فـ "بل" للإضراب الانتقالي عنده لأن فيه ترقيًا من الأغلظ إلى الأشد غلظة، وكأنه تعالى أراد تسلية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد كفر اليهود بما أنزل عليه من الآيات بأن ذلك ليس ببدع منهم بل هو عادة سلفهم من نقضهم العهود والمواثيق حالاً بعد حال. وإلى القول بالإضراب أشار أبو حيان [(١)]، والسمين الحلبي [(٢)]، والآلوسي [(٣)].

الثالث: أنها تأتي بمعنى الواو [(٤)]، على رأي الكوفيين أيضًا في تناوب الحروف، أي: وكلما عاهدوا......، مستشهدين بقول الشاعر [(٥)]:

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُم   مَا بَيْنَ مُلَجِمٍ مُهْرِهِ أَو سَافِعِ [(٦)]

والراجح عندي هو القول بالإضراب.

*   *   *

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٢٤/١.

(٢) ينظر: الدر المصون ٢٥/٢.

(٣) ينظر: روح المعاني ٣٣٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٣٢٤/١، والدر المصون ٢٥/٢.

(٥) قائله: حميد بن ثور الهلالي.

(٦) البيت من الكامل، وينظر: هذا البيت في ديوانه /١١١، وشرح الكافية الشافية ١٢٢٢/٣.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا...﴾[(١)]

(كانت عادة العرب في الجاهلية إذا قضت حجها تقف عند الجمرة، فتفاخر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم، وغير ذلك حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القُبّة، عظيم الجَفْنة، كثير المال، فأعطني مثل ماأعطيته، فلايذكر غير أبيه. فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية)[(٢)]. هذا قول جمهور المفسرين.

وعليه فـ "أو" تحتمل في هذه الآية عدة معان:

الأول: التخيير[(٣)]، بمعنى: إما أن يذكروا الله ويعددوا نعمه وآلاءه كما يذكرون آباءهم، أو يذكرون الله أكثر من ذكرهم لآبائهم. وهذا كما تقول: تزوج هندًا أو أختها على سبيل التخيير.

الثاني: الإباحة[(٤)]، أي: اذكروا الله كذكركم لآبائكم أو اذكروه أكثر من آبائكم، وهذا كقولك: تعلم الفقه أو النحو، فيمكن الجمع بينهما والاقتصار على أحدهما.

وسوّغ هذين القولين كونها مسبوقة بطلب هو أمر على رأي الجمهور.

الثالث: الإضراب[(٥)]، فبعد ما أمرهم الله تعالى أن يذكروه بالعبادة والدعاء كما يذكرون آباءهم أضرب عنه وانتقل إلى كلام غيره، لأن مفاخر آبائهم مهما كثرت لاينفعهم ذكرها، ومهما أعطوا من صفات وأموال فهي قليلة بالنسبة لعطاء الله، أما صفات الكمال لله عز وجل فهي غير متناهية، وجوده لايُحد، لذا يجب عليهم أن يشتغلوا بذكر الله أكثر من ذكر آبائهم لأنه هو المستحق للعبادة والشكر والثناء، يقول القفال رحمه الله: (ومجاز اللغة في مثل هذا معروف،

---

(١) سورة البقرة/٢٠٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٣١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢/١٠٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٢/١٠٣.

يقول الرجل لغيره، افعل هذا إلى شهر أو أسرع منه، لايريد به التشكيك، وإنما يريد به النقل عن الأول إلي ما هو أقرب منه)[١].

وهذا موافق لمذهب الكوفيين، في تناوب الحروف، وهو الراجح عندي في هذه الآية، لأننا في التخيير والإباحة لانحمل المخاطب على أمر معين، بل نترك له فرصة الاختيار بين الأمرين أو الجمع بينهما، ولما كان الأولى الإكثار من ذكر الله أضربنا عن الأول على سبيل الانتقال إلى ما بعده.

* * *

{.... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ....}[٢]

تحتمل "أو" في قوله: {لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} معنيين:

الأول: الشك: لأنه إنما قال هذا على ما عنده وفي ظنه، وعليه فلايكون كاذبًا فما أخبر به، ونظيره قول أصحاب الكهف: {قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}[٣] على ما توهموه ووقع عندهم، وكأنهم قالوا الذي عندنا وفي ظنوننا أننا لبثنا يومًا أو بعض يوم. قال ابن جريج[٤]، وقتادة[٥]، والربيع[٦]: (أماته الله غُدْوة يوم

(١) التفسير ٥/٢٠١، إذ نسب الرازي هذا القول إلى القفال.

(٢) سورة البقرة/٢٥٩.

(٣) سورة الكهف/١٩.

(٤) ابن جريج هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد، وقيل أبو خالد القرشي، روى القراءة عن ابن كثير، وروى عنه القراءة سلام بن سليمان وغيره. توفي سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين ومائة.

ينظر: غاية النهاية ١/٤٦٩..

(٥) هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري، الأعمى، له اختيار في القراءة، روى عن أنس بن مالك، وروى عنه شعبة وغيره، توفي سنة سبع عشرة ومائة.

ينظر: غاية النهاية ٢/٢٥.

(٦) هوالربيع بن أنس البكري، البصري، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، وقيل: سنة أربعين ومائة.

ينظر: تهذيب التهذيب/لابن حجر ٣/٢٠٧.

ثم بُعث قبل الغروب فظن هذا اليوم واحداً فقال: لبثت يوماً، ثم رأي بقية من الشمس فخشي أن يكون كاذباً فقال: أوبعض يوم)[(١)] فهو على شكه بين يوم أو بعض يوم. وإليه ذهب الزمخشري[(٢)]، والقرطبي[(٣)]، وابن هشام[(٤)].

الثاني: الإضراب، وبه قال الطبري[(٥)]، وأبو حيان، يقول أبو حيان: (والأولى أن لاتكون "أو" هنا للترديد بل تكون للإضراب كأنه قال: بل بعض يوم لما لاحت له الشمس أضرب عن الإخبار الأول الذي كان على طريقة الظن ثم أخبر بالثاني على طريق اليقين عنده)[(٦)].

وأصح القولين الأول؛ لأن المخاطب كان شاكًا، فالميت طالت مدة موته أو قصرت فالحال واحدة بالنسبة إليه، وعندما أجاب بقوله: {يَوْمًا} كان ذلك هو اليقين عنده، وعندما رأى ضوء الشمس باقيًا قال: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} على سبيل الشك عنده، ومن أين له أن يتيقن حتى يجزم بأنه لبث ميتًا بعض يوم؟

فلو قلنا بالإضراب للزمنا أن نقول أنه حين قال: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} كان جازمًا بذلك متأكداً من قوله، ولكن إذا أردنا أن نحملها على حسب حالة المتكلم آنذاك فالأولى أن نحملها على أصلها وهو الشك ، لأنه وإن قال: "أو بعض يوم" فهو لايزال شاكًا. ولذا قال أبو االسعود: (أما القول بالإضراب فبمعزل من التحقيق إذ لاوجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من أوله)[(٧)]. ووافقه الآلوسي[(٨)].

* * *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٢.

(٢) ينظر: الكشاف ١/٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٢.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ١/٦٤.

(٥) ينظر: جامع البيان ٣/٣٦.

(٦) البحر المحيط ٢/٢٩٢.

(٧) تفسير أبي السعود ١/٢٥٤.

(٨) روح المعاني ٣/٢٢.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً...}[١]

تحتمل "أو" عدة معان:

الأول: أن تكون على بابها من الشك في حق المخاطب. قاله أبو حيان[٢]، يعني أن المخاطب حين يرى حالهم يشك في أمرهم هل يخافون من المشركين كخوفهم من الله أو أكثر. وعليه فتكون "أو" لأحد الأمرين، والمخاطب شاك لايعلم أيهما أصح؟

الثاني: للإبهام على المخاطب، (بمعنى أنهم على إحدى الصفتين من المساواة والشدة، وذلك لأن كل خوفين فأحدهما بالنسبة إلى الآخر إما أن يكون أنقص أومساوياً أو أزيد، فبين تعالى بهذه الآية أن خوفهم من الناس ليس أنقص من خوفهم من الله، بل بقي إما أن يكون مساوياً أو أزيد، فهذا لايوجب كونه تعالى شاكًا فيه، بل يوجب إبقاء الإبهام في هذين القسمين على المخاطب)[٣] قاله الرازي، وإليه أشار أبو حيان[٤]، وأبو السعود[٥]، والآلوسي[٦].

الثالث: للتخيير، فالمخاطب إذا رآهم على خوفهم ذلك، تخير هل يخافون من الناس كخوفهم من الله، أو يخافونهم أكثر من خوفهم من الله. وإليه أشار أبوحيان[٧]، والآلوسي[٨].

---

(١) سورة النساء/٧٧.

(٢) البحر المحيط ٢٩٨/٣.

(٣) التفسير الكبير ١٩١/١٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٩٨/٣.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٠٤/٢.

(٦) ينظر: روح المعاني ٨٦/٥.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٢٩٨/٣.

(٨) ينظر: روح المعاني ٨٦/٥.

الرابع: للتنويع والتفصيل، بمعنى (أن منهم من يخشى الناس كخشية الله، ومنهم من يخشاهم خشية تزيد على خشيتهم الله)[(١)]، وهذا اختاره أبوحيان، وذكره أبو السعود[(٢)]، والآلوسي[(٣)].

الخامس: أنها بمعنى "بل"[(٤)]، فبعد ما أخبر أنهم يخافون القتل من المشركين كما يخافون الموت من الله أضرب عن ذلك بقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ بل أكثر من خوفهم من الله.

السادس: أنها بمعنى الواو، (والتقدير: يخشونهم كخشية الله وأشد خشية، وليس بين هذين القسمين منافاة، لأن من هو أشد خشية فمعه من الخشية مثل خشيته من الله وزيادة)[(٥)] قاله الرازي، وأشار إليه أبو حيان[(٦)]، والآلوسي[(٧)].

وأقرب الأقوال عندي إلى الصواب هو القول بالتنويع والتفصيل، لأن منهم من كان يخاف الله، وفي الوقت نفسه يخاف مواجهة المشركين فراراً من الموت فجمع بين خشية الله وخشية الناس. ومنهم من كان يخاف من القتل أكثر من خوفه من الله. ومع هذا التعديد والتنويع فلايخرج خوفهم عن هذين المثلين. وهذا هو المختار عند أبي حيان كما ذكرت سابقًا.

* * *

(١) البحر المحيط ٣/٢٩٨.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٢/٢٠٤.

(٣) ينظر: روح المعاني ٥/٨٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٣/٢٩٨، وروح المعاني ٥/٨٦.

(٥) التفسير الكبير ١٠/١٩١.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٣/٢٩٨.

(٧) ينظر: روح المعاني ٥/٨٦.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1]

لما رأى سيدنا لوط ـ عليه السلام ـ سفاهة قومه وإقدامهم على سوء الأدب تمنى أن يكون له أنصار وأعوان حتى يساعدوه على ردهم فلما لم يكن له ذلك استدرك على نفسه وقال: بل الأولى أن آوي إلى ركن شديد، وهو الاعتصام بعناية الله تعالى[2]. وعليه تكون "أو" بمعنى "بل" على مذهب الكوفيين في تناوب الحروف.

* * *

﴿... وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ....﴾[3]

تعددت المعاني حول "أو" في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ إلى:

الأول: أن تكون على أصلها، وهو الشك، يقول ابن عطية: (والمعنى على ما قال قتادة وغيره: وماتكون الساعة وإقامتها في قدرة الله تعالى إلا أن يقول لها: كن، فلو اتفق أن يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يقول: هل هي كلمح البصر أو هي أقرب من ذلك؟ فـ "أو" على هذا على بابها للشك)[4]، وذكره القرطبي بصيغة التضعيف[5]، ورده أبو حيان بقوله: (والشك بعيد لأن هذا إخبار من الله تعالى عن أمر الساعة، فالشك مستحيل عليه)[6]، (ولذا فلابد أن يكون ذلك الشك بالنسبة إلى غير المتكلم، وفي ارتكابه بعد، ويدل على أن هذا مراده تعليله البعد بالاستحالة فليس اعتراضه مما يقضي منه العجب كما توهم)[7] قاله الآلوسي، وبه أقول أيضًا.

(١) سورة هود/٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٣٦/١٨.

(٣) سورة النحل/٧٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤٧٨/٨، ٤٧٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١٠.

(٦) البحر المحيط ٥٢١/٥. «بتصرف»

(٧) روح المعاني ١٩٩/١٤.

الثاني: أن تكون للإبهام على المخاطب، كقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[(١)]، وقد علم تعالى عددهم، كما علم أمر الساعة ولكنه أبهم على المخاطب، وبه قال الزجاج[(٢)]، ووافقه ابن يعيش[(٣)]، وأبو حيان[(٤)]، والآلوسي[(٥)].

وقد عارض فيه بعضهم، وقال: (لايصح لأن إقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال إنه تعالى يأتي بها في زمان فيكون الإبهام على المخاطب في ذلك الزمان، وليس زمان تكليف)[(٦)]. ورده أبو حيان بقوله: (إن الإبهام وقع وقت الخطاب المتقدم على أمر الساعة لاوقت الإتيان بها،وليس من شرط الإبهام على المخاطب في الإخبار عن شيء اتحاد زمان الإخبار وزمان وقوع ذلك الشيء، الاترى في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، كيف تاخر زمان الإخبار عن زمان وقوع ذلك الإرسال ووجودهم مائة ألف أويزيدون)[(٧)]. وقيل أيضًا: (بانه لافائدة في إبهام أمرها في السرعة وإنما الفائدة في إبهام وقت مجيئها. وأجيب بأن المراد أنه يستبهم على من يشاهد سرعتها هل هي كلمح البصر أو أقل)[(٨)]، كما أن وقت مجيئها خاص بعلم الله فكيف يخبرنا به على سبيل الإبهام.

الثالث: أن تكون للتخيير، قاله ابن عطية[(٩)]، وإليه أشار الآلوسي[(١٠)]،

---

(١) سورة الصافات/١٤٧.

(٢) لم أجده في كتابه «معاني القرآن وإعرابه"، ونقله عنه الرازي في التفسير الكبير ٩٠/٢٠، وأبوحيان في "البحر المحيط" ٥٢١/٥، والآلوسي في "روح المعاني" ١٩٩/١٤.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٩٩/٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٥٢١/٥.

(٥) ينظر: روح المعاني ١٩٩/١٤.

(٦) التفسير الكبير ٩٠/٢٠ «بتصرف"

(٧) البحر المحيط ٥٢١/٥.

(٨) روح المعاني ١٩٩/١٤.

(٩) المحرر الوجيز ٤٧٩/٨.

(١٠) ينظر: روح المعاني ١٩٨/١٤، ١٩٩.

ورده أبو حيان: (بأن التخيير بعيد أيضًا؛ لأن التخيير إنما يكون في المحظورات كقولهم: خذ من مالي دينارًا أو درهمًا، أو في التكليفات كآية الكفارات ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ...﴾[1])[2]. وأجيب: (بأن هذا مبني على مذهب ابن مالك من أن "أو" تأتي للتخيير، وأنه غير مختص بالوقوع بعد الطلب بل يقع في الخبر، ويكثر في التشبيه حتى خصه بعضهم به.... وقيل: إن المراد تخيير المخاطب بعد فرض الطلب والسؤال فلا حاجة إلى البناء على ماذكر.

وزعم بعضهم أن التخيير مشكل من جهة أخرى وهي أن أحد الأمرين من كونه كلمح البصر أو أقرب غير مطابق للوقوع فكيف يخبر الله تعالى بين مالايطابقه، وفيه أن المراد التخيير في التشبيه وأي ضرر في عدم وقوع المشبه به بل قد يستحسن فيه عدم الوقوع)[3].

الرابع: أن تكون بمعنى "بل" وهذا موافق لما قاله الفراء[4]، والكوفيون من بعده، والتقدير: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر بل هو أقرب. ووافقهم الرازي[5]، والرضي[6]، وأبوالسعود[7]، و"أو" عندهم حرف ابتداء واستئناف. ورده أبو حيان فقال: (ولايصح لأن الإضراب على قسمين كلاهما لايصح هنا.

أما أحدهما: فأن يكون إبطالاً للإسناد السابق وأنه ليس هو المراد، وهذا مستحيل هنا لأنه يؤول إلى إسناد غير مطابق.

والثاني: أن يكون انتقالاً من شيء إلى شيء من غير إبطال لما سبق، وهذا مستحيل هنا للتنافي الذي بين الإخبار بكونه مثل لمح البصر في السرعة

(١) سورة المجادلة/٣،٤.

(٢) البحر المحيط ٥٢١/٥.

(٣) روح المعاني ١٩٨/١٤، ١٩٩ «بتصرف».

(٤) ينظر: معاني القرآن ٧٢/١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٩/٢٠.

(٦) ينظر: شرح الكافية ٣٩٦/٤، ٣٩٧.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ١٣١/٥.

والإخبار بالأقربية فلايمكن صدقهما معًا)[١].

وهذا هو الصحيح ولاأجد مخرجًا لما قاله الآلوسي: (وأجيب باختيار الثاني ولاتنافي بين تشبيهه في السرعة بما هو غاية ما يتعارفه الناس في بابه، وبين كونه في الواقع أقرب من ذلك، وهذا بناء على الغرض من التشبيه بيان سرعته لابيان مقدار زمان وقوعه وتحديده. وأجيب أيضًا بما يصححه بشقيه، وهو أنه ورد على عادة الناس يعني أن أمرها إذا سئلتم عنها أن يقال فيه: هو كلمح البصر، ثم يضرب عنه إلى ما هو أقرب... ثم قال: والمأثور عن ابن جريج أنها بمعنى "بل" وعليه كثيرون)[٢].

الخامس: أن تكون للإباحة، حيث قال ابن مالك: (وأكثر ورود "أو" للإباحة في تشبيه أو تقدير. فالتشبيه نحو: ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾..... فلو جيء بالواو في مثل هذا من الكلام لم يختلف المعنى)[٣].

أما قوله بالإباحة: فتقديره: إن شبهت سرعتها بلمح البصر أو إن شبهتها بأقرب من ذلك، فأنت مصيب فلاأرى للإباحة موضعًا هنا، لأنها تكون بعد الطلب عند جمهور النحاة[٤]، كما أن المعنى لايحتمل الإباحة لأننا في الإباحة يمكننا أن نجمع بين الأمرين أو نقتصر على أحدهما، فكيف نجمع بين سرعتين مختلفتين.

أما القول بالواو، فالواو لمطلق الجمع، والفرق بين الواو و"أو" في قولك: "تعلم الفقه والنحو" و "تعلم الفقه أو النحو" (أن الواو معناها الجمع، فلو تعلم النحو ولم يتعلم الفقه كان عاصيًا؛ لأن معناه تعلم هذين، و"أو" إن تعلمهما أو تعلم أحدهما لم يكن عاصيًا)[٥].

---

(١) البحر المحيط ٥/٥٢١.

(٢) روح المعاني ١٤/١٩٨،١٩٩.

(٣) شرح الكافية الشافية ٣/١٢٢٣، ١٢٢٤.

(٤) الكتاب ٣/١٨٤، والجنى الداني/ ٢٤٥، ومغني اللبيب ١/٦٤، وغيرها.

(٥) التبصرة والتذكرة ١/١٣٣.

ولذا فلاأرى أفضل من القول بالشك والإبهام في حق المخاطب، أما القول بالتخيير فلا أرى أن تحمل عليه هذه الآية لأن مذهب الجمهور أن يقع التخيير بعد الطلب فلا حاجة إلى الخروج عن مذهبهم، كما أننا لسنا بحاجة إلى القول بتقدير طلب لحمله عليه مادام المقام لايحتاج إلى ذلك.

* * *

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[1]

جاءت "أو" لمعنيين:

١ ـ للإباحة، (قال ابن الأنباري: دخلت "أو" هنا لسعة الأمرين عند الله تعالى، ويقال لها المبيحة كالتي في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، فإنهم يعنون قد وسعنا لك الأمر)[2].

٢ ـ للإضراب، (قال الكرماني: "أو" للإضراب ولهذا كرر "إن")[3].

والقول بالإباحة أولى، لأن "أو" في أصلها أن تكون لأحد شيئين، وتوجيهها إلى أصلها أولى من خروجها عن أصلها ومعناها المعروف لها. وهذا موافق لمذهب سيبويه[4]، والطبري[5].

* * *

---

(١) سورة الإسراء/٥٤.

(٢) لم أجده في كتابه «مسائل الخلاف" ولافي «البيان"، ولا في «الإغراب في جدل الإعراب"، ولا في "مع الأدلة" وكلاهما في مجلد واحد، تحقيق: سعيد الأفغاني، وذكره عنه أبو حيان في "البحر المحيط "٦/٥٠، والآلوسي في "روح المعاني" ١٥/٩٥.

(٣) روح المعاني ١٥/٩٥، وينظر: البحر المحيط ٦/٥٠.

(٤) ينظر ص٢٢٥ من هذا البحث.

(٥) ينظر: جامع البيان ١/٣٦٣.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[(١)]

تحتمل "أو" عدة معان:

الأول: أن تكون للشك، يعني أن الرائي إذا رآهم شك في عدتهم لكثرتهم، فالشك يرجع إلى الرائي لا إلى الله. وإليه ذهب الزجاج[(٢)]، وابن جني[(٣)]، والزمخشري[(٤)]، والرازي[(٥)]، وأبو السعود[(٦)]، وأجازه النحاس[(٧)]، وإليه أشار ابن الأنباري[(٨)]، وغيره.

الثاني: أن تكون للإبهام، وهذا كقولك: جاء زيد أو عمرو. أردت أحدهما. يقول الصيمري: (أي أرسلناه إلى أحد العددين على الإبهام، ومعنى قولي على الإبهام أي من غير تبيين ما يقصد إليه أن يبين، وذلك أن المتكلم إذا قال: جاءني زيد أو عمرو، قد يجوز أن يعلم الذي جاءه بعينه، وإنما يُدخل "أو" في كلامه ليبهم على السامع)[(٩)]. وبه قال ابن يعيش[(١٠)]، وأجازه النحاس[(١١)]، وذكره القرطبي[(١٢)]، وأبو حيان[(١٣)]،وغيرهما.

---

(١) سورة الصافات/١٤٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٣١٤.

(٣) ينظر: الخصائص ٢/٤٦١، والمحتسب ١/١٠٠.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٣٥٤.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٢٦/١٦٦.

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٠٦.

(٧) ينظر: إعراب القرآن ٣/٤٤٣.

(٨) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٠٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٣٢، والبحر المحيط ٧/٣٧٦، والفتوحات الإلهية ٣/٥٥٥، وروح المعاني ٢٣/١٤٧.

(٩) التبصرة والتذكرة ١/١٣٢.

(١٠) شرح المفصل ٨/٩٩.

(١١) ينظر: إعراب القرآن ٣/٤٤٣.

(١٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٣٢.

(١٣) ينظر: البحر المحيط ٧/٣٧٦، وينظر: الفتوحات الإلهية ٥/٥٥٥، وروح المعاني ٢٣/١٤٧.

الثالث: أن تكون للتخيير، والمعنى: أن الرائي إذا رآهم تخير في أن يعدهم مائة ألف أو يزيدون. وإليه أشار ابن الأنباري[١]، ونسبه الرماني[٢] إلى سيبويه، ورده ابن هشام بقوله: (ولايصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما)[٣].

الرابع: أن تكون للإباحة، يقول ابن مالك: (وأكثر ورود "أو" للإباحة في تشبيه أو تقدير... والتقدير نحو: {إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} فلو جيء بالواو في مثل هذا من الكلام لم يختلف المعنى. ولذلك قرأ بعض القراء: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ وَيَزِيدُونَ} بالواو)[٤]. وإلى هذا أشار الجمل[٥].

الخامس: أن تكون بمعنى "بل" قال ذلك الفراء، وأبو عبيدة[٦]، يقول الفراء: ("أو"هاهنا بمعنى "بل" كذلك في التفسير مع صحته في العربية)[٧].

واستشهد الطبري برواية ابن عباس أنه قال: (بل يزيدون، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفًا)[٨] ووافقهم الرضي[٩]، وإليه أشار ابن الأنباري[١٠]،

---

(١) ينظر: البيان ٣٠٨/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف ٤٨١/٢.

(٢) ينظر: معاني الحروف/٧٨، وليس لهذه الآية ذكر في كتاب سيبويه، وإنما قال في كلامه عن «أو» «تقول: جالس عمرًا أو خالدًا أو بشرًا، كأنك قلت: جالس أحد هؤلاء، ولم ترد إنسانًا بعينه، ففي هذا دليل أن كلهم أهل أن يجالس، كأنك قلت: جالس هذا الضرب من الناس» الكتاب ١٨٤/٣.

(٣) مغني اللبيب ٦٧/١.

(٤) شرح الكافية الشافية ١٢٢٣/٣، ١٢٢٤.

(٥) ينظر: الفتوحات الإلهية ٥٥٥/٣.

(٦) مجاز القرآن ١٧٥/٢.

(٧) معاني القرآن ٣٩٣/٢.

(٨) جامع البيان ١٠٤/٢٣.

(٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٩٦/٤.

(١٠) ينظر: البيان ٣٠٨/٢.

وأبوحيان [١]، ورده المبرد [٢]، والنحاس [٣]، والزجاج [٤]، وابن جني [٥]. يقول النحاس: (لايصح هذا القول، لأن "بل" ليس هذا من مواضعها، لأنها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده. وتعالى الله عز وجل عن ذلك، أو الخروج من شيء إلى شيء، وليس هذا موضع ذلك) [٦].

السادس: أن تكون بمعنى الواو. وهذان المعنيان ـ الخامس والسادس ـ هما مذهب الكوفيين القائلين بتقارب الحروف. وإليه أشار ابن الأنباري [٧]، والقرطبي [٨]، وأبو حيان [٩]. ورده النحاس [١٠]، والزجاج [١١]، والقرطبي [١٢]. يقول الزجاج: (و "أو" لاتكون بمعنى الواو؛ لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر، و"أو" معناها إفراد أحد شيئين أوأشياء) [١٣].

وأقرب الأقوال عندي إلى الصواب هو أن تكون "أو" على أصلها لأحد الأمرين: إما على سبيل الشك، وإما على سبيل الإبهام‌يقول ابن جني: (تأوّل أهل النظر قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قالوا: معناه وأرسلناه

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٧٦/٧. وينظر: الفتوحات الإلهية ٥٥٥/٣، وروح المعاني ١٤٧/٢٣.

(٢) المقتضب ٣٠٤/٣.

(٣) إعراب القرآن ٤٤٣/٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣١٤/٤.

(٥) سرّ صناعة الإعراب ٤٠٦/١ تحقيق: د/ حسن هنداوي، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٥، والجنى الداني/٢٤٦.

(٦) إعراب القرآن ٤٤٣/٣.

(٧) البيان ٣٠٨/٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٥.

(٩) البحر المحيط ٣٧٦/٧، وينظر: الفتوحات الإلهية ٥٥٥/٣، وروح المعاني ١٤٧/٢٣.

(١٠) إعراب القرآن ٤٤٣/٣.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٣١٤/٤.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٥.

(١٣) معاني القرآن وإعرابه ٤١٣/٤.

إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون. فهذا الشك إنما دخل الكلام على الحكاية لقول المخلوقين، لأن الخالق جل جلاله، وتقدست أسماؤه لايعترضه الشك في شيء من خبره. وهذا ألطف وأوضح معنى من قول قطرب: إن "أو" بمعنى الواو، ومن قول الفراء: إن "أو" بمعنى "بل" فهذا ما احتملته هذه الآية من القول)(١).

ويقول أبو جعفر النحاس: (وفي الآية قولان سوى هذين - يقصد بل والواو: أحدهما: أن المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أوأكثر، وإنما خُوطب العباد على ما تعرفون، والقول الآخر: أنه كما تقول: جاءني زيد أو عمرو، وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب)(٢).

* * * * *

(٢) سرّ صناعة الإعراب ٤٠٦/١.

(٣) إعراب القرآن ٤٤٣/٣.

الفصل الرابع

«بلى» ومواضعها

معنى « بلى »

(حرف ثلاثي الوضع، والألف من أصل الكلمة)[(١)]، وهذا مذهب البصريين. أما الكوفيون فيرون أنها مركبة، يقول الفراء: (بل كلمة عطف ورجوع لايصلح الوقوف عليها، فزادوا ألفًا يصلح فيها الوقوف عليه.... فقالوا: بلى، فدلّت على معنى الإقرار والإنعام، ودل لفظ "بل" على الرجوع عن الجحد فقط)[(٢)]، ووافقه الطبري[(٣)]، وابن فارس[(٤)]، إلا السهيلي فإنه يرى أنها مركبة من "بل و لا"[(٥)].

وقال بعضهم: (إن الألف للتأنيث بدليل إمالتها وكتابتها ياء)[(٦)]. (والأولى كونها حرفًا برأسها)[(٧)] كما قال البصريون.

و"بلى" (حرف جواب يجاب به النفي خاصة ويفيد إبطاله)[(٨)]، فتعطي من الإضراب ما تعطي "بل" إلا أنها لاتكون أبدًا إلا جوابًا للنفي[(٩)]، سواء اقترنت به أداة استفهام أم لا. فتقول في جواب النفي إن كان مجردًا "بلى" لمن قال: ما خرج زيد؟ ومعناه: قد خرج. فحلّت "بلى" محل الجملة الواجبة جوابًا للنفي. وإن كان مقرونًا باستفهام حقيقي نحو: أليس زيد بقائم؟ تقول: بلى.

أو باستفهام توبيخي نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾[(١٠)]، أو تقريري كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[(١١)].

---

(١) الجنى الداني/٤٠١، وينظر: مغني اللبيب ١/١٢٠، وهمع الهوامع ٤/٣٧٣.

(٢) معاني القرآن ١/٥٢، وينظر: "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم"/٦٢، والمحرر الوجيز ٣٦٩/١.

(٣) ينظر: جامع البيان ١/٣٨٤.

(٤) ينظر: الصاحبي/٢٠٧.

(٥) أمالي السهيلي/٤٤. تحقيق: د/محمد إبراهيم البنا.

(٦) مغني اللبيب ١/١٢٠، وينظر: همع الهوامع ٤/٣٧٢.

(٧) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٨، وينظر: جواهر الأدب/٤٤٨.

(٨) المعجم الوسيط، مادة «بلى".

(٩) رصف المباني/٢٣٤، وينظر: حروف المعاني والصفات/٢١.

(١٠) سورة الزخرف/٨٠.

(١١) سورة الأعراف/١٧٢.

أجرت العرب التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ "بلى"، ولذلك قال ابن عباس: (لو قالوا: نعم لكان كفراً)(١). ووجهه: (أن "نعم" تصديق للمخبر في الإيجاب والنفي. فإذا قال: ليس لك عندي وديعة، فقلت: نعم. كان تصديقاً له، وإن قلت: بلى، كان إيجاباً لما نفي)(٢)، ثم جروا في ذلك على مقتضى العرف لا اللغة فيما كان الاستفهام فيه للتقرير، وهو: (أن النفي مطلقاً إذا قصد إيجابه أجيب بـ"بلى"، وإن كان مقرراً بسبب دخول الاستفهام عليه، وإنما كان ذلك تغليباً لجانب اللفظ على المعنى)(٣). وبه نطق القرآن.

ونازع السهيلي وغيره في المحكي عن ابن عباس وغيره في الآية؛ بأن الاستفهام التقريري خبر موجب، وعليه يجوز أن تقع "نعم" موقع "بلى" مستدلين بما جاء في الحديث الشريف من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للمهاجرين: (ألستم تعرفون ذلك لهم؟ قالوا: نعم، قال: فإن ذلك)(٤) أي: أن ذلك شكر لهم.

وبقول جَحْدَر بن مالك:

أَلَيسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمْروٍ
وإيّانا فذاكَ بنا تدَاني
نعمْ وَتَرى الهِلال كما أراهُ
ويعلُوها النَّهارُ كما عَلاني(٥)

(١) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٦.

(٢) الجنى الداني/٤٠٢.

(٣) الدر المصون ٥/٥١٢.

(٤) قال أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٢٧٠، ٢٧١. (في حديث النبي - عليه السلام - أن المهاجرين قالوا: يارسول الله، إن الأنصار قد فضلونا، آوونا، وإنهم فعلوا بنا وفعلوا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ألستم تعرفون ذلك لهم؟ قالوا نعم، قال: فإن ذلك»)

وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر/لابن الأثير ١/٧٧. تحقيق: طاهر أحمد الزواوي، والدكتور/ محمود الطناحي.

وورد الحديث بلفظ "الأنصار" بدل "المهاجرين" في "الجنى الداني"/٤٠٢، ومغني اللبيب ١/٣٨٣.

(٥) البيت من الوافر، وهو من قصيدة لجحدر بن مالك الحنفي، قالها وهو في سجن الحجاج، والبيتان في كتاب الشعر والشعراء/لابن قتيبة برواية «بلى» مكان «نعم» وعليه فلا شاهد فيه./٢١٧ تحقيق: د/مفيد قميحة.

وينظر: خزانة الأدب ١١/٢٠١ فقد رواه بـ«نعم» وأشار إلى رواية ابن قتيبة ورواية السكري.

كما ردوا على ابن الطراوة تلحينه لسيبويه في قوله: (وإن زعم زاعمٌ أنه يقول: مررتُ برجلٍ مخالِطٍ بدنِه داءٌ، ففرقَ بينه وبين المنوّن. قيل له: ألستَ تَعلم أنّ الصفة إذا كانت للأوّل فالتنوينُ وغيرُ التنوين سَواءٌ؛إذا أردتَ بإسقاطِ التنوين معنى التنوين نحو قولك: مررتُ برجلٍ ملازمٍ أباك، ومررتُ برجلٍ ملازِمِ أبيكأومُلازِمِك، فإنّه لايَجد بُدّامن أن يقول نَعَمْ، وإلاّ خَالفَ جميعَ العرب والنحويّين، فإذا قال ذلك قلتَ: أفلستَ تَجعلُ هذا العملَ إذا كان منوَّنًا وكان لشيء من سبب الأوّل، أو التبَس به بمنزلته إذا كان للأوّل فإنه قائلٌ نَعَمْ.....)[1].

ففي هذا النص استعمل سيبويه "نعم" مكان "بلى" في موضعين، فذهب ابن الطراوة إلى أن ذلك لحن.

قال أبو حيان في "تذكرته" بعد أن نقل كلام سيبويه: (قد لحّن ابن الطراوة سيبويه في استعماله "نعم" في هذين الموضعين، وقال: إنما هو موضع "بلى" لاموضع "نعم". وهو كما قال في أكثر مايوجد من كلام النحاة)[2].

إذ يقول سيبويه نفسه في كتابه: (وأمّا "بَلى" فيوجب به بعد النفي، وأمّا نَعَم فَعِدَةٌ وتصديقٌ، تقول: قد كان كذا وكذا. فيقول: نعم، وليسا اسمين... فإذا استفهمتُ فقلتُ أتَفعلُ؟ أَجَبْتَ بِنَعَمْ، فإذا قلت: أَلَسْتَ تَفعلُ؟ قال: بلَى، يَجريان مجراهما قبل أن تَجيء الألف)[3].

ويقول المبرد في المقتضب: (وإنما الفصل بين "بلى" و "نعم" أن "نعم" تكون جوابًا لكل كلام لانفي فيه، و "بلى" لاتكون جوابًا إلا للنفي)[4].

---

(١) الكتاب ١٩/٢.

(٢) شرح أبيات المغني ٥٨/٦، وخزانة الأدب ٢٠٢/١١، وابن الطراوة النحوي» للدكتور/عياد الثبيتي/٢١٥.، وينظر كتاب "أبوالحسين بن الطراوة وأثره في النحو" للدكتورمحمد إبراهيم البنا/٩٥، ٩٦.

(٣) الكتاب ٢٣٤/٤.

(٤) المقتضب ٣٣٢/٢، وينظر: شرح جمل الزجاجي/لابن هشام/٤٠٨، تحقيق: د/علي محسن عيسى مال الله.

ويقول الرماني: (وهي من الحروف الهوامل، وهي جواب التقرير، فيقول القائل: ألم أحسن إليك؟ فتقول: بلى. قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[(١)]، ولايجوز هنا نعم، لأنه يصير كفراً، وذلك أنه يؤول إلى معنى نعم لست بربنا)[(٢)].

ويقول ابن الأنباري في "البيان": ("بلى" حرف يأتي في جواب الاستفهام في النفي، و"نعم" يأتي في جواب الاستفهام في الإيجاب....)[(٣)].

فهذه النصوص تؤيد ماذهب إليه ابن الطراوة، إلا أن بعض النحاة لم يرضوا بتخطئة ابن الطراوة لكلام سيبويه، وأخذوا يبحثون عن مخرج لقول سيبويه، ومن هؤلاء السهيلي[(٤)]، والشلوبين[(٥)]، وابن عصفور[(٦)]، وابن هشام[(٧)].

يقول السهيلي في وقوع "نعم" موقع "بلى": (إذا ثبت هذا فلا يمتنع أن يجاب بنعم بعد الاستفهام من النفي، لاتريد تصديق النفي، ولكن تحقيق الإيجاب الذي في نفس المتكلم، لأن المتكلم إذا قال لمن رآه يشرب الخمر منكراً عليه: أليست الخمر حراماً؟ لم يستفهمه في الحقيقة، وإنما أراد تقريره أو توبيخه، وفهم مراده في ذلك بقرينه، فلما فهم مراده وأنه يعتقد التحريم جاز أن يجاب بنعم، تصديقًا لمعتقده دون التفات إلى لفظ النفي....)[(٨)].

وإذا كان الأمر كذلك (لم يكن قول الشاعر مخالفًا لابن عباس ـ رضي الله

---

(١) سورة الأعراف/١٧٢.

(٢) معاني الحروف/١٠٥.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٩٩.

(٤) ينظر: أمالي السهيلي/٤٥.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ١/٣٨٣.

(٦) ينظر: شرح جمل الزجاجي ٢/٤٨٦.

(٧) ينظر: مغني اللبيب ١/٣٨٣.

(٨) أمالي السهيلي/٤٥، ٤٦.

عنهما - فيما قاله من ذلك، لأنه لم يتواردا على معنى واحد، فإن الذي منعه إنما منعه على أن "نعم" جواب، وإذا كانت جوابًا إنما يكون تصديقًا لما بعد ألف الاستفهام، والذي أجازه إنما أجازه على أن تكون "نعم" غير جواب، وإنما "نعم" فيه على وجه التصديق لمعنى الاستفهام الذي هو التقرير)[(١)] . قاله أبو حيان، وإليه ذهب الرضي[(٢)] . ومع ذلك يقول أبو حيان في "الارتشاف": (وأما قول جحدر:

أليس الليل يجمع أم عمرو...... البيتين.

فليس نصًا في أن التقرير يجاب بنعم)[(٣)] ، وبهذا فلا يزال التناقض قائمًا بين كلام ابن عباس وكلام غيره، (فلابد من دليل سمعي يبين جواز ذلك)[(٤)] (ولم يُذكر سوى بيتي جحدر، وقد ذكرت له عدة تأويلات، فلا يقوم بمثله حجة على إثبات ما ثبت في اللسان العربي خلافه)[(٥)] ، وهذه التأويلات هي:

الأول: (أن يكون "نعم" فيه جوابًا لما قدره في نيته واعتقاده من أن الليل يجمع أم عمرو وإياه، فجاء الجواب بنعم، وإن لم يكن ملفوظاً به لزوال اللبس، لأنه أجاب نفسه فعلم ما أراد. أو يكون جوابًا لقوله: أليس الليل، وإن كان تقريرًا لزوال اللبس لأنه علم أنه لاينكر أحد أن الليل يجمعهما، وهو أيضًا يجيب فقد علم ماأراد)[(٦)] . قاله ابن عصفور، وسبقه إلى هذا الرأي السهيلي[(٧)] .

الثاني: أن يكون جوابًا لما بعده، حيث قال ابن عصفور: (ويجوز أن تكون جوابًا لقوله: وترى الهلال، فقدم)[(٨)] ، فقال البغدادي: (وفيه نظر، لأن قوله: "وترى

---

(١) خزانة الأدب ٢٠٢/١١. نقلاً عن «كتاب التذكرة» لأبي حيان.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤٢٧/٤، وينظر: شرح المفصل ١٢٣/٨، ١٢٤.

(٣) ارتشاف الضرب ٢٦١/٣.

(٤) خزانة الأدب ٢٠٥/١١.

(٥) المرجع السابق. نقله البغدادي عن أبي حيان.

(٦) شرح جمل الزجاجي ٤٨٦/٢.

(٧) ينظر: أمالي السهيلي/٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٨) شرح جمل الزجاجي ٤٨٦/٢.

الهلال"، عطف على ماقبله، فهو داخل تحت التقرير)[(١)].

الثالث: أن قوله "نعم" ليس جوابًا للتقرير، وإنما هو جواب لقوله: "فذاك بنا تدان".

أشار إلى ذلك السهيلي[(٢)]، والمالقي[(٣)]، وهو الأولى عند أبي حيان، وابن هشام. يقول أبو حيان: (والأولى عندي أن يكون جوابًا لقوله: فذاك بنا تداني. لأنها جملة خبرية، ولاتحتاج إلى شيء من هذه التكلفات)[(٤)].

ولقلة الشواهد التي استدلوا بها، فإنه لايصح القياس عليها.

أما مجيء "بلى" بعد الإيجاب فشاذ، يقول الرضي: (وزعم بعضهم أن "بلى" تستعمل بعد الإيجاب مستدلاً بقوله:

وقد بعُدت بالوصل بيني وبينها
بلى، إن من زار القبور ليَبْعُدا[(٥)]

واستعمال "بلى" في البيت لتصديق الإيجاب شاذ)[(٦)]، وجاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (بَيْنَمَا رسولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُضِيفٌ ظَهْرهُ إلى قُبَّةٍ مِنْ أدم يمانٍ إذْ قال لأصْحابِه: أَتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهلِ الجنَّةِ قالُوا: بَلى. قال: أَفَلَمْ تَرْضَوْا أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّةِ.

---

(١) خزانة الأدب ٢٠٥/١١.

(٢) ينظر: أمالي السهيلي/٤٧.

(٣) ينظر: رصف المباني/٤٢٧.

(٤) التذييل والتكميل ٥ ورقة ١٩٦.

(٥) قال البغدادي في الخزانة ٢١٢/١١: (وهذا البيت لم أعرفه، ولم أنظره إلا في شرح الرضي، ثم قال: وجاء في شعر الطهوي:

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب   بلى إن من زار القبور ليبعدا)

(٦) شرح الرضي على الكافية ٤٢٧/٤.

قالُوا: بَلَى. قال: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تكُونُوا نصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ)[١] . فـ "بلى" الأولى أجيب بها الاستفهام المجرد من النفي، وهو موضع نعم، وفي رواية أخرى قال: (كنا مع النبي ـ صلى لله عليه وسلم ـ في قبة فقال: أَتَرْضَوْنَ أنْ تكُونُوا رُبُعَ أهلِ الجنَّةِ. قُلْنا: نَعَمْ.....)[٢] . إلى آخر الحديث.

وجاء في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: (انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يارسول الله أشهد أني قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي. فقال: أكل بنيك قد نحلت مثل مانحلت النعمان، قال: لا. قال: فاشهد على هذا غيري. ثم قال: أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى. قال: فلا إذن)[٣] .

و"بلى" استعملت هنا أيضًا في جواب الاستفهام المجرد، وهو موضع "نعم". قال ابن هشام: (وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك، لأنه قليل فلايتخرج عليه التنزيل)[٤] ، ولاختلاف الروايات.

*   *   *   *   *

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/كتاب الأيمان والنذور/باب كيف كانت يمين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١٧٤/٢٣.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ كتاب الرقاق، باب كيف الحشر/١٠٧/٢٣، ١٠٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ٦٨/١١.

(٤) مغني اللبيب ١٢١/١.

مواضع "بلى" في القرآن الكريم

مواضع "بلى" في القرآن الكريم

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١)

جاءت "بلى" في جواب نفي وهو "لن" في قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ فحسُنت؛ لأن "بلى" ردٌّ لما نفوه، وإثبات لما بعده، ولهذا أفادت في هذه الآية تكذيب القائلين من اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ إذ رد الله عليهم بقوله: ﴿بَلَى﴾ والمعنى: بلى تمسكم أبدًا بدليل قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأن الخلود في النار والجنة يكون بحسب الكفر والإيمان، والجنة لايسكنها إلا أهل الإيمان والطاعة.(٢)

* * *

---

(١) سورة البقرة/٨٠، ٨١.

(٢) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٥٣/١، وجامع البيان ٣٨٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٦٢/١، والكشاف ٢٩٢/١، البيان ٩٩/١، والمحرر الوجيز ٣٦٩/١، البحر المحيط ٢٧٩/١.

{وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[1]

"بلى" (إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة)[2]، والمعنى: بلى يدخل الجنة غيرهم.

ورغم موافقه الرازي لما سبق أضاف وجهًا آخرًا لـ"بلى" وهو (أنه تعالى لما نفى أن يكون لهم برهان أثبت أن لمن أسلم وجهه لله برهانًا)[3]، ورده أبوحيان[4]، والآلوسي[5].

* * *

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.....}[6]

لـ "الواو" في قوله {أَوَلَمْ تُؤْمِن} ثلاثة أوجه:

الأول: (أنها للعطف، وقدمت عليها همزة الاستفهام لأن لها صدر الكلام، والهمزة هنا للتقرير، والذي يظهر أن التقرير إنما هو منسحب على الجملة المنفية، كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا}[7] أي: جعلناه حرمًا آمنًا،

---

(١) سورة البقرة/١١١، ١١٢.

(٢) الكشاف ١/٣٠٥، وينظر: جامع البيان ١/٤٩٣، والمحرر الوجيز ١/٤٥٠، والتفسير الكبير ٤/٣، والبحر المحيط ١/٣٥١، وروح المعاني ١/٣٦٠.

(٣) التفسير الكبير ٤/٣.

(٤) البحر المحيط ١/٣٥١.

(٥) روح المعاني ١/٣٦٠.

(٦) سورة البقرة/٢٦٠.

(٧) سورة العنكبوت/٦٧.

وقوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[(١)] أي قد شرحنا لك صدرك، وقال الشاعر[(٢)]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وَأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ؟[(٣)]

أي: أنتم خير[(٤)].

الثاني: أنها للعطف على جملة محذوفة دل عليها المقام، والتقدير: أشككت ولم تؤمن. على رأي الزمخشري كما سبق.

الثالث: (أنها واو الحال، دخلت عليها ألف التقرير)[(٥)] قاله ابن عطية، وفيه نظر، (لأنها إذا كانت للحال فلابد أن يكون في موضع نصب، وإذ ذاك لابد لها من عامل فلاتكون الهمزة للتقرير دخلت علي هذه الجملة الحالية، إنما دخلت على الجملة التي اشتملت على العامل فيها، وعلى ذي الحال، ويصير التقدير: أسألت ولم تؤمن، أي أسألت على هذه الحال، ولذلك كان الجواب بـ"بلى")[(٦)]؛ لأن "بلى" إيجاب[(٧)] للنفي. وإن صار معناه الإثبات اعتباراً لجانب اللفظ على المعنى، وهذا ماجرت عليه العرب. فبعد ما قال تعالى لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ {أَوَلَمْ تُؤْمِن} أي: أولم تصدق ياإبراهيم بأني على ذلك قادر، قال: "بلى آمنت" وماسألت غير مؤمن، ولكن سألت ليزداد قلبي سكونًا وطمأنينة.

أما على تقدير ابن عطية فيعسر المعنى لأنه (لايتأتى أن يجاب العامل في الحال بقوله "بلى" لأن ذلك الفعل مثبت مستفهم عنه، فالجواب إنما يكون في التصديق بـ"نعم" وفي غير التصديق بـ"لا" أما أن يجاب بـ"بلى" فلايجوز)[(٨)] لأن "بلى" تعقب كلامًا منفيًا لتثبته.

---

(١) سورة الشرح/١.

(٢) قائله جرير.

(٣) هذا البيت من البحر الوافر، وفيه يمدح جرير عبد الملك بن مروان.

وينظر البيت في شرح ديوانه/٩٨.

(٤) البحر المحيط ٢/٢٩٧، ٢٩٨. «بتصرف»

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤١٩.

(٦) البحر المحيط ٢/٢٩٨.

(٧) ينظر: الكشاف ١/٢٩١، والبحر المحيط ٢/٢٩٨.

(٨) البحر المحيط ٢/٢٩٨. «بتصرف»

{... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}(١)

إن لفيفًا من بني إسرائيل كانوا يقولون : نحن أهل الكتاب، والعرب أميون أصحاب أوثان، فأموالهم لنا حلال متى قدرنا على شيء منها لاحجة علينا في ذلك، ولاسبيل لمعترض وناقد علينا في ذلك(٢)، فرد الله قولهم وكذبهم فقال: {بَلَىٰ} أي: بلى عليهم سبيل وحجة، فجاءت "بلى" موجبة لما نفوه إذ سبقت بنفي وهو {لَيْسَ}، ثم قال تعالى: {مَنْ أَوْفَىٰ......} فجاءت هذه الجملة مقررة للجملة التي سدت "بلى" مسدها(٣).

* * *

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}(٤)

{أَلَن يَكْفِيَكُمْ} (دخلت أداة الاستفهام على حرف النفي "لن" على سبيل الإنكار، والمعنى: إنكار عدم كفاية الإمداد بهذا العدد، وجيء بـ "لن" بدل "لا" لتأكيد النفي إشعارًا بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم، وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر. و"بلى" إيجاب لما بعد النفي "لن" بمعنى: بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية)(٥). وبه قال الزمخشري، ووافقه أبو حيان(٦).

وقال ابن عطية: ({أَلَن يَكْفِيَكُمْ} تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد

---

(١) سورة آل عمران/٧٥، ٧٦.

(٢)ينظر: جامع البيان ٣/٣١٨، ٣١٩.

(٣) ينظر: إعراب القرآن/للنحاس ١/٣٨٩، والكشاف ١/٤٣٨، والتبيان ١/٢٧٣، والبحر المحيط ٢/٥٠١، وتفسير أبي السعود ٢/٥٠، ٥١.

(٤) سورة آل عمران/١٢٤، ١٢٥.

(٥) الكشاف ١/٤٦١. «بتصرف».

(٦) ينظر: البحر المحيط ٣/٥٠.

من الملائكة، ومن حيث كان الأمر بينًا في نفسه أن الملائكة كافية بادر المتكلم إلى الجواب ليبني مايستأنف من قوله عليه، فقال: "بلى" وهي جواب المقررين، وهذا يحسن في الأمور البينة التي لامحيد في جوابها)[١].

ويفهم من كلام ابن عطية أنه يمكن أن تقع "نعم" في بعض مواقع "بلى" وهذا موافق لقول الشلوبين: (إذا كان قبل النفي استفهام فإن كان على حقيقته فجوابه كجواب النفي المجرد، وإن كان مرادًا به التقرير فالأكثر أن يجاب بمايجاب به النفي رعيًا للفظه، ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب به الإيجاب رعيًا لمعناه)[٢]، وهذا مخالف لما عرف عن العرب حيث أجروا التقرير مُجرى النفي المحض، وإن كان إيجابًا في المعنى تغليبًا لجانب اللفظ على المعنى.

* * *

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣]

أي: ولو ترى يامحمد القائلين: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٤] يوم القيامة واقفين بين يدي الله، يقال لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم به تكذبون في الدنيا حقًا؟ فيجيبون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحق. مؤكدين جوابهم باليمين إقرارًا بالإيمان ورغبة في تخفيف العذاب. فكان جوابهم بـ "بلى" إقرارًا وإثباتًا لما بعد النفي.

يقول ابن عطية: (و "بلى" هي التي تقتضي الإقرار بما استفهم عنه منفيًا ولاتقتضي نفيه وجحده، و"نعم" تصلح للإقرار به، ......وتصلح أيضًا نعم لجحده فلذلك لاتستعمل)[٥]. ومعناه: إذا قال لك قائل: ألم أعطك دينارًا؟ قلت: نعم. لم

(١) المحرر الوجيز ٣٠٨/٣.

(٢) مغني اللبيب ٣٨٣/١.

(٣) سورة الأنعام/٣٠.

(٤) سورة الأنعام/٢٩.

(٥) المحرر الوجيز ١٧٤/٥، تحقيق: الشيخ / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني.

يُدْر هل أردت نعم لم تعطني، فيكون مخالفًا للسائل أو نعم أعطيتني فتكون موافقًا له، ولما كان يلتبس أجابوه على اللفظ ولم يلتفتوا إلى المعنى جريًا على عادة العرب في تغليب اللفظ على المعنى. ولما فهم من كلام ابن عطية في غير موضع أنه يجوّز وقوع "نعم" موقع "بلى" إذا كانت للتصديق، نراه يخطئ الزجاج وغيره في قولهم: (إنها إنما تقتضي جحده، وإنهم لو قالوا: "نعم" عند قوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}[1] لكفروا)[2].

والأقرب عندي إلى الصواب ما قاله جمهور النحاة، وجرت عليه عادة العرب.

* * *

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ}[3]

{أَلَسْتُ} (دخلت همزة الاستفهام على النفي فصار معناها التقرير، وهذا النوع من التقرير يجاب بما يجاب به النفي الصريح، فإذا قلت: ألست من بني فلان؟ أجيب بـ "بلى" وصار معناه أنت من بني فلان، فكذلك أجيب بـ "بلى" ومعناه أنت ربنا)[4] قاله أبو حيان، ولهذا قال ابن عباس: (لو قالوا نعم لكفروا)[5] يريد أن النفي إذا أجيب بـ "نعم" كانت تصديقًا له، فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم، وهذا لأن العرب أجرت النفي مع التقرير مجرى النفي المحض، وهو ما عليه الجمهور. وبه أقول، وإليه أميل.

* * *

(١) سورة الأعراف/١٧٢.

(٢) المحرر الوجيز ١٧٤/٥.

(٣) سورة الأعراف/١٧٢.

(٤) النهر الماد ٨٨٥/١، ٨٨٦.

(٥) ينظر: الدر المصون ٥١٢/٥.

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(١)

أي حين يُعاين الكفرة الموت وقد نزل بهم يقولون {مَاكُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ} وهذا النفي فيه وجهان:

أحدهما: (أنهم كذبوا وقصدوا الكذب اعتصاماً منهم به، والآخر: أنهم أخبروا عن أنفسهم أنهم لم يكونوا يعملون سوءاً، فأخبروا عن ظنهم بأنفسهم، وهو كذب في نفسه، وحسن الرد عليهم في الوجهين جميعًا بـ "بلى")(٢) قاله ابن عطية، والتقدير: (بلى قد كنتم تعملون السوء)(٣) فأثبت بـ"بلى" ما نفوه عن أنفسهم.

* * *

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَايَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا...}(٤)

حلف هؤلاء المشركون من قريش بالله أن لايبعث الله من يموت بعد مماته، فرد الله عليهم بإثبات مانفوه فقال: {بَلَى} أي «بلى يبعثهم»(٥)، فأوجب بذلك البعث وهو ماوعده لعباده، والله لايخلف الميعاد.

* * *

(١) سورة النحل/٢٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٤/٨، وينظر: البحر المحيط ٤٨٦/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٠، وينظر: تفسير أبي السعود ١٠٩/٥.

(٤) سورة النحل/٣٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن/للفراء ١٠٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٩٨/٣، والكشاف ٤٠٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١٠، والمحرر الوجيز ٤١٥/٨، البحر المحيط ٤٩٠/٥، وغيرهم.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ....}(١)

أي نفى الذين كفروا البعث وأنكروا مجيء الساعة أو استبطأوا مجيئها على سبيل الهزء. فقال الله: قل لهم يامحمد {بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} فأوجب بـ"بلى" ما بعد النفي على معنى (أن ليس الأمر إلا اتيانها ثم أعاد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل)(٢) قاله الزمخشري.

* * *

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ}(٣)

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ.....} (استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة، والهمزة للإنكار والنفي، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشاها أول مرة، وليس الذي جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظيم شأنهما {بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}..... {بَلَىٰ} جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي وإيذان بتعيين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام، ثم قال تعالى: {وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} عطف على مايفيده الإيجاب أي بلى هو قادر على ذلك، وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفاً وكماً)(٤) . قاله أبو السعود ووافقه الجمل(٥) ، والآلوسي(٦) .

(١) سورة سبأ/٣.

(٢) الكشاف ٢٧٩/٣، وينظر: تفسير أبي السعود ١٢١/٧، وروح المعاني ١٠٥/٢٢.

(٣) سورة يس/٨١.

(٤) تفسير أبي السعود ١٨٢/٧. ومراده من المبالغة في الخلق والعلم أنهما من الكثرة بحيث لاتعبر اللغة عنهما إلا بصيغ المبالغة.

(٥) ينظر: الفتوحات الإلهية ٥٢٧/٣.

(٦) ينظر: روح المعاني/٥٦/٢٣.

وعليه فـ"بلى" جاءت في هذه الآية جوابًا لاستفهام تقريري إذا أثبتت مانفوه وهو قدرة الله عز وجل على الخلق والإعادة.

*   *   *

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[(١)]

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي...﴾ جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، (وكان الجواب بـ"بلى" وهي إنما تأتي في جواب النفي، لأن المعنى: ماهداني الله وماكنت من المتقين، فقيل له: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت فلولا أن معنى الكلام النفي لما وقعت "بلى" في جوابه)[(٢)]. قاله ابن الأنباري، وإليه ذهب الزجاج[(٣)]، والزمخشري[(٤)]، وأبو حيان[(٥)]. ونقل أبوحيان[(٦)] ،والزركشي[(٧)] عن ابن عطية أنه قال: (وحق بلى أن تجيء بعد نفي عليه تقرير)[(٨)] .ورده أبو حيان بقوله: (وليس حق "بلى" ماذكر بل حقها أن تكون جواب نفي ثم حمل التقرير علي النفي ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب، ووقع ذلك أيضًا في كتاب سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بـ"نعم" اتباعًا لبعض العرب)[(٩)]، وماذكر عن سيبويه وغيره مخالف لما جاء في التنزيل، ولما اتفق عليه جمهور النحاة.

---

(١) سورة الزمر/٥٧، ٥٨، ٥٩.

(٢) البيان ٢/٣٢٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٥٩.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٤٠٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٧/٤٣٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/٢٦٣.

(٨) البحر المحيط ٧/٤٣٦.

(٩) المرجع السابق.

أما ما نقل عن ابن عطية بأنه نفى مجيء "بلى" بعد نفي سوى التقرير، فإني أجده مخالفًا لما في كتابه "المحرر" حيث يقول: (والقانون أن "بلى" تجيء بعد النفي، و"نعم" تجيء بعد الإيجاب، وقد تجيء بعد التقرير، كقولك: أليس كذا؟ ونحوه. ولاتجيء بعد نفي سوى التقرير)(١).

فيحتمل قوله: (ولاتجيء بعد نفي سوى التقرير) وجهين:

الأول: أنه أراد بذلك "بلى" وهذا هو المفهوم من كلامه.

الثاني: أنه أراد "نعم". وهذا مافهمه أبو حيان وينقض كلام أبي حيان ماجاء عن ابن عطية في قوله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً...... بَلَىٰ﴾(٢)؛ حيث قال: (بلى رد بعد النفي، بمنزلة نعم في الإيجاب)(٣). أي أن بلى تأتي بعد نفي وإن لم يكن مسبوقًا باستفهام. وقال في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ.... بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ....﴾(٤)، (وقول اليهود "لن" نفي حسنت بعده "بلى" إذ هي رد بالإيجاب في جواب النفي)(٥).

وبهذا نجد تناقضًا بين ماورد فيما طبع من كتابه، ومانقله عنه أبو حيان.

ثم سأل الزمخشري: (فإن قلت: هلاّ قرن الجواب بماهو جواب له، وهو قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ ولم يفصل بينهما بآية؟

أجاب بأنه إن تقدم على إحدى القرائن الثلاث فُرِّق بينهن وبين النظم، فلم يحسن. وإن تأخرت القرينة الوسطى نقض الترتيب، وهو التحسر على التفريط في الطاعة، ثم التعليل بفقد الهداية، ثم تمنى الرجعة، فكان الصواب ما جاء عليه، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب)(٦). قاله الزمخشري، واستحسنه أبو حيان(٧).

---

(١) المحرر الوجيز ٤٠٥/٨.

(٢) سورة البقرة/٨٠، ٨١. وقد تقدم ذكرها.

(٣) المحرر الوجيز ٣٦٩/١.

(٤) سورة البقرة/١١١، ١١٢.وقد تقدم ذكرها.

(٥) المحرر الوجيز ٤٥٠/١.

(٦) الكشاف ٤٠٥/٣.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٤٣٦/٧.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١)

والمعنى: ويوم يُحشر الذين كفروا بالله إلى النار التي أعدها الله لهم يوم القيامة يسألهم خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي قد أتونا وأنذرونا(٢) ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لسوء أعمالنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة. فجاءت بلى إيجابًا لما بعد النفي. وهو ﴿لَمْ﴾ المسبوق بهمزة الإستفهام" على عادة بعض العرب في التقرير كما سبق.

* * *

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ......﴾(٣)

قال أهل جهنم لخزنتها وقوّامها، استغاثة بهم على ماهم فيه من كرب عظيم، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ فرد عليهم الخزنة على سبيل التوبيخ بإضاعتهم لأوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الإجابة ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي «أتونا وأنذرونا فكذبناهم»(٤) كما نطق به قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾(٥).

* * *

(١) سورة الزمر/٧١.

(٢) ينظر: الكشاف ٤١٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٥، والبحر المحيط ٤٤٣/٧.

(٣) سورة غافر/٤٩، ٥٠.

(٤) ينظر: الكشاف ٤٣١/٣، وتفسير أبي السعود ٢٨٠/٧، وروح المعاني ٧٦/٢٤.

(٥) سورة الملك/٩. وسيأتي ذكرها.

{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}(١)

أي: أيحسب هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع مايتناجون به ويخفونه عن الناس، فلانعاقبهم لخفائه علينا، {بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} أي بلى نحن نعلم مايتناجون به، وحفظتنا لديهم يكتبون ماينطقون به ويتكلمونه.

وجاءت "بلى" في هذه الآية لإثبات مانفوه، إذ سبقت بحرف النفي {لَا} وهي جواب للكلام المنفي، والتقدير: «بلى نسمعها ونطلع عليها»(٢).

* * *

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٣)

أولم ير هؤلاء المنكرون البعث أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يكل ولم يتعب بقادر على إعادتهم أحياء مرة أخرى بعد الموت "بلى" إن الذي يقدر على خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى ولايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فجاءت بلى (مقررة لإحياء الموتى)(٤) فهي جواب للنفي بإبطاله فهي تبطل النفي وتقرر نقيضه بخلاف نعم فإنها تقرر النفي نفسه.

* * *

---

(١) سورة الزخرف/٨٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٤٩٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ١١٩/١٦، والبحر المحيط ٢٨/٨، وتفسير أبي السعود ٥٦/٨، وروح المعاني ١٠٤/٢٥.

(٣) سورة الأحقاف/٣٣.

(٤) البحر المحيط ٦٨/٨، وينظر: أبي السعود ٨٩/٨.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[١]

أي يوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث على النار يقال لهم حينئذ: أليس هذا العذاب الذي تُعذبونه اليوم هو الذي كنتم به تكذبون في الدنيا بحق؟ توبيخًا لهم فيجيبون ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ مؤكدين جوابهم بالقسم، وكأنهم يريدون بذلك الاعتراف خلاصهم وأنى لهم ذلك[٢].

* * *

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٣]

حين يضرب بحاجز بين المنافقين والمؤمنين يوم القيامة، يأخذ المنافقون في نداء المؤمنين ويقولون لهم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم فنافقتم[٤]. فبقولهم "بلى" أثبتوا ما بعد النفي وهو وجودهم معهم في الدنيا.

* * *

---

(١) سورة الأحقاف/٣٤.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٩٠/٨، وروح المعاني ٣٤/٢٦.

(٣) سورة الحديد/١٤.

(٤) ينظر: إعراب القرآن/للنحاس ٣٥٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٧، والبحر المحيط ٢٢١/٨، وتفسير أبي السعود ٢٠٨/٨، وروح المعاني ١٧٧/٢٧.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١)

والمعنى: زعم الذي كفروا بالله أن الله لن يبعثهم من قبورهم. فقال الله: قل لهم يامحمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أي لتخرجن من قبوركم أحياء﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أي لتخبرن بما عملتم في الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ إذ الإعادة أسهل من الابتداء.

فجاءت "بلى" «رداً عليهم وإبطالاً لزعمهم وإثباتًا لما نفوه وهو البعث»(٢)، فـ"بلى"تنقض النفي وتثبت المنفي والمعنى: قل بلى تبعثون.

* * *

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ....﴾(٣)

والمعنى: إنه كلما ألقي فوج من الكفار في جهنم سألهم خزنتها زيادة لهم في العذاب ألم يأتكم نذير في الدنيا فينذركم العذاب الذي أنتم فيه فيقول الكفار: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾. وهذا اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم(٤) . فأثبتت ﴿بَلَىٰ﴾ ماجاء بعد النفي وهو بعث النذير، وجمعوا في جوابهم بين بلى ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف.

* * *

---

(١) سورة التغابن/٧.

(٢) ينظر: الكشاف ١١٤/٤، والبحر المحيط ٢٧٧/٨، وتفسير أبي السعود ٢٥٦/٨، وروح المعاني ١٢٢/٢٨.

(٣) سورة الملك/٨،٩.

(٤) ينظر: الكشاف ١٣٦/٤، والتفسير الكبير ٦٤/٣٠، والبحر المحيط ٣٠٠/٨.

{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ.بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ}(١)

وقوله: {أَيَحْسَبُ} استفهام توبيخ وتقرير، أي أيظن ابن آدم المنكر للإعادة بعد الموت أن الله لايقدر على ذلك {بَلَىٰ} قادر على جمعها بعد تفرقها، وقادر على أعظم من ذلك وهو أن يسوي بين أصابع يديه ورجليه فيجعلها كخف البعير شيئًا واحدًا (فأوجبت بلى ما بعد النفي وهو الجمع وكأنه قيل: بلى نجمعها)(٢).

* * *

{إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ. بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا}(٣)

أي: أن هذا الذي أوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة ظن في الدنيا أنه لن يرجع إلى الله، ولن يبعث بعد موته، ولذلك كان مسرورًا في أهله، لايبالي بما يرتكب من ذنوب وآثام، فرد الله عليه ظنه فقال: {بَلَىٰ} أي ليس الأمر كما ظننت بل ترجع إلينا وتحاسب على مافعلت، فإن الله عالم بكل مايفعله المرء في دنياه ولابد من رجوعه إلى الله للمحاسبة. والتقدير: "بلى ليحورنّ" فـ "بلى" إيجاب لما بعد النفي في "لن"(٤).

* * * * *

---

(١) سورة القيامة/٣، ٤.

(٢) الكشاف ٤/١٩٠، وينظر: البحر المحيط ٨/٣٨٥، وتفسير أبي السعود ٩/٦٥.

(٣) سورة الانشقاق/١٤، ١٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٣/٢٥١، والكشاف ٤/٢٣٥، والبحر المحيط ٨/٤٤٧، وتفسير أبي السعود ٩/١٣٣.

الباب الثاني

أساليب الاستدراك

الفصل الأول
« لكنَّ »
المشددة ومواضعها

الفصل الثاني
« لكن »
ساكنة النون ومواضعها

الفصل الثالث
« إلا »
في الاستثناء المنقطع

الفصل الأول

«لكنّ» المشددة ومواضعها

« لكنّ » المشددة

"لكن" حرف ناسخ من أخوات "إن" تدخل على المبتدأ والخبر، فتنصب الأول ليكون اسمها، وترفع [(١)] الثاني ليكون خبرها، يقول سيبويه: (ولكنَّ المثقَّلَةَ في جميع الكلام بمنزلة "إنّ") [(٢)] غير أنها تفيد معنى الاستدراك.

والاستدراك هو: (دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعًا شبيهًا بالاستثناء) [(٣)]، ومن ثم قدر الاستثناء المنقطع بـ "لكن" في كون مابعدها مخالفًا لما قبلها كـ "إلا" في الاستثناء. فإذا قلت: جاءني زيد، فكأنه توهم أن عمرًا جاءك أيضًا لما بينهما من الإلفة فرفعت ذلك التوهم بقولك: لكن عمرًا لم يجيء. فمعنى الاستدراك لايتحقق إلا إذا وقعت "لكن" بين كلامين متنافيين بوجه ما. (فإن كان ماقبلها نقيضًا لما بعدها نحو: ماهذا ساكن لكنه متحرك. أو ضدًا نحو: ماهذا أسود لكنه أبيض، جاز بلا خلاف، وأفاد مع الاستدراك التوكيد حيث مابعدها مفهوم عما قبلها خطر الجمع بين متناقضين أو متضادين، وإن كان خلافًا ففي جوازه خلاف، نحو: "ماهذا آكل لكنه شارب") [(٤)]. يقول الزمخشري: ("لكن" هي للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي، وذلك قولك: ماجاءني زيد لكن عمرًا جاءني، وجاءني

---

(١) هذا على مذهب البصريين، أما الكوفيون فقالوا: بأن «إن" وأخواتها لاترفع الخبر، وإنما هو باق علي رفعه قبل دخولها.

ينظر: الإنصاف في مسائل الخلافا/١٧٦ومابعدها. مسألة/٢٢.

(٢) الكتاب ٢/١٤٥.

(٣) الكليات ٤/١٦٢.

(٤) ارتشاف الضرب ٢/١٢٨. «بتصرف"، وينظر: إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي/٩٣، ٩٤، والجنى الداني/٥٥٥.

زيد لكن عمراً لم يجيء.... والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ كقولك: فارقني زيد لكن عمراً حاضر، وجاءني زيد لكنّ عمراً غائب، وقوله تعالى: {... وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ...} [1] على معنى النفي وتضمن ماأراكهم كثيراً) [2]، فحذف السبب وهو نفي الرؤية وأقام المسبب مقامه.

و(لم يجز بإجماع) [3] أن تقع "لكن" بين كلامين متماثلين كقولك: زيد قائم لكن عمراً قائم. فأنت حين أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك. فعندما قلت: لكن عمراً قائم فسد الكلام، ولكن تقول في مثل هذا: لكن عمراً لم يقم فيصير مابعدها نفياً وماقبلها إيجاباً فيتحقق الاستدراك.

---

(١) سورة الأنفال/٤٣، وسيأتي ذكرها.

(٢) المفصل في العربية/للزمخشري/٣٠٠، وينظر: شرحه ٨/٨٠، وشرح الرضي على الكافية ٤/٣٧٢، والفوائد الضيائية في شرح كافية ابن الحاجب/للجامي ٢/٣٥١.تحقيق: د/أسامة الرفاعي.

(٣) الجنى الداني/٥٥٥.

« لكنَّ » بين البساطة والتركيب

ذهب البصريون إلى أن «لكنَّ» (بسيطة منتظمة من خمسة أحرف، وهو أقصى ماجاءعليه الحرف)[١].

يقول ابن يعيش: (أما "لكن" فحرف نادر البناء لامثال له في الأسماء والأفعال، وألفه أصل لأنا لانعلم أحدًا يؤخذ بقوله ذهب إلى أن الألفات في الحروف زائدة. فلو سميت به لصار اسمًا وكانت ألفه زائدة، ويكون وزنه فاعلاً لأن الألف لاتكون أصلاً في ذوات الأربعة من الأفعال والأسماء)[٢].

وذهب الكوفيون إلى أنها مركبة، ثم اختلفوا:

١ ـ فذهب الفراء إلى أنها مركبة من ثلاثة أشياء: "اللام" و "إنّ" و "الكاف"، يقول: (وإنما نصبت العربُ بها إذا شُدّدت نونها لأن أصلها: إنّ عبد الله قائم، فزيدت على "إن" لام وكاف فصارتا جميعًا حرفًا واحدًا. ألاترى أن الشاعر قال:

ولكنني مِن حُبّها لكَميد[٣]

فلم تدخل اللام إلا لأن معناها إنّ)[٤].

---

(١) ارتشاف الضرب ١٢٨/٢، وينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٧٢/٤، والجنى الداني/٥٥٦، وهمع الهوامع ١٥٠/٢.

(٢) شرح المفصل ٧٩/٨.

(٣) ويروى: « لعميد » وصدره: يلومونني في حب ليلى عواذلي. نص عليه ابن عقيل في شرحه ٣٦٣/١. تحقيق: الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ولم أجد أحدًا قبله ذكر هذا الصدر إلا ابن عقيل.

(٤) معاني القرآن ٤٦٥/١، ٤٦٦.

أما بالنسبة لقول الفراء بتركيب "لكن" فقد رده ابن يعيش (لضعف تركيب ثلاثة أشياء وجعلها حرفًا واحدًا)[(١)]، كما رده الرضي[(٢)]، وأبو حيان[(٣)].

وأما بالنسبة لقول الشاعر فقد أجاز الكوفيون[(٤)] دخول اللام في خبر لكن، ووافقهم المالقي[(٥)]، بينما منعه البصريون ومنهم ابن يعيش[(٦)]، وابن عصفور[(٧)]، وابن هشام[(٨)].

يقول ابن عصفور: (هذا لادليل فيه لأنه لم يسمع إلا في هذا فيمكن أن تكون اللام زائدة.... ويمكن أن تكون اللام هنا دخلت في خبر إنّ، وذلك بأن يكون الأصل: ولكن إني من حبها لعميد، فنقل حركة همزة "إني" إلى نون "لكن" ثم أدغم نون لكن في النون الساكنة من "إني" إجراء للمنفصل مجرى المتصل)[(٩)].

٢ ـ وذهب السهيلي إلى (أنها مركبة من "لا" و "إنّ"، والكاف التي هي للخطاب[(١٠)] في قول الكوفيين ماهي إلا كاف التشبيه لأن المعنى يَدُلّ عليها إذا قلت: ذهب زيد لكنّ عمرًا مقيم، تريد: لاكفعل عمرو. فلا لتوكيد النفي عن الأول،

---

(١) شرح المفصل ٨٠/٨.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٧٢/٤.

(٣) ينظر: البحرالمحيط ٣٢٧/١.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة "٢٥" ٢٠٨/١، وشرح المفصل ٧٩/٨، والجنى الداني/٥٥٧.

(٥) ينظر: رصف المباني/٢٤٩.

(٦) ينظر: شرح المفصل ٦٤/٨.

(٧) ينظر: شرح جمل الزجاجي ٤٣٠/١.

(٨) ينظر: مغني اللبيب ٣٢٣/١.

(٩) شرح جمل الزجاجي ٤٣٠/١.

(١٠) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٠٩/١، ومغني اللبيب ٣٢٣/١ إذ عداها زائدة.

وإنّ لإيجاب الفعل الثاني، وهو المنفي عن الأول، لأنك ذكرت الذهاب الذي هو ضده فدل على انتفائه، فلاتقع "لكنّ" إلا بين كلامين متنافيين. فلذلك تركبت من "لا" و "الكاف"و "إن" إلا أنه لما حذفوا الهمزة المكسورة، كسروا الكاف إشعاراً بها)[1].

٣ ـ وذهب ابن أبي الربيع مذهب الكوفيين فقال: ("لكنّ" أصلها "لكنْ إنّ" ثم حذفت الهمزة طلباً للتخفيف، وجعل الحرفان كحرف واحد فالتقت النونات، فحذفت إحداهما، فصار "لكن" فعملت عمل "إنّ"، ولأجل ماذكرته كان فيها مافي إنّ ولكن من الاستدراك والتوكيد)[2].

أما رأي الفراء فإنه أهمل الألف الموجودة في "لكن" والواضح أن الألف لاتزاد في الحروف كما سبق بيانه. كما أن اللام والكاف وإنّ لاتفيد معنى الاستدراك ولا النفي.

وأما رأي البصريين في أنها ليست مركبة وأنها تفيد معنى الاستدراك فقط، فإن ذلك منقوض بشيئين:

أولاً: عدد حروفها خمسة ولايوجد لها نظير في الحروف.

ثانياً: أن هناك معنى التوكيد في الاستعمال القرآني كثير ولايشملها معنى الاستدراك القائل به البصريون.

وأما رأي السهيلي فقد أخذ معنى الاستدراك من "لا" النافية، والتوكيد من "إن" فهو متفق مع جميع الاستعمالات القرآنية التي ترد بعد ذلك وبناء عليه فإني أراني أميل إلى رأي السهيلي.

---

(١) نتائج الفكر/٢٥٥.

(٢) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٧٦٢/٢، وجدت هذا الرأي منسوباً إلى الفراء، وقد نسبه إليه أبو حيان في الارتشاف ١٢٨/٢، والمرادي في الجنى الداني/٥٥٦، والسيوطي في همع الهوامع ١٥٠/٢. ولم أجده في معاني القرآن/للفراء، وإنما وجدته يقول: (وإنما نصبتْ العرب بها إذا شددت نونها لأن أصلها : إن عبد الله قائم، فزيدت على «إن" لام وكاف فصارتا جميعاً حرفاً واحداً) وينظر: شرح المفصل ٧٩/٨.

معنى « لكنّ »

أشرنا فيما سبق إلى أن معناها الاستدراك وأنها تفيد التوكيد إذا كان ماقبلها مناقضاً لما بعدها. والآن نفصل ماقيل في ذلك من أقوال ثلاثة:

الأول: الاستدراك فقط، وهذا هو المشهور لدى جمهور النحاة[(١)]

والثاني: أنها (ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد)[(٢)] وهذا يعنى أنها ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك. (قاله جماعة منهم صاحب البسيط، وفسروا الاستدراك برفع مايتوهم ثبوته نحو: "مازيد شجاعًا لكنه كريم" لأن الشجاعة والكرم لايكادان يفترقان، فنفي أحدهما يوهم انتفاء الآخر، و "ماقام زيد لكنّ عمراً قام" وذلك إذا كان بين الرجلين تلابس أو تماثل في الطريقة، ومثلوا للتوكيد بنحو "لو جاءني أكرمته لكنه لم يجيء، فأكدت ماأفادته "لو" من الامتناع)[(٢)] .

والثالث: أنها للاستدراك والتوكيد معًا، يقول ابن أبي الربيع (معنى "لكن" الاستدراك والتوكيد)[(٣)] فعندما يقول القائل: ماجاءني زيد لكنّ محمداً جاءني، فإن الإتيان بـ"لكن" بعد النفي المتقدم أكد مجيء محمد، فهو في الحقيقة عندما قال "لكن محمد جاءني" لم يستدرك فقط وإنما أكد أن الذي جاء إنما هو محمد. فأفادت معنى الاستدراك والتوكيد معًا ويكون بهذا موافقًا للزجاجي[(٤)]

وإذا ناصرنا السهيلي في تركيبها من "لكن وإنّ" فلا مناص من قبول الرأي الأخير.

---

(١) منهم على سبيل المثال: سيبويه في" الكتاب" ٤٣٥/١، والمبرد في "المقتضب" ١٥٠/١، والرضي في "شرح الكافية" ٣٣٢/٤، وغيرهم.

(٢) مغني اللبيب ٣٢٢/١، وينظر: حاشية الدسوقي ٢٩٢/١، حيث أشار الدسوقي إلى أن صاحب «البسيط" هو ابن أبي الربيع، ولم أجد مانسبه لابن أبي الربيع في كتابه "البسيط"، وكل ماقاله أنها للتوكيد والاستدراك. وربما يكون صاحب "البسيط" المقصود هو: ضياء الدين ابن العلج

(٣) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٧٦٦/٢. «بتصرف"

(٤) ينظر: الجمل في النحو/٥١ تحقيق: د/علي توفيق الحمد.

مواضع
« لكنَّ » المشددة
في القرآن الكريم

مواضع "لكنّ" المشددة في القرآن الكريم

ورد ذكر "لكنّ" المشددة في القرآن مع الواو في آيات تجاوزت الستين وهي:

{واتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَاكَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ....}[(١)]

هذه (تبرئة من الله لسليمان عليه السلام من السحر وتعليمه، ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، ثم قال {وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ} فأثبت كفرهم بتعليم السحر)[(٢)] فوقعت "لكن" في أحسن مواقعها إذ جاءت بين نفي وإثبات، فبعدما نفى الكفر عن سيدنا سليمان استدرك بـ"لكن" لإثبات كفر الشياطين، فأفادت "لكن" الاستدراك والتوكيد معًا على رأي السهيلي وابن أبي الربيع.

و {لَٰكِنَّ} هنا فيها قراءتان[(٣)]:

الأولى: بتخفيف النون وكسرها ورفع مابعدها، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، وحجتهم (أن "لكن" وأخواتها إنما عملن لشبههن بالفعل لفظًا ومعنى، فإذا زال اللفظ زال العمل، والدليل على ذلك أن "لكن" إذا خففت وليها الاسم والفعل وكل حرف كان كذلك ابتدئ مابعده)[(٤)].

---

(١) سورة البقرة/١٠٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٣.

(٣) التيسير في القراءات السبع/٧٥، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر/للقلانسي/٢٣٠، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي.

(٤) الحجة في القراءات السبع/لابن خالويه/٨٦، تحقيق: د/عبد العال سالم مكرم، وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع،١/٢٥٦، والتبيان ١/٩٩.

الثانية: بتشديد النون ونصب مابعدها بها، وبها قرأ الباقون. وحجتهم أنه أتى بلفظ الحرف على أصله فأعمل "لكن" لأنها من أخوات "إن" فشددها على أصلها [(١)] .

والواو التي في قوله{وَلَٰكِنَّ} جاءت عاطفة للجملة الاستدراكية [(٢)] {الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} على ماقبلها {مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}.

* * *

---

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع/٨٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢٥٧/١.

(٢) الدر المصون ٢٩/٢. «بتصرف» وينظر: تفسير أبي السعود ١٣٧/١.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ....﴾[١]

قال قتادة والربيع: (الخطاب لليهود والنصارى، لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي، فاليهود إلى بيت المقدس، والنصارى إلي مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة، وفضلت كل فرقة توليها، فقيل لهم: ليس البر ماأنتم فيه ولكن البر من آمن بالله)[٢].

وجاءت "لكن" للاستدراك بعد نفي، إذ نفى أولاً كون البر هو تولية الوجه قبل المشرق والمغرب ثم استدرك وأكد أن البر هو الإيمان بالله...وهذا كقولك: ماجاءني زيد لكنّ عمراً جاءني. فأفادت الاستدراك والتوكيد على النسق الذي اخترناه. وفي ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ هنا أيضاً قراءتان[٣]:

الأولى: بتخفيف نون لكن ورفع مابعدها على الابتداء وبه قرأ نافع وابن عامر.

الثانية: بتشديد النون ونصب مابعدها، وبه قرأ الباقون. وتوجيه القراءتين واضح من الآية السابقة.

* * *

(١) سورة البقرة/١٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٧٩/٢، وينظر: الكشاف ٣٣٠/١، والتسهيل ٦٩/١.

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢٥٦/١، ٢٥٧، والتيسير في القراءات السبع /٧٩، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي/٢٣٨، والإقناع في القراءات السبع ٦٠٧/٢، والبحر المحيط ٣/٢.

﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى...﴾[(١)]

(كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولافسطاطاً من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءها ويعدون ذلك براً فبين لهم أنه ليس ببر فقيل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ أي بر من اتقى المحارم والشهوات)[(٢)] . بتقدير مضاف قبل خبر "لكن" أو بتقدير مضاف قبل اسمها والمعنى: ولكن ذا البر من اتقى[(٣)] .

وهي تفيد الاستدراك والتوكيد معًا كما سبق في نظيرها.

وفي "لكن" قراءتان أيضًا كما سبق ذكره في الآية السابقة.

* * *

---

(١) سورة البقرة/١٨٩.

(٢) تفسير أبي السعود ٢٠٣/١، وينظر: معاني القرآن/للأخفش ١٦١/١، ومجاز القرآن ٦٨/١، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٢٦٣/١، والكشاف ٢٤١/١،والتبيان ١٤٣/١، والبحر المحيط ٦٤/٢.

(٣) ينظر: التبيان ١٤٣/١، والبحر المحيط ٦٤/٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾(١)

أخبر الله تعالى نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا ـ هم وكل من خلف بعدهم ـ أن الإماتة بيد الله لابيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا لاغترار مغتر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ فالله عزوجل هو صاحب المن والعطاء إذ تفضل على أولئك بالإحياء بعد الإماتة حتى يعتبروا بما حصل لهم، وتفضل على من سمع القصة بالهداية إلي الاعتبار والاتعاظ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾ فكان من الواجب على الناس شكر الله على فضله ومنه إلا أن أكثرهم لايشكرون ولايحمدون(٢).

وجاءت "لكن" للاستدراك والتوكيد فبعد ماأثبت فضل الله على الناس، نفى شكر أكثر الناس له، ولم تقع بين متضادين تضاداً حقيقياً، يقول الرضي: (ولايلزم التضاد بينهما تضاداً حقيقياً بل يكفي تنافيهما بوجه ما. فإن عدم الشكر غير مناسب للإفضال، بل اللائق به أن يُشكر المفضل)(٣).

وماقلناه في هذه الآية نقوله أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَاظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَشْكُرُونَ﴾(٤)

وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾(٥)

---

(١) سورة البقرة/٢٤٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢/٥٨٥ ـ ٥٩١، والمحرر الوجيز ٢/٣٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٣.

(٣) شرح الرضي على الكافية ٤/٣٧٢.

(٤) سورة يونس/٦٠. ينظر: الكشاف ٢/٢٤٢، والبحر المحيط ٥/١٧٣، وروح المعاني ١١/١٤٣.

(٥) سورة يوسف/٣٨. ينظر: الكشاف ٢/٣٢١، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٩١، والبحر المحيط ٥/٣١٠.

ففضل الله على يوسف عليه السلام أن هداه إلى التوحيد وكلفه بتبليغه للناس، وفضل الله على الناس الذين كلف يوسف بتبليغهم أن أرسل الله إليهم من يدلهم على هذا التوحيد فكان الواجب على كل الناس أن يشكروا هذا الفضل ولكن أكثرهم لايشكرون.

وقوله: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}(١)

وقوله: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}(٢)

* * *

---

(١) سورة النمل/٧٣. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٠/١٣، والبحر المحيط ٩٥/٧، وروح المعاني ١٧/٢٠.

(٢) سورة غافر/٦١. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢٨/١٥، وروح المعاني ٨٢/٢٤.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١)

يقول أبو حيان: (وجه الاستدراك هنا هو أنه لما قسم الناس إلى مدفوع به ومدفوع وأنه بهذا الدفع امتنع فساد الأرض فقد يهجس في نفس من غلب وقهر عما يريد من الفساد أن الله تعالى غير متفضل عليه إذ لم يبلغه مقاصده ومآربه فاستدرك عليه أنه وإن لم يبلغ مقاصده فالله متفضل عليه ومحسن إليه، لأنه مندرج تحت العالمين، وما من أحد إلا ولله عليه فضل، وله فضل الاختراع والإيجاد. وهذا الذي أبديناه من فائدة الاستدراك هو على ماقرره أهل العلم باللسان من أن "لكن" تكون بين متنافيين بوجه ما)(٢) كما ذكرنا.

* * *

﴿.... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(٣)

وقعت "لكن" في قوله ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ بين متضادين من حيث المعنى، فلوشاء الله عدم اقتتالهم لم يقتتلوا، لكنه شاء الاقتتال فاقتتلوا، يقول أبو البقاء: (هذا استدراك على المعنى، لأن المعنى: ولو شاء الله لمنعهم ولكن الله يفعل مايريد من عدم منعهم من ذلك أو يفعل مايريد من اختلافهم)(٤). وتقدم "لو" عليها يدخلها في التوكيد على رأي صاحب البسيط ورأي ابن أبي الربيع معًا.

* * *

(١) سورة البقرة/٢٥١.

(٢) البحر المحيط ٢/٢٧٠، «بتصرف»، وينظر: الدر المصون ٢/٥٣٤، ٥٣٥، وتفسير أبي السعود ١/٢٤٥، وروح المعاني ٢/١٧٤.

(٣) سورة البقرة/٢٥٣.

(٤) التبيان ١/٢٠٢.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(١)

أي ليس عليك يامحمد أن يهتدي المشركون إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع حتى يدخلوا في الإسلام لاحتياجهم إليها، ولكن الله يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام(٢).

فبعد مانفى الله تعالى عن رسوله هدايته للخلق وذلك بتثبيت الإيمان في قلوبهم استدرك وأكد أن غرس الإيمان في القلوب من قدرة الله تعالى، وماعلى الرسول إلا البلاغ والدعاء إلى الإيمان، وجاءت "لكن" بين متضادين تضاداً حقيقياً(٣).

* * *

---

(١) سورة البقرة/٢٧٢.

(٢) ينظر: جامع البيان ٩٤/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/٣، ٢٣٨، والبحر المحيط ٣٢٦/٢، وغيرهم.

(٣) لم أجد في بعض كتب التفسير أحداً أشار إلى معنى الاستدراك في هذه الآية فكتبته قياساً على ماورد في الآيات السابقة.

{مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ....}(١)

أي: ماكان الله ليدع المؤمنين على ماأنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق فلايعرف هذا من هذا حتى يميز الخبيث من الطيب أي المنافق من المؤمن وذلك بالمحن والمصائب وفرض القتال فمن كان مؤمنًا ثبته إيمانه ومن كان منافقًا ظهر كفره ونفاقه كما ميز يوم أحد بين الفريقين {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} أي ماكان الله ليطلعكم على مافي قلوب عباده من الإيمان والنفاق، وإنما تعرفونهم بتلك المحن ثم قال: {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ} فيطلعه على جزء مما في ضمائر بعضهم بوحيه سبحانه(٢).

وجاءت "لكن" للاستدراك المشبه للاستثناء من معنى الكلام المتقدم (لأنه لما قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ} توهم أنه لايطلع أحدًا على غيبه لعموم الخطاب فاستدرك الرسل، والمعنى: ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب، فهو ضد لما قبله في المعنى)(٣).

* * *

(١) سورة آل عمران/١٧٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٨٨/٤، والكشاف ٤٨٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/٤، والبحر المحيط ١٢٥/٣.

(٣) الدر المصون ٥٠٩/٣، وينظر: البحر المحيط ١٢٦/٣.

{وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَااتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}(١)

أي: لوكانوا يؤمنون بالله والنبي إيمانًا صادقًا خالصًا من النفاق مااتخذوا المشركين أولياء من دون الله، فلما فعلوا ذلك ظهر أنهم منافقون(٢). فاستدركه بـ {لَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ....} ليبين أن منهم من كان يؤمن بالله والنبي وهم قليل، والكفرة كثير. وهو لم يستدرك فقط وإنما يؤكد أيضًا بأنهم كثير فـ"لكن" أفادت الاستدراك والتوكيد معًا.

* * *

{مَاجَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَاسَآئِبَةٍ وَلَاوَصِيلَةٍ وَلَاحَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ}(٣)

بعد ما أبطل الله عز وجل ماابتدعه أهل الجاهلية ونسبوه إلى الله استدرك بـ"لكن" ليبين أن ذلك ماهو إلا افتراء على الله ما أنزل به من سلطان. يقول ابوحيان: {وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ...} (استدراك بعد نفي والمعنى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يجعلون البحيرة وما بعدها من جعل الله تعالى)(٤) وكما أفادت الاستدراك أفادت التوكيد.

* * *

(١) سورة المائدة/٨١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/٥٤٢.

(٣) سورة المائدة/١٠٣.

(٤) النهر الماد ١/٦٣٣.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[١]

جاءت "لكن" للاستدراك، ووقعت هنا في أحسن مواقعها، إذ جاءت بين ضدين، نفي وإثبات، فبعد ما نفى تكذيب القوم لرسوله أثبت تكذيبهم لما جاء به من آيات. فعن ناجية بن كعب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إنا لانكذّبك ولكن نكذب الذي جئت به)[٢] يقول الزمخشري: (والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لايكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته)[٣].

* * *

---

(١) سورة الأنعام/٣٣.

(٢) جامع البيان ١٨٢/٧.

(٣) الكشاف ١٤/٢.

قال تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(١)

أي: قال هؤلاء العادلون عن ربهم، المعرضون عن آياته: هلا نزل على محمد آية من ربه، فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد لهؤلاء إن الله قادر على أن ينزل آية يعني: حجة على مايريدون ويسألون {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أي: لايعلمون أن الله قادر، أو لايعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب(٢).

فمن هنا يتضح أن "لكن" وقعت بين متنافيين وهو إثبات قدرة الله على إنزال مايقترحونه من معجزات وبراهين، ونفي علمهم بتلك القدرة، أو نفي علمهم بسبب عدم إنزالها. فأفادت التوكيد والاستدراك معًا. فالتوكيد لأنها أكدت ماقبلها، والاستدراك لأنها وقعت بين متغايرين معنى.

وهذا ماسنلاحظه أيضًا في الآيات المشابهة لها إذ الاستدراك يقع من المعنى الذي يسبقها.

فمثله قوله تعالى:

{فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٣)

وقوله:

{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا

---

(١) سورة الأنعام/٣٧.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٨٦/٧، ١٨٧، والمحرر الوجيز ١٩٢/٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١٩/٦، والتسهيل ٨/٢.

(٣) سورة الأعراف/١٣١، وينظر: إعراب القرآن/للنحاس ١٤٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/٧، وتفسير أبي السعود ٢٦٤/٣، وروح المعاني ٣٢/٩، ٣٣.

لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(١)

وقوله:

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٢)

وقوله:

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٣)

وقوله:

{... وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٤)

وقوله:

{مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٥)

---

(١) سورة الأعراف/١٨٧، وينظر: جامع البيان ١٤٧/٩، والكشاف ١٣٥/٢، والبحر المحيط ٤٣٥/٤، وتفسير أبي السعود ٣٠٢/٣.

(٢) سورة الأنفال/٣٤. وينظر: جامع البيان ٢٣٩/٩، والكشاف ١٥٦/٢، والبحر المحيط ٤٩١/٤.

(٣) سورة يونس/٥٥. وينظر: جامع البيان ١٢٣/١١.

(٤) سورة يوسف/٢١. وينظر: جامع البيان ١٧٦/١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦١/٩، والبحر المحيط ٢٩٢/٥.

(٥) سورة يوسف/٤٠. وينظر: جامع البيان ٢٢٠/١٢، والبحر المحيط ٣١٠/٥.

وقوله:

{وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(١)

{وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٢)

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٣)

{وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٤)

وقوله:

{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٥)

وقوله:

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٦)

---

(١) سورة يوسف/٦٨. وينظر: جامع البيان ١٥/١٣، وإعراب القرآن/للنحاس ٢/٣٣٦، والتفسير الكبير ١٨/١٨٠.

(٢) سورة النحل/٣٨. وينظر: جامع البيان ١٤/١٠٤، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٠٥، وتفسير أبي السعود ٥/١١٤.

(٣) سورة القصص/١٣. وينظر: جامع البيان ٢٠/٤١، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٤/١٣٥، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٥٨، والبحر المحيط ٧/١٠٨، وتفسير أبي السعود ٧/٦.

(٤) سورة القصص/٥٧. ينظر: الكشاف ٣/١٨٦، والبحر المحيط ٧/١٢٦، وتفسير أبي السعود ٧/١٩.

(٥) سورة الروم/٦. ينظر: جامع البيان ٢١/٢٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٣/٢٦٥، والبحر المحيط ٧/١٦٢.

(٦) سورة الروم/٣٠. ينظر: جامع البيان ٢١/٤٢، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣١، وتفسير أبي السعود ٧/٦٠.

وقوله:

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(١)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٢)

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٣)

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٤)

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٥)

{مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٦)

{قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٧)

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(٨)

---

(١) سورة الروم/٥٦. ينظر: جامع البيان ٢١/٥٨، والكشاف ٣/٢٢٧، والبحر المحيط ٧/١٨١.

(٢) سورة سبأ/٢٨. ينظر: جامع البيان ٢٢/٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٠١، وتفسير أبي السعود ٧/١٣٣.

(٣) سورة سبأ/٣٦. ينظر: جامع البيان ٢٢/٩٩، والبحر المحيط ٧/٢٨٥، وتفسير أبي السعود ٧/١٣٥.

(٤) سورة الزمر/٤٩. ينظر: جامع البيان ٢٤/١٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٤/١٥، وتفسير أبي السعود ٧/٢٥٩.

(٥) سورة غافر/٥٧. ينظر: جامع البيان ٢٤/٧٧.

(٦) سورة الدخان/٣٩. ينظر: جامع البيان ٢٥/١٢٩.

(٧) سورة الجاثية/٢٦. ينظر: جامع البيان ٢٥/١٥٣، وتفسير أبي السعود ٨/٧٤، وروح المعاني ٢٥/١٥٥.

(٨) سورة الطور/٤٧. ينظر: جامع البيان ٢٧/٣٧، وإعراب القرآن/للنحاس ٤/٢٦٣، والبحر المحيط ٨/١٥٣.

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ}[١]

{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٢]

* * *

---

(١) سورة المنافقون/٧. ينظر: جامع البيان ٢٨/١١١، وإعراب القرآن/للنحاس ٤/٤٣٥، وتفسير أبي السعود ٨/٢٥٣.

(٢) سورة المنافقون/٨. ينظر: جامع البيان ٢٨/١١٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٤/٤٣٦، وتفسير أبي السعود ٨/٢٥٣.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (١)

(يقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام يامحمد إيئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك، فإننا لو ﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ حتى يروها عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بإحيائنا إياهم حجة لك، ودلالة على نبوتك، وأخبروهم أنك محق فيما تقول، وأن ماجئتهم به حق من عند الله ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ ماآمنوا ولاصدقوك ولااتبعوك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك لمن شاء منهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك) (٢)

ووقعت لكن بين نفي وإثبات، نفي مشيئة الله لإيمانهم، وإثبات جهلهم لتلك المشيئة.

* * *

(١) سورة الأنعام/١١١.

(٢) جامع البيان ٨/١، وينظر: تفسير أبي السعود ١٧٥/٣، وروح المعاني ٤/٨.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١)

لما نفى عن نفسه الضلالة أثبت أنه رسول مرسل من الله لهداية الناس أجمعين فوقعت "لكن" بين نقيضين للاستدراك، وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري(٢) وأبو حيان(٣) والسمين(٤) وأبوالسعود(٥) يقول أبو حيان:

(لما نفى عنه التباس ضلالة مابه دل على أنه على الصراط المستقيم، فصح أن يستدرك كما تقول: مازيد بضال ولكنه مهتد فـ "لكن" واقعة بين نقيضين لأن الإنسان لايخلو من أحد الشيئين الضلال والهدى ولاتجامع ضلالة الرسالة)(٦)

* * *

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٧)

رد سيدنا هود عليه السلام على قومه بغاية مايكون من الأدب وحسن الخلق فقال: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ إذ نفى ماقالوه عنه فقط مع أن خصومه من أضل الناس وأسفههم وهذا تعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء. ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ استدراك مما قبله فبعدما نفى السفاهة عن نفسه أثبت أنه رسول من الله. فأفادت "لكن" الاستدراك والتوكيد. يقول أبوالسعود: ﴿وَلَٰكِنِّي....﴾ (استدراك مما قبله باعتبار مايستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والأناة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتمًا كأنه قيل: ليس بي شيء مما تنسبتموني إليه ولكني في غاية مايكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك)(٨).

(١) سورة الأعراف/٦١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٨٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤/٣٢١.

(٤) ينظر: الدر المصون ٥/٣٥٥.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٣/٢٣٥.

(٦) البحر المحيط ٤/٣٢١.

(٧) سورة الأعراف/٦٧.

(٨) تفسير أبي السعود ٣/٢٣٨، وينظر: روح المعاني ٨/١٥٦.

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...}[(١)]

أي: لو شاء الله لرفعه إلى منازل الأبرار العالية بسبب عمله بموجب تلك الآيات. فرفعه متعلق بالفعل، فلما لم يعمل لها أو مال إلى الدنيا ورغب فيها لم يرفعه الله ولم يشرفه. يقول أبو حيان: (ولو أردنا أن نشرفه ونرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا ولكنه أخلد إلى الأرض أي ترامى إلى شهوات الدنيا ورغب فيها واتبع ماهو ناشىء عن الهوى وجاء الاستدراك هنا تنبيهاً على السبب الذي لأجله لم يرفع ولم يشرف)[(٢)].

*   *   *

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[(٣)]

ذكرت "لكن" في هذه الآية في موضعين في قوله {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ}، {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} وجاءت هنا في أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات، فالمثبت لله هو المنفي عنهم، وهو حقيقة القتل وإزهاق الروح[(٤)]؛ لأن الله تعالي هو المميت والمقدر لجميع الأشياء، وإنما الفعل يجري بيد العبد. ومثلها {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} لأن الرمية التي رماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كانت صادرة عنه إلا أن الله ساعده في بلوغ أثرها حتى أصابت الجميع.

وفي {لَٰكِنَّ} قراءتان[(٥)]:

الأولى: بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين، ورفع مابعدها على الابتداء، وبه قرأ ابن عامر وحمزة وخلف والكسائي.

الثانية: بتشديد النون ونصب مابعدها لإعمالها عمل (إن) وبه قرأ الباقون.

---

(١) سورة الأعراف/١٧٦.

(٢) البحر المحيط ٤/٤٢٣، وينظر: تفسير أبي السعود ٣/٢٩٢، وروح المعاني ٩/١١٤.

(٣) سورة الأنفال/١٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/٤٧٧.

(٥) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٢٥٦، والتيسير في القراءات السبع/٧٥، وإتحاف فضلاء البشر/٢٣٦.

{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(١)

{لَٰكِنَّ} هنا فيها أيضًا قراءتان:

الأولى: بتشديد نون "لكن".

والثانية: بتخفيفها وبه قرأ(٢) مسلم بن جندب(٣).

وفي قوله {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} معنيان:

أحدهما: (أنه أتى بما بعد "لكن" موجبًا لأن الأول منفي لوقوعه بعد "لو"، فصار المعنى: ماأراكهم كثيرًا ومافشلتم ولاتنازعتم ولكن الله سلم)(٤) وعليه تكون "لكن" قد وقعت بين متغايرين نفيًا وإثباتًا.

الثاني: (أنه في معنى ماأراكهم كثيرًا لوجود السلامة)(٥). وكأن مابعد "لكن" مبين لسبب عدم الفشل والتنازع وكأنه قيل: ماتنازعتم لأن الله سلم.

ومثله قوله تعالى: {وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}(٦) أي: ترى الناس سكارى لأن عذاب الله شديد. وقوله تعالى: {... وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا....}(٧) أي: لأنا أنشأنا قرونًا. وهذا معنى جديد لم أر من أشار إليه من النحويين في دراستهم لمعنى "لكن" وهو إفادتها لمعنى التعليل.

---

(١) سورة الأنفال/٤٣.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٥٠.

(٣) مسلم بن جندب أبو عبد الله الهذلي مولاهم المدني القاص تابعي مشهور، عرض على عبدالله ابن عياش، وعرض عليه نافع، وروى عن أبي هريرة وابن الزبير. مات سنة ثلاثين ومائة.

ينظر: معرفة القراء الكبار ١/٨٠، وغاية النهاية ٢/٢٩٧.

(٤) شرح المفصل ٨/٨٠. وينظر: المفصل/٣٠٠، وشرح الرضي على الكافية ٤/٣٧٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) سورة الحج/٢.

(٧) سورة القصص/٤٥.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّاأَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١)

أي: لو أنفقت يامحمد كل مافي الأرض من ذهب وفضة مااستطعت أن تؤلف بين قلوب من اتبعوك من الأوس والخزرج أو جميع العرب لكن الله ألف بينهم بالهدى والتقوى(٢). فما نفاه عن رسول الله أثبته الله لنفسه، فجاءت "لكن" بين نفي وإثبات للاستدراك والتوكيد.

* * *

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾(٣)

أي: ويحلف هؤلاء المنافقون بالله كذباً أنهم من المؤمنين في دينهم وملتهم، فكذبهم الله وأبطل دعواهم فقال: ﴿وَمَاهُم مِّنكُمْ﴾ أي ليسوا من المؤمنين في شيء ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي يخافون ويفزعون أن تفعلوا فيهم ماتفعلون في المشركين، فيقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم(٤). وجاءت "لكن" للاستدراك والتوكيد إذ لم ينف فقط ماقاله المنافقون وإنما أكد نفاقهم وكفرهم.

* * *

---

(١) سورة الأنفال/٦٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٦/١٠.

(٣) سورة التوبة/٥٦.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٥٤/١٠، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٤٥٤/٢، والبحر المحيط ٥٤/٥.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[١]

إن الله لايظلم عباده، إذ بعث لهم في الدنيا الرسل وأنزل الكتب ليهتدوا إلى الحق. ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وعناده. وفي الآخرة سيجزيهم عقابهم نتيجة مافعلوا لاظلمًا منه لهم.

وأفادت {لَٰكِنَّ} الاستدراك والتوكيد حيث أكد ظلم الناس لأنفسهم.

وفي "لكن" قراءتان[٢]:

إحداهما: بتخفيف النون، ورفع مابعدها على الابتداء، وبها قرأ حمزة والكسائي وخلف.

الثانية: بتشديد النون ونصب مابعدها وبها قرأ الباقون.

* * *

{... إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}[٣]

أي: أن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يامحمد الحق من ربك لاشك فيه، ولكن أكثر الناس لايصدقون بأن ذلك كذلك إما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم، وإما لعنادهم واستكبارهم[٤]، فوقعت لكن بين متنافيين إثبات وقوع الساعة وعدم إيمان الكفرة بذلك، وهذا يقال أيضًا في قوله تعالى: {... تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}[٥]، {إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}[٦]

---

(١) سورة يونس/٤٤.

(٢) التيسير في القراءات السبع/١٢٢، وإتحاف فضلاء البشر/٢٥٠، وينظر: معاني القرآن/للفراء ٤٦٥/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/٨، والبحر المحيط ١٦٢/٥.

(٣) سورة هود/١٧.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٩/١٢.

(٥) سورة الرعد/١، وينظر: جامع البيان ٩٣/١٣.

(٦) سورة غافر/٥٩، ينظر: جامع البيان ٧٨/٢٤، والكشاف ٤٣٣/٣، وتفسير أبي السعود ٢٨٢/٧.

{... وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}(١)

طلب القوم من سيدنا نوح أن يطرد من اتبعه من المؤمنين لأنه لايمكن أن يتساووا هم وأولئك الفقراء والضعفاء، فرد نوح عليهم مقولتهم تلك ثم استدرك بأنه يراهم قوماً جاهلين فعلاً إذ يطلبون منه أن يطرد من اتبعه ووحد الله وآمن به، وهم جاهلون لقاء يومهم ومايجب عليهم أن يفعلوه لذلك اليوم.(٢) فأفادت "لكن" الاستدراك والتوكيد.

* * *

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ....}(٣)

قالت الرسل للأمم التي أرسلت إليها {إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} أي نحن أمثالكم في الصورة والهيئة لأننا بشر مثلكم ثم استدركوا فقالوا: {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ...} أي أن الله يتفضل على من يشاء من عباده، فيهديه للحق ويوفقه للصواب، ويفضله على من خلق بالنبوة. فبعد ماأخبروا الأمم أنهم أمثالهم دفعوا ماقد يحدث لهم من توهم بأن الله فضلهم على غيرهم من البشر بالنبوة فهو صاحب المن والعطاء.(٤) فأفادت الاستدراك والتوكيد.

* * *

---

(١) سورة هود/٢٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٩/١٢، ٣٠، والكشاف ٢٦٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/٩.

(٣) سورة إبراهيم/١١.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٩٠/١٣، ١٩١.

{قَالُواْ مَآأَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}(١).

وعد القوم سيدنا موسى عليه السلام بأنهم سيبقون على طاعة الله عزّوجل وأنهم سائرون خلفه إلى الطور فتعجل موسى للقاء ربه ظنًا منه أنهم وراءه، غير أنهم فتنوا بعجل السامري وأقاموا عنده إلى أن يرجع موسى، ثم اعتذروا عن ذلك الخلف بأنه لم يكن لهم الأمر في ذلك بل أنهم غلبوا من جهة السامري وكيده بسبب مامعهم من حلي آل فرعون فأفادت "لكن" (الاستدراك عما سبق والاعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ)(٢) فما بعد لكن بين سبب مخالفتهم لما وعدوه.

* * *

{... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}(٣)

يقول الزجاج: (إنك ترى الناس سكارى من العذاب والخوف وماهم بسكارى من الشراب، ويدل عليه {وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}(٤) فشدة خوفهم من عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وسلب تمييزهم، فمن يراهم يظنهم سكارى.

وإلى هذا المعنى أشار النحاس(٥) والزمخشري(٦) وأبو السعود(٧) ورجحه الآلوسي(٨).

بينما يقول أبو حيان: (أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم

---

(١) سورة طه/٨٧.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٣٥، وروح المعاني ١٦/٢٤٦.

(٣) سورة الحج/٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤١٠. «بتصرف»

(٥) ينظر: إعراب القرآن ٣/٨٥.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/٤، ٥.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ٦/٩٢.

(٨) ينظر: روح المعاني ١٧/١١٣.

الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لماهم فيه من الحيرة وتخليط العقل وجاء هذا الاستدراك بالإخبار عن عذاب الله أنه شديد لما تقدم ما هو بالنسبة إلى العذاب كالحالة الهينة اللينة وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى فكأنه قيل: هذه أحوال هينة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ليس بهين ولا لين لأن لكن لابد أن تقع بين متنافيين بوجه ما)[١] ورده الآلوسي بأنه خلاف الظاهر جداً[٢].

فما ذهب إليه الزجاج ورجحه الآلوسي مبني على أن الاستدراك بـ"لكن" لبيان السبب الذي جعلهم كأنهم سكارى وهذا كقوله تعالى: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا...﴾[٣] فبسبب مامعهم أخلفوا موعدهم. بينما أبوحيان قدر كلاماً قبل "لكن" حتى يجعلها متوسطة بين متغايرين، وكلامه صحيح. إلا أن القاعدة التي نسير عليها في بحثنا أنه إذا لم يحتج المقام إلى تقدير فلا داعي إلى التأويل والحذف. وقد سبق أن أشرنا[٤] إلى معنى السببية هذا عند قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾[٥].

* * *

﴿... وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]

"لولا" الامتناعية تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط[٧] أي أن عدم التزكية ممتنع لأنه الجواب، ولوجود فضل الله وهو الشرط، وإذن فمعنى الكلام قبل "لكن" يشير إلى أن بعضكم زاك بالتوبة فما بعد "لكن" إذن توكيد لما قبلها.

---

(١) النهر المادج٢/ ق١/٤٨٦، «بتصرف»

(٢) روح المعاني ١٧/١١٣.

(٣) سورة طه/٨٧.

(٤) ينظر: ص٣١٢

(٥) سورة الأنفال/٤٣.

(٦) سورة النور/٢١.

(٧) ينظر: الصاحبي/٢٥٢.

{.. وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}(١)

أي ماكنت يامحمد من الحاضرين للوحي إلى موسى أو الشاهدين عليه {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا..} (أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونًا كثيرة وتمادى الأمد فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنباء لاسيما على آخرهم الذي أنت فيهم فاقتضت الحكمة التشريع الجديد وقص الأنباء على ماهي عليه فأوحينا إليك وقصصنا الأنباء عليك.فحذف المستدرك أعني"أوحينا"اكتفاء بذكر مايوجبه ويدل عليه من إنشاء القرون وتطاول الأمد، وخلاصة المعنى: لم تكن حاضراً لتعلم ذلك ولكن علمته بالوحي والسبب فيه تطاول الزمن حتى تغيرت الشرائع وعميت الأنباء {وَمَاكُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} نفي لاحتمال كون معرفته صلى الله عليه وسلم لبعض ماتقدم من القصة بالسماع ممن شاهد ذلك.. {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} لك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها والاستدراك هنا كالاستدراك السابق إلا أنه لاحذف فيه)(٢) قاله الآلوسي وإليه أشار الزمخشري(٣) وأبو حيان(٤) وأبو السعود(٥) .

* * *

---

(١) سورة القصص/٤٤، ٤٥.

(٢) روح المعاني ٨٦/٢٠، ٨٧. «بتصرف».

(٣) ينظر: الكشاف ١٨١/٣،١٨٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١٢٢/٧.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ١٦/٧.

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(١)

أي انك لاتهدي يامحمد من أحببت من أقربائك وغيرهم ولاتقدر على أن تدخلهم في الاسلام وإن بذلت كل مافي جهدك لأن الهداية بيد الله.

وجاءت "لكن" في أحسن مواقعها إذ وقعت بين نفي وإثبات، فالمثبت لله هو المنفي عن رسوله صلى الله عليه وسلم.

* * *

{لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}(٢)

أي لقد أرسلنا إليكم يامعشر قريش الرسل وأنزلنا الكتب وفيها الحق الذي لامرية فيه {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} تنفرون منه وتشمئزون.

وجاءت "لكن" للاستدراك لوقوعها بين متنافيين بوجه ما، وهذا كقوله تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}(٣) فهؤلاء حين جاءهم الحق من الله كان الواجب عليهم اتباعه وترك الكفر إلا أنهم قابلوه بالجحد والكفر.

* * *

{قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}(٤)

يقول سيدنا هود عليه السلام لقومه: إن العلم بوقت مجيء ماأعدكم به من عذاب الله على كفركم إنما هو عند الله، وماأنا إلا رسول أبلغكم رسالة ربي وأنذركم عذابه ثم استدرك فقال {وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} فتطلبون مني تعيين وقت مجيء العذاب وهذا ليس من مهمة الرسل ولاعلم لأحد به إلا الله(٥).

---

(١) سورة القصص/٥٦.

(٢) سورة الزخرف/٧٨.

(٣) سورة البقرة/٢٤٣.

(٤) سورة الأحقاف/٢٣.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٦/٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٠٥.

ووقعت "لكن" بين متنافيين من حيث المعنى لأن كلا الجملتين إيجاب ﴿أُبَلِّغُكُم مَّآأُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ و﴿أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ فباستدراكه بـ"لكن" بين جهلهم وعدم علمهم بمهمة الرسل.

* * *

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْيُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[١]

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ.....﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، يقول الزمخشري على طريقته في السؤال والجواب: (فإن قلت: كيف موقع "لكن" وشريطتها مفقودة من مخالفة مابعدها لما قبلها نفيًا أو إثباتًا؟ قلت: هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت "لكن" موقعها من الاستدراك)[٢] وهذا مبني على تقدير أن يكون المخاطبون بقوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ من اعتمد على نبأ الفاسق، وعمل بمقتضاه ويكون المخاطبون بقوله ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ المؤمنين الذين لم يعتمدوا على كل ماسمعوه ويؤيده ماقاله الزجاج[٣] والقرطبي، يقول القرطبي: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ....﴾ (هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لايكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولايجزون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم)[٤] وإليه أشار الزمخشري[٥] وأبو حيان[٦] وأبو السعود[٧] والآلوسي[٨]. وقال أبو السعود حكاية

(١) سورة الحجرات /٧.

(٢) الكشاف ٣/٥٦٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣١٤.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/٥٦١.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٨/١١٠.

(٧) تفسير أبي السعود ٨/١١٩، ١٢٠.

(٨) ينظر: روح المعاني ٢٦/١٤٨.

عن بعضهم إنه (استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل: لم يكن ماصدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للإيمان، وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان)[١] ثم رده فقال (والأول هو الأظهر لقوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي السالكون إلى الطريق السوي الموصل إلى الحق)[٢] ووافقه الآلوسي[٣].

* * *

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٤].

بعد أن يضرب الله عز وجل بسور بين أهل الجنة والنار يأخذ المنافقون في النداء على المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فيقول المؤمنون ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ..﴾ أي كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق.

ووقعت "لكن" بين متنافيين من حيث المعنى إذ أثبتوا أولاً أنهم كانوا معهم في الدنيا يصلون ويصومون مثلهم ثم استدركوا بـ"لكن" لبيان أنهم ماكانوا يفعلون ذلك إلا نفاقًا وكذبًا على المؤمنين.

* * *

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]

(أن ماخول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة، ولكن سلطه الله عليهم وعلى مافي أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم، فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء: يعني أنه لايقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرًا)[٦]

وجاءت "لكن" للاستدراك بين نفي وإثبات، فبعد مانفى أن يكونوا قد حصلوا عليه بالجهد والمشقة أثبت أنهم حصلوا عليه بتسليط من الله لرسوله عليهم.

---

(١) تفسير أبي السعود ١٢٠/٨.

(٢) تفسير أبي السعود ١٢٠/٨.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٤٨/٢٦.

(٤) سورة الحديد/١٤.

(٥) سورة الحشر/٦.

(٦) الكشاف/للزمخشري ٨٢/٤، وينظر: تفسير أبي السعود ٢٢٧/٨، وروح المعاني ٤٤/٢٨، ٤٥.

الفصل الثاني

« لكن » الخفيفة ومواضعها

"لكنْ" ساكنة النون

إما أن تكون مخففة من الثقيلة فلا تدخل إلا على جملة وبناء على ذلك تكون ابتدائية وإما أن تكون خفيفة النون أصلاً فإن دخلت على جملة كانت ابتدائية أيضًا وإن دخلت على مفرد وكان ماقبلها مثبتًا كانت ابتدائية أيضًا وقدر لهذا المفرد مايكمل جملته وهذاهو رأي البصريين أما الكوفيون فيرونها عاطفة(١).

وإن كان ماقبلها منفيًا كانت عاطفة مفيدة للاستدراك ومعناه كما سبق رفع توهم فهم غير المراد من كلام سابق عليها وقد خالف في هذا المعنى ابن الطراوة حيث اعتبرها نقيض "لا" بمعنى أنها تثبت لما بعدها مانفي عن الأول وذلك عكس ماتفيده "لا" حيث تنفي عما بعدها ماثبت للأول، ويؤيد قوله هذا بأنها لاتأتي إلا بعد نفي أو شبهه كما هو رأي البصريين، ولايلتفت إلى رأي الكوفيين إلى أنها قد تأتي بعد إيجاب وتكون عاطفة أيضًا.

يقول ابن الطراوة: (إنَّ "لَكِنْ" ليست للاستدراك وإنَّما هي ضِدُّ "لا" توجب للثاني مانُفِي عن الأوَّل. فتقول: ماقام زيدٌ لكِنْ عمروٌ. فالمعنى: أنَّ عَمْرًا هوالذي قام، وكان الأستاذ أبو علي ينفصل عن هذا، ويقول: (إنَّ الكلام لايقعُ إلَّا جوابًا لمن قال: قام زيدٌ، فتريد أن تُثْبِتَ القيام، وتَنْفِيَهُ عن زيد، وتوجبَه لغيره. فإذا قلتَ: ماقامَ زيدٌ، فقد جئت بأحد مطلوبَيْك، وَبَقِيَ الآخر فاستدركتَه فقلتَ: لكِنْ عمروٌ. فهذا معنى قولهم: لكِنْ للاستدراك بعد النفي)(٢)

---

(١) سيأتي ذكرها.

(٢) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٣٤٠/١.

أقسامها

"لكن" ساكنة النون، حرف له قسمان ـ كما تقدم ـ:

القسم الأول: أن تكون مخففة من "لكنّ" الثقيلة لأن أصلها أن تكون مشددة عاملة عمل "إنّ" في المبتدأ والخبر نصبًا ورفعًا [(١)] فإذا خففت بطل عملها، ولم يسمع لها عمل عند أحد من النحويين. وعلتهم في ذلك هو (زوالُ اختصاصِها بالجملةِ الاسميةِ) [(٢)] إذ أصبحت تدخل على الاسمية والفعلية.

يقول الفراء: (للعرب في "لكن" لغتان تشديد النون وإسكانها. فمن شدّدها نصب بها الأسماء، ولم يلها فَعَلَ ولايَفْعَل. ومَن خفّف نُونها وأسكنها لم يُعمِلها في شيء، اسم ولافعل، وكان الذي يعمل في الاسم الذي بعدها عامله، ينصبه أو يرفعه أو يخفضه، من ذلك قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [(٣)]، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [(٤)]، ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [(٥)] رُفعت هذه الأحرف بالأفاعيل التي بعدها، وأمّا قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [(٦)] فإنك أضمرت "كان" بعد "لكن" فنصبت بها، ولو رفعته على أن تضمر "هو" ولكن هو رسول الله كان صوابًا) [(٧)].

---

(١) هذا على مذهب البصريين بخلاف الكوفيين وقد أشرنا إليهما سابقًا.

(٢) همع الهوامع ١٨٨/٢، وينظر: نتائج الفكر/٢٥٧.

(٣) سورة يونس/٤٤. وذلك في قراءة الكسائي وحمزة وخلف، والباقون بالتشديد والنصب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر/٢٥٠.

(٤) سورة الأنفال/١٧. وذلك في قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتشديد والنصب، ينظر: إتحاف فضلاء البشر/٢٣٦.

(٥) سورة البقرة/١٠٢. وذلك في قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتشديد والنصب، ينظر: المرجع السابق/١٤٤.

(٦) سورة الأحزاب/٤٠.

(٧) معاني القرآن/للفراء ٤٦٤/١، ٤٦٥.

أما يونس[١] فقد أجاز إعمالها مخففة ووافقه الأخفش[٢] والمبرد[٣] يقول أبوعلي الفارسي: (وحكى أبو عمرو عن يونس أنّ "لكنّ" إذا خُففت لاتكون حرف عطف. ووجهُ قوله أنّ "لكن" إذا خُففت كانت بمنزلة "إنَّ" و"أنَّ" فكما أنهما بالتخفيف لم يَخْرُجا عما كانا عليه قبل التخفيف فكذلك يكون "لكن" فإذا قال: "ماجاءني زيدٌ لكنْ عمروٌ" كان الاسم مرتفعًا بـ"لكنْ" والخبر مضمر، وإذا قال "ماضربتُ زيدًا لكنْ عمرًا" كان في "لكنْ" ضمير القصة، وانتصب "زيد" بفعل مضمر)[٤] (وإذا قال مامررتُ برجلٍ صالحٍ لكنْ طالحٍ، فطالح مجرور بباء محذوفة والتقدير: لكن الأمر مررت بطالح كأنه لما رأى لفظ "لكن" المخففة موافق لفظ الثقيلة ومعناها واحد في الاستدراك جعلها منها وقاسها في أخواتها من نحو أن وكأن إذا خففتا! وفيه بعد لاحتياجه في ذلك إلى إضمار الشأن والحديث، والقول إنها محذوفة منها المشددة.... والحقّ أنّها أصل برأسه فإن الشيئين قد يتقاربان في اللفظ والمعنى وليس أحدهما من الآخر)[٥] .

وممن ردَّ القول بإعمال المخففة الرضي[٦] والإربلي[٧] وأبو حيان[٨] وغيرهم، لأنه لم يسمع من العرب ماقام زيد لكن عمرًا قائم بالنصب، كما أنه ليس في القراء من قرأ بالتخفيف مع النصب.

---

(١) ينظر: كتاب "يونس البصري" حياته وآثاره ومذاهبه/للدكتور: أحمد مكي الأنصاري/٢٥٥، وشرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٠، وارتشاف الضرب ٢/١٥١، والجنى الداني/٥٣٣، وغيرهم.

(٢) نقل هذا عن الأخفش ابن مالك في "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"/٦٥، وابن عقيل في "المساعد على تسهيل الفوائد" ١/٣٢٨، وعندما تابعت مواضع «لكن" المخففة في معاني القرآن للأخفش لم أجده ينص على ذلك وإنما قال في ١/١٥٢ عن معاني«إلا" إنها تأتي بمعنى «لكن" ونقل عن يونس أنه سمع أعرابيًا فصيحًا يقول: "ماأشتكى شيئًا إلا خيرًا"، (والاستنتاج من هذا النص بأنه يعمل للخففة ضعيف) قاله محقق الدر المصون ٢/٢٩.

(٣) ينظر: المقتضب ١/١٨٩، ٤/١٠٧.

(٤) شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر/٨٦. تحقيق: د/حسن هنداوي.

(٥) شرح المفصل ٨/١٠٦، ١٠٧.

(٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٠.

(٧) ينظر: جواهر الأدب/٥٠٤.

(٨) ينظر: ارتشاف الضرب ٢/١٥١.

القسم الثاني:

أن تكون حرف عطف، فإن وليها مفرد، كانت عاطفة بشرطين[(١)] :

١ ـ أن تسبق بنفي أو شبهه من نهي واستفهام إنكاري، كقولك: ماقام زيد لكن عمرو، ولايقم زيد لكن عمرو. أما إذا قلت "قام زيد" وجئت بـ"لكن" بعدها جعلتها حرف ابتداء، وجئت بالجملة بعدها، فتقول: قام زيد لكن عمرو لم يقم. يقول الصيمري: (فإن ذكرتها بعد إيجاب فلايجوز الاقتصار على اسم واحد بعدها لأنهم قد استغنوا بـ"بل" في مثل هذا الموضع عن "لكن" فإذا قلت: جاءني زيد فهو إيجاب فإذا وصلت قلت: لكن عمرو صار إيجابًا أيضًا وفسد الكلام. ولكنك تذكر جملة مضادة لما قبلها. فتقول: جاءني زيد لكنْ عمروٌ لم يجيء)[(٢)] . هذا على رأي البصريين.

أما الكوفيون فقد أجازوا مجيء "لكن" العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضًا. نحو: جاءني زيد لكن عمرو حملاً على بل[(٣)] ، ويبدو أن الكوفيين يرون أن "لكن" بعد الإيجاب لاتفيد الاستدراك وإنما تفيد الإضراب كما تفيده "بل" وهذا قريب من مذهب ابن الطراوة السابق وقد رُد لأنه (ليس لهم به شاهد وكون وضع "لكن" لمغايرة ما بعدها لما قبلها يدفع ذلك إلاّ أن لايُسلِّموا هذا الموضع)[(٤)] .

٢ ـ ألا تكون مسبوقة بالواو. قاله الفارسي[(٥)] والجزولي[(٦)] ، وعليه أكثر النحاة ولهذا اختلفوا في نحو: "ماقام زيد ولكن عمرو" على عدة أقوال:

---

(١) ينظرعلى سبيل المثال: المقتصد في شرح الإيضاح ٢/٩٤٧، وشرح المفصل ٨/١٠٦، ومغني اللبيب ١/٣٢٤.

(٢) التبصرة والتذكرة ١/١٣٦. «بتصرف» وينظر: أسرار العربية/٣٠٤، ٣٠٥، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٨٤، وشرح المفصل ٨/١٠٦، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ١/٣٤٨.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٨٤.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٠.

(٥) ينظر: المسائل المنثورة/١٩٣.

(٦) ينظر: المقدمة الجزولية/٧١، وشرح الرضي ٤/٤٢٠.

١ ـ أن تكون عاطفة، والواو زائدة لازمة. وهو قول ابن خروف[١]. فقال ابن عصفور: (وعليه ينبغي أن يُحمل كلامُ سيبويه[٢] والأخفش، لأنهما قالا: إنها عاطفة، ولما مثلا للعطف بها مثلا مع الواو)[٣].

٢ ـ أن تكون عاطفة تقدمتها الواو أولا. وهو مذهب ابن كيسان[٤].

٣ ـ ألاتكون عاطفة عند يونس بل هي عنده حرف استدراك لاحرف عطف فإن وليها مفرد معطوف فعطفه بواو قبلها عطف مفرد على مفرد وكأنه لم يعدها من حروف العطف لعدم استعمالها غير مسبوقة بواو كما مثل سيبويه[٥] ولهذا قال أبو حيان: (وذهب يونس إلى أنها ليست من حروف العطف وهو الصحيح لأنه لايحفظ ذلك من لسان العرب)[٦]. وإن كان ابن مالك في "التسهيل" قد وافق يونس فقال: (وليس منها "لكن" وفاقًا ليونس)[٧] إلا أنه قال في شرحه (أن الواو قبلها عاطفة جملة على جملة، ويضمر لما بعدها عاملاً. فإذا قلت: ماقام سعد ولكن سعيد. فالتقدير: ولكن قام سعيد)[٨] وإنما جعله من عطف الجمل لما يلزم على مذهب يونس من مخالفة المعطوف بالواو لما قبلها، وحقه أن يوافقه لأنه (يمتنع العطف بالواو ومابعد "لكن" مفرد لمخالفته في الحكم للمعطوف عليه، وحق المعطوف بالواو إن كان مفرداً أن يستوي هو والمعطوف عليه في الحكم، فإن كانا

(١) نقل هذا عن ابن خروف ابن مالك في "شرح الكافية الشافية" ١٢٣١/٣، والسيوطي في "همع الهوامع" ٢٦٣/٥.

(٢) ينظر: الكتاب ٤٣٥/١.

(٣) نسب المرادي هذا القول لابن عصفور في "الجنى الداني"/٥٣٤، وابن عقيل في "المساعد على تسهيل الفوائد" ٤٤١/٢، والأشموني في شرحه ٤١٦/٢، ولم أجده في كتابيه "شرح جمل الزجاجي" ولا "المقرب".

(٤) ينظر: الجنى الداني"/٥٣٤، والمساعد في تسهيل الفوائد" ٤٤١/٢، وشرح الأشموني ٤١٦/٢.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٢٣١/٣، والتذييل والتكميل /٤ ورقة ١٤٦، والجنى الداني/٥٣٤، وهمع الهوامع ٢٦٣/٥.

(٦) البحر المحيط ٣٢٧/١.

(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/١٧٤.

(٨) ذكره المرادي نقلاً عن "شرح التسهيل" في الجنى الداني/٥٣٤، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤٤١/٢.

جملتين اغتفر تخالفهما في الحكم كقولك: "قام زيد ولم يقم عمرو" و "أكرم خالد وأهين بشر")[١] وماقاله ابن مالك هو الراجح عندي لكثرة الشواهد القرآنية الدالة عليه.

٤ ـ أن تكون عاطفة، والواو عاطفة أيضًا. وهذا ماذهب إليه المالقي فقال: (وإنما يكون العطف لـ"لكن" إذ لها التشريك في اللفظ لافي المعنى، والواو عاطفة كلام موجب على كلام منفي، على عادتها في عطف الجمل، إذ لاتشريك في المعنى يلزم لها فيها)[٢] غير أن رأي المالقي هذا غريب فإنه وإن كان قد ورد عن العرب جواز دخول حرف عطف على عاطف آخر فهذا لايعني أن كليهما للعطف، وإنما يقتصر أحدهما على العطف والثاني ينفرد بمعناه إن كان الاستدراك أو توكيد النفي مثلاً، وهذا ما عليه جمهور النحاة. يقول السهيلي: (إن "لكن" لاتكون حرف عطف مع دخول الواو عليها، لأنه لايجتمع حرفان من حروف العطف، فمتى رأيت حرفًا من حروف العطف مع الواو فالواو هي العاطفة دونه، فمن ذلك "إما" إذا قلت: إما زيد وإما عمرو. وكذلك "لا" إذا قلت: ماقام زيد ولاعمرو. ودخلت "لا" لتوكيد النفي، ولئلا يتوهم أن الواو جامعة، وأنت نفيت قيامهما في وقت واحد)[٣] ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾[٤] حيث جاءت "لكن" للاستدراك الخالص، وقدر مابعدها جملة معطوفة على ماقبلها بالواو[٥] لما ذكرناه سابقًا. ويرى الفراء[٦] والكسائي[٧] وأبو حاتم[٨] أن "لكن" إذا جاءت بعد الواو فإنها تكون

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣/١٢٣١. «بتصرف»

(٢) رصف المباني/٣٤٦.

(٣) نتائج الفكر/٢٥٧، وينظر: المسائل المنثورة/١٨٧، ١٩٣.

(٤) سورة الأحزاب/٤٠.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية ٣/١٢٣٠.

(٦) ينظر: معاني القرآن ١/٤٦٥.

(٧) ينظر: البحر المحيط ١/٣٢٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩٠.

(٨) ينظر: شرح المفصل ٨/٨٠.

وأبو حاتم هو: سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني البصري، كان إمامًا في علوم القرآن واللغة والشعر. من مصنفاته: إعراب القرآن، والقراءات، ولحن العامة، وغير ذلك.

توفي سنة خمس وخمسين ومائتين، وقيل: غير ذلك.

ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء/لأبي البركات بن الأنباري/١٤٥.تحقيق: د/ابراهيم السامرائي، وغاية النهاية ١/٣٢٠، وبغية الوعاة ١/٦٠٦.

مشددة وإذا خلت منها فهي مخففة (وإن كان الوجهان جائزين فيها)(١) يقول الفراء: (فإذا ألقيت من "لكن" الواو التي في أوّلها آثرت العربُ تخفيف نونها. وإذا أدخلوا الواو آثروا تشديدها. وإنما فعلوا ذلك لأنها رجوع عمّا أصاب أوّل الكلام، فشبّهت بـ"بل" إذْ كان رجوعًا مثلها ألا ترى أنك تقول: لم يقم أخوك بل أبوك، ثم تقول: لم يقم أخوك لكن أبوك، فتراهما بمعنى واحد، والواو لاتصلح في "بل"... فآثروا فيها تشديد النون، وجعلوا الواو كأنها واو دخلت لعطفٍ لالمعنى "بل")(٢) ورده الفارسي بقوله: (لم يكنْ في دخولِ الواو عليها معنًى يوجب التشديد، كما لم يكن في انتقاء دخولها عليها معنًى يوجب التخفيف)(٣) فهي مثقلة ومخففة بمعنى واحد وهو الاستدراك.

ورده غيره بأن "لكن" المخففة قد اقترنت بالواو في مواضع كثيرة يقول ابن مالك: (ومايوجد في كتب النحويين من نحو: ماقام سعد لكن سعيد، فمن كلامهم لامن كلام العرب، ولذلك لم يمثل سيبويه في أمثلة العطف إلا بـ "ولكن" وهذا من شواهد أمانته وكمال عدالته)(٤) فلايمكن أن نطبق ماقاله الفراء على جميع مواضع "لكن" سواء أكانت بالواو أم بغير الواو. لأنه لايمكننا أن نجعل المخففة مثقلة لمجرد وجود الواو قبلها. كما أن "بل" تفيد الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني فأنت حين قلت: لم يقم أخوك قررت نفي القيام عن أخيك وأثبته لأبيك. أما "لكن" فأنت ترفع بها ماقد يتوهمه السامع. فعندما نفيت قيام أخيك استدركت كلامك بقيام أبيك ففي "بل" إخبار واحد وهو مابعدها لأنها رجوع عن الأول وكأنه لم يذكر. أما في "لكن" إخباران إخبار بالنفي عن الأول وإخبار بإيجاب الثاني. وإن كانا يتشابهان في نفي ماقبلهما وإثبات مابعدها يقول ابن مالك: ("ولكنْ" قبل المفرد بعد نَفْيٍ أو نَهْيٍ كـ "بَلْ")(٥).

---

(١) شرح المفصل ٨/٨٠، ٨١.

(٢) معاني القرآن ١/٤٦٥، وينظر المبسوط في القراءات العشر/ ١٧٣، ١٧٤.

(٣) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ٢/١٤١. تحقيق: علي النجدي ناصف والدكتور/ عبد الفتاح شلبي.

(٤) الجنى الداني/٥٣٤ نقلاً عن كتاب شرح التسهيل/لابن مالك. وينظر: البحر المحيط ١/٣٢٧.

(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد / ١٧٧.

هذا إن كان مابعد "لكن" مفردًا، أما إن وليتها جملة، فيجوز وقوعها بعد جميع أنواع الكلام إلا الاستفهام والترجي والتمني والعرض والتحضيض. فلا تقول: هل زيد قائم لكن عمرو لم يقم [١] لحصول الاستدراك المطلوب بحصول المغايرة مطلقًا، لأن مابعدها لما كان جملة والجملة تقع نفيًا وإثباتًا جاز أن يكون ماقبلها أيضًا كذلك، فيغاير المثبت المنفي، والمنفي المثبت فيحصل المطلوب يقول المبرد: (ولايجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت)[٢] كما يجوز أن تسبق بالواو كقوله تعالى: {وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ}[٣] أولا تسبق كقول زهير:

إِنَّ ابنَ وَرْقاءَ لاتُخْشَى غَوائِلُهُ ... لكِنْ وَقائِعُهُ في الحَرْبِ تُنتَظَرُ[٤]

هذا مااتفق عليه النحاة، إلا أنهماختلفوا في مجيء الجملة بعد "لكن" هل تعد "لكن" عاطفة جملة على جملة أو لا؟

١ ـ ذهب الجزولي[٥] وابن يعيش[٦] وابن عصفور[٧] وابن هشام[٨] والسيوطي[٩] إلى أنها حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك سواء أكانت بالواو أم لا.

---

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/٤٢٠، وارتشاف الضرب ٢/٦٤٦، والجنى الداني/٥٣٥، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٦٧.

(٢) المقتضب ١/١٥٠، وينظر: ٤/١٠٨.

(٣) سورة الزخرف/٧٦.

(٤) شرح ديوان زهير/٣٠٦، والبيت من البحر البسيط، وينظرفي ديوان زهير/٣٤، وفي مغني اللبيب ١/٣٢٤ برواية «لاتخشى بوادره".

(٥) ينظر: المقدمة الجزولية في النحو/٧١.

(٦) ينظر: شرح المفصل ٨/١٠٦.

(٧) ينظر: المقرب/٢٥٥.

(٨) ينظر: مغني اللبيب ١/٣٢٤.

(٩) ينظر: همع الهوامع ٥/٢٦٢.

٢ ـ وذهب المبرد[(١)] والزمخشري[(٢)] وابن أبي الربيع[(٣)] إلى أنها عاطفة إذا كانت بغير واو حيث قال ابن أبي الربيع[(٤)] وهو ظاهر كلام سيبويه.

يقول المبرد: (فإن عطفت بـ"لكن" الخفيفة جملة ـ وهي الكلام المستغني ـ جاز أن يكون ذلك بعد الإيجاب تقول: قد جاءني زيدٌ لكنْ عمرو لم يأتني)[(٥)].

أما المالقي فعدها عاطفة إذا وليتها جملة فعلية، أما إذا وليتها جملة اسمية فهي المخففة من الثقيلة[(٦)] ويكون معناها الإضراب، وربما أراد به الإضراب الانتقالي لأن فيه انتقالاً من قصة إلى قصة أخرى فلايكون استدراكًا. هذا وقد يكون رأي المالقي توفيقًا مقبولاً بين الطرفين.

---

(١) ينظر: المقتضب ١٠٨/٤.

(٢) ينظر: المفصل/٣٠٥.

(٣) ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي ٣٤٨/١، وينظر: ارتشاف الضرب ٦٤٦/٢، والجنى الداني/٥٣٦.

(٤) ينظر: هامش ٣٤٨/١ من كتاب البسيط لابن أبي الربيع.

(٥) المقتضب ١٠٨/٤.

(٦) ينظر: رصف المباني/٣٤٧.

مواضع "لكن"

في القرآن الكريم

مواضع "لكنْ" في القرآن الكريم

ورد ذكر "لكن" المخففة من الثقيلة في القرآن الكريم في أكثر من ستين آية، بالواو، وبدونها.

وجاءت بعدها الجملة الاسمية والفعلية، ولم يأت بعدها مايتعين كونه مفردًا على الرأي الأرجح.

ولذا قسمت آيات هذا الفصل إلى قسمين:

القسم الأول: مايحتمل أن يكون من عطف المفردات.

القسم الثاني: مايحتمل أن يكون من عطف الجمل.

القسم الأول

مايحتمل أن يكون من عطف المفردات.

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[(١)] .

استدراك من النفي السابق، أي: ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عما هم فيه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير.

أما قوله {ذِكْرَىٰ} ففيه أربعة أوجه:

الأول: أنها منصوبة على المصدر بفعل مضمر، قدره الفراء[(٢)] بمضارع أي: ولكن نذكرهم ذكرى، وقدره النحاس[(٣)] بأمر، أي: ولكن ذكّروهم ذكرى.

الثاني: أنها[(٤)] مبتدأ خبره محذوف، أي: ولكن عليهم ذكرى، أو عليكم ذكرى، أي: تذكيرهم.

الثالث: أنها[(٥)] خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو ذكرى، بمعنى: أن النهي عن مجالستهم والامتناع منها ذكرى.

الرابع: أنها[(٦)] عطف على موضع {شَيْءٍ} المجرور بـ {مِّن} أي: ماعلى المتقين من حسابهم شيء، ولكن عليهم ذكرى، فيكون من عطف المفردات، وأما على الأوجه السابقة فمن عطف الجمل.

وقد رد الزمخشري هذا الوجه الأخير فقال: (ولايجوز أن يكون عطفًا على

---

(١) سورة الأنعام/٦٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن ١/٣٣٩.

(٣) ينظر: إعراب القرآن ٢/٧٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ٢/٧٣، والكشاف ٢/٢٧، والبيان ١/٣٢٥، والتبيان ١/٥٠٦.

(٥) ينظر معاني القرآن/للفراء ١/٣٣٩، وإعراب القرآن/للنحاس ٢/٧٣، والتبيان ١/٥٠٦.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٤/١٥٤.

محل ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ كقولك: مافي الدار أحد ولكن زيد، لأن قوله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يأبى ذلك) [(١)] ورد عليه أبو حيان فقال: (وكأنه تخيل أن في العطف يلزم القيد الذي في المعطوف عليه وهو من حسابهم لأنه قيد في شيء، فلايجوز عنده أن يكون من عطف المفردات عطفًا على ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ على الموضع لأنه يصير التقدير عنده: ولكن ذكرى من حسابهم، وليس المعنى على هذا، وهذا الذي تخيله ليس بشيء لايلزم في العطف بـ"ولكن" ماذكر، تقول: "ماعندنا رجل سوء ولكن رجل صدق، وماعندنا رجل من تميم، ولكن رجل من قريش، وماقام من رجل عالم ولكن رجل جاهل فعلى هذا الذي قررناه يجوز أن يكون من قبيل عطف الجمل كما تقدم، ويجوز أن يكون من عطف المفردات، والعطف إنما هو للواو ودخلت لكن للاستدراك) [(٢)].

فقال السمين: (قوله "تقول: ماعندنا رجل سوء ولكن رجل صدق..." إلى آخر الأمثلة التي ذكرها لايرد على الزمخشري، لأن الزمخشري وغيره من أهل اللسان والأصوليين يقولون: إن العطف ظاهر في التشريك، فإن كان المعطوف عليه قيد، فالظاهر تقيّد المعطوف بذلك القيد، إلا أن تجيء قرينة صارفة فيحال الأمر عليها. فإذا قلت: ضربت زيداً يوم الجمعة وعمراً، فالظاهر اشتراك عمرو مع زيد في الضرب مقيداً بيوم الجمعة فإن قلت: و"عمراً يوم السبت" لم يشاركه في قيده، والآية الكريمة من قبيل النوع الأول. أي: لم يؤت مع المعطوف بقرينة تخرجه، فالظاهر مشاركته للأول في قيده، ولو شاركه في قيده لزمه منه ماذكر الزمخشري.

وأما الأمثلة التي أوردها فالمعطوف مقيد بغير القيد الذي قيد به الأول. وإنما كان ينبغي أن يأتي بأمثلة هكذا فيقول: ماعندنا رجل سوء، ولكن إمرأة، وماعندنا رجل من تميم ولكن صبي، فالظاهر من هذا أن المعنى: ولكن إمرأة سوء، ولكن صبي من قريش) [(٣)].

---

(١) الكشاف ٢/٢٧.

(٢) البحرالمحيط ٤/١٥٤.

(٣) الدر المصون ٤/٦٧٧، ٦٧٨، وينظر:روح المعاني ٧/١٨٥.

والقول بأن الواو عاطفة مفرداً على مفرد موافق لمذهب يونس على ماحكاه عنه ابنُ مالك وأبو حيان. أما ابنُ مالك فردَّه لأن الواو لاتعطف بين مفردين مختلفين في الحكم، ويغتفر هذا في الجمل فتقول: قام زيد ولم يقم عمرو.

وقد سبق الحديثُ عن هذا الرأي وضعفه، ومن هنا صدّرنا الكلام عن "لكنْ" في القرآن أنها لم تأت عاطفة مفردات.

* * *

{وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...}[١]

(وقعت "لكن" هنا أحسن موقع إذ جاءت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن للصدق)[٢] قاله أبو حيان.

وفي قوله {تَصْدِيقَ} قراءتان:

الأولى: بالنصب، وبه قرأ الجمهور، وفيه أوجه:

١ ـ أن يكون[٣] معطوفًا على خبر "كان"، وعلى هذا الرأي تكون "لكن" عاطفة للمفردات. أما باقي التوجيهات في القراءتين فما بعدها جملة.

٢ ـ أن يكون خبرًا لـ "كان" مضمرة، والتقدير: ولكن كان تصديق، وإليه ذهب الكسائي[٤]، والفراء[٥]، وابن سعدان[٦]، والزجاج[٧] وغيرهم.

٣ ـ أن يكون مفعولاً لأجله لفعل مقدر، أي: وما كان هذا القرآن أن يفترى، ولكن أنزل للتصديق[٨].

---

(١) سورة يونس/٣٧.

(٢) البحر المحيط ٥/١٥٧.

(٣) ينظر: الدر المصون ٦/٢٠٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القران ٨/٣٤٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن ١/٤٦٥.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٤٣.

وابن سعدان هو: محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي المقرئ أبو جعفر، ثقة، له كتب في النحو والقراءات، توفي سنة ٢٣١هـ.

ينظر: معرفة القراء الكبار ١/٢١٧، وبغية الوعاة ١/١١١.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٣/٢٠، وينظر الكشاف ٢/٢٣٧، والبيان ١/٤١٣، والتبيان ٢/٦٧٥، وروح المعاني ١١/١١٨.

(٨) ينظر: التبيان ٢/٦٧٥.

٤ ـ أن يكون مصدراً بفعل مقدر، والتقدير: ولكن يصدق تصديق الذي بين يديه من الكتب[١].

الثانية: بالرفع، وبه قرأ[٢] عيسى بن عمر، على أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: ولكن هو تصديق. قال مكي: (ويجوز عند الفراء[٣] والكسائي[٤] الرفع على تقدير: ولكن هو تصديق)[٥].

* * *

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١٤٩/٧، والبحر المحيط ١٥٧/٥.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٥٧.

(٣) معاني القرآن ٤٦٥/١.

(٤) ينظر: إعراب القرآن/للنحاس ٢٥٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٣/٨.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٣٨٢/١.

{... مَاكَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ...}[(١)]

في قوله {تَصْدِيقَ} قراءتان:

الأولى: بالنصب على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون خبراً لكان مضمرة، والتقدير: ولكن كان تصديق مابين يديه من الكتب. وبه قال الفراء[(٢)].

الوجه الثاني: أن يكون معطوفاً[(٣)] على خبر "كان" فيكون من قبيل عطف المفردات.

القراءة الثانية: بالرفع، فيكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: ولكن هو تصديق. وبه قرأ[(٤)] حمران[(٥)] بن أعين، وعيسى[(٦)] الكوفي، وعيسى الثقفي. وينشد بيت ذي الرمة بالوجهين حيث يقول:

نجائبَ ليست من مُهور أُشَابةٍ
ولادِيةٍ كانت ولاكسبِ مأثم

(١) سورة يوسف/١١١.

(٢) ينظر: معاني القرآن ٢/٥٦، والبيان ٢/٤٦، والمحرر الوجيز ٨/١٠٥، ١٠٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٧٧، والبحر المحيط ٥/٣٥٦.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/٣٤٨.

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٦٦، وينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/٥٦، ٥٧، والمحتسب ١/٣٥٠.

(٥) حمران بن أعين هو: أبو حمزة الكوفي مقرئ كبير أخذ عن يحيى بن وثاب، وروى عنه حمزة الزيات. توفي سنة ثلاثين ومائة

ينظر: غاية النهاية ١/٢٦١، ومعرفة القراء الكبار ١/٧٠، ٧١.

(٦) عيسى الكوفي كنيته أبو عمر، كان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة. توفي سنة ست وخمسين ومائتين. ينظر: معرفة القراء الكبار ١/١١٩، ١٢٠.

وَلَكِنْ عَطاءَ اللَّهِ مِن كلِّ رِحْلَةٍ
إلى كلِّ مَحْجُوبِ السُّرادِقِ خِضْرَمِ (١)

فيروى "عطاء الله" منصوبًا على "ولكن كان عطاءَ" ومرفوعًا على "ولكن هو عطاءُ الله". واستحسن ابن عطية (٢) النصب.

* * *

(١) البيت من البحر الطويل، وينظر في ديوانه ٢/١١٨٣، وفي المحرر الوجيز ٨/١٠٥، ١٠٦، ورواية البيت الأول فيه:

وماكانَ مالِي من تُراثٍ وَرِثْتُهُ ... وَلاديةٍ......

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٨/١٠٦.

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[(١)].

في قوله {رَسُولَ} قراءتان:

الأولى: بالنصب، وفيها وجهان:

الأول: بالعطف[(٢)] على خبر كان "أبا أحد" فيكون من عطف المفردات، أما باقي الأوجه فمن عطف الجمل كالآية التي تقدمتها.

الثاني: بتقدير كان لدلالة المتقدمة عليها أي: ولكن كان رسول الله. وبه قال الأخفش[(٣)] والفراء[(٤)].

القراءة الثانية: بالرفع[(٥)]، وبها قرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة، فتكون كلمة "رسول" خبر لمبتدأ محذوف أي: هو رسول الله[(٦)].

وقرأ[(٧)] أبو عمرو بتشديد "لكن" على أن يكون "رسول الله" اسمها، والخبر محذوف للدلالة عليه[(٨)].

ووجه الاستدراك هنا أنه لما نفى كونه أبًا لهم كان ذلك على مظنة أن يتوهم أنه ليس بينهم وبينه مايوجب تعظيمهم إياه وانقيادهم له فدفعه ببيان أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي من حيث إنه رسولهم بل وخاتم النبيين أيضًا.

---

(١) سورة الأحزاب/٤٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٢٦٤/٣، والبحر المحيط ٢٣٦/٧.

(٣) معاني القرآن ٤٤٣/٢.

(٤) معاني القرآن ٣٤٤/٢، وينظر: البيان ٢٧٠/٢، والتبيان ١٠٥٨/٢.

(٥) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٢٠.

(٦) ينظر: المحتسب ٣٥٠/١، والجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١٤، والبحر المحيط ٢٣٦/٧.

(٧) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٢٠.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١٤، والبحر المحيط ٢٣٦/٧.

القسم الثاني

مايحتمل أن يكون من عطف الجمل

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾(١)

هذا القول من الله عز جل تكذيب للمنافقين في دعواهم إذا أمروا بعبادة الله وترك معاصيه قالوا: إنما نحن مصلحون لامفسدون، ونحن على رشد وهدى وتقوى فكذبهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ المخالفون لأوامره المتمادون في المعاصي إلا أنهم لايشعرون بحالهم وماهي عليه. فأفادت "لكن" رفع توهمهم بأنهم مصلحون لأنهمقد فقدوا الإحساس حتى بما يصدر عنهم وما تكنه صدروهم فرفع الله عنهم ذلك التوهم ليخبرهم بحقيقتهم فقال: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ يقول السمين الحلبي: (إنهم لما نهوا عن اتخاذ مثل ماكانوا يتعاطونه من الإفساد فقابلوا ذلك بأنهم مصلحون في ذلك، وأخبر تعالى بأنهم هم المفسدون، كانوا حقيقين بأن يعلموا أن ذلك كما أخبر تعالى، وأنهم لايدعون أنهم مصلحون، فاستدرك عليهم هذا المعنى الذي فاتهم من عدم الشعور بذلك، ومثله قولك: "زيد جاهل ولكنه لايعلم" وذلك أنه من حيث اتصف بالجهل، وصار الجهل وصفًا قائمًا به كان ينبغي أن يعلم بهذا الوصف من نفسه، لأن الإنسان ينبغي له أن يعلم ماأشتملت عليه نفسه من الصفات فاستدركت عليه أن هذا الوصف القائم به لايعلمه مبالغة في جهله)(٢).

وكما أفادت "لكن" الاستدراك أفادت التوكيد(٣) أيضًا ـ كما أشرنا من قبل ـ فالله عز وجل لم يستدرك فقط وإنما أكد عدم شعورهم بذلك. فوقعت لكن بين متنافيين بوجه ما، والواو التي سبقتها عطفت مابعدها على ماقبلها عطف جمل.

* * *

(١) سورة البقرة/١٢.

(٢) الدر المصون ١/١٤٠، ١٤١، وينظر: تفسير أبي السعود ١/٤٤، وروح المعاني ١/١٥٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠٤.

{... أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ}[١]

الاستدراك في هذه الآية كمعناه في الآية التي تقدمت، إلا أنه قال هناك {لَّا يَشْعُرُونَ}[٢] وقال في هذه الآية {لَّا يَعْلَمُونَ}. وذلك (لأن المثبت لهم هناك هو الإفساد، وهو مما يدرك بأدنى تأمل لأنه من المحسوسات التي لاتحتاج إلي فكر كبير، فنفى عنهم مايدرك بالمشاعر وهي الحواس مبالغة في تجهيلهم وهو أن الشعور الذي قد ثبت للبهائم منفي عنهم، والمثبت هنا هو السفه، والمصدّر به هنا هو الأمر بالإيمان وذلك مما يحتاج إلى إمعان فكر ونظر تام يفضي إلى الإيمان والتصديق، ولم يقع منهم المأمور به وهو الإيمان فناسب ذلك نفي العلم عنهم. ووجه ثان وهو أن السفه هو خفة العقل والجهل بالأمور، والعلم نقيض الجهل فقابله بقوله: لايعلمون لأن عدم العلم بالشيء جهل به)[٣] فأكد بذلك جهلهم.

* * *

---

(١) سورة البقرة/١٣.

(٢) آية/١٢.

(٣) الدر المصون ١/١٤٣، ١٤٤، وينظر: الكشاف ١/١٨٣، والتفسير الكبير ٢/٧٥، وتفسير أبي السعود/٤٥، ٤٦، وروح المعاني ١/١٥٦.

{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[(١)]

قدر الزمخشري محذوفًا قبل قوله {وَمَا ظَلَمُونَا} تقديره: (فظلموا بأن كفروا هذه النعم وماظلمونا)[(٢)].

وقدر ابن عطية (فعصوا، ولم يقابلوا النعم بالشكر)[(٣)] ووافقهما السمين[(٤)] وأبو السعود[(٥)] وإليه أشار الآلوسي[(٦)].

ورده أبو حيان بقوله: (ولايتعين تقدير محذوف كما زعما لأنه قد صدر عنهم ارتكاب قبائح من اتخاذ العجل إلهًا ومن سؤال رؤية الله على سبيل التعنت وغير ذلك مما لم يقص هنا فجاء قوله تعالى {وَمَا ظَلَمُونَا} جملة منفية تدل على أن ماوقع منهم من تلك القبائح لم يصل إلينا بذلك نقص ولاضرر بل وبال ذلك راجع إلى أنفسهم ومختص بهم لايصل إلينا منه شيء)[(٧)].

والأقرب إلى الصواب عندي ما قاله أبو حيان لأن المعنى مفهوم من الآيات السابقة فلاداعي إلى تقديرات قد يستدعيها المقام ولكن لايحتمها.

وقد وقعت "لكن" هنا في أحسن مواقعها إذ جاءت بين نفي وإثبات، فبعد مانفى وقوع ظلمهم لله بقيت النفس متشوقة ومتطلعة لمعرفة من وقع به الظلم فاستدرك بأن ذلك الظلم الحاصل منهم إنما كان واقعًا بهم[(٨)] كما أكد ظلمهم لأنفسهم.

---

(١) سورة البقرة/٥٧.

(٢) الكشاف ١/٢٨٣.

(٣) المحرر الوجيز ١/٣٠٦.

(٤) الدر المصون ١/٣٧١.

(٥) تفسير أبي السعود ١/١٠٤.

(٦) روح المعاني ١/٢٦٤.

(٧) البحر المحيط ١/٢١٥.

(٨) ينظر: البحر المحيط ١/٢١٥.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١). وفي ﴿لَٰكِنْ﴾ هنا قراءتان:

الأولى: بتخفيف ﴿لَٰكِنْ﴾ ونصب أنفسهم على أنه مفعول به مقدم للاختصاص أي: لم يقع وبال ظلمهم إلا بأنفسهم خاصة لايتخطاهم، وقدم لأجل الفواصل أيضاً(٢).

الثانية: بتشديد ﴿لَٰكِنَّ﴾ وبها قرأ(٣) عيسى بن عمر، فتكون ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ اسمها، وخبرها ﴿يَظْلِمُونَ﴾ والعائد على الجملة الخبرية محذوف تقديره: ولكن أنفسهم يظلمونها، فحذف وحسّن حذفه كون الفعل فاصلة رأس آية فلو صرح به لزال هذا المعنى(٤). وجوز بعضهم أن يكون اسمها ضمير الشأن وحذف، وأنفسهم مفعول بـ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ والجملة خبر لها وقد رد لأن حذف هذا الضمير مختص بالشعر(٥).

ومنه قوله: ﴿... وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٦).

وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٧).

---

(١) سورة آل عمران/١١٧.

(٢) ينظر: الدر المصون ٣٦١/٣، وتفسير أبي السعود ٧٥/٢، وروح المعاني ٣٧/٤.

(٣) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٢٢.

(٤) ينظر: الكشاف ٤٥٨/١، والبحر المحيط ٣٨/٣، والدر المصون ٣٦١/٣، وتفسير أبي السعود ٧٥/٢، وروح المعاني ٣٧/٤.

(٥) ينظر: المراجع السابقة.

(٦) سورة الأعراف/١٦٠، وينظر: الكشاف ١٢٤/٢، والبحر المحيط ٤٠٧/٤، وروح المعاني ٨٨/٩.

(٧) سورة التوبة/٧٠، وينظر: الكشاف ٢٠١/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/٨، والبحر المحيط ٧٠/٥.

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾(١).

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٣).

وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٤).

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٥)

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة هود/١٠١، وينظر: الكشاف ٢/٢٩٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/٩٥، والبحر المحيط ٥/٢٦٠، وروح المعاني ١٢/١٣٦.

(٢) سورة النحل/٣٣، وينظر: الكشاف ٢/٤٠٨، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٠٢، والبحر المحيط ٥/٤٨٩، وروح المعاني ١٤/١٣٤.

(٣) سورة النحل/١١٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٩٧، وروح المعاني ١٤/٢٤٨.

(٤) سورة العنكبوت/٤٠، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٤٥، وروح المعاني ٢٠/١٥٩، ١٦٠.

(٥) سورة الروم/٩، وينظر: الكشاف ٣/٢١٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٩، والبحر المحيط ٧/١٦٤.

(٦) سورة الزخرف/٧٤، ٧٥، ٧٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/١١٥، والبحر المحيط ٨/٢٧، وروح المعاني ٢٥/١٠٢.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٤).

نهى الله عز وجل عباده عن القول عمن قتل في سبيل الله أنه مات، فإن الميت هو الذي سلبت حياته وعدمت حواسه، أما من قتل في سبيل الله فهو حي عند ربه، وبعد ماأثبت الله حياة من قتل ربما تتشوق نفس السامع للمعرفة كيف لايكونون أمواتًا ونحن لانراهم فالاستدراك بـ "لكن" لرفع هذه الشائبة عن النفس فقال ﴿لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي لاتحسون بحياتهم فحياتهم روحية لاجسدية(٥)، يشير إلى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهداء (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ.....)(٦).

* * *

---

(١) سورة البقرة/١٥٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢/٣٨ـ٤٠، والجامع لأحكام القرآن٢/١٧٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ بـاب "بيان أن أرواح الشهداء في الجنة" ١٣/٣١ – ٣٢.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ.....﴾[1].

"لكن" (دخلت هنا بين نقيضين لأن اليمين لاتخلو من أن لايقصدها القلب ولكن جرت على اللسان وهي اللغو أو تقصدها وهي المنعقدة وهما ضدان،وذلك من أحسن مايقع فيه "لكن")[2]. قاله أبو حيان.

ومثلها قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ...﴾[3].

* * *

(١) سورة البقرة/٢٢٥.

(٢) البحر المحيط ١٨٠/٢، وينظر: الدر المصون ٤٣٢/٢.

(٣) سورة المائدة/٨٩.

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا...}[(١)].

قوله {وَلَٰكِن} هذا الاستدراك فيه ثلاثة أوجه:

الأول: ماقاله أبوحيان وهو أنه (استدراك من الجملة التي قبله وهو قوله {سَتَذْكُرُونَهُنَّ} ولما كان الذكر يقع على أنحاء وأوجه استدرك منه وجه نهي فيه عن ذكر مخصوص ولو لم يستدرك لكان مأذونًا فيه لاندراجه تحت مطلق الذكر الذي أخبر الله بوقوعه، وهو نظير قولك: "زيد سيلقى خالداً ولكن لايواجهه بشرّ "فلما كانت أحوال اللقاء كثيرة من جملتها مواجهته بالشر، استدرك هذه الحالة من بينها)[(٢)].

- الثاني:ماقاله أبو البقاء[(٣)] وهو أنه مستدرك من قوله {فِيمَا عَرَّضْتُم} ورده السمين بأنه (ليس بواضح)[(٤)].

الثالث: ماقاله الزمخشري وهو (أن المستدرك منه محذوف لدلالة {سَتَذْكُرُونَهُنَّ} عليه وتقديره: علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لاتواعدوهن سراً)[(٥)].

ورده أبو حيان بقوله: (ولايحتاج "لكن" إلى جملة محذوفة قبلها لكن يحتاج مابعد "لكن" إلى وقوع ماقبله من حيث المعنى لا من حيث اللفظ. فكأنه قيل: ولكن لاتواعدوهن سراً إن ذكرتموهن في أنفسكم، كما أن الله تعالى لم يأمر بذكر النساء لاعلى طريق الوجوب ولاالندب فيحتاج إلى تقدير فاذكروهن. وهذا ينطبق أيضًا على المثال السابق لأن نفي المواجهة بالشر يستدعي وقوع اللقاء)[(٦)].

---

(١) سورة البقرة/٢٣٥.

(٢) البحر المحيط ٢/٢٢٦. «بتصرف»

(٣) ينظر: التبيان ١/١٨٨.

(٤) الدر المصون ٢/٤٨٢.

(٥) الكشاف ١/٢٧٣، وينظر: التفسير الكبير ٦/١٤٢، وتفسير أبي السعود ١/٢٣٢، وروح المعاني ٢/١٥١.

(٦) البحر المحيط ٢/٢٢٦. «بتصرف»

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.....﴾(١)

جاءت "لكن" للاستدراك في هذه الآية، إذ وقعت بين محذوفين متضادين، فسيدنا إبراهيم حين طلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحي الموتى سأله الله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ فأجاب سيدنا إبراهيم ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بلى قد آمنت وليس سؤالي ذلك عن عدم إيمان مني ولكن سألته ليزداد قلبي سكونًا وطمأنينة. يقول أبو حيان: (اللام في قوله ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ متعلقة بمحذوف بعد لكن والتقدير: ولكن سألت مشاهدة الكيفية لإحياء الموتى ليطمئن قلبي فيقتضي تقدير هذا المحذوف تقدير محذوف آخر قبل "لكن" حتي يصح الاستدراك التقدير: قال بلى أي آمنت وماسألت عن غير إيمان ولكن سألت ليطمئن قلبي)(٢).

* * *

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣)

هذا تكذيب من الله عز وجل لدعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادعوا أنه كان على ملتهم، يقول الله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ متبعًا لأوامر الله وطاعته مبتعداً عن المعاصي والفواحش. ووقعت لكن بين نفي وإثبات (وهذا من أحسن مواقعها لأنها وقعت بين نقيضين بالنسبة إلى اعتقاد الحق والباطل، ولما كان الكلام مع اليهود والنصارى كان الاستدراك بعد ذكر الانتفاء عن شريعتهما)(٤)

* * *

---

(١) سورة البقرة/٢٦٠.

(٢) البحر المحيط ٢/٢٩٩، وينظر: الكشاف ١/٣٩٢، والبيان ١/١٧٣، والتبيان ١/٢١١، والجامع لأحكام القرآن ٣/٣٠٠، وتفسير أبي السعود ١/٢٥٦.

(٣) سورة آل عمران/٦٧.

(٤) البحر المحيط ٢/٤٨٧. "بتصرف" وينظر: الدر المصون ٣/٢٤٢.

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}(١)

أي: ما كان ينبغي لأحد من البشر أن ينزل الله عليه الكتاب ويعلمه الحكمة ويعطيه النبوة أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه من دون الله ولكن إذا آتاه الله ماآتاه دعاهم إلى طاعة الله والابتعاد عن معاصيه وجاءت "لكن" لإثبات مانفي سابقًا كأنه قيل: ما كان لذلك البشر أن يقول ذلك لأنا نعلم أن الله تعالى لايعطي النبوة للكذبة المدعين وفي هذا تنزيه للأنبياء عليهم السلام. ولكن يقول كونوا ربانيين. فأضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الإضمار إذا كان في الكلام مايدل عليه(٢).

* * *

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا...}(٣).

لم تسبق "لكن" الخفيفة في هذه الآية بواو. ووقعت بين ضدين لأن الجملة التي قبلها تتحدث عن تعذيب الكفار والجملة التي بعدها تتحدث عن تنعيم المتقين ووجه الاستدراك أنه لما وصف الله الكفار بقلة الانتفاع والتمتع بتقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هي متصفة بذلك فاستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لايضرهم ذلك وأن لهم ماوعدهم ربهم. وإلى هذا المعنى أشار القرطبي(٤) وأبو حيان(٥)

---

(١) سورة آل عمران/٧٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣/٣٢٥، والكشاف ١/٤٤٠، والبحرالمحيط ٢/٥٠٦، والدر المصون ٣/٢٧٥، والتفسير الكبير ٨/١٢٢، وتفسير أبي السعود ٢/٥٢، وروح المعاني ٣/٢٠٨.

(٣) سورة آل عمران/١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٢١.

(٥) ينظر: البحرالمحيط ٣/١٤٧.

والسمين[١] الآلوسي[٢] .

و{لَٰكِن} في هذه الآية فيها قراءتان:

الأولى: بتخفيف نون "لكن" وهو ماعليه الجمهور، واسم الموصول في محل رفع بالابتداء. وهي هنا مخففة من الثقيلة على رأي الجمهور وعلى رأي المالقي لأن مابعدها جملة اسمية، وهي حرف إضراب عنده.

الثانية: بالتشديد، وبها قرأ[٣] أبو جعفر يزيد بن القعقاع[٤] ، واسم الموصول في محل نصب.

* * *

{.... وَمَاقَتَلُوهُ وَمَاصَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ....}[٥]

وقعت "لكن" بين متغايرين نفيًا وإثباتًا، إذ نفى الله تعالى قتلهم وصلبهم لعيسى عليه السلام وعندها بقيت النفس متشوقة لمعرفة من الذي قتل ؟ فأخبر الله بأن من قتلوه كان يشبه عيسى. فرفع ذلك الوهم بـ"لكن" التي أفادت الاستدراك والتوكيد بعدم قتلهم لعيسى[٦] .

* * *

---

(١) ينظر: الدر المصون ٣/٥٤٥.

(٢) ينظر: روح المعاني ٤/١٧٢.

(٣) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٢٤، والنشر في القراءات العشر ٢/٢٤٧، واتحاف فضلاء البشر/١٨٤.

(٤) هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، كبير القدر، عرض القراءة على مولاه عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم. مات بالمدينة سنة/١٣٠هـ/وقيل غير ذلك.

ينظر: معرفة القراء الكبار ١/٧٢، وغاية النهاية ٢/٣٨٢.

(٥) سورة النساء/١٥٧.

(٦) ينظر: جامع البيان ٦/١٦١٢.

﴿... وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ....﴾(١)

بعد أن أخبر الله عز وجل عن أحوال الكافرين من بني اسرائيل وما سيلحقهم من عذاب أليم استدرك ببيان حال من آمن منهم بأحكام الله التي جاءت بها أنبياؤهم. يقول أبو حيان: (مجيء "لكن" هنا في غاية الحسن لأنها داخلة بين نقيضين وجزائهما وهم الكافرون والعذاب الأليم والمؤمنون والأجر العظيم)(٢).

وهي هنا مثل قوله تعالى ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ....﴾(٣) السابق ذكرها في أنها مخففة من الثقيلة.

* * *

---

(١) سورة النساء/١٦١، ١٦٢.

(٢) البحرالمحيط ٣/٣٩٥، وينظر: الدر المصون ٤/١٥٢، وتفسير أبي السعود ٢/٢٥٣.

(٣) سورة آل عمران/١٩٨.

{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ....}[(١)]

في قوله {لَّٰكِنِ} قراءتان:

الأولى: بتخفيف النون، وبها قرأ الجمهور، ورفع لفظ الجلالة على الابتداء.

الثانية: بتشديد النون، ونصب لفظ الجلالة، وبها قرأ[(٢)] السلمي[(٣)] والجراح الحكمي[(٤)].

ولما كان قوله "لكن" لايبتدأ به الكلام كما قال بذلك سيبويه[(٥)]، كان لابد من محذوف قبله، وفي هذا المستدرك المحذوف قولان:

١ ـ قال الزمخشري: (لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ} قال: لكن الله يشهد، بمعنى أنهم لايشهدون لكن الله يشهد)[(٦)] واستحسنه السمين[(٧)].

٢ ـ ماروي[(٨)] في سبب النزول أنه لما نزلت {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ}[(٩)] قال القوم: نحن لانشهد لك بذلك فنزل {لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ}.

---

(١) سورة النساء/١٦٥، ١٦٦.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٣٠، والبحر المحيط ٣٩٩/٣.

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الضرير، مقرئ الكوفة، ولد في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأبيه صحبة، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً،عرض على عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم.

توفي سنة أربع وسبعين، وقيل غير ذلك. ينظر: غاية النهاية٤١٣/١.

(٤) هوالجراح بن عبد الله الحكمي،ولي البصرة، واستشهد غازيًا سنة اثنتي عشرة ومائة. ينظر: الأعلام ١١٥/٢.

(٥) ينظر: الكتاب ٤٣٦/١.

(٦) الكشاف ٥٨٣/١.

(٧) الدر المصون ١٦٢/٤.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٦، والبحر المحيط ٣٩٩/٣، والدر المصون ١٦٢/٤.

(٩) سورة النساء/١٦٣.

﴿.... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ....﴾[(١)]

الواو: للعطف، و "لكن" للاستدراك والتوكيد. ومعنى الآية أن الله عز وجل لم يفرض عليكم الوضوء والغسل من جناباتكم، والتيمم عند عدمكم الماء ليجعل عليكم من حرج ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي ولكن يريد تطهيركم بما فرض عليكم[(٢)].

ووقعت "لكن" بين نفي الإرادة وإثباتها.

* * *

﴿...حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)]

أي لكل من الفريقين عذاب أعده الله تعالى ولكنكم لاتعلمون ذلك[(٤)] فوقعت "لكن" بين متنافيين.

* * *

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[(٥)].

أي قال سيدنا صالح لقومه ياقومي لقد أبلغتكم رسالة ربي، وبذلت لكم مافي جهدي لإرشادكم إلى الطريق السوي فبدل أن تقابلوا النصح بالسمع والطاعة قابلتموه بالكفر والجحود[(٦)].

ووقعت "لكن" بين متنافيين، وليسا متضادين تضاداً حقيقياً.

---

(١) سورة المائدة/٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٦، والبحر المحيط ٤٣٩/٣، وتفسير أبي السعود ١١/٣، وروح المعاني ٨١/٦.

(٣) سورة الأعراف/٣٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٧، والبحر المحيط ٢٩٦/٤.

(٥) سورة الأعراف/٧٩.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٣٣٢/٤.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...}(١)

الواو في قوله "ولكن" عاطفة مابعدها على ماقبلها، و"لكن" حرف استدراك مهمل. والاستدراك فيها واضح، لأنه نفى رؤيته له في ذلك الوقت ثم علق الرؤية باستقرار الجبل فإذا استقر الجبل وأطاق الصبر لهيبته تعالى فسيمكنه رؤيته(٢).

* * *

{... وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٣)

الأكثر في "لكن" أن تجيء بعد نفي، وهو هنا في المعنى، لأن قولهم: {ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ} فيه تصريح بانتفاء الجهاد عنهم. وكأنه قيل: رضوا بكذا ولم يجاهدوا لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا. وإلى هذا المعنى أشار ابن عطية(٤) وأبو حيان(٥) والآلوسي(٦).

* * *

(١) سورة الأعراف/١٤٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/١١٣، ١١٤، والمحرر الوجيز ٦/٦٨، ٦٩، والتسهيل ٢/٤٤.

(٣) سورة التوبة/٨٦، ٨٧، ٨٨.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٦/٥٩٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/٨٣.

(٦) ينظر: روح المعاني ١٠/١٥٦، ١٥٧.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)

(خطاب لأهل مكة يقول: إن كنتم لاتعرفون ماأنا عليه فأنا أبينه لكم فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة مايعبدون من الأصنام تسفيهًا لآرائهم وأثبت ثانيًا من الذي يعبده وهو الله)(٢) فجاءت "لكن" للاستدراك والتوكيد.

* * *

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣)

يخبرنا الله تعالى في هذه الآيه أن من كفر من بعد إيمانه مختاراً فعليه غضب من الله، وله عذاب عظيم، أما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو من كيد عدوه، فلاحرج عليه، لأن الله سبحانه وتعالى إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم. (فالاستدراك في هذه الآية واضح لأن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ قد يسبق الوهم إلى الاستثناء مطلقًا فاستدرك هذا وقوله ﴿مُطْمَئِنٌّ﴾ لاينفي ذلك الوهم)(٤) فبين أن كل من رضي بالكفر وترك الإيمان قلبًا وعملاً فعليه غضب الله. فوقعت لكن بين متنافيين وهما: من نطق بكلمة الكفر وقلبه عامر بالإيمان ومن نطق بالكفر قلبًا وعملاً. وواضح أن ما بعد "لكن" جملة.

* * *

---

(١) سورة يونس/١٠٤.

(٢) البحر المحيط ٥/١٩٥.

(٣) سورة النحل/١٠٦.

(٤) الفتوحات الإلهية ٢/٦٠٠. نقلاً عن السمين.

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}(١)

أي أن كل مافي السماوات والأرض يسبح لله ولكن أنتم أيها المشركون لاتفقهون تسبيحهم لإخلالكم بالنظر الصحيح الصائب(٢).

فبعد ما أخبرنا عن تسبيح كل شيء استدرك بعدم إدراك المشركين لذلك التسبيح فجاءت بين متنافيين بوجه ما.

* * *

{لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}(٣)

أصله "لكن أنا" فحذفت الهمزة، وألقيت حركتها على نون "لكن" فتلاقت النونان ثم أدغمت. و "أنا" مبتدأ، و"هو" مبتدأ ثان وهو ضمير الشأن، والجملة بعده خبر(٤).

ومدار الاستدراك في هذه الآية هو توبيخ صاحب الجنتين وتقريره بالكفر في قوله تعالى: {... أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ...}(٥) كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن موحد.

ولايجوز أن تكون "لكن" هنا مشددة عاملة النصب فيما بعدها، لأنه لو كان كذلك لم يقع بعدها ضمير مرفوع "هو"(٦).

* * *

---

(١) سورة الإسراء/٤٤.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ١٧٥/٥.

(٣) سورة الكهف/٣٨.

(٤) ينظر: الكشاف ٤٨٤/٢، والبيان ١٠٧/٢، ١٠٨، والتبيان ٨٤٧/٢، والبحر المحيط ١٢٧/٦، ١٢٨.

(٥) سورة الكهف/٣٧.

(٦) ينظر: التبيان ٨٤٨/٢.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١]

أي أن هؤلاء الكفرة بعد ما كانوا في الدنيا عميًا وصمًا عن سماع الحق ومادعتهم إليه الرسل من الإقرار بالتوحيد نراهم يوم القيامة وقد أبصروا وسمعوا حين لاينفعهم ذلك[٢]. وجاء الاستدراك بين حدة سمعهم وبصرهم في الآخرة وعدمهما في الدنيا أي بين نقيضين العدم والوجود.

* * *

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ...﴾[٣]

المعنى: لن تصلوا إلى رضى الله باللحوم ولا بالدماء المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء وإنما تصلون إليه بالإخلاص في العمل، وقصد وجهه بما تذبحون وتنحرون من الهدايا[٤]. ووقعت "لكن" بين نفي وإثبات.

---

(١) سورة مريم/٣٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٥٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٠٩.

(٣) سورة الحج/٣٧.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/١٥، وتفسير أبي السعود ٦/١٠٨.

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(١)

الفاء في قوله {أَفَلَمْ} حرف عطف إذ عطفت مابعدها على مقدر يقتضيه المقام على مذهب الزمخشري(٢) والتقدير: أغفلوا فلم يسيروا فيها. وذهب الجمهور إلى أن هذه الفاء "حرف عطف" دخلت عليها ألف استفهام، كما سبق ذكره. والمعنى: أفلم يسر هؤلاء المكذبون بآيات الله في البلاد فيروا ماحل بالأمم السابقة من مكذبي رسل الله كعاد وثمود وقم لوط وشعيب وأوطانهم ومساكنهم، فيتعظوا ويعتبروا {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ..} أي أن أبصاركم سليمة لاخلل فيها ولكن عميت قلوبكم عن معرفة الحق واتباعه(٣). وجاءت "لكن" بين متنافيين إذ نفى العمى عن الأبصار وأثبت ذلك العمى لقلوبهم لانهماكهم في الملذات.

* * *

{قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا}(٤)

أي: قالت الملائكة ـ الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله ـ وعيسى {سُبْحَانَكَ} تنزيهًا لك ياربنا وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال ياربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قومًا هلكى (ولما تضمن قولهم ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أنا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الإيمان صلح أن يستدرك بـ"لكن" والمعنى: لكن أضلتهم كثرة النعم حيث أطلت يارب أعمالهم ومنحتهم من النعم والقوى ما يجب عليهم شكرها والإيمان بما جاءت به الرسل فكان ذلك سببًا للإعراض عن ذكر الله)(٥) فجاءت لكن بين متنافيين.

(١) سورة الحج/٤٦.

(٢) ذكرناه من قبل. وينظر: تفسير أبي السعود ١١١/٦.

(٣) ينظر: الكشاف ١٧/٣، والبحر المحيط ٣٧٨/٦، وتفسير أبي السعود ١١١/٦.

(٤) سورة الفرقان/١٨.

(٥) البحر المحيط ٤٨٩/٦، «بتصرف» وتفسير أبي السعود ٢٠٩/٦.

{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}(١)

أي لم تشاهد أحداث تلك الأخبار، ولكن أوحيناها إليك رحمة بمن أرسلت إليهم لتنذرهم بها واكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر مايوجبه من جهته تعالى(٢).

وفي قوله {رَّحْمَةً} قراءتان:

الأولى: بالنصب، وفيه أربعة أوجه:

١ ـ أن يكون منصوبًا على المصدر، والتقدير: "ولكن رحمك ربك رحمة" قاله الأخفش(٣).

٢ ـ أن يكون مفعولاً به ثان(٤) والتقدير "ولكن علمناك رحمة".

٣ ـ أن يكون مفعولاً له(٥) والتقدير: "ولكن فعل ذلك لأجل الرحمة".

٤ ـ أن يكون خبرًا(٦) لـ"كان" مقدرة، والتقدير: "ولكن كان رحمة من ربك".

الثانية: بالرفع(٧) على أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف والتقدير: "ولكن هو رحمة"، وبها قرأ عيسى بن عمر وأبو حيوة.

* * *

---

(١) سورة القصص/٤٦.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٣، وتفسير أبي السعود ١٦/٧.

(٣) معاني القرآن ٤٣٣/٢، وينظر: البيان ٢٣٤/٢.

(٤) الكشاف ١٨٢/٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٤٧/٤.

(٥) البيان ٢٣٤/٢، والتبيان ١٠٢٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٤٧/٤.

(٦) البيان ٢٣٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٣ نقلاً عن الكسائي.

(٧) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١١٣، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٤٧/٤، ومشكل إعراب القرآن ١٦٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٣، والبحر المحيط ١٢٣/٧.

{....وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّاتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[١].

"ما" في قوله {مَّاتَعَمَّدَتْ} يجوز فيها وجهان:

الأول: أن تكون في محل جر عطفًا على "ما" التي في قوله {فِيمَآ أَخْطَأْتُم} والتقدير: "ولكن الجناح فيما تعمدت"[٢].

الثاني: أن تكون في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير: "ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح"[٣].

والاستدراك بـ"لكن" واقع بين نفي المؤاخذة فيما وقع الخطأ فيه، وإثباتها لمن تعمد الخطأ.

* * *

{يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَاتَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ...}[٤]

{وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ} (استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه)[٥].

* * *

---

(١) سورة الأحزاب/٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/٣٣٥، وإعراب القرآن/للنحاس ٣/٣٠٢، والكشاف ٣/٢٥٠، والبيان ٢/٢٦٤، والتبيان ٢/١٠٥١.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٢٥٠، والبيان ٢/٢٦٤، والتبيان ٢/١٠٥١.

(٤) سورة الأحزاب/٥٣.

(٥) تفسير أبي السعود ٧/١١٢، وينظر: التفسير الكبير ٢٥/٢٢٥، وروح المعاني ٢٢/٧٠.

{لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ... لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}(١)

{لَٰكِنِ} فيها قراءتان:

الأولى: بالتخفيف، وبها قرأ الجمهور؛ وعلى رأي المالقي أن مابعدها جملة اسمية.

الثانية: بالتشديد، وبها قرأ(٢) أبو جعفر يزيد بن القعقاع.

لما بين الله تعالى حال الكافرين بأن لهم ظللاً من النار من فوقهم ومن تحتهم ذكر حال المتقين بأن لهم غرفًا فوقها غرف، فناسب الاستدراك بين المؤمنين والكافرين يقول أبو حيان: (لما ذكر حال الكفار في النار وأن الخاسرين لهم ظلل ذكر حال المؤمنين وناسب الاستدراك هنا إذ هو واقع بين الكافرين والمؤمنين)(٣).

أما القرطبي فيقول: ("ولكن" ليست للاستدراك، لأنه لم يأت بنفي كقوله: ما رأيت زيدًا لكن عمرًا، بل هو لترك قصة إلى قصة مخالفة للأولى كقولك: جاءني زيد لكن عمرو لم يأت)(٤). أي: للإضراب الانتقالي. والراجح عندي ماقاله أبو حيان لأن الاستدراك بـ"لكن" يكون بين متغايرين إما من حيث اللفظ وإما من حيث المعنى، وذكر حالي الكفار والمؤمنين متغايران من حيث المعنى. كما أن المثال الذي ذكره القرطبي متغاير من حيث اللفظ والمعنى، ومعنى الاستدراك واضح فيه حيث أخبر أولاً عن مجيء زيد ثم نفى مجيء عمرو حتى لايظن أن عمرًا قد أتى أيضًا. وماقاله القرطبي ذهب إليه ابن الطراوة من قبل(٥) ووافقهم عليه المالقي(٦) إذ جعل "لكن" للإضراب والابتداء إذا وليتها جملة اسمية.

---

(١) سورة الزمر/١٦، ٢٠.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٢٤. وينظر: النشر في القراءات العشر ٢/٣٦٢، وإتحاف فضلاء البشر/٣٧٥.

(٣) البحر المحيط ٧/٤٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٤٥.

(٥) ينظر ص ٣٦٤ من هذا البحث.

(٦) ينظر: رصف المباني/٣٤٧.

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}(١)

أي وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا...قَالُوا بَلَى} أي قد أتانا رسل الله وأنذرونا ولكن وجبت كلمة الله على الكافرين بأن عذابه واقع بهم جزاء كفرهم(٢) . وجيء بـ"لكن" للاستدراك بين إثبات ونفي إثبات إرسال الرسل ونفي اتباعهم لهم وجحودهم وكفرهم لما قالوا. لأن تقدير الكلام: بلى قد أتونا وأنذرونا ولكن لم نستمع لما قالوا فكفرنا.

* * *

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ}(٣)

أي أن استتاركم في عمل الفواحش لم يكن لخوف من شهادة جوارحكم عليكم يوم القيامة لأنكم لاتؤمنون بالبعث والجزاء، وإنما كان استتاركم لظنكم أن الله لايعلم ماتصنعون فتخفون عنه عملكم(٤) .

* * *

(١) سورة الزمر/٧١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٤/٣٣، ٣٤، والكشاف ٣/٤١٠.

(٣) سورة فصلت/٢٢.

(٤) ينظر: الكشاف٣/٤٥١.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَاكُنتَ تَدْرِي مَاالْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا.....﴾[١]

أي أنك يامحمد لم تكن تعرف من قبل الوحي ماهو الكتاب ولا الإيمان بتفاصيله ولكنك عرفت ذلك بوحينا[٢] . وجاءت لكن بين نفي وإثبات.

* * *

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ..﴾[٣]

نزلت هذه الآية في بعض الأعراب الذين كانوا يمنون على الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانهم طلباً للصدقة فرد الله عليهم بقوله ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ إذ الإيمان هو تصديق مع الثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لهم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ فإن الاسلام انقياد ودخول في السلم وهو ضد الحرب وما كان من هؤلاء مشعر به، وكان الظاهر لم تؤمنوا ولكن أسلمتم أولاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا لتحصل المطابقة لكن عدل عن الظاهر اكتفاء بحصولها من حيث المعنى[٤] . فجاء الاستدراك بين انتفاء إيمانهم وإثبات إسلامهم بلسانهم فقط.

* * *

---

(١) سورة الشورى/٥٢.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٣٨/٨.

(٣) سورة الحجرات/١٤.

(٤) ينظر: الكشاف ٥٧٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٨/١٦، والبحر المحيط ١١٧/٨، وتفسير أبي السعود ١٢٣/٨، وروح المعاني ١٦٧/٢٦.

{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ}[1]

أي قال الشيطان المقيض لهذا الكافر {رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ} وهذا منبيء عن كلام سابق اعتذر به الكافر كأنه قال: هو أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه {وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ} أي ولكن هذا الكافر طغى واختار الضلال على الهدى[2].

* * *

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ}[3]

فيه قولان:[4]

إما أنه استدراك من قوله {تَنظُرُونَ}[5] أي تنظرون ولكن لاتدركون كنه مايجري عليه.

وإما أنه استدراك من قوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ..} أي أنتم لاتدركون كوننا أقرب إليه منكم.

* * *

---

(١) سورة ق/٢٧.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/٨، وتفسير أبي السعود ٨/١٣١، وروح المعاني ٢٦/١٨٦.

(٣) سورة الواقعة/٨٥.

(٤) ينظر: روح المعاني ٢٧/١٥٨.

(٥) آية/٨٤.

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ}[1]

قال أبوحيان: (إن حمل {فَلَا صَدَّقَ} على نفي التصديق بالرسالة فيقتضي أن يكون {وَلَٰكِن كَذَّبَ} توكيداً ولزم أن يكون "لكن" استدراكاً بعد {وَلَا صَلَّىٰ} لابعد فلاصدق، لأنه كان يتساوى في الحكم في فلاصدق وفي كذب ولايجوز ذلك إذ لاتقع لكن بين متوافقين)[2].

وأقول إنما جاءت هنا توكيداً لما قبلها، وهذا كقولك: لو ذاكرت لنجحت ولكنك لم تذاكر. كما سبق بيانه في أول البحث من أن "لكن" تفيد التوكيد والاستدراك.

* * *

(١) سورة القيامة/٣١، ٣٢.

(٢) البحر المحيط ٨/٣٩٠.

وقوع "لكن" بعد "لو" و "لولا" والآيات الواردة عليها

وقوع "لكن" بعد "لو" و "لولا" والآيات الواردة عليها

جاءت "لكن" بعد "لو" و "لولا" في أكثر من موضع في كتاب الله، والأقوال لاتخرج فيها عن ثلاثة معان:

الأول: تضمن "لو" و "لولا" معنى النفي، فيكون مابعد "لكن" موجبًا، وعليه تقع "لكن" بين متغايرين نفيًا وإثباتًا.

الثاني: بقاء مابعدهما على إيجابه، فيأتي النفي بعد "لكن"، وهذا إما أن يكون بتقدير نفي بعدها أو تأويل ماقبلها ومابعدها ليفيدا معنى الضدين أوالنقيضين كما هو الأصل في "لكن".

الثالث: أن يكون مابعدها تعليلاً لما قبلها، فتفيد "لكن" الاستدراك والتعليل معًا، كما أشرت إليه من قبل في "لكن" المشددة.

ومنه قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ...﴾[١]

وفي ﴿لَٰكِن﴾ قولان:

أحدهما: أن مابعد "لكن" متسببًا عما قبلها لأنه لما انتفت مشيئة الله في عدم اقتتالهم تقاتلوا فكان سبب مقاتلتهم بسبب عدم إرادة الله لوقوع الاختلاف فيما بينهم. يقول أبو البقاء: ("لكن" استدراك لما دل الكلام عليه، لأن اقتتالهم كان عن اختلافهم)[٢].

والثاني: أن "لكن" وقعت بين ضدين لأن المعنى يدور حول الاتفاق والاختلاف والتقدير: لو شاء الله الاتفاق لاتفقوا ولكن شاء الاختلاف فاختلفوا[٣] وهذا ماأردناه بقولنا السابق "إما أن يكون بتقدير نفي بعدها أو تأويل ماقبلها

---

(١) سورة البقرة/٢٥٣.

(٢) التبيان ٢٠٢/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٧٤/٢.

ومابعدها ليفيدا معنى الضدين أو النقضين". ومثله قوله تعالى {... وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[١].

أي (لم يقولوا الأنفع والأقوم، واستمروا على ذلك فخذلهم الله تعالى وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم)[٢] فجاءت "لكن" معللة سبب خذلان الله لهم.

وقوله: {...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...}[٣].

وقوله: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٤].

"لكن" في هذه الآية تحتمل معنيين:

١ ـ الاستدراك والتعليل، وذلك بتضمن "لولا" معنى النفي. كأنه قيل (فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـ"لولا" ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم)[٥] قاله الزمخشري ووافقه العكبري[٦] وإليه أشار أبو السعود[٧].

٢ ـ للاستدراك، (ووقوع "لكن" هنا حسن لأن المعنى انتفاء التذلل عند مجيء البأس ووجود القسوة الدالة على العتو والتعزز فوقعت "لكن" بين ضدين وهما اللين والقسوة وكذا إن كانت القسوة عبارة عن الكفر، فعبر بالسبب عن

(١) سورة النساء/٤٦.

(٢) تفسير أبي السعود ١٨٤/٢، وينظر: روح المعاني ٤٨/٥.

(٣) سورة المائدة/٤٨، وينظر: التبيان ٤٤١/١، والجامع لأحكام القرآن ٢١١/٦، والبحر المحيط ٥٠٢/٣، والدر المصون ٢٩٣/٤، وتفسير أبي السعود ٤٦/٣، وروح المعاني ١٥٤/٦.

(٤) سورة الأنعام/٤٣.

(٥) الكشاف ١٩/٢.

(٦) ينظر: التبيان ٤٩٦/١.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ١٣٣/٣.

المسبب والضراعة عبارة عن الإيمان فعبر بالسبب عن المسبب كانت أيضًا واقعة بين ضدين تقول: قسا قلبه فكفر، وآمن فتضرع)[١]. قاله أبوحيان. واستحسنه السمين[٢] وأبو السعود[٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤].

أي: (ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه الثاني)[٥] وأفادت "لكن" الاستدراك والتوكيد. إذ أكدت عدم إيمانهم وعدم استحقاقهم للرحمة.

وقوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً...﴾[٦].

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ...﴾[٧]

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[٨].

يقول الزمخشري: (لما كان قوله ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ﴾ معطيًا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾، كأنه قيل:

---

(١) البحر المحيط ١٣٠/٤.

(٢) ينظر: الدر المصون ٦٣٣/٤.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ١٣٣/٣.

(٤) سورة الأعراف/٩٦.

(٥) تفسير أبي السعود ٢٥٣/٣، وينظر: روح المعاني ١١/٩.

(٦) سورة الأنفال/٤٢، وينظر: إعراب القرآن/للنحاس ١٨٨/٢، وتفسير أبي السعود ٢٤/٤.

(٧) سورة التوبة/٤٢.

(٨) سورة التوبة/٤٦.

ماخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول: ماأحسن إلي زيد ولكن أساء إلي)[(١)] يعني: أن ظاهر الآية يقتضي أن مابعد "لكن" موافق لماقبلها، وقد تقرر فيها أنها لاتقع إلا بين ضدين أونقيضين أوخلافين على خلاف فيه فلذلك احتاج الجواب المذكور. قال أبوحيان وليست الآية نظير هذا المثال يعني: ما أحسن إلي زيد ولكن أساء إلي لأن المثال واقع فيه لكن بين ضدين والآية واقع فيها "لكن" بين متفقين من جهة المعنى)[(٢)].

قال السمين: (مرادهم بالنقيضين النفي والإثبات لفظًا وإن كانا يتلاقيان في المعنى، ولايُعَدُّ ذلك اتفاقًا)[(٣)] فالاتّفاق في المعنى لايمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيًا وإثباتًا في اللفظ. كقولك ماأحسن إلي زيدٌ ولكن أساء، وفي الاية يكون بين عدم خروجهم وتثبطهم. ويمكن أن تكون "لكن" في هذه الاية للتاكيد إذ أكد بها عدم خروجهم. واستحسن أبوالسعود أن يكون الاستدراك من نفس ماتقدم أي: لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن ماأرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد[(٤)].

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾[(٥)].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٦)].

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[(٧)].

---

(١) الكشاف ١٩٣/٢.

(٢) البحر المحيط ٤٨/٥.

(٣) الدر المصون ٥٨/٦،

(٤) ينظر تفسير أبي السعود ٤/٧٠، ٧١.

(٥) سورة النحل/٦١، وينظر: تفسير أبي السعود ١٢٢/٥، وروح المعاني ١٧١/١٤.

(٦) سورة النحل/٩٣. ينظر: البحر المحيط ٥٣٢/٥، وتفسير أبي السعود ١٣٧/٥، وروح المعاني ٢٢٢/١٤.

(٧) سورة السجدة/١٣. ينظر: تفسير أبي السعود ٨٣/٧، وروح المعاني ١٢٨/٢١.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى....﴾[١].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٢].

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٣].

وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤].

---

(١) سورة فاطر/٤٥. ينظر: تفسير أبي السعود ٧/١٥٧.

(٢) سورة الشورى/٨. ينظر: تفسير أبي السعود ٨/٢٣.

(٣) سورة الشورى/٢٧. ينظر: تفسير أبي السعود ٨/٣٢.

(٤) سورة محمد/٤، وينظر: الكشاف ٣/٥٢١، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٩، ٢٣٠، والبحر المحيط ٨/٧٥، وروح المعاني ٢٦/٤٢.

الفصل الثالث

« إلا » في الاستثناء المنقطع ومواضعها

معنى إلا في الاستثناء المنقطع

من أوليات العلم أن النحويين يطلقون مصطلح الاستثناء المنقطع على مالم يكن المستثنى فيه بعضًا من المستثنى منه سواء كان من جنس المتعدد كقولك: قام القوم إلا زيدًا، مشيرًا إلى جماعة خالية من زيد، وقولك: قام بنوك إلا ابن زيد. أم لم يكن من جنس المتعدد، كقولك: جاء القوم إلا فرسًا، وماجاءني أحدٌ إلا حمارًا[(١)].

ولمّا كان مابعد «إلا» مخالفًا لما قبلها نفيًا وإثباتًا، وكان المستثنى المنقطع خارجًا عمًا دخل فيه الأول صح حمل «إلا» على «لكن» في الاستدراك، ولذلك قدرها سيبويه[(٢)] ومن تبعه من البصريين بـ «لكن» ومعنى الاستدراك فيها هو: رفع توهم المخاطب دخول مابعدها في حكم ماقبلها مع أنه ليس بداخل فيها، فأنت حين تقول: ماجاءني القوم ربما يظن المخاطب أن زيدًا قد اعتبرته من القوم الذين نفيت عنهم المجيء فرفعت ذلك الوهم بقولك: إلا زيدًا. أي إن زيدًا قدجاء وهو ليس من القوم المقصودين فوقعت «لكن» بين نفي مجيء القوم وإثبات مجيء زيد وهو خارج عنهم. ومن هنا اختلف النحاة هل من شرط الاستثناء المنقطع تقدير دخوله في المستثنى منه بوجه أوليس ذلك بشرط. فكثير من النحاة لم يشترطوا فيه ذلك، وشرطه آخرون. يقول ابن السراج:(إذا كان الاستثناء منقطعًا فلابدَّ من أن يكون الكلام الذي قبل «إلا» قد دلَّ على مايُسْتَثْنَى منه فتفقد هذا فإنه يدقّ)[(٣)] (فعلى الأول لايحتاج إلى تقدير، وعلى الثاني لابدَّ من تقدير، ولنذكر لذلك مثالاً، قال تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[(٤)] فمن لم يشترط التقدير أجراه مجرى المفرغ: والمعنى: ماعندهم أومالهم إلااتباع الظن وليس اتباع الظن متعلقًا بالعلم أصلاً. ومن اشترط التقدير قال:

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢/٧٠١، ٧٠٢، وشرح الرضي على الكافية٢/٧٦.

(٢) ينظر: الكتاب ٢/٣١٩، والأصول ١/٢٩١، والتبصرة والتذكرة ١/٣٧٩ وغيرها.

(٣) الأصول ١/٢٩١، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ١/٥٤٨، وهمع الهوامع ٢/٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) سورة النساء/١٥٧.

المعنى مالهم من شعور إلا اتباع الظن، والظن وإن لم يدخل في العلم تحقيقًا فهو داخل فيه تقديرًا، إذ هو مستحضر بذكره وقائم مقامه في كثير من المواضع فكان في اللفظ إشعارٌ به وصح به دخوله وإخراجه)[١].

ويعلق ابن القيم على هذا الفهم فيقول: (وهذا بعد تقريره فيه مافيه؛ فإن المستثنى هو اتباع الظن لا الظنّ نفسه فهو غير داخل في المستثنى منه تحقيقًا ولاتقديرًا فالأحسن فيه عندي أن يكون التقدير: مالهم به من علم فيتبعونه ويُلْقُون به إن يتبعون إلا الظن فليس اتباع الظن مستثنى من العلم وإنما هو مستثنى من المقصود بالعلم والمراد به هو اتباعه فتأمله هذا على تقدير اشتراط التناول لفظًا أوتقديرًا، وأما إذا لم يشترط وهو الأظهر فتكون فائدة الاستثناء ههنا كفائدة الاستدراك ويكون الكلام قد تضمن نفي العلم عنهم وإثبات ضده لهم وهوالظن الذي لايغني من العلم شيئًا)[٢]. هذا رأي ابن القيم، وهو الرأي الراجح عندي لأن كثيرًا من النصوص لاتحتمل التقدير، كما أن التكلف بعيد عن روح اللغة ومادام المعنى يسير مع الاستدراك ، والاستدراك سائغ ومستعمل في اللغة فهو أولى من التقدير والتأويل.

أما الكوفيون[٣] فقدروا «إلا» بـ «سوى» (كأنَّهم لما رأوا تخالف «إلَّا» و «لكنَّ» في وقوع المفرد بعد «إلّا» وأنه لايقع بعد «لكنَّ» إلَّا كلام تام إذا كان ماقبلها إيجابًا إلا أَنْ تكون عاطفةً، ولايمكن حمل «إلَّا» عليها هنا لمخالفتها لها في أنَّ مابعدها معربٌ بغير إعراب ماقبلها نحو: مافيها أحدٌ إلا حمارًا، بالنصب، وجاءني القوم إلا حمارًا ... عدلوا إلى التقدير بسوى لموافقة «إلا» لها في وقوع المفرد بعدها وتفيد بدلالتها على المغايرة ماتفيده «لكن» من المخالفة، لأن معناها معنى «غير»)[٤].

---

(١) بدائع الفوائد ٣/٦٦.

(٢) المرجع السابق ٣/٦٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد ١/٥٥١، ٥٥٢. «بتصرف»

وتأويل البصريين أولى، لأنهم قدروا حرفًا لايعمل بأقرب الحروف إليه مما لايعمل بخلاف «سوى» فإنها تخفض وهي اسم، وتقدير الحرف بالحرف أولى من تقدير الحرف بالاسم، كما أن المستثنى المنقطع يلزم مخالفته لماقبله نفيًا وإثباتًا، كما في «لكن» أما «سوى» وإن كانت بمعنى «غير» لاتستلزم المخالفة في الحكم دائمًا إذ المغايرة من حيث هي مغايرة لاتستلزمه [(١)].

(١) ينظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء/للقرافي/٤٥٢ تحقيق: د/طه محسن، وشرح الرضي على الكافية ٨٣/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد ٥٥٢/١.

عامل النصب في المستثنى المنقطع

يرى ابن الحاجب أن «إلا» هي الناصبة[(١)] لأنها تعمل عمل «لكنَّ» ولها خبر مقدر على حسب المعنى المراد، ومنه قولك: جاءني القوم إلا حماراً، أي: لكن حماراً لم يجيء.

ومنهم من يقول: إنه يظهر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ...﴾[(٢)] أي: لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم.

ومنهم من يجعله كلاماً مستأنفاً، إذ يقول ابن يسعون[(٣)] وغيره في قول النابغة:

وقفتُ فيها أُصَيلانًا أُسائِلُها
عَيَّتْ جَوابًا وما بالرَّبعِ من أحدِ
إلاّ الأواريَّ لأيًا ما أُبَيِّنُها
والنُّؤْيَ كالحَوْضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ[(٤)]

إن ("إلا" مع الاسم الواقع بعدها في المنقطع يكون كلاماً مستأنفاً، و«إلا» فيه بمعنى «لكن» و"الأواري" اسم لها منصوب بها، والخبر محذوف، كأنه قال: لكنَّ الأواري بالربع، وحذف خبر «إلا» كما يحذف خبر «لكن»[(٥)].

---

(١) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل ٣٦٣/١، وشرح الرضي على الكافية ٨٢/٢.

(٢) سورة يونس/٩٨، وسيأتي ذكرها.

(٣) ابن يسعون: هو يوسف بن يبقي بن يوسف بن يسعون التُّجيبيّ الباجليّ. قال ابن الزبير: كان أديبًا نحويًا لغويًا فقيهًا فاضلاً من جِلّة العلماء، متقدمًا في وقته بعلم العربية. من مصنفاته: المصباح في شرح ما أعتَم من شواهد الإيضاح.

مات في حدود سنة أربعين وخمسمائة. ينظر: بغية الوعاة ٣٦٣/٢.

(٤) من البحر البسيط. وينظر: البيت في ديوانه/٣٠، وفي الكتاب ٣٢١/٢، وهمع الهوامع ٢٥٠/٣، والدرر اللوامع ١٥٩/٣.

(٥) همع الهوامع ٢٥٠/٣.

والظاهر أن البصريين وإن قدروا «إلا» بمعنى «لكن» فإنهم لايعربونه هذا الإعراب فهو تقدير معنى لاتقدير إعراب[(١)].

أما سيبويه[(٢)] فيرى أنه منصوب بعامل قبلها شأنه في هذا شأن المتصل، والكوفيون يجرون النصب هنا كما كان في المتصل وقد اختلف فيه:

فبعضهم ذهب إلى أن العامل فيه «إلا».

وبعضهم ذهب إلى أن «إلا» مركبة من «إنَّ» و «لا» ثمَّ خففت «إنَّ» وأدغمت في «لا» فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارا بإنَّ، وعطفوا بها في النفي اعتباراً بـ«لا».

وحكي عن الكسائي أنه قال: إنما نصب المستثنى لأن تأويله: قام القوم إلا أنْ زيداً لم يقم، وحكي عنه أيضاً أنه قال: ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول.

وذهب البصريون إلى أن العامل في المستثنى هو الفعل أومعنى الفعل بتوسط «إلا»[(٣)] والراجح عندي ماذهب إليه سيبويه لأنه انتصب عن تمام الكلام، وهو في ذلك بمنزلة التمييز[(٤)].

---

(١) ينظر: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات/للفارسي/٤٩٣، ٤٩٤. تحقيق: صلاح الدين السنكاوي، والاستغناء في أحكام الاستثناء/٤٥٣.

(٢) ينظر:الكتاب ٢/٣١٩.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٢٦٠-٢٦٥، مسألة/٣٤، وينظر: شرح المفصل ٢/٧٦، ٧٧، وهمع الهوامع ٢/٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) ينظر: شرح جمل الزجاجي ٢/٢٥٤.

إعراب المستثنى المنقطع

يجب نصب الاسم الواقع بعد «إلا» في الاستثناء المنقطع عند الحجازيين[(١)] لأن بدل الغلط غير موجود في الفصيح من كلام العرب.

أمّا بنو تميم[(٢)] فإنّهم يجيزون مع النصب الاتباع على سبيل المجاز بشرط صحة الاستغناء بالمستثنى عن المستثنى منه، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[(٣)]. فعلى رأي الحجازيين يكون ﴿اتِّبَاعَ﴾ بالنصب، وعلى رأي بني تميم بالنصب على الاستثناء، والرفع على الاتباع، لأن هذا مما يصح فيه الاستغناء بالمستثنى عن المستثنى منه، كأنه يقال: مالهم إلا اتباع الظن. ومنه قول الراجز[(٤)]:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إِلاَّ اليَعَافِيرُ وإِلاَّ الْعِيسُ[(٥)]

حيث رفع "اليعافير والعيس" بدلاً من الأنيس على سبيل الاتساع والمجاز، كما جاء في لغة تميم.

أمّا إذا لم يصح الاستغناء بالمستثنى عن المستثنى منه تعين النصب عند بني تميم وغيرهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿... لَاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ...﴾[(٦)] فـ﴿مَن﴾ في موضع نصب لأنه من غير الجنس لأن عاصم فاعل، و﴿مَن رَّحِمَ﴾ معصوم أي من رحمه الله، والفاعل ليس من جنس المفعول، ومنهم من يجعله استثناءً متصلاً فيكون ﴿عَاصِمَ﴾ فاعلاً بمعنى مفعول أي: لامعصوم إلا من رحمه الله.

---

(١) ينظر على سبيل المثال الكتاب ٣١٩/٢، ٣٢٠، والإيضاح العضدي/٢٣١، ٢٣٢، وشرح المفصل ٨٠/٢، وشرح الرضي على الكافية ٨٥/٢.

(٢) تنظر المراجع السابقة.

(٣) سورة النساء/١٥٧.

(٤) قائله: جران العود، واسمه العامر بن الحارث.

(٥) ينظر هذا الرجز في ديوانه/٥٢، والدرر اللوامع ١٦٢/٣.

(٦) سورة هود/٤٣.

ومنه أيضًا ماحكاه سيبويه[(١)] عن أبي الخطّاب[(٢)] (مازاد إلّا مانَقَصَ، ومانَفَعَ إلا ماضَرَّ) (فهذا وأشباهه لايجوز في المستثنى فيه إلا النصب على لغة تميم وغيرهم لتعذر البدل إذ لايمكن فيه تقدير حذف الاسم الأول وإيقاع المستثنى موقعه كما أمكن ذلك إذا قلت: مافيها أحد إلا حمار، فلايقال: لا اليوم من أمر الله إلا من رحم، وكذلك إذا رددت المحذوف الذي هو خبر عاصم لم يجز أيضًا لوقلت في لاعاصم لهم اليوم من أمر الله إلا من رحم، لالهم اليوم من أمر الله إلا من رحم لم يجز البدل، وذلك لأنه يبقى الجار والمجرور الذي هو الخبر بلامخبر عنه، وذلك لايجوز ولامعنى لذلك، والنكتة فيه أن الاستثناء من الجنس تخصيص، وفي هذا الباب استدراك)[(٣)].

ويجيز النحاة أحيانًا في المستثنى المنقطع الذي لاتظهر عليه علامة الإعراب ـ كالضمائر المبنية والأسماء الموصولة ونحوهما ـ أن يكون في موضع رفع على الابتداء، فيكون مابعد «إلا» جملة مستقلة عمًّا قبلها أويكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع. وعرضوا لذلك في آيات كثيرة أثناء شرحهم لها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ ...﴾[(٤)] فـ﴿مَنۡ﴾ عند العكبري[(٥)] يجوز فيها وجهان.

* أحدهما: أن تكون في موضع نصب على الاستثناء المنقطع.

* الثاني: أن تكون في موضع رفع على الابتداء وخبره قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾.

---

(١) الكتاب ٢/٣٢٦.

(٢) أبوالخطاب: هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب الأخفش الأكبر. كان إمامًا في العربية قديمًا. لقي الأعراب وأخذ عنهم، وعن أبي عمرو بن العلاء، أخذ عنه سيبويه والكسائي ويونس وأبو عبيدة، وكان دينًا ورعًا ثقة.

ينظر: نزهة الألباء/٤٤، وبغية الوعاة ٢/٧٤.

(٣) شرح المفصل ٢/٨١.

(٤) سورة سبأ/٣٧.

(٥) ينظر: التبيان ٢/١٠٧، وسيأتي ذكرها.

ومنه ماقاله أبوسعيد السيرافي تعليقًا على كلام أبي الخطّاب (مازاد إلّا مانَقَص، ومانفع إلّا ماضَرّ)[١] قال أبو سعيد كأنه قال: (مازاد النهر إلا النقصان، ومانفع زيد إلا الضرر على معنى "ولكنه" وتقديره: ولكن النقصان أمره ، فالنقصان مبتدأ والخبر محذوف وهو أمره)[٢] .

بل إن بعض النحاة حمل إلا على معنى «لكن» لمجرد مجيء الجملة بعدها وإن كان الاستثناء متصلاً، ويؤيد هذا ماقاله الصبان في حاشيته: (ومتى كان مابعد «إلا» جملة فـ«إلا» بمعنى «لكن» ولو كان الاستثناء متصلاً)[٣] .

وعليه حمل ابن مالك قول عبد الله بن أبي قتادة: (أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إلّا أَبُوقَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ)[٤] فقال ابن مالك: («إلا» بمعنى «لكن»» و"أبوقتادة" مبتدأ و «لم يحرم» خبره)[٥] .

ومنه قوله تعالى: {...وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[٦] .

قال العكبري: ({إِلَّا الَّذِينَ} استثناء من {الَّذِينَ يُحَارِبُونَ} في موضع نصب. وقيل: يجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء...)[٧] "وحينئذ يكون استثناء منقطعًا بمعنى لكن التائب يغفر له"[٨] .

---

(١) الكتاب ٢/٣٢٦.

(٢) من تقريرات وزبد أبي سعيد السيرافي بهامش كتاب سيبويه، الكتاب ١/٣٦٧.

(٣) حاشية الصبان ٢/١٤٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/١٧٢، ١٧٣، برقم/٣٩٩، وله رواية بالنصب في فتح الباري/لابن حجر العسقلاني ٨/١٤٦، برقم/١٨٣٤.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح/٤٢.

(٦) سورة المائدة/٣٣، ٣٤.

(٧) التبيان ١/٤٣٤، ٤٣٥.

(٨) الدر المصون ٤/٢٥٢.

مواضع
«إلا» في الاستثناء المنقطع
في القرآن الكريم

من خلال تناولنا للآيات القرآنية المتضمنة لـ «إلا» الدالة على الانقطاع وجدنا الاستثناء في بعض الآيات يدل على الانقطاع، وفي بعضها يترجح الانقطاع من حيث المعنى والقواعد، وفي بعضها الآخر يترجح الاتصال من حيث المعنى والقواعد أيضًا، وفي رابعها يصلح الاتصال والانقطاع من حيث التقدير والتعيين بسبب اختلاف المعنى الذي يورده كل مفسر.

الآيات الدالة على الانقطاع

{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[(١)]

قال أبوحيان: ({إِلَّا أَمَانِيَّ} استثناء منقطع لأن الأماني ليست من جنس الكتاب ولامندرجة تحت مدلوله، وهو أحد قسمي الاستثناء المنقطع وهو الذي يتوجه عليه العامل، فلوقيل: لايعلمون إلا أماني لكان مستقيماً، وهذا النوع من الاستثناء يجوز فيه وجهان:

أحدهما: النصب علي الاستثناء وهي لغة أهل الحجاز. والوجه الثاني: الاتباع على البدل بشرط التأخر وهي لغة تميم، فنصب أماني من الوجهين)[(٢)] وظاهر كلام أبي البقاء أن نصبه على المصدر بفعل محذوف، فإنه قال: ({إِلَّا أَمَانِيَّ} استثناء منقطع، لأنّ الأماني ليست من جنس العلم وتقدير «إلا» في مثل هذا بـ «لكن» أي: لكن يتمنونه أمانيّ)[(٣)].

(فيكون عنده من باب الاستثناء المفرغ المنقطع فيصير نظير «ماعلمت إلاظناً»)[(٤)] قاله السمين.

وإذن فالآية عند الجميع من باب الاستثناء المنقطع ووجه الخلاف منحصر في موقع مابعدها «هل نصب على الاستثناءأوعلى البدل أومابعدها جملة مستقلة محذوفة الفعل الذي هو من جنس المستثنى فيقع مفعولاً مطلقًا لهذا الفعل؟

* * *

---

(١) سورة البقرة/٧٨

(٢) البحر المحيط ٢٧٥/١. وينظر: معاني القرآن للأخفش ١١٥/١، والبيان ٩٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٥/٢، وتفسير أبي السعود ١١٩/١.

(٣) التبيان ٨٠/١.

(٤) الدر المصون ٤٤٦/١.

{... وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}[(١)]

ورد الاستثناء في قوله إلا {مَاقَدْ سَلَفَ} منقطعًا في محل نصب، ومعناه: لكن ماقد سلف من ذلك ووقع وأزاله الإسلام فإنّ الله يغفره، والإسلام يجبه، ولاسبيل إلى جعله متصلاً بقصد التاكيد والمبالغة لأنّ قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع[(٢)]. وواضح من هذا التقدير أن مابعد «إلا» جملة مستقلة فيكون «ما» في محل رفع على الابتداء، والخبر جملة مقدرة، وهذا ماأشرنا إليه من قبل.

أمّا الزجاج فقدّر إلا بـ «سوى» حيث قال: المعنى(سوى ماقد سلف فإنه مغفور لكم)[(٣)] وهذا على تقدير الكوفيين. كما سبق.

* * *

{وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّاكَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ....}[(٤)]

قوله {إِلَّا حَاجَةً} استثناء منقطع وفي نصبه وجهان:

أحدهما: على الاستثناء، والمعنى: ولكن حاجة في نفس يعقوب، وبه قال الزمخشري[(٥)] وإليه أشار النحاس[(٦)] وأبوالسعود[(٧)] وغيرهم.

أوعلى أنها اسم «لكنّ» على رأي ابن الحاجب كما تقدم وخبره قوله {قَضَاهَا}

---

(١) سورة النساء/٢٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٤/٣٢٣، وإعراب القرآن/للنحاس ١/٤٤٥، والكشاف ١/٥١٨، والمحرر الوجيز ٣/٥٥٧، والتبيان ١/٣٤٥، والبحر المحيط ٣/٢١٣، وتفسير أبي السعود ٢/١٦٢، وروح المعاني ٤/٢٦١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٥.

(٤) سورة يوسف/٦٨.

(٥) الكشاف ٢/٣٣٣.

(٦) ينظر: إعراب القرآن ٢/٣٣٦.

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/٢٩٣.

الثاني:على أنها (مفعول من أجله)[١] قاله أبوالبقاء والتقدير: ماكان يغني عنهم لشيء من الأشياء إلا لأجل حاجة كانت في نفس يعقوب.

ومايتعين في هذا الاستثناء هو الانقطاع، لأنّ المستثنى منه شيء قضاه الله وأراده، والمستثنى شيء لم يرده الله، وهو إصابة العين لهم، فهذا لم يرده الله ولم يقضه، ولوأراده لوقع[٢]، وعليه فلاسبيل لدخول مابعد «إلا» فيما قبلها.

* * *

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[٣]

قال أبوحيان في "النهر الماد" (الظاهر أن قوله ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن أنزلناه تذكرة، فتذكرة مفعول من أجله، والعامل فيه «أنزلناه» المقدر)[٤]. وتقدم مثلها.

* * *

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٥]

﴿إِلَّا عِبَادَ﴾ استثناء منقطع،[٦] حيث إنه لما ذكر شيئًا من أحوال المجرمين وعذابهم ذكر شيئًا من أحوال المؤمنين ونعيمهم، أي أنكم أيها المجرمون ذائقوا العذاب، لكن عباد الله المخلصين لايذوقون العذاب، ومابعد «إلا» منصوب على الاستثناء إذ الكلام تام موجب منقطع.

---

(١) التبيان ٧٣٨/٢.

(٢) ينظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء/٤٧٣، والفتوحات الإلهية ٤٦٨/٢.

(٣) سورة طه/٢، ٣.

(٤) النهر الماد جـ٢ ق٤٠٨/١، وينظر: معاني القرآن/للأخفش ٤٠٦/٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٣٢/٣، والكشاف ٥٢٩/٢، والبيان ١٣٨/٢، والتبيان ٨٨٤/٢.

(٥) سورة الصافات/٣٨، ٣٩، ٤٠.

(٦) ينظر: الكشاف ٣٣٩/٣، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٥، والبحر المحيط ٣٥٩/٧، وتفسير أبي السعود ١٩٠/٧.

{وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ. إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ}[١]

{إِلَّا ٱبْتِغَآءَ} استثناء منقطع[٢]، لأنه لم يندرج في جنس النعمة، وهذا كقولك: مافي الدار أحد إلا حماراً. وفي نصبه وجهان:

* أحدهما: أنه منصوب على الاستثناء المنقطع.

* والثاني: أنّه مفعول له من حيث المعنى، لأن معنى الكلام: لايؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه. وإليه أشار الفراء[٣] والزمخشري[٤].

وقرأ[٥] يحيى بن وثاب[٦] بالرفع {إِلَّا ٱبْتِغَآءُ} على البدل من محل {مِن نِّعْمَةٍ} لأنَّ محلها الرفع على الابتداء، و{مِن} مزيدة، والبدل لغة تميم لأنهم يجرون المنقطع في غير الموجب مجرى المتصل. وقال الفراء: (ولورفع رافع «إلا ابتغاءُ وجه ربه» لم يكن خطأ، لأنك لوألقيت «من» من النعمة لقلت مالأحد عنده نعمة تجزى إلا ابتغاء فيكون الرفع على اتباع المعنى، كما تقول: «ماأتاني أحدٌ إلاَّ أبوك»)[٧]، واستبعد القول بالرفع على سبيل البدل مكي[٨]، وضعفه ابن الأنباري[٩]. وأغلب الظن أن من ضعف أومنع لم يقصد الطعن في القراءة وإنما في توجيهها حيث يتفق الجميع على حمل القرآن على الأفصح.

(١) سورة الليل/١٩، ٢٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن/للأخفش ١١٥/١، ومعاني القرآن/للفراء ٢٧٣/٣، والكشاف ٢٦٢/٤، والبيان ٥١٨/٢، والتبيان ١٢٩١/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن ٢٧٢/٣، ٢٧٣.

(٤) ينظر: الكشاف ٢٦٢/٤.

(٥) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع /١٧٤.

(٦) يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، تابعي ثقة كبير مقرىء أهل الكوفة، توفي سنة ثلاث ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار ٦٢/١، وغاية النهاية ٣٨٠/٢.

(٧) معاني القرآن/للفراء ٢٧٣/٣.

(٨) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٤٨٠/٢.

(٩) ينظر البيان ٥١٨/٢.

الآيات التي يترجح فيها الانقطاع

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا .. ﴾(١)

﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا﴾ جعله الزمخشري(٢) استثناءً متصلاً على أحد تأويلين:

* أحدهما: أنه مستثنى من مصدر محذوف تقديره: لاتواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة.

* والثاني: أنه من مجرور محذوف، أي لاتواعدوهن سراً، أي نكاحًا بقول من الأقوال إلا بقول معروف ولذلك قدره بـ «إلا بأن تقولوا» فحذف من «أن» حرف الجر، ثم أوضح قوله بأن تقولوا بالتعريض أي لاتواعدوهن إلا بالتعريض. ثم قال: (ولايجوز أن يكون استثناءً منقطعًا من ﴿سِرًّا﴾ لأدائه إلى قولك ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا التعريض)(٣) وردّ عليه أبوحيان فقال: (وما ذهب إليه ليس بصحيح لأن الاستثناء المنقطع لاينحصر فيما ذكر وهو أنه يمكن تسلط العامل السابق عليه، وذلك أن الاستثناء المنقطع على قسمين:

* أحدهما: ماذكره، والثاني: أنه لايمكن تسلط العامل على مابعد «إلا» وهذا حكمه النصب عند العرب قاطبة، وعليه فيكون قوله ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا﴾ استثناءمنقطعًا من هذا القسم الثاني، وهو مالايمكن توجه العامل عليه، والتقدير: لكن التعريض سائغ لكم)(٤) وعلى الانقطاع تكون أن ومادخلت عليه في محل نصب على الاستثناء المنقطع، أوفي محل رفع على الابتداء، والخبر مقدّر.

والاتصال فيما أرى أرجح حتى لايكون بعد «لكن» المصرح بها «لكن» أخرى مفسر بها «إلا» المنقطعة.

---

(١) سورة البقرة/٢٣٥.

(٢) الكشاف ٣٧٣/١ "بتصرف"

(٣) المرجع السابق.

(٤) البحر المحيط ٢٢٩،٢٢٨/٢ "بتصرف" ، وينظر: معاني القرآن/للأخفش ١٧٧/١، وإعراب القرآن/للنحاس ٣١٩/١، والمحرر الوجيز ٣٠٩/٢.

{...ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ...}[1]

{إِلَّآ أَن تَكُونَ} فيه قولان:

أحدهما: أنه متصل، قاله أبوالبقاء،[2] وحكاه أبوحيان[3] (هواستثناء من الجنس لأنه أمر بالاستشهاد في كل معاملة، واستثنى منها التجارة الحاضرة، والتقدير: إلا في حال حضور التجارة)[4] أي أنه مستثنى من عموم الأحوال.

الثاني: أنه منقطع، وبه قال النحاس[5] ومكي[6] وهو الظاهر عند السمين حيث قال: (وهذا هو الظاهر، كأنه قيل: لكن التجارة الحاضرة فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها)[7] لأن مابيع لغير أجل لم يدخل تحت الديون المؤجلة.

وعلى تقدير السمين فإن كلمة (التجارة) اسم (لكنّ) المشددة، وخبرها جملة (فإنه يجوز ...)، وهذا الحكم الإعرابي رددناه من قبل لأن مجيء «إلا» بمعنى «لكن» من حيث المعنى لا من حيث الإعراب، لكنّا نقول: إنّ ومافي حيزها في محل نصب[8] على الاستثناء المنقطع، أوفي محل رفع على الابتداء وخبره "فإنه يجوز" على ماقدّره السمين.

* * *

(١) سورة البقرة/٢٨٢.

(٢) ينظر: التبيان ٢٣١/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٣٥٣/٢.

(٤) التبيان ٢٣١/١.

(٥) ينظر: إعراب القرآن ٣٤٦/١، وينظر: المحرر الوجيز ٥١٥/٢، والبحرالمحيط ٣٥٣/٢.

(٦) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١١٩/١.

(٧) الدر المصون ٦٧٣/٢.

(٨) ينظر: البيان ١٨٣/١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ...﴾[(١)]

﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: أنه منقطع لوجهين، أحدهما: أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكولة حتى تستثنى منه. والثاني: أن الاستثناء إنما وقع على الكون، والكون معنى من المعاني وليس مالاً من الأموال[(٢)]. وعلى هذا القول تقدَّر إلا بـ «لكن» على مذهب البصريين لوقوعها بيْن نهي أكل الأموال بالباطل وإباحة الأكل بالتجارة الحق. فتكون «أن» ومافي حيزها في محل نصب على الاستثناء المنقطع أي: لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه أومباح.

القول الثاني: أنه متصل، والتقدير: لاتأكلوها بسبب من الأسباب إلا أن تكون تجارة، وضعف هذا القول أبوالبقاء[(٣)]، وأبوحيان[(٤)] لأنَّ التجارة لاتدخل في جنس الباطل.

* * *

---

(١) سورة النساء/٢٩.

(٢) البحر المحيط ٢٣١/٣، وينظر: معاني القرآن/للأخفش ٢٣٤/١، والكشاف ٥٢٢/١، والمحرر الوجيز ٢٤/٤، والبيان ٢٥١/١.

(٣) ينظر: التبيان ٣٥١/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٣١/٣، وينظر: بدائع الفوائد ٧٣/٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ.....﴾[١]

الذي يقتضيه النظر أن قوله ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء منقطع، لأن الضمير في ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ عائد على قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ وهؤلاء المتوفون إمّا كفار أوعصاة بالتخلف عن الهجرة وهم قادرون عليها ـ كما قال المفسرون ـ لذا لم يندرج فيهم المستضعفون المستثنون لأنهم عاجزون، فكان منقطعًا،[٢] وهو الراجح عندي لتمشيه مع سياق الآية.

ويظهر من كلام الفراء[٣] والزجاج[٤] والزمخشري[٥] وابن الأنباري[٦] أنه متصل لأن الفراء والزجاج والزمخشري جعلوه مستثنى من ضمير ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ أمّا ابن الأنباري فجعله مستثنى من قوله ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ وعلى كل فما بعد «إلا» منصوب على الاستثناء.

* * *

---

(١) سورة النساء/٩٧، ٩٨.

(٢) ينظر: التبيان ١/٣٨٥، والبحر المحيط ٣/٣٣٥، وتفسير أبي السعود ٢/٢٢٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن ١/٢٨٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/٩٥.

(٥) ينظر: الكشاف ١/٥٥٧.

(٦) ينظر: البيان ١/٢٦٦.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(١)

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: أنه منقطع(٢)، أي لكن من ظلم فإنه إذا شكا ظالمه وجهر بظلمه لم يكن آثمًا. فـ ﴿مَن﴾ مبتدأ والخبر مقدر، أو تكون ﴿مَن﴾ في محل نصب على الاستثناء المنقطع.

الثاني: أنه متصل، فيجوز في ﴿مَن﴾ أربعة أوجه:

الرفع من وجهين: وهما: البدل(٣) من «أحد» المقدر أي لايحب الله أن يجهر أحد بالسوء إلا المظلوم، أوالفاعلية(٤) على كونه مفرغًا.

والنصب على أصل الاستثناء من أحد المقدر، (٥) أومن الجهر على حذف مضاف أي والمعنى: إلا جهر من ظلم(٦).

وقرأ(٧) الضحّاك بن مزاحم ﴿مَن ظَلَمَ﴾ وعلى هذه القراءة فهو منقطع(٨) أيضًا أي: لكن الظالم يجهر بالسوء من القول. قال ابن جني (ظَلَم وظُلِم جميعًا على الاستثناء المنقطع، أي لكن من ظلم فإن اللّهَ لايخفى عليه أمره، ودلَّ على ذلك قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾)(٩).

وماذهب إليه ابن جني هو الراجح لأن القول بالاتصال لايحتاج إلى حذف وتقدير، والأخذ بظاهر الآية أولى من التقدير مادمنا في غنى عنه.

---

(١) سورة النساء/١٤٨.

(٢) معاني القرآن/للفراء ١/٢٩٣، والبيان ١/٢٧٢، والتبيان ١/٤٠٢، والجامع لأحكام القرآن ٦/١.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٢١٠، وينظر: معاني القرآن/للفراء ١/٢٩٣، والتبيان ١/٤٠٢، والبحر المحيط ٣/٣٨٢.

(٤) البحر المحيط ٣/٣٨٢.

(٥) التبيان ١/٤٠٢.

(٦) الكشاف ١/٥٧٥.

(٧) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٣٠، والبحر المحيط ٣/٣٨٢.

(٨) ينظر: الكشاف ١/٥٧٦، والتبيان ١/٤٠٢، والجامع لأحكام القرآن ٦/٤، والبحر المحيط ٣/٣٨٢.

(٩) المحتسب ١/٢٠٣، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٢٦٧-٢٦٨، وبدائع الفوائد ٣/٧٢، ٧٣.

﴿... مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾(١)

﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: وهو الصحيح الذي لم يذكر الجمهور (٢) غيره أنه منقطع، لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم، ولم يقرأ إلا بنصب ﴿اتِّبَاعَ﴾ وهي لغة أهل الحجاز، ويجوز في غير القرآن الإبدال من كلمة ﴿عِلْمٍ﴾ إمّا لفظًا فيجر، وإما محلاً فيرفع، لأن من زائدة، وهذا على لغة تميم.

الثاني: أنه متصل، قال ابن عطية: (وهو استثناء متصل، إذ الظن والعلم يضمهما أنهما من معتقدات النفس، وقد يقول الظان على طريق التجوز: علمي في هذا الأمر أنه كذا، وهو يعني ظنه)(٣) ورد عليه أبوحيان في "البحر" فقال: (وليس كما ذكر، لأن الظن ليس من معتقدات اليقين، لأنه ترجيح أحد الجائزين وماكان ترجيحاً فهو ينافي اليقين، كما أن اليقين ينافي ترجيح أحد الجائزين، وعلى تقدير أن الظن والعلم يضمهما ماذكر فلايكون أيضًا استثناءً متصلاً لأنه لم يستثن الظن من العلم فليست التلاوة مالهم به من علم إلا الظن، وإنما التلاوة إلا اتباع الظن، والاتباع للظن لايضمه والعلم جنس ماذكر)(٤). وقد سبق مزيد بيان لهذا في مقدمة هذا المبحث.

* * *

---

(١) سورة النساء/١٥٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الكتاب ٣٢٢/٢، ومعاني القرآن/للأخفش ١١٥/١، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٢٨/٢، وإعراب القرآن/للنحاس ٥٠٢/١، والكشاف ٥٨٠/١، والبيان ٢٧٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦، ١٠، وشرح المفصل ٨٠/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٢٨٦/٤، وينظر: تفسير أبي السعود ٢٥٢/٢.

(٤) البحر المحيط ٣٩١/٣.

{ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ...}[(١)]

{إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ} فيه وجهان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع، وبه قال ابن عطية[(٢)]، أي: وقد فصل لكم ماحرم عليكم لكن مااضطررتم إليه مماكان محرماً فهو حلال في حالة الضرورة. وعليه يمكن أن تكون {مَا} في محل رفع مبتدأ والخبر جملة مقدرة. ويمكن أن تكون في محل نصب على الاستثناء.

الثاني: أنه استثناء متصل قال أبوالبقاء: ({مَا} في موضع نصب على الاستثناء من الجنس من طريق المعنى لأنه وبخهم بترك الأكل مما سمي عليه، وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقًا)[(٣)].

ولعل الأول أولى لظهور المعنى عليه بالمنطوق لا بالمفهوم.

* * *

---

(١) سورة الأنعام/١١٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣٣١/٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧.

(٣) التبيان ٥٣٥/١.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ . فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١)

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ في هذا الاستثناء وجهان:

الأول: أن يكون متصلاً، وبه قال الزجاج(٢) والقرطبي حيث قال في "الجامع لأحكام القرآن"(﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في موضع نصب بالاستثناء المتصل، المعنى: أن الله بريء من المشركين إلا من المعاهدين في مدة عهدهم)(٣).

الثاني: أن يكون منقطعاً، والتقدير: لكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فأتموا إليهم عهدهم، وإلى هذا نحا الزمخشري حيث قال: (والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل وبعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولاتجروهم مجراهم)(٤).

والقول بالانقطاع هو الظاهر(٥) لأنّا لوجعلناه متصلاً مستثنى من المشركين في أول السورة أومن المشركين في الآية السابقة للاستثناء لأدى إلى الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة، كما أن الكلام قبل «إلا» قدتمّ، وجاء

(١) سورة التوبة/١، ٢، ٣، ٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٨/٧١، وينظر: معاني القرآن/للفراء ١/٤٢١، والتبيان ٢/٦٣٥.

(٤) الكشاف ٢/١٧٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/٨.

مابعد إلا مستغنى عمًا قبلها فلا يحتاج إلى جعله متصلاً. فيجوز في إعراب «الذين» وجهان: إمًا أن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وإما أن يكون في محل رفع[١] على الابتداء، والخبر ﴿فَأَتِمُّوا﴾.

* * *

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٢]

ظاهر هذه الآية كما هو واضح أن الاستثناء فيها تام موجب، ولذلك وجب نصب المستثنى بعد «إلا» كما هو حاله في ذلك. وقد أوجب سيبويه[٣] والكسائي[٤] والأخفش[٥] فيه النصب لذلك، والتقدير: "لكن قوم يونس لما آمنوا" إلا أن الفراء لم يرضه هذا فأول الكلام على النفي، وأجاز الرفع فيما بعد «إلا» فقال: (وهي في قراءة أُبَيّ «فهلّا»ومعناها أنهم لم يؤمنوا، ثمَّ استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن مابعد «إلَّا» في الجحد يتبع ماقبلها، فتقول: ماقام أحد إلا أبوك، وهل قام أحد إلا أبوك، لأن الأب من الأحد، فإذا قلت مافيها أحد إلا كلبًا وحمارًا نصبت، لأنها منقطعة ممّا قبلَ «إلا»، إذْ لم تكن من جنسه، كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء، ولو كان الاستثناء ههنا وقع على طائفة منهم لكان رفعًا، وقد يجوز الرفع فيها، كما أن المختلف في الجنس قد يتبع مابعد «إلا» ماقبل «إلا» كما قال الشاعر:

وبلدٍ ليس بها أنيسُ   إلا اليعافير وإلا العيسُ[٦])[٧]

---

(١) التبيان ٢/٦٣٥.

(٢) سورة يونس/٩٨.

(٣) ينظر: الكتاب ٢/٣٢٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/للنحاس ٢/٢٦٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن/للأخفش ١/١١٥.

(٦) تقدم ذكره.

(٧) معاني القرآن/للفراء ١/٤٧٩، ٤٨٠، وينظر/ ١٦٧.

أما الزمخشري فقد ضمن «لولا» معنى» النفي، وأجاز حمل «إلا» على الاستثناء المتصل وكأنه قيل: (ماآمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس)[(١)] .

قال ابن عطية: (هوبحسب اللفظ استثناء منقطع، وكذلك رسمه النحويون، وبحسب المعنى متصل، لأن تقديره: ماآمن أهل قرية إلا قوم يونس)[(٢)] ، (وتقدير هذا المضاف هو الذي صحح كونه استثناءً متصلاً، وكذلك قال أبوالبقاء[(٣)] ، ومكي[(٤)] ، وابن عطية[(٥)] ، وغيرهم. أما الزمخشري فإن ظاهر عبارته أن المصحح لكونه متصلاً كون الكلام في معنى النفي، وليس كذلك بل المسوغ كون القرى يراد بها أهاليها)[(٦)] .

والراجع عندي القول بالانقطاع، لأن المستثنى منه ﴿قَرْيَةٌ﴾ وليست هي من جنس القوم، ولاداعي لتقدير محذوف حتى تخرج منه المستثنى.

وروي[(٧)] عن الجرمي والكسائي قراءة الرفع ﴿إِلَّا قَوْمُ﴾ وخُرِّج[(٨)] الرفع على البدل من ﴿قَرْيَةٌ﴾ وإن لم يكن من جنس ماقبله، وذلك على سبيل الاتساع والمجاز على لغة تميم.

هذا إذا كان الاستثناء منقطعًا وهو مايختص به بحثنا، ويجوز أن يكون مابعد «إلا» جملة مستقلة إذا أعربنا كلمة «قوم» مرفوعًا على الابتداء وخبره جملة ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ ...﴾ ومثل هذه الآية قوله تعالى:

---

(١) الكشاف ٢/٢٥٤.

(٢) المحرر الوجيز ٧/٢٢١.

(٣) ينظر: التبيان ٢/٦٨٦.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/٣٩٢.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٧/٢٢١.

(٦) الدر المصون ٦/٢٦٩.

(٧) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/٥٨.

(٨) ينظر: معاني القرآن/للفراء ١/٤٧٩ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٣/٣٥، وإعراب القرآن/للنحاس ٢/٢٦٩، والكشاف ٢/٢٥٤، والبيان ١/٤٢١.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ...﴾[١]

فـ﴿لَوْلَا﴾ (تحضيضية دخلها معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد)[٢] ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع، وذلك إذا حمل التحضيض على حقيقته لئلا يفسد المعنى كما هو عند سيبويه[٣] قال الزمخشري: (معناه: لكن قليلاً ممَّن أَنْجَيْنا من القرون نُهوا عن الفساد وسائرُهم تاركوا النهي، ثمَّ قال: (فإنْ قُلْتَ: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجهٌ يُحْمَلُ عليه؟ قلت: إن جَعَلْتَه متصلاً على ماعليه ظاهرُ الكلام كان المعنى فاسداً لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، تريد استثناء الصلحاء من المُحَضَّضين على قراءة القرآن)[٤] فيصير المعنى إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد، وهو معنًى فاسدٌ.[٥]

أمَّا الفراء فأولهما بقوله: أي: (لم يكن منهم أحد كذلك إلَّا قليلاً، أي هؤلاء كان ينهونَ فنَجَوا وهو استثناء على الانقطاع مما قبله، كما قال عزَّوجل: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[٦] ثم قال: ولوكانَ رفعًا كان صَوابًا)[٧].

والثاني: أنه متصل، وذلك إذا ضمن التحضيض معنى النفي: إلا أنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب، وإن كان غير النصب أولى. قال الزمخشري بعد أن

---

(١) سورة هود/١١٦.

(٢) البحرالمحيط ٥/٢٧١.

(٣) ينظر: الكتاب ٢/٣٢٥، ومعاني القرآن/للأخفش ١/١١٥، ومعاني القرآن/للفراء ٢/٣٠، والمقتضب ٤/٤١٦، وغيرهم.

(٤) الكشاف ٢/٢٩٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/٢٧١، وينظر: الدر المصون ٦/٤٢٤.

(٦) سورة يونس/٩٨.

(٧) معاني القرآن٢/٣٠.

منع أن يكون متصلاً: (فإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نَفْيه عنهم، فكأنه قيل: ماكان من القرونِ أولو بقيةٍ إلا قليلاً كان استثناءً متصلاً، ومعنى صحيحًا، وكان انتصابُه على أصلِ الاستثناء، وإن كان الأفصحُ أن يُرْفَعَ على البدل)[١] ويؤيد أن التحضيض هنا في معنى النفي قراءةُ زيد بن علي بالرفع: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ إذ لاحظ معنى النفي فأبدل على الأفصح كما يبدل في صريح النفي، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَّافَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[٢] [٣]

وعلى القول بالانقطاع يكون قوله ﴿قَلِيلاً﴾ منصوب على الاستثناء.

وبإلقاء نظرة إلى كلتا الآيتين السابقتين نجد أنهما من الاستثناء الموجب فليس قبل «إلا» نفي ولااستفهام إنكاري يفيد معنى النفي، إنما هو كلام مثبت موجب، فلماذا نبحث عن تأويل لنوجه إعراب مابعد «إلا» والمقام لايحتاج إليه.

* * *

---

(١) الكشاف ٢/٢٩٨.

(٢) سورة النساء/٦٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥/٢٧٢.

{لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[(١)]

{إِلَّا سَلَامًا} استثناء منقطع[(٢)] منصوب لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو، وأجاز الزمخشري وابن الأنباري[(٣)] فيه معنى الاتصال يقول الزمخشري: (لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، ودار السلام هي دار السلامة وأهلهاعن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام)[(٤)] والراجح الانقطاع.

* * *

{ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ....}[(٥)]

{إِلَّا مَا يُتْلَىٰ} فيه قولان:

الأول: أنه متصل[(٦)]، أي أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ماستثناه في كتابه في قوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}[(٧)] فهو محرم.

والثاني: أنه منقطع، (بناء على أن {مَا} عبارة عما حرم في قوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...}[(٨)] وفيه ماليس من جنس الأنعام)[(٩)]

وربما يقصد بذلك الدم ولحم الخنزير فهما ليسا من الأنعام.

---

(١) سورة مريم/٦٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن/للأخفش ٤٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٢٦/١١، والبحر المحيط ٢٠٢/٦.

(٣) ينظر: البيان ١٢٨/٢.

(٤) الكشاف ٥١٥/٢، وينظر: معاني القرآن/للأخفش ٤٠٣/٢.

(٥) سورة الحج/٣٠.

(٦) ينظر: الكشاف ١٢/٣، والتبيان ٩٤١/٢، والبحرالمحيط ٣٦٦/٦، وتفسير أبي السعود ١٠٥/٦، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٧) سورة المائدة/٣.

(٨) سورة المائدة/٣.

(٩) روح المعاني ١٤٧/١٧، ١٤٨. وينظر: التبيان ٩٤١/٢.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾[(١)]

﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا﴾ استثناء منقطع[(٢)] في محل نصب، قال أبو حيان: (فأن يقولوا في موضع نصب لأنه منقطع لايمكن توجه العامل عليه فهو مقدر بـ "لكن" من حيث المعنى: لأنك لو قلت: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف "ما في الدار أحد إلا حمار" فإن الاستثناء منقطع ويمكن أن يتوجه عليه العامل فتقول: "ما في الدار إلا حمار" فهذا يجوز فيه الرفع والنصب، النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب مجمعون على نصبه)[(٣)].

وأجاز الفراء[(٤)] الاتصال وأن يكون ما بعد "إلا" بدلاً من ﴿غَيْرِ﴾ وفي ﴿أُخْرِجُوا﴾ معنى النفي أي: لم يخرجوا إلا بقولهم. وتبعه الزجاج.[(٥)] وجعله الزمخشري بدلاً من ﴿حَقٍّ﴾ لما في غير من معنى النفي أي: (بغير حق موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لاموجب الإخراج والتيسير)[(٦)] والمعنى: لاموجب لإخراجهم إلا التوحيد.

وردَّ أبو حيان القول بالاتصال لأن البدل لايكون إلا إذا سبقه نفي أواستفهام في معنى النفي، أما إذا كان الكلام موجباً ـ كما في الآية ـ فلا داعي من تأويل لاحاجة إليه. والبدل أيضاً لايكون إلا إذا أمكن تسليط العامل عليه فلو قلت في غير القرآن: أخرج الناس من ديارهم إلا بأن يقولوا لا إله إلا الله لم يكن كلاماً هذا إذا تخيل أن يكون "إلا أن يقولوا" في موضع جر بدلاً من "غير" المضاف إلى "حق"، وأما أن يكون بدلاً من "حق" كما نص عليه الزمخشري فإن الزمخشري حين مثل للبدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا يعني أن تكون "إلا" بمعنى سوى صفة لحق أي أخرجوا بغير حق سوى التوحيد[(٧)] ولذا فإني أرجح الانقطاع.

---

(١) سورة الحج/٤٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٢/٣٢٥، وإعراب القرآن/للنحاس ٣/١٠٠، والبيان ٢/١٧٧.

(٣) البحر المحيط ٦/٣٧٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن ٢/٢٢٧.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٣٠، وينظر التبيان ٢/٩٤٤.

(٦) الكشاف ٣/١٦.

(٧) البحر المحيط ٦/٣٧٤."بتصرف"

﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾(١)

﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ استثناء منقطع على معنى: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل فـ ﴿مَن﴾ مبتدأ وخبره جملة مقدرة. أو تكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع.

وقيل: هو متصل على حذف مضاف تقديره: إلا من اتخذ إلى ربه سبيلاً(٢)، وهو ضعيف.

* * *

﴿... وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣)

قال العكبري: (﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناء من الجنس، في موضع نصب)(٤) ورده أبو حيان فقال: (ولايظهر الاتصال لأن المستثنى منه محكوم عليه بأن يضاعف له العذاب فيصير التقدير:إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فلا يضاعف له العذاب، ولايلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف، فالأولى أن يكون استثناء منقطعًا، أي: لكن من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وإذا كان كذلك فلا يلقى عذابًا ألبتة)(٥)

وما قاله أبو حيان هو الراجح عندي لأنه قابل بين حالي الكفار والمؤمنين فوقعت "إلا" بين متغايرين كما تقع"لكن" .

وما بعد إلا إما أن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وإما أن يكون جملة مستقلة مبتدؤه﴿مَن﴾وخبره جملة ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

---

(١) سورة الفرقان/٥٧.

(٢) ينظر: التبيان ٢/٩٨٨، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٦٢، والبحر المحيط ٦/٥٠٨.

(٣) سورة الفرقان/٦٨، ٦٩، ٧٠.

(٤) التبيان ٢/٩٩١.

(٥) البحر المحيط ٦/٥١٥.

{...يَامُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١)

{إِلَّا مَن ظَلَمَ} فيه وجهان:

الأول: أنه استثناء منقطع، وهو الظاهر، لأن الأنبياء معصومون من وقوع الظلم الواقع من غيرهم، أي: لكن من ظلم من غيرهم فإني غفور رحيم. وإليه ذهب الأخفش(٢) والزجاج(٣) والنحاس(٤) والزمخشري(٥) وأبو حيان(٦) إذ نسب الانقطاع إلى الفراء.

و"من" في قوله: {مَن ظَلَمَ} في محل نصب(٧) على الاستثناء المنقطع، أو في محل رفع على الابتداء والخبر جملة محذوفة.

الثاني: أنه متصل، ويبدو أن الفراء(٨) جعل الاتصال في هذه الآية على أحد توجهين:

١) أن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهو يخاف ويرجو.

٢) أن يكون المستثنى منه محذوفًا تقديره: لايخاف المرسلون إنما الخوف على غيرهم. وقد رد ابن قتيبة(٩) والنحاس(١٠) هذا الوجه الأخير، لأن الاستثناء من محذوف محال.

---

(١) سورة النمل/١٠، ١١.

(٢) ينظر: معاني القرآن ٤٢٨/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١١٠/٤.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ٢٠٠/٣.

(٥) ينظر: الكشاف ١٣٨/٣، وينظر: البيان ٢١٩/٢، والتبيان ١٠٠٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٥٧/٧.

(٧) ينظر: البيان ٢١٩/٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن ٢٨٧/٢.

(٩) ينظر: تأويل مشكل القرآن/٢١٩.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن ٢٠٠/٣.

وأضاف القرطبي وجهًا آخر لحمل الاستثناء على الاتصال والتقدير: (إلا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر التي لايسلم منها أحد)[١] وقد يكون هذا شرحًا لكلام الفراء.

والأرجح القول بالانقطاع، وحمل {مَن} على غير الأنبياء والرسل لعصمتهم.

وقرأ[٢] زيد بن أسلم[٣] وأبو جعفر{أَلَّا} بفتح الهمزة وتخفيف اللام على أن تكون"ألا" حرف استفتاح وعليه فلا شاهد للاستثناء هنا.

وذهب الكوفيون إلى أن "إلا" بمعنى الواو (وليس بصحيح لاختلاف المعنى لأن "إلا" تقتضي إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، والواو تقتضي مشاركة الثاني للأول، فلايقام أحدهما مقام الآخر)[٤]

* * *

{قُل لَّايَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَايَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[٥]

في قوله {إِلَّا اللَّهُ} قولان:

الأول: أنه استثناء متصل، وهذا مايظهر من كلام الأخفش[٦] والفراء حيث يقول الفراء: (رَفعت مابعد "إلّا" لأن في الذي قبلَها جحداً وهو مرفوع، ولو نصبت كان صوابًا. وفي إحدى القراءتين {مَافَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ}[٧] بالنصب،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦١.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٠٨.

(٣) زيد بن أسلم أبو أسامة المدني مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أخذ عنه القرآن شيبة بن نصاح، مات سنة ست وثلاثين ومائة.

ينظر: غاية النهاية ١/٢٩٦

(٤) البيان ٢/٢١٩، وينظر: البحرالمحيط ٧/٥٧، وبدائع الفوائد ٣/٧٠، ٧١.

(٥) سورة النمل/٦٥.

(٦) معاني القرآن ٢/٤٣٦.

(٧) سورة النساء/٦٦.

وفي قراءتنا بالرَّفع. وكلّ صَوَاب)[١] وقد وافق ابن القيم[٢] على هذا الرأي.

الثاني: أنه منقطع، وإليه ذهب الزمخشري[٣] وأبوحيان[٤] وذلك (لعدم اندراجه في مدلول لفظ "من" وجاء مرفوعًا على لغة تميم، ودلت هذه الآيةعلى أنه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب... ولايقال أنه مندرج في مدلول "من" فيكون ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ظرفًا حقيقيًا للمخلوقين فيهما ومجازيًا بالنسبة إليه تعالى، أي هو فيهما بعلمه، لأن في ذلك جمعًا بين الحقيقة والمجاز، وأكثر العلماءينكرذلك، وإنكاره هو الصحيح. ومن أجاز ذلك فيصح عنده أن يكون استثناء متصلاً وهذا هو الرأي الأول وارتفع على البدل أو الصفة والرفع أفصح من النصب على الاستثناء لأنه استثناء من نفي متقدم والظاهر عموم الغيب)[٥].

* * *

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٩٨، وينظر: البيان ٢/٢٢٦.

(٢) بدائع الفوائد ٣/٦٢ـ٦٤.

(٣) الكشاف ٣/١٥٦.

(٤) البحرالمحيط ٧/٩١.

(٥) المرجع السابق.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[١]

الاستثناء في قوله ﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوا﴾ إما متصل من أعم ماتقدر الأولوية فيه من النفع كأنه قيل: القريب أولى من الأجنبي في كل نفع من ميراث وصدقة وهبة ونحو ذلك إلا في الوصية فإنها المرادة بالمعروف فالأجنبي أحق بها من القريب الوارث فإنها لاتصح لوارث[٢].

وإما استثناء منقطع (بناء على أن المراد بما فيه الأولوية هو التوارث فيكون الاستثناء من خلاف الجنس المدلول عليه بفحوى الكلام كأنه قيل: لاتورثوا غير أولي الأرحام لكن فعلكم إلى أوليائكم من المؤمنين والمهاجرين الأجانب معروفًا وهو أن توصوالمن أحببتم منهم بشيء جائز فيكون ذلك له بالوصية لابالميراث، ويجوزأن يكون المعروف عامًا لما عدا الميراث، والمتبادر إلى الذهن انقطاع الاستثناء)[٣].

وأن وصلتها في محل نصب على الاستثناء المنقطع وعليه اقتصر الأخفش[٤] وابن الأنباري[٥] والعكبري[٦].

* * *

(١) سورة الأحزاب/٦.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٢٥١.

(٣) روح المعاني ٢١/١٥٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن ٢/٤٤٢.

(٥) ينظر البيان ٢/٢٦٤.

(٦) ينظر التبيان ٢/١٠٥٢.

{وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ}[1]

{إِلَّا مَنْ ءَامَنَ} فيه وجهان:

أحدهما: أنه استنثاءمنقطع، أي: ولكن من آمن وعمل صالحًافإيمانه وعمله يقربانه[2] و{مَنْ} في محل نصب على الاستثناء.[3]

ويجوز أن تكون {مَنْ} مبتدأ، خبره الجملة بعده[4] {فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ}[4].

الثاني: أنه استثناءمتصل من ضمير{تُقَرِّبُكُمْ} وأجاز فيه الفراء[5] البدل وتبعه الزجاج[6] والزمخشري[7] ورده النحاس فقال: (وهذا القول كأنه غلط لأن الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل، ولوجاز هذا لجاز رأيتك زيدًا)[8].

والذي يظهر الانقطاع[9] (لأنك في الاتصال تجعل الكلام محمولاً على المعنى فالله عزوجل حين أخبر أن أموال العباد وأولادهم لاتقربهم إليه تضمن ذلك أن أربابها ليسوا هم من المقربين إليه فاستثنى منهم من آمن وعمل صالحًا أي لاقريب عنده إلا من آمن وعمل صالحًا سواء كان له مال وولد أم لم يكن له. أما في الانقطاع فإن الله نفى قرب الناس إليه بأموالهم وأولادهم وأثبت قربهم عنده بإيمانهم وعملهم الصالح، وعليه فتقدير"لكن" هنا أظهر من تقدير الاتصال، وبهذا لانحتاج إلى تكلف التقديرات)[10].

---

(١) سورة سبأ/٣٧.

(٢) ينظر: التبيان ٢/١٠٧٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٠٦، والبحرالمحيط ٧/٢٨٥.

(٣) البيان ٢/٢٨٢، وينظر: التبيان ٢/١٠٧٠.

(٤) ينظر: التبيان ٢/١٠٧٠.

(٥) ينظر: معاني القرآن ٢/٣٦٣.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٥.

(٧) ينظر: الكشاف ٣/٢٩٢، وتفسيرأبي السعود ٧/١٣٦.

(٨) إعراب القرآن ٣/٣٥٢، وينظر: البيان ٢/٢٨٢، والبحرالمحيط ٧/٢٨٥.

(٩) البحرالمحيط ٧/٢٨٥.

(١٠) بدائع الفرائد ٣/٧١، ٧٢ "بتصرف"

{فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ.إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}[١]

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ} فيه قولان[٢]:

الأول: أن يكون الاستثناء منقطعًا لأن ما قبله وعيد ولم يدخل {عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} في هذا الوعيد. وقوله {عِبَادَ} منصوب على الاستثناء المنقطع.

الثاني: أن يكون متصلاً وذلك إذا أراد بالمنذرين الكل أي الكفرة والمؤمنين.

والراجح عندي القول بالانقطاع لأن المراد بالمنذرين هم الكفرة وهذا مايتمشى مع سياق الآيات السابقة.

* * *

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ.إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}[٣]

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ} في هذا الاستثناء وجهان:

أحدهما: أنه منقطع[٤]، وذلك إذا أردنا بـ "الواو" في {جَعَلُوا} و {يَصِفُونَ} الكفرة، والمعنى: لكن عباد الله المخلصين ناجون من العذاب أو يصفون الله بما يليق به، "وعباد" منصوب على الاستثناء المنقطع.

الثاني: أنه متصل، وذلك إذا أطلقنا الواو على جميع الناس ثم استثنينا منهم عباد الله المخلصين. وهذا مافهمه السمين[٥] من ظاهر عبارة أبي البقاء حيث قال: (ويجوز أن يكون المستثنى من الضمير في {جَعَلُوا} ومن {مُحْضَرُونَ} وأن يكون منفصلاً)[٦].

---

(١) سورة الصافات/٧٣، ٧٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦٦/٢٣، والبحر المحيط ٣٦٤/٧، وروح المعاني ٩٧/٢٣.

(٣) سورة الصافات/١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.

(٤) البحر المحيط ٣٧٧/٧وينظر: الكشاف ٣٥٥/٣، وتفسير أبي السعود ٢٠٩/٧.

(٥) الفتوحات الإلهية ٥٥٦/٣. نقلاً عن السمين.

(٦) التبيان ١٠٩٤/٢.

{... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ...}[(١)]

{إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ} فيها قولان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع ـ وهو الظاهر ـ وبه قال الأخفش[(٢)] والطبري[(٣)] لأن المودة ليست من جنس الأجر، والتقدير: لاأسألكم عليه أجراً ولكن أسألكم المودة في القربى.

وعلى ذلك فالمودة" إما منصوبة على الاستثناء المنقطع، وإما مفعول به لفعل محذوف تقديره: أسألكم.

الثاني: أنه متصل إذ يقول الزمخشري: (ويجوز أن يكون استثناء متصلاً أي: لاأسألكم عليه أجراً إلا هذا، وهو أن تودوا أهل قرابتي وليس هذا في الحقيقة أجراً لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم)[(٤)] وهذا ضعيف من حيث المعنى.

* * *

{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ}[(٥)]

{إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ} فيها عدة أوجه:

أحدهما: أنه (استثناء منقطع، وتقديره لكن ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا،)[(٦)] وجعلها العكبري[(٧)] منصوبة على المصدر أي: (ماتوا الموتة) فعلى كلا القولين مابعد "إلا" منصوب ووجه الخلاف فيها منحصر فيما إذا كان منصوباً على الاستثناء أوعلى البدل على اللغة التميمية أو بفعل مقدر بعد "إلا".

(١) سورة الشورى/٢٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن ٢/٤٦٩، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٤/٣٩٨، وإعراب القرآن/للنحاس ٤/٨٠.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٥/٢٦، والكشاف ٣/٤٦٦، والبيان ٢/٣٤٧، والبحر المحيط ٧/٥١٦.

(٤) الكشاف ٣/٤٦٦.

(٥) سورة الدخان/٥٦.

(٦) البيان ٢/٣٦٢، وينظر: الكشاف ٣/٥٠٧، والبحر المحيط ٨/٤٠.

(٧) التبيان ٢/١١٤٩.

الثاني: أن "إلا" بمعنى "سوى" قاله الفراء[(١)] والزجاج[(٢)] وضعفه الطبري[(٣)] وقال ابن عطية (وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى "سوى" مستقيم متسق)[(٤)].

الثالث: أن "إلا" بمعنى "بعد" قاله الطبري[(٥)] وأباه الجمهور لأن مجيء "إلا" بمعنى "بعد" لم يثبت.

الرابع: أنه استثناء متصل[(٦)] وتأولوه: بأن المؤمن عند موته في الدنيا بمنزلته في الجنة لمعاينته مايعطاه منها.

والأرجح الانقطاع لأن قوله {فِيهَا} لعموم لفظ الموت فدل هذا على أن المراد بقوله {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا} أي في الجنة.

* * *

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}[(٧)]

(الظاهر أنه استثناء منقطع، لأنه لم يندرج في اللغو، ولا في التأثيم ويبعد قول من قال إنه استثناء متصل)[(٨)] ـ وتقدم مايشبهها قريبًا ـ ويكون قوله {سَلَامًا} منصوبًا على الاستثناء.

* * *

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٣/٤٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٢٨، والبيان ٢/٣٦٢.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٥/١٣٧.

(٤) البحر المحيط ٨/٤٠.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٥/١٣٧، ١٣٨.

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن/٧٨، ٧٩، والتبيان ٢/١١٤٩.

(٧) سورة الواقعة/٢٥، ٢٦.

(٨) البحر المحيط ٨/٢٠٦، وينظر: إعراب القرآن/للنحاس ٤/٣٣٠، والبيان ٢/٤١٦، والتبيان ٢/١٢٠٤.

{قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا . إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[١]

أما نصب كلمة {بَلَاغًا} فيجوز أن يكون منصوبًا على الاستثناء المنقطع[٢]، ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل مضمر تقديره: إلا أن أبلغ بلاغًا[٣]، ويكون أن مع الفعل هو المنصوب على الاستثناء المنقطع.

ونقل أبو حيان عن الحسن أنه قال: (إنه استثناء منقطع أي: لن يجيرني من الله أحد لكن إن بلغت رحمني الله بذلك)[٤].

وقال بعض النحاة على هذا هو استثناء متصل، والمعنى: لن أجد ملتحداً إلا بلاغًا، أي: لن أجد شيئًا أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجيرني الله تعالى[٥]، وقال قتادة: التقدير: "إلا بلاغًا من الله" فذلك الذي أملكه فأما الإيمان والكفر، فلا أملكهما[٦].

وأضاف الفراء وجهًا آخر: وهو أن تكون "إلا" بتقدير الانفصال، و"إن" شرطية، و"لا" نافية ويكون التقدير: ولن أجد ملتحداً إن لم أبلغ رسالاته[٧].

وعلى هذا المعنى لايكون في الآية استثناء ألبتة بل هو شرط وتعليق فقط، وهذا خلاف الأصل، لأن الأصل أن يكون "إلا" حرفًا واحداً لامركبًا.

وأما قول بعض النحاة بأنه متصل، فبعيد بسبب أن اتصاله مبني على حذف قوله تعالى {مِن دُونِهِ} وهذا لايستقيم لأنه كتاب الله، وكل كلمة فيه لابد وأن توفى حقها لاأن نحذفها،وكذلك قول قتادة فيه إعراض عن معنى الآية.

لذا فإنني أرجح الأخذ بقول الحسن والحكم على "إلا" بالانقطاع.

---

(١) سورة الجن/٢٢، ٢٣.

(٢) ينظر: البيان ٢/٤٦٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/١٩٥.

(٤) البحر المحيط ٨/٣٥٤.

(٥) ينظر: المرجع السابق.

(٦) ينظر: جامع البيان ٢٩/١٢١.

(٧) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢/١٩٥.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[١]

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ﴾ فيها وجهان:

الأول: أنه استثناء منقطع، يقول صاحب البرهان: (دخول الفاء في ﴿فَإِنَّهُ﴾ دليل انقطاعه، ولو كان متصلاً لتم الكلام عند قوله ﴿رَّسُولٍ﴾)[٢]، وتقدر ﴿إِلَّا﴾ بمعنى "لكن" أي: لكن من ارتضاه فإنه يظهره على مايشاء من غيبه بالوحي.

وعلى هذا يجوز أن يكون ما بعد "إلا" جملة[٣] مستقلة، مبتدؤها قوله ﴿مَن﴾ وخبرها ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾ ويجوز أن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع.

الثاني: أنه استثناء متصل من "﴿أَحَدًا﴾وإليه ذهب النحاس[٤]، والعكبري[٥] وأبو السعود والتقدير: (إلا رسول ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته)[٦].

* * *

---

(١) سورة الجن/٢٦، ٢٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٣٧/٤، وينظر: البحرالمحيط ٣٥٥/٨.

(٣) ينظر: التبيان ١٢٤٥/٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ٥٤/٥.

(٥) ينظر: التبيان ١٢٤٥/٢، والبحرالمحيط ٣٥٥/٨.

(٦) تفسير أبي السعود ٤٧/٩.

{فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[١]

الاستثناء منقطع عند الزمخشري[٢] وابن القيم إذ قال في "بدائع الفوائد": (فهذا يبعد تقدير دخوله فيما تقدم قبله جداً وإنما هو إخبار عن مآل الفريقين فلما بشر الكافرين بالعذاب بشر المؤمنين بالأجر غير الممنون، فهذا من باب المثاني الذي يذكر فيه الشيء وضده)[٣]. و{الَّذِينَ} يحتمل أن تكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وأن تكون في محل رفع مبتدأ خبره {لَهُمْ أَجْرٌ}.

وجوز النحاس[٤] والعكبري[٥] وابن الأنباري[٦] وغيرهم مع الانقطاع الاتصال، ويكون {الَّذِينَ آمَنُوا} في موضع نصب لأنه استثناء من الهاء والميم في {بَشِّرْهُم} ورد (لأن الضمير راجع إلى {الَّذِينَ كَفَرُوا}[٧] والذين كفروا قد وضعوا موضع المظهر للإشعار بأنهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لأنهم كافرون مكذبون)[٨] كما لا يخفى ما فيه من تكلف إذا حمل على الاتصال.

* * *

---

(١) سورة الانشقاق/٢٤، ٢٥.

(٢) ينظر: الكشاف ٢٣٦/٤.

(٣) بدائع الفوائد ٧١/٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ١٨٩/٥.

(٥) ينظر: التبيان ١٢٧٩/٢.

(٦) ينظر: البيان ٥٠٤/٢، وتفسير أبي السعود ١٣٤/٩.

(٧) آية/٢٢.

(٨) الفتوحات الإلهية ٥١٢/٤.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾[(١)]

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ فيها قولان:

الأول: أنه استثناء منقطع، أي (لست بمسئول عنهم، ولكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه)[(٢)].

و﴿مَن﴾ في محل نصب[(٣)] على الاستثناء المنقطع، ويجوز أن تكون في محل رفع مبتدأ، وجملة ﴿يُعَذِّبُهُ اللَّهُ...﴾ خبر المبتدأ[(٤)].

الثاني: أنه متصل، وفي المستثنى قولان:

أحدهما: من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾[(٥)] أي فذكر عبادي إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر، ومابينهما اعتراض[(٦)].

الثاني: من قوله ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي لاتسلط إلا على من تولى وكفر[(٧)].

وقرأ[(٨)] ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم ﴿أَلَا﴾ على التنبيه والاستفتاح والراجح الانقطاع لأن فيه دفع للتوهم الناشىء عن التعذيب إذ بين أولاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمسئول عن العباد ولابيده تعذيبهم ثم ذكر أن العذاب بيد الله حتى وإن جاهد فيهم رسوله فذلك بأمره تعالى.

---

(١) سورة الغاشية/٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) الكشاف ٢٤٨/٤، وينظر: معاني القرآن/للفراء ٢٥٨/٣، ٢٥٩، والبيان ٥١٠/٢، والتبيان ١٢٨٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠، والبحر المحيط ٤٦٥/٨.

(٣) ينظر: البيان ٥١٠/٢.

(٤) ينظر: شرح ألفية ابن مالك /٢٩١.

(٥) آية/٢١.

(٦) ينظر: معاني القرآن/للفراء ٢٥٨/٣، والكشاف ٢٤٨/٤، والبيان ٥١٠/٢.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٧/٢٠.

(٨) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٧٢، وينظر: البحر المحيط ٤٦٥/٨.

الآيات التي يترجح فيها الاتصال

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما أن يكون استثناء متصلاً[2]، والمستثنى منه هو الضمير في ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾، ومعنى ﴿تَابُوا﴾ أي عن الكفر إلى الإسلام أو عن الكتمان إلى الإظهار. و﴿الَّذِينَ﴾ في محل نصب على الاستثناء المتصل.

الثاني: أن يكون منقطعًا، (لأن الذين كتموا لعنوا قبل أن يتوبوا، وإنما جاء الاستثناء لبيان قبول التوبة لا لأن قومًا من الكاتمين لم يلعنوا)[3] ذكره أبوالبقاء ورده السمين[4] لأنه(ليس بشيء).

وعلى قول من قال بالانقطاع يكون قوله ﴿الَّذِينَ﴾ في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع بالابتداء وخبره جملة ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

وإن كان الراجح عندي الاتصال، وذلك لارتباط الكلام بين ماقبل إلا ومابعدها، ولوضوح معناه على الاتصال.

* * *

---

(١) سورة البقرة/١٥٩، ١٦٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٢٣٥/١، والتبيان ١٣١/١، والجامع لأحكام القرآن ١٨٧/٢، والبحرالمحيط ٤٥٩/١، وتفسير أبي السعود ١٨٢/١.

(٣) التبيان ١٣٢/١.

(٤) الدر المصون ١٩٤/٢.

{.... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(١)

انتصب {قَلِيلًا} على الاستثناء المتصل من فاعل {تَوَلَّوْا}. قال أبو حيان: (وقرأ(٢) أُبَيّ {إِلَّا أَنْ يكونَ قليلٌ مِّنْهُمْ} وهو استثناءٌ منقطعٌ لأنّ الكونَ معنًى من المعاني والمستثنى منه جُثَثٌ. وهذه المسألةُ تحتاجُ إلى إيضاح لكثرةِ فائدتِها. وذلك أنّ العربَ تقول: قام القومُ إلا أَنْ يكونَ زيدٌ وزيداً بالرفع والنصب، فالرفعُ على جَعْلِ "كان" تامةً، و"زيدٌ" فاعلٌ، والنصبُ على جَعْلِهَا ناقصةً، و"زيداً"خبرُها، واسمُها ضميرٌ عائدٌ على البعض المفهومِ ممّاقبله، والتقدير: قام القوم إلا أَنْ يكونَ هو-أي بعضهم-زيداً، والمعنى: قام القوم إلا كونَ زيدٍ في القائمين، ويلزم من انتفاء كونه في القائمين أنه ليس قائماً، فلا فرقَ من حيث المعنى بين: "قام القوم إلا زيداً" وبين "قام القوم إلا أن يكون زيد أو زيداً" إلا أنّ الأولَ استثناءٌ متصلٌ والثاني منقطعٌ لما تقدّم تقريرُه)(٣)

والراجح في هذه الآية القول بالاتصال حملاً على قراءة الجمهور؛ إذ يجب نصب المستثنى إذا كان الكلام موجباً غير منفي، ولايحمل على الانقطاع إلا على الوجه الذي بيناه، وعدم التقدير أولى.

* * *

---

(١) سورة البقرة/٢٤٦.

(٢) البحر المحيط ٢/٢٥٧.

(٣) البحر المحيط ٢/٢٥٧، وينظر: الكتاب ٢/٣٤٩.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)

هذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً ومنقطعًا (فإن كان متصلاً كان التقدير : إلا ماحرم إسرائيل على نفسه فحرم عليه في التوراة، فليس فيها الزوائد التي افتروها.

وإن كان منقطعًا، كان التقدير: لكن إسرائيل حرم ذلك على نفسه خاصة ولم يحرمه الله على بني إسرائيل، والاتصال أظهر)،(٢) لأن ماحرمه إسرائيل على نفسه حرمه الله على بني إسرائيل.

و﴿مَا﴾ في محل نصب على الاستثناء المتصل. ويجوز على الانقطاع أن تكون "ما" في محل نصب على الاستثناء أو في محل رفع مبتدأ وخبره مقدر أي: لكن ماحرم إسرائيل على نفسه فإن الله حرمه عليه.

* * *

﴿... فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ...﴾(٣)

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وهو الظاهر، أنه (استثناء متصل من ضمير المفعول في ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾، والمعنى:أنه تعالى أوجب قتل الكافر إلا إذا كان معاهدًا أو داخلاً في حكم المعاهد أو تاركًا للقتال فإنه لايجوز قتله وقول الجمهور أن المستثنى كفار)(٤) و﴿الَّذِينَ﴾: في محل نصب على الاستثناء المتصل.

(١) سورة آل عمران/٩٣.

(٢) البحر المحيط ٣/٣.

(٣) سورة النساء/٨٩، ٩٠.

(٤) البحر المحيط ٣/٣١٥، ٣١٦ "بتصرف" ، وينظر: الكشاف ١/٥٥١، والبيان ١/٢٦٣، والتبيان ١/٣٧٨، وتفسير أبي السعود ٢/٢١٣.

الثاني: أنه منقطع، قال أبو حيان نقلاً عن أبي مسلم: (أنه تعالى لما أوجب الهجرة على كل من أسلم استثنى من له عذر فقال: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ} ...)(١) ثم علق عليه أبو حيان بقوله: فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا)(٢). لأن المؤمنين لم يدخلوا تحت قوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ}(٣)، والمستثنون هم المؤمنون.

وقوله {الَّذِينَ} يجوز أن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع أو في محل مبتدأ وخبره مقدر فيكون المستثنى جملة في محل نصب.

* * *

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ...}(٤)

الاستثناء راجع للأنواع الخمسة، وقيل: عائد إلى أقرب مذكور وهو {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ} والاستثناء على هذين متصل(٥). أي إلا ماأدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال.

وقيل: هو استثناء منقطع(٦)، والتقدير: لكن ماذكيتم من غير هذه الأنواع فكلوه، والظاهر الاتصال؛ لأنها وإن ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة وقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها.

وعلى كلا القولين {مَا} في محل نصب على الاستثناء. ويجوز على الانقطاع أن تكون في محل رفع على الابتداء وخبره مقدر.

* * *

---

(١) البحر المحيط ٣/٣١٦ "بتصرف"

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة النساء/٨٨.

(٤) سورة المائدة/٣.

(٥) ينظر: التبيان ١/٤١٨، والبحر المحيط ٣/٤٢٣.

(٦) ينظر: جامع البيان ٦/٧٣، والبحر المحيط ٣/٤٢٤.

٤٢.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ....﴾[1]

يجوز أن تحمل "إلّا" على الاستثناء المتصل، أي: إلا ماشاء الله من تمكيني منه فإني أملكه[2].

ويجوز أن تحمل على الاستثناء المنقطع. والتقدير: لكن ماشاء الله من ذلك كائن.[3]

و﴿مَا﴾ في محل نصب على الاستثناء المنقطع، أو في محل رفع مبتدأ والخبر مقدر، ورد أبو حيان القول بالانقطاع فقال: (ولاحاجة لدعوى الانقطاع مع إمكان الاتصال)[4].

وهذا يقال أيضًا في قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ..﴾[5].

* * *

(١) سورة الأعراف/١٨٨.

(٢) ينظر: التبيان ١/٦٠٧.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/٣٣٧، والمحرر الوجيز ٦/١٧٠، وتفسير أبي السعود ٣/٣٠٢.

(٤) البحر المحيط ٤/٤٣٦.

(٥) سورة يونس/٤٩. وينظر: الكشاف ٢/٢٤٠، والبحر المحيط ٥/١٦٥.

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...}(١).

{إِلَّا مَن رَّحِمَ} استثناء متصل(٢)، إما من فاعل {يَزَالُونَ} وإما من الضمير في {مُخْتَلِفِينَ} وعليه فـ {مَن} في محل نصب على الاستثناء.

وذهب الزجاج إلى القول بالانقطاع فخصص الاختلاف بأهل الباطل و {مَن رَّحِمَ} بأناس هداهم الله ولم يستثنهم من السابقين والتقدير: لكن من رحم ربك فإنه غير مخالف)(٣) ورده أبو حيان(٤) والسمين(٥) بأنه لاضرورة تدعو إلى ذلك لوضوح معنى الاتصال فيه.

وعلى القول بالانقطاع يحتمل أن تكون {مَن} في محل نصب على الاستثناء أو في محل رفع على الابتداء وخبره محذوف.

* * *

{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا . إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}(٦)

استثناء ظاهره الاتصال(٧)، إذ استثنى من تاب وآمن من أولئك الذين أضاعوا الصلاة فمن تاب منهم وآمن فسيدخل الجنة و {مَن} في محل نصب على الاستثناء، أما الزجاج فجوز مع الاتصال القول بالانقطاع، والتقدير: "ولكن من تاب وآمن" على أن يكون المستثنى منه الكفار والمستثنى المؤمنون.(٨)

---

(١) سورة هود/١١٨، ١١٩.

(٢) ينظر: التبيان ٧١٨/٢، والمحرر الوجيز ٤٢٤/٧، والبحر المحيط ٢٧٣/٥، والدر المصون ٤٢٦/٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٨٣/٣، وينظر: معاني القرآن/للفراء ٣١/٢، والجامع لأحكام القرآن ١١٤/٩.

(٤) البحر المحيط ٢٧٣/٥.

(٥) الدر المصون ٤٢٦/٦.

(٦) سورة مريم/٥٩، ٦٠.

(٧) البحر المحيط ٢٠١/٦.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٣٦/٣.

والراجح عندي ماقاله أبو حيان لتعلقه بما سبق وعدم انقطاعه عنه، كما أن قوله ﴿مَن تَابَ وَآمَنَ﴾ يفهم منه أن ماسبق يتحدث عن الكفرة أو عامة لهم ولغيرهم لأن من تاب وآمن لايقال إلا لمن كان كافرًا ولهذا استحسنت القول بالاتصال.

وعلى الانقطاع تكون ﴿مَن﴾ في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع على الابتداء وخبره قوله: ﴿فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ فيجيء المستثنى جملة.

* * *

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[1]

الاستثناء منقطع منصوب عند الزمخشري (يعني: لايذوقون فيها بردًا وروحًا ينفس عنهم حر النار، ولاشرابًا يسكن عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميمًا وغساقًا)[2] ومتصل عند أبي حيان[3] من قوله ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ وهو الراجح لأن الحميم نوع من الشراب.

* * *

(١) سورة النبأ/٢٤، ٢٥.

(٢) الكشاف ٢٠٩/٤، وينظر: البيان ٤٩٠/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٩، وتفسير أبي السعود ٩١/٩.

(٣) البحر المحيط ٤١٤/٨.

الآيات التي تحتمل الاتصال والانقطاع

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]

فقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يجوز فيها وجهان:

الأول: الاتصال عند من يقول: إن إبليس كان في الابتداء ملكًا وهذا مذهب الجمهور[2].

الثاني: الانقطاع عند من يقول: إن إبليس لم يكن من الملائكة،[3] وحجته هي:

١ ـ الملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[4]

٢ ـ قوله تعالى ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[5].

٣ ـ إبليس له نسل وذرية والملائكة ليست كذلك.

٤ ـ إبليس مخلوق من نار، والملائكة مخلوقة من نور.

والظاهر أنه استثناء متصل لتوجه الأمر على الملائكة فلو لم يكن منهم لما توجه الأمر إليه فلم يقع عليه ذم لتركه فعل مالم يؤمر به.

وأما ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ...﴾ فهو عام مخصوص إذ عصمتهم ليست لذاتهم إنما هي بجعل الله لهم ذلك. وأما إبليس فسلبه الله تعالى الصفات الملكية وألبسه الصفات الشيطانية.

---

(١) سورة البقرة/٣٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن/للأخفش ٥٧/١، وجامع البيان ٢٢٧/١، وإعراب القرآن/للنحاس ٢١٢/١، والكشاف ٢٧٣/١، والمحرر الوجيز ٢٤٥/١، والبيان ٧٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/١، والبحر المحيط ١٥٣/١ وغيرهم.

(٣) ينظر: التبيان ٥١/١.

(٤) سورة التحريم/ ٦

(٥) سورة الكهف/ ٥٠.

وأما قوله: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ} فربما أطلق عليه ذلك لأن ماجتنّ عن الأبصار فلم يرَ فهو جنّ، فيكون إبليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بني آدم.

وقولهم :"إن إبليس له نسل وذرية والملائكة ليست كذلك" فأقول لما سبق في علم الله معصية إبليس وشقاؤه ركّب الله فيه الشهوة واللذة التي نزعت من سائر الملائكة.

وقولهم: "إبليس مخلوق من نار، والملائكة مخلوقة من نور" لاينكر أن يكون الله عز وجل خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلق شتى، فخلق بعضهم من نور، وبعضهم من نار. فقد قال ابن جبير[1] «...سبط من الملائكة خُلقوا من نار وإبليس منهم»[2]. وهذا مايقال أيضًا في قوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}[3].

وقوله: {فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ}[4].

وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[5].

وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ....}[6].

---

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي التابعي الجليل من قراء الكوفة عرض على ابن عباس ، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء وغيره. قتله الحجاج بواسط شهيداً في سنة خمس وتسعين، وقيل غير ذلك.

ينظر: معرفة القراء الكبار ١/٦٨، وغاية النهاية ١/٣٠٥

(٢) ينظر: جامع البيان١/٢٢٤-٢٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٩٤، ٢٩٥، والبحرالمحيط ١/١٥٣.

(٣) سورة الأعراف/١١.

(٤) سورة الحجر/٣٠، ٣١.

(٥) سورة الإسراء/٦١.

(٦) سورة الكهف/٥٠.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾(١).

وقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

* * *

(١) سورة طه/١١٦.

(٢) سورة ص/٧٣، ٧٤.

{... وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...}[١]

"إِلَّا" فيها قراءتان:

الأولى: بكسر الهمزة وتشديد لام "إِلَّا" وهي قراءة الجمهور.

الثانية: بفتح الهمزة وتخفيف لام "أَلَا" على أنها للاستفتاح والتنبيه، وبها قرأ[٢] ابن عباس،وزيد بن علي، وابن زيد[٣]. وعلى هذه القراءة فلاشاهد في الآية على الاستثناء.

وأما على قراءة الجمهور فاختلف النحويون في تأويلها إلى عدة أقوال:

أحدها: أنه استثناء متصل، وهو مااختاره الطبري[٤] وذكره الفراء[٥] والزمخشري وابن عطية[٦] وغيرهم. قال الزمخشري: (معناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحبًا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء)[٧].

الثاني: أنه استثناء منقطع، وبه قال الأخفش[٨]، والنحاس[٩]، والعكبري[١٠] أي (لكن الذين ظلموا فإنهم يتعلقون عليكم بالشبهة يضعونها

(١) سورة البقرة/١٥٠.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/١٠، وينظر: المحرر الوجيز ٢/٢٦، والبحر المحيط ١/٤٤١.

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، مقرىء، مفسر. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. ينظر: هداية العارفين ٥/٥١٢.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢/٣٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن ١/٨٩.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ٢/٢٦.

(٧) الكشاف ١/٣٢٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن ١/١٥٢.

(٩) ينظر: إعراب القرآن ١/٢٧١.

(١٠) ينظر: التبيان ١/١٢٨.

موضع الحجة وليست بحجة (ومثار الخلاف هو: هل الحجة هو الدليل والبرهان الصحيح أو الحجة هو الاحتجاج والخصومة، فإن كان الأول فهو استثناء منقطع، وإن كان الثاني فهو استثناء متصل)[(١)].

وعلى القول بالانقطاع يحتمل أن تكون كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع على الابتداء.

الثالث: وهو قول أبي عبيدة[(٢)] أن "إلا" بمعنى الواو العاطفة، وقد رددناه من قبل[(٣)].

الرابع: أن "إلا" بمعنى بَعْد أي: بعد الذين ظلموا، وهذا أيضًا ضعيف (ولولا أن بعض المفسرين ذكر هذين القولين ماذكرتهما لضعفهما)[(٤)].

---

(١) البحر المحيط ٤٤٢/١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٦٠/١.

(٣) ينظر: ص ٤٠٥ من هذا البحث،وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٦٦/١ـ٢٧٢، مسألة/٣٥، وينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين/لأبي البقاء العكبري/٤٠٣ـ٤٠٥ تحقيق: د/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

(٤) البحر المحيط ٤٤٢/١.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ...﴾[1].

أي: أن نصف الصداق يسقط بالطلاق قبل الدخول. ويثبت نصفه في جميع الأحوال إلا في حالة واحدة، وهي حالة عفو المرأة الرشيدة عن ذلك النصف، فيسقط. فهو ثابت في جميع الأحوال إلا في هذه الحال، وهذا استثناء متصل[2]. (إلا أن سيبويه منع أن تقع أن وصلتها حالاً، فعلى قول سيبويه[3] يكون ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ استثناء منقطعاً[4] في محل نصب أو في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف.

وفسر ابن عطية الانقطاع بقوله: (إن عفوهن ليس من جنس أخذهن)[5]

* * *

---

(١) سورة البقرة/٢٣٧.

(٢) ينظر: التبيان ١/١٩٠.

(٣) ينظر: الكتاب ١/٣٩٠.

(٤) البحر المحيط ٢/٢٣٥.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٢٢٣.

{قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ...}[(١)]

{إِلَّا رَمْزًا} استثناء منقطع، وذلك إذا كان الرمز لايدخل تحت الكلام، لأن الرمز هو الإشارة بعين أو حاجب أو بيد. وغيره. وهذا مااختاره ابن عطية[(٢)] .

أما من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على مافي نفس المشير فلايبعد أن يكون استثناء متصلاً. قال الزمخشري: (لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه مايفهم منه سمي كلاماً)[(٣)] .

وعلى كل فما بعد "إلا" منصوب على الاستثناء. والمستثنى منه مقدر: أي لاتكلم الناس كلاماً إلا رمزاً.

{لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى..}[(٤)] فـ {إِلَّا أَذًى} استثناء متصل من المصدر المحذوف، والتقدير: لن يضروكم ضرراً إلا ضرراً يسيراً[(٥)] .

وذهب الأخفش[(٦)] والنحاس[(٧)] إلى أنه استثناء منقطع في محل نصب والمعنى: لن يضروكم بقتال ولكن بكلمة أذى تسمعونها.

* * *

---

(١) سورة آل عمران/٤١.

(٢) المحرر الوجيز ١٠٨/٣، ١٠٩، وينظر معاني القرآن/للأخفش ٢٠٢/١، والكشاف ٤٢٩/١، والتبيان ٢٥٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٨١/٤، والبحر المحيط ٤٥٢/٢.

(٣) الكشاف ٤٢٩/١، وينظرالبحر المحيط ٤٥٢/٢.

(٤) سورة آل عمران/١١١.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢٦٧/٣، والبحرالمحيط ٣٠/٣.

(٦) معاني القرآن ٢١٣/١.

(٧) إعراب القرآن ٤٠٠/١.

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَاثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ...}(١)

{إِلَّا بِحَبْلٍ} فيه وجهان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع: قاله الأخفش(٢)، والتقدير: لكن اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس ينجيهم من القتل والأسر. وهذه الآية من القسم الثاني من قسمي المنقطع، وهو مالايمكن تسلط العامل عليه، والجار والمجرور متعلق بمحذوف في محل نصب على الاستثناء المنقطع أي: لكن اعتصامهم بحبل(٣).

الثاني: أنه متصل، قال الزمخشري: (هو استثناء من أعم عام الأحوال.والمعنى: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس)(٤).

وردّه ابن الأنباري بقوله: (وليس بصحيح لأنه يوجب أن يكونوا غير أذلاء إذا كانوا أولي ذمة، وليسوا كذلك، بل الذلة عليهم في كل حال حربًا كانوا أوذمة)(٥) فلو كان الاستثناء متصلاً لوجب أن يكون اليهود إذاثقفوا بعهد وذمة ألاتكون الذلة مضروبة عليهم، وذلك خلاف ماوصفهم الله به من صفتهم وخلاف ماهم به من الصفة قال تعالى: {... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ...}(٦).

هذا ويرى المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم"النبأ العظيم"(٧) أن حبل الله قد يراد منه تسليطهم على المسلمين إذا خالفوا دينهم وحبل الناس اعتمادهم على قوة أخرى تساندهم، كما هو حادث الآن

(١) سورة آل عمران/١١٢.

(٢) معاني القرآن ١/٢١٣، وينظر معاني القرآن/للفراء ١/٢٣٠.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣/٣٢.

(٤) الكشاف ١/٤٥٥.

(٥) البيان ١/٢١٥.

(٦) سورة البقرة/٦١.

(٧) ينظر ص٥٢، ٥٣.

لليهود، حينئذ لاتكون الذلة مضروبة عليهم مؤقتًا إلى أن يفيق المسلمون ويعودوا إلى دينهم. وعلى هذا فالاستثناء متصل.

ومن آيات هذا القسم أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ...﴾[1].

فقوله ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾ استثناء متصل[2] من عموم الأحوال أوالأزمنة، كما ذكرنا من قبل.

وذهب النحاس[3] وابن الأنباري[4] إلى أنه استثناء منقطع. وعليه فأن ومافي حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع أو في محل رفع على الابتداء وقد تقدم مثلها.

ورد أبوحيان[5] القول بالانقطاع لأنه لاحاجة له مع إمكان الاتصال، والمعنى سائغ مع الاتصال أي: لاتجسوهن في حال من الأحوال إلا في حال إتيانهن بفاحشة.

* * *

---

(١) سورة النساء/١٩.

(٢) ينظر الكشاف ٥١٤/١، والبحر المحيط ٢٠٣/٣.

(٣) ينظر إعراب القرآن ٤٤٤/١.

(٤) ينظر البيان ٢٤٧/١.

(٥) البحر المحيط ٢٠٣/٣.

{وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا}[1]

{إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} فيه قولان:

الأول: أنه منقطع[2]، يقول أبو البقاء: (الاستثناء منقطع، لأن النهي للمستقبل، وماسلف ماض، فلايكون من جنسه، ومعنى المنقطع أنه لايكون داخلاً في الأول، بل يكون في حكم المستأنف، وتقدر "إلا" فيه بلكن، والتقدير هنا: ولاتتزوجوا من تزوجه آباءكم، لكن ماسلف من ذلك فمعفو عنه، كما تقول: مامررت برجل إلا بامرأة، أي لكن مررت بامرأة[3].

وفي هذه الآية عندما حرم الله عز وجل نكاح من نكحها الآباء تطرق الوهم إلى ماصدر منهم قبل ذلك ماحكمه؟ فقال تعالى: {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} أي لكن ماسلف من ذلك فلا إثم عليه. ومن هذا يتضح أن المستثنى المنقطع مبتدأ والخبر محذوف.

والثاني: قال أبو حيان: (وقيل عن ابن زيد: إن معنى الآية النهي عن أن يطأ الرجل امرأة وطئها أبوه إلا ماقد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بالمرأة فإنه يجوز للابن تزوجها، فعلى هذا يكون {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} استثناء متصلاً، إذ ماقد سلف مندرج تحت قوله {مَا نَكَحَ} إذ المراد ماوطئ آباؤكم، وما وطئ يشمل الموطوءة بزنا وغيره)[4].

وبعضهم[5] فسر "إلا" بمعنى "بعد" أي: بعد ماقد سلف، وبعضهم بالواو، أي: ولاماقد سلف. وقد رددناهما من قبل.

---

(١) سورة النساء/٢٢.

(٢) ينظر جامع البيان ٣١٩/٤، وإعراب القرآن/للنحاس ٤٤٤/١، والمحرر الوجيز ٥٥٠/٣، والبيان ٢٤٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١٠٤/٥، وتفسير أبي السعود ١٦٠/٢.

(٣) التبيان ٣٤٣/١، وينظر البحر المحيط ٢٠٨/٣.

(٤) البحر المحيط ٢٠٨/٣، وينظر الكشاف ٥١٥/١، والمحرر الوجيز ٥٥١/٣، والدر المصون ٦٣٦/٣، ٦٣٧.

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٤/٥.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾[(١)]

وردت كلمة الإحصان في القرآن بأربعة معان: التزوج، والعفة، والإسلام، والحرية، وهذا تنفكُّ معرفته في الاستثناء الواقع بعده.

فإن أُريد به التزوُّجُ كان المعنى: حرمت عليكم المحصنات أي المزوجات إلا السبايا المزوجات من الكفار فلاحرمة لزواجهن فيجوز للمسلمين الاستمتاع بهن بالرغم من زواجهن لأن مجرد سبائها أحلها بعد الاستبراء.

وإن أُريد به العفة أو الإسلام فالمعنى: أن العفيفات أو المسلمات حرام كلهن فلايزنى بهن إلا مامُلِك منهن بتزوجٍ أو مِلْك يمين.

وإن أُريد به الحرائر فالمعنى: كل الحرائر حرام إلا ماملكت أيمانكم بنكاح.

وعلى هذه المعاني الأربعة يكون الاستثناء متصلاً.

أما إذا أُريد بملك اليمين الإماء فيكون الاستثناء منقطعًا: أي كل الحرائر حرام إلا ماملكت أيمانكم بشراء أو هبة[(٢)] و"ما" في محل نصب على الاستثناء المنقطع أو في محل رفع على الابتداء والخبر مقدر.

*　*　*

(١) سورة النساء/٢٤.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/٥، والبحر المحيط ٣/٢١٤.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيها قولان:

الأول: أنه استثناء متصل(٢) من قوله ﴿أَذَاعُواْ بِهِ﴾ أو من قوله ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

الثاني: أنه منقطع، ومعنى الكلام: (ولولا إرسال محمد لكان الناس كلهم كفرة إلا قليلاً، يعني من كان على الطريقة كورقة بن نوفل وغيره)(٣) (وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً إذ ليس هؤلاء مندرجين في الخاطبين)(٤).

وعلى كلا القولين فـ "قليلاً منصوب على الاستثناء.

* * *

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا...﴾(٥)

فإذا أريد بالنفي في قوله ﴿مَاكَانَ﴾ معنى النهي كان الاستثناء منقطعاً واجب النصب(٦) ولايجوز أن يكون متصلاً لأنه يصير المعنى إلا خطأ فله قتله.

أما إذا أريد بالنفي التحريم فيصير متصلاً(٧)، على تقدير: إلا خطأ بأن عرفه كافراً ثم كشفت القرائن أنه كان مؤمناً.

---

(١) سورة النساء/٨٣.

(٢) ينظر معاني القرآن/للزجاج ٢/٨٣، ٨٤، وإعراب القرآن/للنحاس ١/٤٧٥، ٤٧٦، والكشاف ١/٥٤٨، والبيان ١/٢٦٢، والبحر المحيط ٣/٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) فوائد في مشكل القرآن/لعز الدين بن عبد السلام/١١٢، تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي.

(٤) البحر المحيط ٣/٣٠٧.

(٥) سورة النساء/٩٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٢/٩٠، وإعراب القرآن/للنحاس ١/٤٨٠، والبحر المحيط ٣/٣٢٠، ٣٢١.

(٧) ينظر البحر المحيط ٣/٣٢١.

ومما جُعل فيه الاستثناء متصلاً [(١)] من عموم الأحوال أيضًا قوله: {... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ...} [(٢)].

ورد أبو حيان القول بالاتصال لأن المصدر المؤول من أن والفعل لاينصب على الظرفية ولايكون حالاً عند سيبويه [(٣)]، ثم قال: (فعلى هذا الذي قررناه يكون الاستثناء منقطعًا) [(٤)] ومر مثله من قبل.

* * *

{لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [(٥)].

إن أريد بالنجوى معنى المناجاة أي المصدر كان الاستثناء منقطعًا [(٦)] لأن {مَنْ} للأشخاص وليست من جنس التناجي كأنه قيل: لكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير.

وعلى هذا فـ {مَنْ} في محل نصب على الاستثناء المنقطع من نجواهم، أومبتدأ والخبر محذوف.

أما إن أريد بالنجوى معنى المتناجين أو ذوي نجوى أو إلا نجوى من أمر كان الاستثناء متصلاً [(٧)].

* * *

---

(١) ينظر الكشاف ١/٥٥٣، والتبيان ١/٣٨٠.

(٢) سورة النساء/٩٢.

(٣) ينظر الكتاب ١/٣٩٠.

(٤) البحر المحيط ٣/٣٢٣، ٣٢٤، وينظر إعراب القرآن/للنحاس ١/٤٨٠، والبيان ١/٢٦٤، والتبيان ١/٣٨٠.

(٥) سورة النساء/١١٤.

(٦) ينظر معاني القرآن/للفراء ١/٢٨٨، والكشاف ١/٥٦٣، والمحرر الوجيز ٤/٢٢٦، والبيان ١/٢٦٧، والتبيان ١/٣٨٩، والبحر المحيط ٣/٣٤٩، وغيرهم.

(٧) ينظر معاني القرآن/للأخفش ١/٢٤٦، ومعاني القرآن/للفراء ١/٢٨٧، ٢٨٨، والكشاف ١/٥٦٣، والمحرر الوجيز ٤/٢٢٦، والبيان ١/٢٦٧، والتبيان ١/٣٨٩، والبحر المحيط ٣/٣٤٩.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا . إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ...}[١]

{إِلَّا طَرِيقَ} فيه قولان:

الأول: أنه استثناء متصل، وذلك إذا أريد بالطريق الأول العموم، فتكون كلمة {طَرِيقَ} الثانية من جنس ماقبلها، قال أبو البقاء (استثناء من جنس الأول، لأن الأول في معنى العموم، إذ كان في سياق النفي)[٢].

الثاني: أنه منقطع[٣] في محل نصب، وذلك إذا أريد بالطريق شيء مخصوص وهو العمل الصالح الذي يتوصل به إلى الجنة.

والأرجح الاتصال، لأن المراد من الهداية كما هو ظاهر الآية مطلق الهداية.

* * *

{...أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ...}[٤]

أي: أحلت لكم كل الأنعام إلا مايتلى عليكم تحريمه في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...}[٥].

فقوله {إِلَّا مَا يُتْلَى} استثناء من المتقدم وهو ما تلي في قوله تعالى {حُرِّمَتْ....}[٦] فإذا اشتمل المستثنى على الميتة وهي ميتة غير الأنعام وميتة الأنعام، يكون متصلاً من جهة اشتماله على ميتها أي أحلت كل الأنعام إلا ميتها، ومنقطعًا إذا اشتمل على ميتة غير الأنعام.

---

(١) سورة النساء/١٦٨، ١٦٩.

(٢) التبيان ١/٤١١، وينظر الكشاف ١/٥٨٤.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣/٤٠٠، والدر المصون ٤/١٦٣.

(٤) سورة المائدة/١.

(٥) آية/٣.

(٦) ينظر الدر المصون ٤/١٧٨.

وإذا اشتمل الاستثناء على الدم وهو فيه دم الأنعام ودم غيرها يكون متصلاً من جهة اشتماله على دم الأنعام أي أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا دمها، ومنقطعًا من جهة اشتماله على دم غيرها أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا دم غيرها.

واشتمل التحريم على الخنزير وهو ليس من الأنعام.

وعلى الانقطاع يجوز في المستثنى ﴿مَا﴾ وجهان من الإعراب أن يكون في موضع نصب على الاستثناء، أو أن يكون في محل رفع على الابتداء والخبر جملة.

* * *

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا ...﴾[(١)]

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي﴾ في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: متصل، والثاني: منقطع.

ومن ذهب إلى القول بالاتصال اختلفوا في المستثنى منه، فجعله الزمخشري وقتًا فقال: (إلا وقت مشيئة ربي شيئًا يخاف، فحذف الوقت، يعني: لاأخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لاتقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي)[(٢)]. وجعله أبوالبقاء حالاً فقال: (تقديره إلا في حال مشيئة ربي، أي لاأخافها في كل حال إلا في هذه الحال)[(٣)].

وممن ذهب إلى الانقطاع ابن عطية، والقرطبي[(٤)]، وأبوالبقاء[(٥)] في أحد الوجهين، يقول ابن عطية: (استثناء ليس من الأول ولما كانت قوة الكلام أنه

---

(١) سورة الأنعام/٨٠.

(٢) الكشاف ٢/٣٢.

(٣) التبيان ٥١٣/١.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٧.

(٥) ينظر التبيان ٥١٣/١.

لايخاف ضرًا استثنى مشيئة ربه تعالى في أن يريده بضر)[١]، أي: لكن مشيئة ربي أخافها.

وعليه فالمصدر المؤول من أن ومادخلت عليه في محل نصب على الاستثناء المنقطع، أو يكون في محل رفع على الابتداء وخبره محذوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ....﴾[٢]

فعلى وجه اتصاله يكون التقدير: (ماكانوا ليؤمنوا في كل حال إلا في حال مشيئة الله أو في سائر الأزمان إلا زمان مشيئته تعالى[٣].

وعلى وجه انقطاعه[٤] يكون التقدير: لكن إن شاء الله آمنوا، وتقدم إعراب المنقطع واستبعد أبو حيان القول بالانقطاع لظهور الاتصال[٥].

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا...﴾[٦]

وهذه الآية شبيهة بالآية السابقة في إعرابها ومعناها.

ومنه قوله تعالى: ﴿... مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ....﴾[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٢٦٥/٥.

(٢) سورة الأنعام/١١١.

(٣) ينظر التبيان ٥٢٢/١، والبحر المحيط ٢٠٦/٤.

(٤) ينظر إعراب القرآن/للنحاس ٩١/٢، والبيان ٣٣٥/١، والتبيان ٥٢٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٦/٧.

(٥) البحر المحيط ٢٠٦/٤.

(٦) سورة الأعراف/٨٩، ينظر إعراب القرآن/للنحاس ١٣٩/٢، والبيان ٣٦٨/١، والتبيان ٥٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/٧.

(٧) سورة يوسف/٧٦، وينظر معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ١٢٢/٣، وإعراب القرآن/للنحاس ٣٣٩/٢، والكشاف ٣٣٥/٢، والمحرر الوجيز ٣٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/٩، والبحر المحيط ٣٣٢/٥.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

(استثناء من غير الجنس، ويجوز أن يكون من الجنس على وجهين:

أحدهما: أن يكون استثناء من الزمان، والمعنى يدل عليه، لأن الخلود يدل على الأبد، فكأنه قال: خالدين فيها في كل زمان إلا ما شاء الله، أي إلا زمن مشيئة الله.

والثاني: أن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى "من")[(٢)].

* * *

(١) سورة الأنعام/١٢٨.

(٢) التبيان ١/٥٣٨، ٥٣٩. وينظر البيان ١/٣٤٠.

{قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ...}[1].

{إِلَّآ أَن يَكُونَ}

منصوب على الاستثناء، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه متصل، يقول أبو البقاء: {إِلَّآ أَن يَكُونَ} استثناء من الجنس، وموضعه نصب، أي لاأجد محرماً إلا الميتة)[2] ويظهر من كلام الزمخشري أنه قال بالاتصال أيضاً حيث يقول: ({مُحَرَّمًا} أي طعاماً محرماً من المطاعم التي حرمتموها، {إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً} أي: إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة)[3].

الثاني: أنه منقطع، وبه قال مكي[4]، ثم قال أبو حيان: (إلا أن يكون استثناء منقطع لأنه كون وما قبله عين، ويجوز أن يكون نصبه بدلاً على لغة تميم، ونصباً على الاستثناء على لغة الحجاز)[5].

ويترجح الاتصال كما ذهب أبو البقاء، لأن مابعدها من جنس ماقبلها، ويترجح الانقطاع كما ذهب أبوحيان باعتبار الكون، والكون معنى من المعاني والمستثنى منه جثة.

أما من حيث إعرابه فـ "أن" ومابعدها في محل نصب على الاستثناء المنقطع سواء كان على الإبدال على مذهب تميم أو على الاستثناء على مذهب الحجازيين.

* * *

---

(١) سورة الأنعام/١٤٥.

(٢) التبيان ١/٥٤٥.

(٣) الكشاف ٢/٥٧.

(٤) ينظر مشكل إعراب القرآن ١/٢٩٦.

(٥) البحر المحيط ٤/٢٤١.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1]

قال أبو حيان: (ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح مجيء الاستثناء وهو متصل)[2] وقال الزمخشري: (محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلاتطمعوا في ذلك ولاتحدثوا به نفوسكم ولاتفكروا في قتلهم. ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ أي: ولكن الذين عاهدتم منهم فتربصوا أمرهم ولاتقاتلوهم)[3] وإليه أشار الأخفش[4].

فعلى القول بالانقطاع تكون كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع مبتدأ والخبر جملة ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[5].

فأن أريد بالشركاء (الأصنام التي لاتهدي أحداً، ولاتمشي إلا أن تحمل)[6] فالاستثناء منقطع، لأن مابعدها ليس بعضاً مما قبلها.

أما إن أريد بهم (الرؤساء والمضلون الذين لايرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يرشدوا)[7] فالاستثناء متصل.

* * *

---

(١) سورة التوبة/٧.

(٢) البحر المحيط ١٢/٥.

(٣) الكشاف ١٧٦/٢.

(٤) ينظر معاني القرآن ٣٢٨/٢.

(٥) سورة يونس/٣٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٤١/٨، وينظر: البحر المحيط ١٥٦/٥.

(٧) المرجعان السابقان.

{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ . إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}(١)

إن أريد بالإنسان هنا جنس، فالاستثناء متصل(٢) ، وإن أريد به الكافر أوإنسان معين فالاستثناء منقطع(٣) والمستثنى في محل نصب أو(في موضع رفع على الابتداء، و{أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ} خبره)(٤) . قال ابن عطية: (هذا الاستثناء متصل لأن الإنسان عام يراد به الجنس. ومن قال إنه مخصص بالكافر قال هاهنا: إن الاستثناء منقطع، وهو قول ضعيف من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فجيد، لأن صفة الكفر لاتطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة إنسان)(٥) .

* * *

{وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ...}(٦)

قال العكبري ({مَن} فاعل {يُؤْمِنَ} وهو استثناء من غير الجنس)(٧) ، أما إن أريد بمن آمن: من استمر على الإيمان كان الاستثناء متصلاً(٨) .

وربما حمل العكبري الكلام على الانقطاع لاختلاف الزمان بين ماقبل "إلا" ومابعدها، إذ إن ماقبلها يدل على الاستقبال، ومابعدها يدل على المضي كما في قوله تعالى: {وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}(٩) .

(١) سورة هود/٩، ١٠، ١١.

(٢) ينظر معاني القرآن/للفراء ٢/٤، ٥، والكشاف ٢/٢٦٠، والتبيان ٢/٦٩١، والجامع لأحكام القرآن ٩/١١، والبحر المحيط ٥/٢٠٦.

(٣) ينظر معاني القرآن/للأخفش ٢/٣٥٠، وإعراب القرآن/للنحاس ٢/٢٧٤، والبيان ٢/٩، والتبيان ٢/٦٩١، والبحر المحيط ٥/٢٠٦.

(٤) التبيان ٢/٦٩١.

(٥) المحرر الوجيز ٧/٢٤٨.

(٦) سورة هود/٣٦.

(٧) التبيان ٢/٦٩٧ «بتصرف»، وينظر البيان ٢/١٢.

(٨) ينظر الكشاف ٢/٢٦٨.

(٩) سورة النساء/٢٣.

{... قَالَ لَاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ..}[١]

{إِلَّا مَن رَّحِمَ} في هذا الاستثناء وجهان:

الأول: أن يكون منقطعًا، وذلك أن تجعل {عَاصِمَ} على حقيقته، و {مَن رَّحِمَ} هو المعصوم. أي: لاعاصم اليوم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو معصوم. وبالانقطاع قال سيبويه[٢] والمبرد[٣]، وإليه أشار الفراء[٤]، وعليه فتكون "من" في محل نصب ولايجوز فيه الاتباع على لغة تميم لأنه لايمكن تسليط العامل فيه على مابعد "إلا" إذ لايمكن فيه تقدير حذف الاسم الأول وإيقاع المستثنى موقعه فلايقال: لا اليوم من أمر الله إلا من رحم. ويجوز أن تحمل {مَن} على الابتداء، وخبرها جملة مقدرة.

الثاني: أن يكون متصلاً[٥] على هذه التقديرات:

١ ـ المراد بمن رحم: الله تعالى، أي الراحم.

٢ ـ على حذف مضاف، أي إلا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة.

٣ ـ عاصم بمعنى معصوم، أوذي عصمة صيغة نسب.

وقال تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَايُرِيدُ}[٦]

فـ {إِلَّا مَاشَاءَ} فيها عدة أقوال نشير إلى اثنين منها:

---

(١) سورة هود/٤٣.

(٢) ينظر الكتاب ٣٢٥/٢.

(٣) ينظر المقتضب ٤١٢/٤.

(٤) ينظر معاني القرآن/للفراء ١٥/٢، وينظر معاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٥٤/٣، وإعراب القرآن/للنحاس ٢٨٥/٢، والبيان ١٥/٢، والكشاف ٢٧١/٢، والتبيان ٧٠٠/٢ وغيرهم.

(٥) ينظر معاني القرآن/للأخفش ٣٥٣/٢، ومعاني القرآن/للفراء ١٥/٢، ١٦، ومعاني القرآن وإعرابه/للزجاج ٥٤/٣، ٥٥، والكشاف ٢٧٠/٢، ٢٧١، والبيان ١٦/٢، والتبيان ٧٠٠/٢.

(٦) سورة هود/١٠٧.

الأول: أنه استثناء منقطع[(١)]، و{مَا} في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع على الابتداء والخبر مقدر أي: لكن ماشاء ربك كائن، و "إلا" فيه بمعنى "لكن" عند البصريين، و"سوى" عند الكوفيين، كما ذكرنا من قبل.

ونظَّره الفراء بقولك: (لي عَليكَ ألف إلاَّ الألفين اللذين من قِبَل فلان، فكأنه قال: سوى الألفين. وفي هذه الآية كأنه قال: خالدين فيها مادامت السموات والأرض سوى ماشاء الله زائد على ذلك)[(٢)].

والثاني: أنه متصل، على معنى: أن الأشقياء من الكفار والمؤمنين في النار والخارج منهم منها الموحدون[(٣)].

* * *

---

(١) ينظر إعراب القرآن/للنحاس ٣٠٣/٢، ومشكل إعراب القرآن ٤١٤/١، والبيان ٢٨/٢، والتبيان ٧١٤/٢.

(٢) معاني القرآن ٢٨/٢ "بتصرف"

(٣) ينظر التبيان ٧١٤/٢، والبحر المحيط ٢٦٢/٥ـ٢٦٤، والدر المصون ٣٩١/٦ ـ ٣٩٤.

{... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوَءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ....}[١]

في قوله {إِلَّا مَا ....} عدة أوجه:

أحدها: أنه مستثنى من الضمير المستكن في {أَمَّارَةٌ} لأنه أراد بالنفس الجنس فكأنه قيل: إن النفس لأمارة بالسوء إلا نفساً رحمها ربي[٢]، وإلى هذا نحا الزمخشري حيث قال (إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة)[٣].

الثاني: أنه مستثنى من مفعول {أَمَّارَةٌ} أي: (لأمارة صاحبها بالسوء إلا الذي رحمه ربي)[٤].

الثالث: أن {مَا} في معنى الزمان فيكون مستثنى من الزمن العام المقدر، والمعنى: إن النفس لأمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت رحمة ربي إياها بالعصمة. ونظَّره أبو البقاء[٥] بقوله تعالى: {وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟}[٦] وعلى الأوجه الثلاثة الاستثناء متصل.

الرابع: أنه استثناء منقطع. قال الزمخشري[٧]: (ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً: أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة كقوله تعالى {وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا...}[٨].

* * *

(١) سورة يوسف/٥٣.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/٨، والتبيان ٧٣٥/٢.

(٣) الكشاف ٣٢٧/٢، وينظر المحرر الوجيز ٢/٨.

(٤) البحر المحيط ٣١٨/٥«بتصرف».

(٥) ينظر: التبيان ٧٣٥/٢، وينظر المحرر الوجيز ٢/٨.

(٦) سورة النساء/٩٢.

(٧) الكشاف ٣٢٧/٢، وينظر معاني القرآن ٤٨/٢، والمحرر الوجيز ٢/٨.

(٨) سورة يس/٤٣،٤٤.

{... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم...}[1]

{إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ} فيه وجهان:

الأول: أن وصلتها في محل نصب على الاستثناء المنقطع وهو الظاهر: (لأن دعاءه إياهم إلى الضلالة ليس من جنس السلطان، وهو الحجة البينة)[2] وبالانقطاع قال الأخفش[3] والنحاس[4] وغيرهم.

الثاني: أنه متصل (لأن القدرة على حمل الإنسان على الشيء تارة تكون بالقهر من الحامل، وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بإلقاء الوسواس إليه، فهذا نوع من أنواع التسليط)[5].

* * *

{وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ}[6]

{إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ} فيه قولان:

الأول: وهو الظاهر، أنه استثناء متصل، والمعنى: أنا حفظنا السماء من الشياطين إلا من استرق السمع فإنا لم نحفظها منه.[7]

والثاني: أنه منقطع، والتقدير: لكن من استرق السمع.[8]

(١) سورة إبراهيم/٢٢.

(٢) البحر المحيط ٥/٤١٨.

(٣) ينظر معاني القرآن ٢/٣٧٥.

(٤) ينظر إعراب القرآن ٢/٣٦٨، وجامع البيان ١٣/٢٠٠، والكشاف ٢/٣٧٤، والمحرر الوجيز ٨/٢٢٧، والبيان ٢/٥٧، والتبيان ٢/٧٦٧.

(٥) البحر المحيط ٥/٤١٩.

(٦) سورة الحجر/١٧، ١٨.

(٧) ينظر: التبيان ٢/٧٧٨، والمحرر الوجيز ٨/٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٠، والبحر المحيط ٥/٤٤٩، ٤٥٠.

(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢/٣٧٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/١٧٦، والمحرر الوجيز ٨/٢٩٢،، والبحر المحيط ٥/٤٥٠.

و{مَن} تكون في محل نصب، أو (في محل رفع على الابتداء، و{فَأَتْبَعَهُ} الخبر وجاز دخول الفاء فيه من أجل أن {مَن} بمعنى الذي أو شرط)[(١)] قاله أبوالبقاء.

غير أن هذا الرأي ليس له سند قوي في القاعدة المشهورة للحاق الفاء في جواب الشرط أو خبر الموصول حيث ما بعد الفاء فعل ماض غير جامد ولامفصول بقد أوتنفيس أونفي.

* * *

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}[(٢)]

إن أريد بقوله {عِبَادِي} عموم الخلق كان الاستثناء متصلاً، وإن أريد بهم المخلصون كان الاستثناء منقطعاً[(٣)] في محل نصب أو مابعد "إلا" مبتدأ والخبر مقدر، أي: لكن من اتبعك من الغاوين لم يندرجوا في المخلصين.

* * *

{قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ}[(٤)]

{إِلَّا آلَ لُوطٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنه استثناء متصل من الضمير في {مُجْرِمِينَ} كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فإنهم لم يجرموا، ويكون قوله {إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ} استئناف إخبار عن نجاتهم لكونهم لم يجرموا، ويكون حكم الإرسال حينئذ شاملاً للمجرمين ولآل لوط لإهلاك هؤلاء، ولإنجاء هؤلاء[(٥)].

---

(١) التبيان ٧٧٨/٢.

(٢) سورة الحجر/٤٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣١٥/٨، والتبيان ٧٨٢/٢، والبحر المحيط ٤٥٤/٥.

(٤) سورة الحجر/ ٥٨، ٥٩.

(٥) ينظرمعاني القرآن للأخفش ٣٨٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨١/٣، والكشاف ٣٩٣/٢، والبحر المحيط ٤٦٠/٥. وتفسير أبي السعود ٨٢/٥.

الثاني: أنه منقطع ويكون معنى الإرسال خاصًا بالعذاب قال أبو حيان: (وهو الظاهر، لأن آل لوط لم يندرجوا في قوله ﴿قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾.....وإذا كان استثناء منقطعًا فهو مما يجب فيه النصب لأنه من الاستثناء الذي لايمكن توجيه العامل على المستثنى فيه، لأنهم لم يرسلوا إليهم أصلاً، وإنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ليهلكوهم، ويكون قوله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ جرى مجرى خبر "لكن" في اتصاله بآل لوط لأن المعنى: لكن آل لوط منجون)(١) وإليه أشار الزمخشري(٢) أيضًا، وهو الراجح عندي، أما قولهم بأن ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ جار مجرى خبر "لكن" فهو تقدير معنى لاتقدير إعراب.

* * *

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾(٣)

الظاهر أن قوله ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ استثناء منقطع في محل نصب، لأن الله لم يندرج في قوله ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ والمعنى: ضلت آلهتهم التي يعبدونها عن إغاثتهم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه.

وقيل: إنه استثناء متصل على معنى أنهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم ففي حالة الضراء يلجأون إلى الله وحده ويتركون آلهتهم(٤).

والأرجح عندي الانقطاع لأنهم وإن كانوا يدعون الله في ضرائهم فهي عبادة مؤقتة، ولايستحق تسميتها بكلمة "عبادة" لأن العبادة تعني التذلل والخضوع والانقياد، وهم وإن تذللوا في حالة مؤقتة، تجبروا وتكبروا في حالات أخر، والعبادة لله بمعناها الحقيقي تكون على الدوام.

* * *

---

(١) البحر المحيط ٥/٤٦٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٢٩٣، وينظر البيان ٢/٧١، والتبيان ٢/٧٨٥.

(٣) سورة الإسراء/٦٧.

(٤) ينظر البحر المحيط ٦/٦٠، والكشاف ٢/٤٥٧.

{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...}[١]

{إِلَّا اللَّهَ} الاستثناء متصل إن كانوا يعبدون الله مع آلهتهم أي: إذ اعتزلتم جميع مايعبدون من الآلهة إلا الله.

ومنقطع إن كانوا لايعبدون الله ولايعرفونه لعدم اندراجه في معبوداتهم[٢]، وقدرها البصريون بـ "لكن"ومابعدها منصوب على الاستثناء المنقطع والكوفيون بـ "سوى"[٣].

* * *

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا . وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا . لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا}[٤]

إذا عاد الضمير في قوله {لَّا يَمْلِكُونَ} على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين فيكون الاستثناء متصلاً.

وإذا عاد الضمير على المجرمين فيكون الاستثناء منقطعًا أي أن هؤلاء المجرمين لايملكون الشفاعة لكن المسلمين يملكونها، وهذا استثناء من غير الجنس[٥]، وعليه فتكون {مَنِ} في محل نصب على الاستثناء المنقطع،[٦] ويمكن أن تكون في محل رفع على الابتداء وخبره جملة مقدرة.

* * *

---

(١) سورة الكهف /١٦.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١٣٦/٢، والكشاف ٤٧٥/٢.

(٣) جامع البيان ٢٠٩/١٥.

(٤) سورة مريم/ ٨٥، ٨٦، ٨٧.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٧/٣،، والكشاف ٥٢٤/٢، ٥٢٥، والتبيان ٨٨٢/٢،، والجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١١، والبحر المحيط ٢١٧/٦، وتفسير أبي السعود ٢٨٢/٥.

(٦) البيان ١٣٧/٢، والتبيان ٨٨٢/٢.

{قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}(١)

حمل الفراء(٢) والزمخشري(٣) وغيرهما قوله {إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} على الاستثناء المنقطع، على أن يكون المراد من قوله {مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ} الأصنام وحدها والتقدير: لكن رب العالمين فإني أعبده، و{رَبَّ} منصوب على الاستثناء المنقطع.

وقدر بعضهم الانقطاع بـ "دون، وسوى".(٤)

وأجاز الزجاج(أن يكون الاستثناء متصلاً على أنهم كانوايعبدون الله مع أصنامهم فاعلمهم سيدنا إبراهيم أنه تبرأ مما يعبدون إلا الله).(٥)

والأرجح عندي القول بالانقطاع لأن المراد من قوله { تَعْبُدُونَ} الأصنام وحدها، ويعضده قوله{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي}.

*   *   *

{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}(٦)

{إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ} فيه ثلاثة أقوال:

أولها: أنه استثناء منقطع(٧)، لأنه من غير جنس ماقبله، وهو المال والبنون، والتقدير: لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك.

و{مَنْ} يحتمل أن تكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وأن تكون في محل رفع على الابتداء، وخبره جملة محذوفة.

---

(١) سورة الشعراء /٧٥، ٧٦، ٧٧.

(٢) ينظر معاني القرآن ٢/٢٨١.

(٣) ينظر الكشاف ٣/١١٧، والبيان ٢/٢١٥، والتبيان ٢/٩٩٧، والبحر المحيط ٧/٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١١٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٩٣«بتصرف».

(٦) سورة الشعراء ٨٨، ٨٩.

(٧) البحر المحيط ٧/٢٦، وينظر الكشاف ٣/١١٨، والتبيان ٢/٩٩٧.

ثانيها: أنه متصل[١]، وذلك إذا قدرنا المستثنى منه محذوفًا تقديره: أحدًا، أي: لاينفع مال ولابنون أحدًا إلا من أتى، أوإذا جعلنا ﴿مَنْ﴾ بدلاً من فاعل ﴿يَنفَعُ﴾ والتقدير: إلا مال من أو بنو من.

ثالثها: أنه مفرغ[٢]، و﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يَنفَعُ﴾، أي: لاينفع مال ولابنون أحدًا إلا من أتى.

والآراء الثلاثة متساوية في الترجيح من حيث المعنى على كل رأي منها سليم، وفي كل رأي تقدير، في الأول تقدير الحذف، وفي الثاني والثالث تقدير المستثنى منه.

* * *

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ....﴾[٣]

﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ إما أن يكون منقطعًا على معنى : ولكن الله رحمك بذلك، وهو ماذهب إليه الفراء[٤] وغيره، فيكون قوله ﴿رَحْمَةً﴾ منصوبًا على الاستثناء المنقطع.

وإما أن يكون متصلاً[٥] من عموم الأحوال، أو من عموم العلل، فيكون المعنى: ماألقي الكتاب إليك لأجل شيء من الأشياء إلا لأجل الترحم أو في حال من الأحوال إلا في حال الترحم.

وهذا ماقيل أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ. إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا...﴾[٦].

---

(١) ينظر الكشاف ١١٨/٣، والتبيان ٩٩٨/٢.

(٢) ينظر الكشاف ١١٨/٣، والبحر المحيط ٢٧/٧.

(٣) سورة القصص/٨٦.

(٤) معاني القرآن ٣١٣/٢، وينظر معاني القرآن للأخفش ٤٣٥/٢، والكشاف ١٩٤/٣، والتبيان ١٠٢٨/٢، والبحر المحيط ١٣٧/٧.

(٥) ينظر: الكشاف ١٩٤/٣، والتبيان ١٠٢٨/٢، والبحر المحيط.١٣٧/٧.

(٦) سورة يس/٤٣، ٤٤، وينظر: الكتاب٣٢٢/٢، ومعاني القرآن/للفراء٤٨/٢، ٣٧٩/٢، والبيان٢٩٧/٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٥.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾(١)

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ﴾ استثناء من ﴿النِّسَاءُ﴾ متصل لتناوله الحرائر والإماء، ومنقطع بناء على العرف لاختصاصه فيه بالحرائر.

ف"ما" في قوله ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ﴾ إن كانت موصولة فهي واقعة على الجنس، والاستثناء متصل، مختار فيه الرفع على البدل من النساء، وأن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء، وإن كانت مصدرية كان المصدر المؤول بمعنى اسم المفعول، أي مملوك. فيكون الاستثناء متصلاً أيضًا.

ويجوز أن تكون﴿مَا﴾ مصدرية في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وفي إعرابها قولان:

إما أن تكون في محل رفع على لغة بني تميم لأنه مستثنى يمكن توجه العامل عليه. وإما أن تكون في محل نصب على لغة أهل الحجاز(٢).

* * *

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

إن رجع الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾و﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ للمؤمنين ولأهل سبأ معًا فالاستثناء متصل.

وإن رجع الضمير إلى الكفار كان الاستثناء منقطعًا.(٤) وعلى القولين فما بعد "إلا" منصوب على الاستثناء.

* * *

---

(١) سورة الأحزاب/٥٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط" ٧/٢٤٥، وينظر: الكشاف ٣/٢٧٠، والبيان٢/٢٧٢، والتبيان ٢/١٠٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٤/٢٢٣.

(٤) سورة سبأ/٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١٤/٢٩٣، والفتوحات الإلهية٣/٤٧٠.

{لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[1]

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ} الاستثناء متصل من {لَّا يَسَّمَّعُونَ} وعليه أكثر المفسرين[2]، وأجاز السمين[3] أن تكون "من" شرطية جوابها {فَأَتْبَعَهُ} أو موصولة مبتدأ خبرها {فَأَتْبَعَهُ} والمستثنى جملة وقد سبق توجيه هذا الإعراب، ولهذا قال الصبان في حاشيته (ومتى كان مابعد"إلا" جملة فـ"إلا" بمعنى "لكن" ولو كان الاستثناء متصلاً)[4] وقد أشرنا إليه من قبل.

* * *

{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}[5]

فـ{إِلَّا مَوْتَتَنَا} يمكن أن يكون منقطعًا[6]، أي: لكن موتتنا الأولى كانت لنا في الدنيا، ويمكن أن يكون مصدراً أي: مانحن نموت إلا موتتنا الأولى[7].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا...}[8]

فـ{وَحْيًا} إما أن يكون مصدراً[9] في موضع الحال إذا كان الاستثناء مفرغًا أو مفعولاً مطلقًا[10]. أما إذا كان الاستثناء منقطعًا فـ{وَحْيًا} يكون منصوبًا على

---

(١) سورة الصافات/٨، ٩، ١٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٣٣٦، والتبيان ٢/١٠٨٨، والبحر المحيط ٧/٣٥٣ وغيره.

(٣) ينظر: الفتوحات الإلهية ٣/٥٣٠.

(٤) حاشية الصبان ٢/١٤٢.

(٥) سورة الصافات ٥٨/٥٩.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/٨٤.

(٧) ينظر: البيان ٢/٣٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٨٤.

(٨) سورة الشورى/٥١.

(٩) ينظر: البيان ٢/٣٥١، وينظر: مغني اللبيب ٢/٦١٨.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/٩٢.

الاستثناء المنقطع، ويحمل على الانقطاع لأن الوحي ليس من جنس التكليم، وهو ما ذهب إليه العكبري [١].

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [٢]

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ استثناء منقطع ـ وهو الظاهر ـ لأنهم كانوا لايعبدون الله مع أصنامهم والتقدير: لكن الذي فطرني. والاسم الموصول بعد "إلا" يحتمل أن يكون في محل نصب على الاستثناء، وأن يكون في محل رفع على الابتداء والخبر جملة ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ ويجوز أن يكون متصلاً إذا كانوا يعبدون الله مع آلهتهم [٣].

* * *

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [٤]

إن كان المراد بقوله ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾ الأخلاء على المعصية في الدنيا تكون ﴿إِلَّا﴾ منقطعة لأن مابعدها ليس من جنس ما قبلها. أما إن كان المراد بالأخلاء مطلقًا وهم المتحابون فتكون "إلا" متصلة [٥] وعلى كل فما بعد"إلا" منصوب على الاستثناء.

* * *

---

(١) ينظر: التبيان ٢/١١٣٥.

(٢) سورة الزخرف/ ٢٦، ٢٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٤٠٩. وإعراب القرآن للنحاس ٤/١٠٥، والكشاف ٣/٤٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٧٦، والبحر المحيط ٨/١١.

(٤) سورة الزخرف/٦٧.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٨/٥٤.

{وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(١)

إذا أريد بقوله {الَّذِينَ يَدْعُونَ} الأصنام وحدها، تكون {إِلَّا} منقطعة بمعنى "لكن" لأن مابعدها ليس من جنس ما قبلها والتقدير: لاتملك آلهتهم ـ التي يعبدونها ـ الشفاعة لكن من شهد بالحق وهو توحيد الله يملك الشفاعة. فـ {مَن} في محل نصب على الاستثناء المنقطع، ويمكن أن تكون في محل رفع على الابتداء والخبر جملة محذوفة.

وإذا أريد بـ {الَّذِينَ يَدْعُونَ} ما عبد من دون الله وهم الملائكة وعيسى وعزير والأصنام، فتكون "إلا" متصلة.

وإليهما أشار الزمخشري(٢) والقرطبي(٣) وأبو حيان(٤) وأبو السعود(٥).

* * *

{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}(٦)

{إِلَّا مَن رَّحِمَ} يكون استثناء متصلاً إن أراد بـ {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} جميع الناس أي: لايمتنع أحد من العذاب إلا من رحمه الله تعالى بالعفو عند قبول الشفاعة فيه،(٧) ويكون منقطعًا إن أراد بذلك الكفار والمعنى: "لكن من رحمه الله فإنه لايحتاج إلى قريب ينفعه ولا إلى ناصر ينصره"(٨) قاله الكسائي.

---

(١) سورة الزخرف / ٨٦.

(٢) ينظر: الكشاف ٤٩٨/٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢٢/١٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٩/٨، ٣٠.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٥٧/٨.

(٦) سورة الدخان/ ٤١، ٤٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن للأخفش٤٧٥/٢، ومعاني القرآن للفراء ٤٢/٣، والكشاف ٥٠٦/٣، والتبيان ١١٤٧/٢، ١١٤٨، والجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١٦ وغيرهم.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ٤٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١٦.

وعلى هذا يجوز فيما بعد"إلا" إعرابان: إما أن تكون في محل رفع على التبعية للمستثنى منه و"الواو" على لغة تميم، أو في محل رفع مبتدأ[١]، والخبر جملة محذوفة، أوفي محل نصب[٢] على الاستثناء المنقطع.

والأظهر عندي الاتصال.

* * *

{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ...}[٣]

اختلف في معنى قوله {اللَّمَمَ} فإذا أريد بها الذنوب الصغيرة كان الاستثناء منقطعاً[٤] منصوباً لأنها من غير الجنس وهو ما عليه الأكثرون.

أما إذا أريد بها الذنوب الكبيرة من سرقة وخمر وزنى حين يرتكبها المرء بجهالة ثم لايعاودها كان الاستثناء متصلاً[٥] لأنه من جنس ماقبله.

* * *

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ}[٦]

{إِلَّا آلَ لُوطٍ} فيه وجهان:

الأول: أنه استثناء منقطع، (لأن الحاصب لم يرسل على آل لوط)[٧] قاله العكبري وهذا كقولك: قام بنوك إلا ابن زيد، فابن زيد وإن كان من جنس القوم إلا أنه خارج عنهم. ولهذا يقال عن الاستثناء المنقطع هومالم يكن المستثنى فيه بعضاً مما قبله لأنه قد يشاركه في الجنسية ـ كما في المثال ـ إلا أنه خارج عنه

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢/٤٧٥، والبيان ٢/٣٦١.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/٤٢، والبيان ٢/٣٦١.

(٣) سورة النجم/٣٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧٥، والكشاف ٤/٣٢، والبيان ٢/٣٩٩، والتبيان ٢/١١٨٩، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٠٦، والبحر المحيط ٨/١٦٤.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٧/٦٧، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٠٧، ١٠٨.

(٦) سورة القمر /٣٣، ٣٤.

(٧) التبيان ٢/١١٩٥.

ومابعد "إلا" منصوب على الاستثناء إن جعلنا الكلام جملة واحدة، أوعلى الاشتغال إن جعلنا مابعد "إلا" مستقلاً.

الثاني: أنه متصل[(١)] لأن الجميع أرسل عليهم الحاصب فهلكوا إلا آل لوط.

وإلى هذا أشار العكبري، وعلى هذا الوجه يكون ما بعد "إلا" منصوباً على الاستثناء فقط.

وقال تعالى: {...وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَاكَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا...}[(٢)]

فـ {إِلَّا ابْتِغَاءَ} استثناء متصل[(٣)] على أن تكون كلمة {ابْتِغَاءَ} بدلاً من الضمير المنصوب في {كَتَبْنَاهَا}، أو منقطع[(٤)] على معنى: ماكتبناها عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله.

* * *

(١) التبيان ١١٩٥/٢.

(٢) سورة الحديد /٢٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٠/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٨/٤. والبيان ٤٢٥/٢، والبحر المحيط ٢٢٨/٨.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦٨/٤، والكشاف ٦٧/٤، والبيان ٤٢٥/٢، والبحر المحيط ٢٢٨/٨.

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ..}[١]

{إِلَّا قَوْلَ} فيه وجهان:

أحدهما: أنه استثناء متصل، ثم اختلف في المستثنى منه:-

فقيل: إما أن يكون مستثنى من التبري والقطيعة[٢]، وإما أن يكون من قوله {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} لأن معنى الأسوة الاقتداء بالشخص في أقواله وأفعاله[٣].

وإما أن يكون مستثنى من مضاف لإبراهيم تقديره: أسوة حسنة في مقالات إبراهيم ومحاوراته لقومه إلا قول إبراهيم[٤].

الثاني: أنه منقطع، وبه قال الأخفش[٥] والعكبري[٦] والتقدير: لكن قول إبراهم لأبيه لأستغفرن لك فلا تتأسوا به، فتستغفروا لآبائكم وتعدوهم بذلك؛ وما بعد "إلا" منصوب على الاستثناء .

* * *

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ}[٧]

{إِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ} (قال ابن عباس: هم الملائكة، وقال علي بن أبي طالب: هم أطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون الاستثناء منقطعًا أي: لكن أصحاب اليمين في جنات وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لأنهم أدوا ما كان عليهم. فالاستثناء متصل)[٨].

(١) سورة الممتحنة /٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٤٩/٣، والبحر المحيط ٢٥٤/٨.

(٣) ينظر: الكشاف ٩٠/٤، والبيان ٤٣٣/٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٥٤/٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن ٤٩٩/٢.

(٦) ينظر: التبيان ١٢١٨/٢.

(٧) سورة المدثر /٣٨، ٣٩.

(٨) البحر المحيط ٣٧٩/٨، وينظر: الكشاف ١٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١٩، ٨٧.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[(١)]

قال أبو حيان: (الموصوف المحذوف بعد ﴿إِلَّا﴾ بدل من اسم ﴿لَّيْسَ﴾ أي: ليس لهم طعام إلا كائن من ضريع)[(٢)] وعليه فالاستثناء متصل.

وقال الزمخشري: (أو أريد أن لاطعام لهم أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس لأن الطعام ماأشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس، تريد نفي الظل على التوكيد)[(٣)] فقال أبو حيان: (وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا إذ لم يندرج الكائن من الضريع تحت لفظة طعام إذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه)[(٤)].

* * *

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[(٥)]

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ فيه وجهان:

الأول: أن يكون منقطعًا وذلك إذا فسر قوله ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ بمعنى الهرم والضعف أي: لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع[(٦)].

وإن كان المؤمنون والكفرة يتساوون في الهرم إلا أنهم يختلفون في نتيجة

---

(١) سورة الغاشية /٦.

(٢) البحر المحيط ٤٦٣/٨، وينظر: التبيان ١٢٨٤/٢.

(٣) الكشاف ٢٤٦/٤.

(٤) البحر المحيط ٤٦٣/٨.

(٥) سورة التين /٤، ٥، ٦.

(٦) ينظر: الكشاف ٢٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١١٥/٢٠، والبحر المحيط ٤٩٠/٨.

أعمالهم ولهذا جاء الاستدراك.

ويتضح من هذا أن قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ يجوز فيه وجهان: من الإعراب: إما أن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع، وإما أن يكون في محل رفع على الابتداء والخبر جملة ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾.

الثاني: أن يكون متصلاً، إذا فسر قوله ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ بالنار. فالكفرة يردون إلى النار أما المؤمنون فلهم أجر من ربهم عظيم[(١)].

ومن خلال هذه المناقشات وجدنا أن الأساس في اختلاف النحاة هو تفسيرهم لمعنى الآية، ومن ثم اختلافهم في تعيين المستثنى منه أوتقديره.

* * *

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٧٧/٣، والكشاف ٢٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١١٥/٢٠، والبحر المحيط ٤٩٠/٨.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الكائنات وبعد..

فقد انتهى بي المطاف إلى هذا الحدّ الذي اقتضاه المنهج وارتضاه البحث وتمّت له الصورة التي رجوت.

كان موضوع بحثي «أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم» سلكت فيه مسلكًا منهجيًا اقتضى أن يكون في بابين يسبقهما تمهيد ويتلوهما خاتمة بها نتائج البحث وهي كالتالي:

التمهيد:

أهم النتائج التي توصلت إليها فيه ما يلي:

١ ـ تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للإضراب والاستدراك عند النحاة ومحاولة الفصل بينهما.

٢ ـ خروج «بل» عن معنى الإضراب إلى الاستدراك في الاستعمال، وذلك إذا أمكن الجمع بين ماقبلها ومابعدها.

٣ ـ تحديد مفهوم الإضراب الاصطلاحي عند الرضي وابن مالك وترجيحي لما ذهب إليه ابن مالك مسايرة للعلماء في ذلك وإن كان رأي الرضي هو الأنسب.

٤ ـ وجود «بل» الإبطالية في القرآن خلافًا لماقاله ابن الحاجب وابن مالك على أن تكون إبطالاً لكلام الكفرة ولمزاعمهم، ووجود «أم» المنقطعة في القرآن أيضًا بخلاف ماقاله السهيلي وابن القيم.

الباب الأول:

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الباب مايلي:

١ ـ تحديد الإضراب بنوعيه الإبطالي والانتقالي يتوقف على وجهة نظر النحاة والمفسرين التي تعود إلى ملاحظة بعض القرائن أوالمقامات.

٢ ـ من معاني «بل» البداء ويفيد إما الإبطال وإما الانتقال، والبداء بنوعيه هذين لايكونان في كلام الله عزّوجلّ لأن الله يقصد كل مايقوله فلم يبدُ له شيء حتى ينتقل منه إلى غيره اللهم إلا إذا كان حكاية عن كلام الكافرين حيث كان يبدو لهم وصف الرسول بالشعر ثمّ يبدو لهم وصفه بالسحر.

٣ ـ الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل لينصرف وماكتب له إلا عشر صلاتها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها. نصفها) وليس كما روي في شروح جمل الزجاجي لابن عصفور.

٤ ـ نسب ابن مالك وغيره إلى المبرد أنه جوّز نقل حكم النفي والنهي لما بعد «بل» مع أنه قد وافق النحاة على عدم جواز نصب ماعطف على خبر «ما» بـ «بل» و«لكن» ولم أجد مانسب إليه في كتابيه "المقتضب" و "الكامل" وقد يكون منقولاً من مصدرآخر غير هذين الكتابين والراجح عندي ماذهب إليه جمهور النحاة وهو عدم نقل حكم النفي والنهي لمابعد بل لأني لم أعثر على نص يؤيد مانقل عن المبرد.

٥ ـ تأتي «بل» بعد الإيجاب كما تأتي بعد النفي عند الكوفيين وليس كما نقل عنهم بعض النحاة وهو عدم مجيئها بعد الإيجاب وربما قيل ذلك عنهم لأن من قال بالمنع بعض الكوفيين فنسب القول إلى الكوفيين أجمعين.

٦ ـ إذا وقعت بل» بين جملتين كانت عاطفة إذا وجدت روابط معنوية بينهما أما إذا لم توجد تلك الصلات كانت استئنافية ابتدائية، وهذا ماذهب إليه المالقي وهو الراجح عندي.

٧ ـ تجيء «لا» قبل «بل» فإذا كان ماقبلها إيجابًا أوأمرًا نفته وإذا كان نفيًا أونهيًا أكدته على ماذهب إليه الجزولي والرضي، أما ابن مالك ومن تبعه فعدوها زائدة لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب ولتوكيد تقرير ماقبلها بعد النفي، والراجح الأول.

٨ ـ لـ «أم» المنقطعة عدة معانٍ وهي:

إما أن تكون بمعنى بل والهمزة، وإما أن تكون بمعنى «بل» وحدها إذا لم يحتج المقام إلى الاستفهام أو وليها استفهام وهذا ماقاله ابن مالك والرضي وغيرهما وهو الراجح.

٩ ـ تأتي «أم المنقطعة» بعد الخبر المحض، كما تأتي بعد استفهام بغير الهمزة، وبعد همزة الاستفهام الحقيقي ولم يذكر ابن هشام هذا الموضع، وتأتي أيضًا بعد همزة لغير استفهام حقيقي كأن تكون لاستفهام إنكاري ولم يذكر أبو حيان وقوعها بعد الهمزة فالمنقطعة تأتي بعد جميع أدوات الاستفهام، أما المتصلة فلاتأتي إلا بعد الهمزة لذا حمل الرضي مجيء المتصلة بعد «هل» على الشذوذ إلا أن ابن مالك استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر وعدّه شاهدًا على مجيء المتصلة بعد هل. وحين رجعت إلى صحيح البخاري وجدت أن للحديث عدة روايات بالهمزة وبهل وبدونهما.

١٠ ـ «أم» المنقطعة حرف ابتداء وهذا ماعليه الجمهور، وإذا وقع بعدها مفرد قدر له مايجعله جملة خلافًا لما نقل عن ابن مالك أنه قال بعطفها للمفرد قليلاً.

١١ ـ أجاز الكوفيون أن تأتي «أو» بمعنى «بل» للدلالة على الإضراب، بينما رد البصريون ذلك إلا سيبويه، وعند رجوعنا للآيات القرآنية المشتملة على «أو» وجدنا بعضها يحتمل معنى الإضراب.

١٢ ـ «بلى» حرف أصلي كما قال البصريون، وليس مركبًا كما قال الكوفيون.

١٣ ـ «بلى» تكون جوابًا للنفي مجردًا أومسبوقًا باستفهام حقيقي أوتوبيخي أوتقريري وهذا مانزل به القرآن وعليه جمهور النحاة بينما ذهب السهيلي وغيره وفاقًا لسيبويه إلى أن الاستفهام التقريري يجوز أن يجاب بـ«نعم» فتقع «نعم» موقع «بلى» وهذا مافهم أيضًا من كلام ابن عطية، ولكن لقلة الشواهد التي استدلوا بها فإنه لايصح القياس عليها. بل إن أبا حيان يقول أن ابن عطية ذهب إلى أن بلى لاتجيء إلا بعد نفي عليه تقرير لكن بعد رجوعنا إلى كتاب "المحرر الوجيز" ومقارنة النصوص ببعضها وجدنا أن ابن عطية لم يقل بذلك وإنما مذهبه فيها كمذهب الجمهور المذكور سابقًا.

الباب الثاني: أساليب الاستدراك:

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الباب مايلي:

١ـ «لكن» المشددة مركبة من «لا» و«إنَّ» و« الكاف» كما قال السهيلي ومن وافقه إذ أخذ معنى الاستدراك من «لا» النافية، والتوكيد من «إنَّ» وهذا يتفق مع جميع الاستعمالات القرآنية، وهو الراجح عندي.

٢ ـ «لكن» المشددة والخفيفة تفيد مع الاستدراك التعليل، وهذا المعنى لم أرَ أحدًا من النحاة أشار إليه.

٣ ـ ذهب ابن الطراوة إلى أن «لكن» ساكنة النون ليست للاستدراك إنما هي للإضراب وهذا يبدو موافقًا لمذهب الكوفيين إذ جوّزوا مجيء «لكن» بعد الموجب وبعدها مفردًا حملاً على «بل» أما المالقي فجعلها للإضراب إذا وليتها جملة اسمية.

٤ ـ يرى المالقي أنه إذا دخلت «الواو» على «لكن» كانتا عاطفتين أي الواو و «لكن» وهذا رأي غريب وقد رددناه. ورجحنا أن تكون «لكن» عاطفة إذا وليتها جملة ولم تسبق بالواو كما قال المبرد وغيره، أما إذا سبقتها الواو فالواو هي العاطفة.

٥ ـ ذهب الفراء إلى أن «لكن» إذا سبقت بالواو كانت مشددة وإذا لم تسبق بها كانت مخففة تشبيهًا لها بـ «بل» وردّه الفارسي، لأن دخول الواو عليها لم يكن من معنى يوجب تشديدها كما لم يكن في انتفاء دخولها عليه معنى يوجب تخفيفها.

٦ ـ من خلال تأملنا في النصوص القرآنية وجدنا «لكن» قد جاءت بعدها جملة اسمية وفعلية ولم يأت بعدها مايتعين كونه مفردًا على الرأي الراجح.

٧ ـ الاستثناء المنقطع هو مالم يكن المستثنى فيه بعضًا من المستثنى منه سواء كان من جنسه أم لم يكن.

٨ ـ قدّر البصريون «إلا» في الاستثناء المنقطع بـ «لكن» والكوفيون بـ«سوى» والراجح ماذهب إليه البصريون.

٩ ـ لانحتاج إلى تقدير المستثنى منه في الاستثناء المنقطع.

١٠ ـ الناصب لما بعد «إلا» في الاستثناء المنقطع هو ماقبلها وليست «إلا» التي بمعنى «لكن».

١١ ـ معظم النحاة حين يتحدثون عن الانقطاع يجعلونه في الاستثناء التام المنفي، أما التام الموجب فلايتحدثون فيه عن الانقطاع رغم وروده في القرآن بكثرة.، وربما تركوا الحديث عنه لأن حكمه الإعرابي واحد وهو النصب سواء كان متصلاً أم منقطعًا.

١٢ ـ يجب نصب الاسم الواقع بعد «إلا» في الاستثناء المنقطع عند الحجازيين، أما بنو تميم فيجيزون مع النصب الاتباع على سبيل المجاز بشرط صحة الاستغناء بالمستثنى عن المستثنى منه، أما إذا لم يصح الاستغناء فيجب نصبه عند تميم وغيرهم. وأكثر ماجاء المستثنى المنقطع في القرآن على لغة أهل الحجاز، وجاء على لغة بني تميم على الاتباع في بعض القراءات.

١٣ ـ جوّز النحاة أحيانًا في المستثنى المنقطع الذي لاتظهر عليه علامة الإعراب كالأسماء الموصولة والضمائر المبنية ونحوهما أن يكون في موضع رفع على الابتداء، وأن يكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع.

١٤ ـ يحتمل الاستثناء في بعض الآيات الاتصال والانقطاع من حيث التعيين والتقدير وذلك بسبب المعنى الذي يورده كل مفسر.

١٥ ـ «إلا» حرف واحد وليس مركبًا.

١٦ ـ ذهب البعض إلى أن «إلا» تأتي بمعنى الواو العاطفة، وبمعنى «بعد» وهذان قولان ضعيفان.

وأخيراً فهذا جهدي المتواضع، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في إعطائه حقه من البحث والدراسة، وما أبرىء نفسي من الخطأ والزلل فالكمال لله وحده، وإني لأحوج ما أكون إلى كل توجيه ونقد بناء من أساتذة أجلاء يقوم ما اعوج ويسدد ما انحرف عن جادة الصواب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

(١)

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

١ - التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل/ لأبي حيان، مصورة مركز البحث العلمي بمكة رقم (٧٣ نحو) عن نسخة دار الكتب - رقم ٦٢ نحو.

ثانياً : المطبوعات

٢ - القرآن الكريم.

٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر/ للدمياطي الشهير بالبناء، تعليق: علي محمد الضباع. دار الندوة الجديدة، بيروت.

٤ - أخبار النحويين البصريين/ للسيرافي، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا. دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥ - ارتشاف الضرب من لسان العرب/ لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس. مطبعة المدني بمصر، الطبعة الأولى.

٦ - إرشاد المبتدي وتذكر المنتهي في القراءات العشر/ للقلانسي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧ - الاستغناء في أحكام الاستثناء، لشهاب الدين القرافي، تحقيق: الدكتور طه محسن. مطبعة الإرشاد، بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨ - أسرار العربية/ لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق الدكتور محمد بهجة البيطار. مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٩ - إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين/ لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني. تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب. شركة الطباعة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠ - الأشباه والنظائر في النحو/ للسيوطي. راجعه وقدّم له الدكتور فايز ترحيني. دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١ - إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي. تأليف: عبد الله بن السيد البطليوسي. تحقيق الدكتور حمزة عبد الله النشرتي. دار المريخ. الرياض. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢ - الأصول في النحو/ لابن السراج. تحقيق الدكتور: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/ لابن خالويه. دار مكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٥م.

١٤ - إعراب القرآن/ لأبي جعفر النحاس. تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد. عالم الكتب. مكتبة النهضة العربية. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٥ - الأعلام/ لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

١٦ - الإغراب في جدل الإعراب/لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق: سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧م.

١٧ - الإقناع في القراءات السبع/لابن الباذش. تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش. مطبعة ركابي ونضر. المنطقة الحرة. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

١٨ - ألفية في النحو والصرف/لابن مالك. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٩ - أمالي السهيلي. تحقيق الدكتو: محمد إبراهيم البنا. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٢٠ - الأمالي الشجرية/لابن الشجري دار المعرفة. بيروت.

٢١ - إنباه الرواة على أنباه النحاة/ للقفطي. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. ومؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر.

٢٣ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/لابن هشام الأنصاري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر. الطبعة السادسة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٤ - الإيضاح العضدي/لأبي علي الفارسي. تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود. دار العلوم للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥ - الإيضاح في شرح المفصل/لابن الحاجب. تحقيق: الدكتور موسى بناي العليلي. مطبعة العاني. بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٦ - البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي. دار الفكر. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٧ - بدائع الفوائد/لابن قيم الجوزية. دار الفكر.

٢٨ - البرهان في علوم القرآن/للزركشي. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر. الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٩ - البسيط في شرح جمل الزجاجي/لابن أبي الربيع تحقيق ودراسة: الدكتور عيَّاد الثبيتي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣٠ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/للسيوطي. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار الفكر. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣١ - البيان في غريب إعراب القرآن/لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٢ - تاج العروس من جواهر القاموس/للزبيدي. الجزء الثالث. تحقيق: عبد الكريم العزباوي. مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م. والجزء التاسع بدون تحقيق، الطبعة الأولى بمصر ١٣٠٦هـ

٣٣ - تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم للقاضي أبي المحاسن المفضل التنوخي. تحقيق: الدكتور عبد الفتَّاح محمد الحلو. مطابع دار الهلال. الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٤ - تأويل مشكل القرآن/لابن قتيبة. تحقيق: السيد أحمد صقر. دار التراث. الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٥ - التبصرة والتذكرة/ للصيمري. تحقيق: الدكتور فتحي أحمد مصطفى علي الدين. دار الفكر بدمشق. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٦ - التبيان في إعراب القرآن/لأبي البقاء العكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٣٧ - التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين/ لأبي البقاء العكبري. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

٣٨ - تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب للأعلم الشنتمري. بهامش كتاب سيبويه طبعة بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧هـ

٣٩ - التسهيل لعلوم التنزيل/لابن جزي. دار الفكر.

٤٠ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/لابن مالك. تحقيق: محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٤١ - التعريفات/للشريف علي بن محمد الجرجاني. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٢ - تفسير أبي السعود المسمى "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" /لأبي السعود. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٤٣ - تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان. دار العلم للملايين. ودار لبنان. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٤ - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. دار الفكر.

٤٥ - تقريب المقرب في النحو/لأبي حيان الأندلسي: تحقيق: محمد جاسم الدليمي. مؤسسة دار الندوة الجديدة. بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٦ - تقريرات وزبد من شرح أبي سعيد السيرافي بهامش كتاب سيبويه. عالم الكتب/بيروت.

٤٧ - تناوب حروف الجر في لغة القرآن. تأليف الدكتور: محمد حسن عواد. دار الفرقان. عمان. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٨ - تهذيب التهذيب/لابن حجر العسقلاني. طبعة دار الفكر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٩ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك/للمرادي. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن علي سليمان. مكتبة الكليات الأزهرية. الطبعة الثانية.

٥٠ - التيسير في القراءات السبع/لأبي عمرو الداني. عني بتصحيحه: أوتوبرتزل. استانبول ١٩٣٠م.

٥١ - الجامع لأحكام القرآن/للقرطبي. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٥٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن/لأبي جعفر الطبري. دار الفكر. بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٥٣ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير/للسيوطي. دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥٤ - الجمل في النحو/للزجاجي. تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة. بيروت. دار الأمل. الأردن. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٥ - الجمل في النحو/المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٦ - الجنى الداني في حروف المعاني/للمرادي. تحقيق: الدكتور طه محسن. المكتبة الوطنية. ببغداد ١٩٧٥م.

٥٧ - جواهر الأدب في معرفة كلام العرب/ للإربلي. شرح وتحقيق: الدكتور حامد أحمد نيل. توزيع مكتبة النهضة المصرية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٨ - حاشية الخضري على ابن عقيل. طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية.

٥٩ - حاشية الدسوقي على مغني اللبيب. مطبعة المشهد الحسيني ١٣٨٦هـ

٦٠ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني. دار إحياء الكتب العربية.

٦١ - حاشية يس العليمي الحمصي على التصريح. دار إحياء الكتب العربية.

٦٢ - الحجة في القراءات السبع/لابن خالوية تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم. دار الشروق. بيروت. القاهرة. الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٣ - الحجة في علل القراءات السبع/لأبي علي الفارسي.

الجزء الأول: تحقيق: علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتّاح شلبي.

الجزء الثاني: تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتّاح شلبي.

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

٦٤ - حروف المعاني والصفات/للزجاجي. تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود. دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٥ - أبوالحسين بن الطراوة وأثره في النحو. للدكتور محمد إبراهيم البنا. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦٦ - حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية/جامعة الأزهر. العدد الأول.

٦٧ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/للبغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

٦٨ - الخصائص/لابن جني. تحقيق: محمد علي النجار. مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٢ - ١٩٥٧م.

٦٩ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم. تأليف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٧٠ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/لأحمدبن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرّاط. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧١ - الدرر اللوامع على همع الهوامع/للشنقيطي. تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية. الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٢ - ديوان الأخطل. تصنيف وشرح: إيليا سليم الحاوي. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٨م.

٧٣ - ديوان جران العود. مطبعة دار الكتب سنة ١٣٥٠هـ

٧٤ - ديوان حميد بن ثور الهلالي. تحقيق: عبد العزيز الميمني. دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥١م.

٧٥ - ديوان ذي الرمة. تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد القدوس أبوصالح. دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧٦ - ديوان رؤبة بن العجاج - مجموع أشعار العرب. تصحيح: وليم بن الورد. ليبزج ١٩٠٣م.

٧٧ - ديوان زهير بن أبي سلمى. دار صادر. بيروت.

٧٨ - ديوان زيد الخيل. صنعة نوري حمودي القيسي. النجف بالعراق ١٩٦٨م.

٧٩ - ديوان علقمة الفحل. دار الفكر. بيروت.

٨٠ - ديوان عمر بن أبي ربيعة. دار صادر. بيروت.

٨١ - ديوان عمرو بن أحمد الباهلي. جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٨٢ - ديوان كثير عزة. جمعه وحققه/الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٧١م.

٨٣ - ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. الكويت ١٩٦٢م.

٨٤ - ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: كرم البُسْتَاني. دار صادر. بيروت.

٨٥ - ديوان الهذليين. مصر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٨٦ - رصف المباني في شرح حروف المعاني/ للمالقي. تحقيق: الدكتور أحمد محمَّد الخرَّاط. دار القلم. دمشق. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/للآلوسي. دار الفكر. بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

٨٨ - سر صناعة الإعراب/لابن جني. تحقيق الدكتور حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٩ - سنن أبي داود. للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد. دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٩٠ - شرح أبيات سيبويه/لأبي جعفر النحاس. تحقيق الدكتور وهبة متولي عمر سالمة. مطبعة نهضة مصر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩١ - شرح أبيات سيبويه/لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي. تحقيق: الدكتور محمد علي سلطاني. دار المأمون للتراث. دمشق ١٩٧٩م.

٩٢ - شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر/لأبي علي الفارسي. تحقيق: الدكتور حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. ودار العلوم الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٣ - شرح أبيات مغني اللبيب/للبغدادي. تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق. دار المأمون للتراث. دمشق. الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩٤ - شرح الأشموني لألفية ابن مالك. طبعة دار الفكر. بيروت.

٩٥ - شرح ألفية ابن مالك/لبدر الدين بن الناظم. دار الجيل. بيروت.

٩٦ - شرح التصريح على التوضيح/لخالد الأزهري. دار إحياء الكتب العربية.

٩٧ - شرح جمل الزجاجي/لابن عصفور. تحقيق الدكتور صاحب أبوجناح. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٨ - شرح جمل الزجاجي/لابن هشام. تحقيق: الدكتور علي محسن عيسى مال الله. عالم الكتب. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٩ - شرح ديوان جرير. تأليف: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

١٠٠ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى/صنعة: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٤م.

١٠١ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب/لابن هشام الأنصاري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الباز. مكة المكرمة.

١٠٢ - شرح شواهد الإيضاح/لأبي علي الفارسي. تأليف: عبد الله بن بَرّي. تحقيق: الدكتور عيد مصطفى درويش. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠٣ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر. الطبعة السادسة عشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٤ - شرح عمدة الحافظ وعُدَّة اللافظ/لابن مالك. تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري. مطبعة العاني. بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠٥ - شرح عيون كتاب سيبويه/لأبي نصر هارون بن موسى القيسي المجريطي القرطبي. تحقيق: الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه. مطبعة حسان. بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠٦ - شرح عيون الإعراب/للمجاشعي. تحقيق: الدكتور حنّا جميل حداد. مكتبة المنار. الأردن. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٠٧ - شرح الفريد/لعصام الدين الإسفراييني. تحقيق: نوري ياسين حسين. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠٨ - شرح الكافية/للرضي الاستراباذي. تحقيق: يوسف حسن عمر. مطابع الشروق. بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٠٩ - شرح الكافية الشافية/لابن مالك. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث. الطبعة الأولى. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١١٠ - شرح اللمحة البدرية في علم العربية/لأبي حيان الأندلسي تأليف: ابن هشام الأنصاري. تحقيق: الدكتور صلاح رواي. الطبعة الثانية.

١١١ - شرح المفصل/لابن يعيش. عالم الكتب. بيروت. مكتبة المتنبي. القاهرة.

١١٢ - الشعر والشعراء/لابن قتيبة. تحقيق: د.مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٣ - شفاء العليل في إيضاح التسهيل/لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي. تحقيق: الدكتور الشريف عبد الله الحسيني. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١٤ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح/لابن مالك. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. عالم الكتب. بيروت.

١١٥ - الصاحبي/لابن فارس. تحقيق: السيد أحمد صقر. مطبعة البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

١١٦ - الصحاح للجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١٧ ـ صحيح البخاري. دار الفكر ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١١٨ ـ صحيح (الجامع الصغير وزيادته)، الفتح الكبير. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١١٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية.

١٢٠ ـ ضرائر الشعر/لابن عصفور. تحقيق: السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢١ ـ طبقات النحويين واللغويين/لأبي بكر الزبيدي. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية.

١٢٢ ـ ابن الطراوة النحوي/للدكتور عيّاد عيد الثبيتي. مطبوعات نادي الطائف الأدبي. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢٣ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري المسمى بالعيني على البخاري. دار الفكر.

١٢٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء/لابن الجزري. عني بنشره: برجستر اسر. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢٥ ـ غريب الحديث. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. حيدر آباد الدكن ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١٢٦ ـ غريب القرآن/لابن قتيبة. تحقيق/ السيد أحمد صقر.

١٢٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب. المطبعة السلفية.

١٢٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني. دار الفكر ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٢٩ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية/لسليمان ابن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

١٣٠ - الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب/لنور الدين عبد الرحمن الجامي. تحقيق: الدكتور أسامة طه الرفاعي. مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣١ - فوائد في مشكل القرآن/لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. تحقيق: الدكتور سيد رضوان علي الندوي دار الشروق. جدة. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٣٢ - القاموس المحيط/للفيروزأبادي.

١٣٣- القطع والائتناف/لأبي جعفر النحاس. تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر. مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨.

١٣٤ - الكامل/لأبي العباس المبرد. تحقيق محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٥ - كتاب سيبويه. تحقيق: الأستاذ عبد السلام محمد هارون. عالم الكتب. بيروت.

١٣٦ - كشاف اصطلاحات الفنون/للتهانوني. تحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. دار الكتاب العربي.

١٣٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/للزمخشري. دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٣٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/لحاجي خليفة. طبعة مكتبة المثنى بغداد.

١٣٩ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/لمكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٤٠ - الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/لأبي البقاء الكفوي. قابله على نسخة خطية الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري.

١٤١ - لسان العرب /لابن منظور. دار الفكر. بيروت.

١٤٢ - لمع الأدلة في أصول النحو/لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق: سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧م.

١٤٣ - المبسوط في القراءات العشر/لأبي بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٤٤ - مجاز القرآن/لأبي عبيدة. تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين. مكتبة الخانجي بمصر.

١٤٥ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها/لابن جني.

الجزء الأول: تحقيق: علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتّاح شلبي.

الجزء الثاني: تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتّاح شلبي. دار سزكين للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/لابن عطية.

الجزء الأول والثاني. تحقيق: الرحالي الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني.

والجزء الثالث والرابع والخامس والسادس. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي صادق العناني.

والجزء السابع والثامن. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم.

مؤسسة دار العلوم. الدوحة. الطبعة الأولى.

١٤٧ - مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/لابن خالويه. نشره برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.

١٤٨ - مراتب النحويين/لأبي الطيب اللغوي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة ١٩٥٥م.

١٤٩ - المسائل البصريات لأبي علي الفارسي. تحقيق: الدكتور محمد الشاطر أحمد محمد أحمد. مطبعة المدني بمصر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٥٠ - المسائل العضديات/لأبي علي الفارسي. تحقيق: الدكتور علي جابر المنصوري. عالم الكتب . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥١ - المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات/لأبي علي الفارسي. دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي. مطبعة العاني. بغداد ١٩٨٣م.

١٥٢ ـ المسائل المنثورة/لأبي علي الفارسي. تحقيق: مصطفى الحدري.

١٥٣ ـ المساعد على تسهيل الفوائد/لابن عقيل. تحقيق: الدكتور محمد كامل بركات. دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٥٤ ـ المستوفى في النحو/لكمال الدين أبي سعد الفوخان. تحقيق: الدكتور محمد بدوي المختون. دار الثقافة العربية. القاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥٥ ـ مشكل إعراب القرآن/لمكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: ياسين محمد السوّاس. دمشق ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٥٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/تأليف أحمد بن محمد الفيومي. المكتبة العلمية. بيروت.

١٥٧ ـ معاني الحروف/للرماني. تحقيق: الدكتور عبد الفتّاح اسماعيل شلبي. دار الشروق. جدة. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٥٨ ـ معاني القرآن/للأخفش الأوسط. تحقيق: الدكتور فائز فارس. مطابع الصفا. الكويت. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٥٩ ـ معاني القرآن الكريم/لأبي جعفر النحاس. تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني. مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦٠ ـ معاني القرآن وإعرابه/للزجاج. تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦١ - معاني القرآن/للفراء.

الجزء الأول. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي. محمد علي النجار.

الجزء الثاني. تحقيق: محمد علي النجار.

الجزء الثالث. تحقيق: الدكتور عبد الفتّاح شلبي. وعلي النجدي ناصف. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦٢ - معترك الأقران في إعجاز القرآن/للسيوطي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الفكر العربي.

١٦٣ - معجم الأدباء/لياقوت الحموي. بعناية: مرجليوث. الطبعة الثانية ١٩٢٣ ومابعدها.

١٦٤ - معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم. تأليف الدكتور اسماعيل أحمد عمايرة والدكتور عبد الحميد مصطفى السيد. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٦٥ - معجم شواهد العربية. تأليف: عبدالسلام هارون. الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٦٦ - معجم شواهد النحو الشعرية. تأليف الدكتور حنّا جميل حدّاد. دار العلوم. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦٧ - معجم المصطلحات النحوية والصرفية/للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ودار الفرقان. عمان. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٦٨ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. رتَّبه ونظَّمه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أ.ي. وِنْسِنْك. مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م.

١٦٩ - المعجم الوسيط. قام بإخراج هذه الطبعة: الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد. الطبعة الثانية.

١٧٠ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/للذهبي. تحقيق: بشار عوَّاد معروف. وشعيب الأرناؤوط. وصالح مهدي عبَّاس. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٧١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/لابن هشام الأنصاري. تحقيق الدكتور مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله. دار الفكر الطبعة الثانية.

١٧٢ - المفردات في غريب القرآن/للراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت.

١٧٣ - المفصل في علم العربية/للزمخشري. دار الجيل. بيروت. الطبعة الثانية.

١٧٤ - المقتصد في شرح الإيضاح/لعبد القاهر الجرجاني. تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان. دار الرشيد للنشر. العراق ١٩٨٢م.

١٧٥ - المقتضب/للمبرد. تحقيق: الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة ١٣٩٩هـ .

١٧٦ - المقدمة الجزولية في النحو. تحقيق الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد ١٩٨٨م.

١٧٧ - المقرب/لابن عصفور. تحقيق: أحمد عبد الستّار الجواري. وعبد الله الجبوري. مطبعة العاني. بغداد ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٧٨ - النبأ العظيم/للدكتور محمد عبد الله دراز. دار القلم. الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٧٩ - نتائج الفكر في النحو/للسهيلي. تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا. دار الاعتصام.

١٨٠ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء/لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. الأردن الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨١ - النشر في القراءات العشر/لابن الجزري. تصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع. دار الفكر.

١٨٢ - نظم الفرائد وحصر الشرائد/لابن بركات المهلبي. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن العثيمين. مطبعة المدني بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٨٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر/لابن الأثير الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزواوي والدكتور محمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية.

١٨٤ - النهر الماد من البحر المحيط/لأبي حيان الأندلسي. تقديم وضبط: بوران وهديان الضناوي. دار الجنان. ومؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٨٥ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/لاسماعيل باشا البغدادي.
دار الفكر. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٨٦ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/للسيوطي.
الجزء الأول. تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم والأستاذ عبد السلام هارون.
وباقي الأجزاء. تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلمية. الكويت.

١٨٧ - يونس البصري. حياته وآثاره ومذاهبه. تأليف الدكتور أحمد مكي الأنصاري. دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٢)

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

أ ـ الآيات كما في المصحف المتداول برواية حفص عن عاصم

* سورة البقرة (٢) *

{ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون}	٧٨	٣٨٥
{وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالاتعلمون. بلى من كسب سيئة ....}	٨٠ ، ٨١	٢٢٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨
{وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون}	٨٨	٣٧
{ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون . أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون}	٩٩ ، ١٠٠	٦٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
{واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا....}	١٠٢	٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٥
{... ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولانصير. أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل.... }	١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨	١٣١ ، ١٦٧ ، ١٦٨
{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك	١١١ ، ١١٢	٢٧٠ ، ٢٧٨

أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون}		
{وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون}	١١٦	١٠٤ ، ١١١
{ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون.أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون}	١٣٢ ، ١٣٣	١٦٩
{ وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين }	١٣٥	٣٨ ، ٤٠
{قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون. أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ومالله بغافل عما تعملون}	١٣٩ ، ١٤٠	١٧١

{فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا...}	٢٠٠	٢٤٦
{... والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}	٢١٣ ، ٢١٤	٩ ، ١٧٤
{لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم.....}	٢٢٥	٣٤٩
{ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لاتواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا...}	٢٣٥	٣٥٠ ، ٣٨٩
{وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم إلا أن يعفون...}	٢٣٧	٤٢٨
{ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون}	٢٤٣	٢٩٨ ، ٣٢٠

* سـورة آل عمـران (٣) *

{... وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف إن الله كان غفورا رحيما}	٢٣	٣٨٦ ، ٤٤٢
{والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم...}	٢٤	٤٣٣
{ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم...}	٢٩	٣٩١
{... ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلايؤمنون إلا قليلا}	٤٦	٣٧١
{إن الله لايغفر أن يشرك به ...}	٤٨	٤٧
{ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولايظلمون فتيلا}	٤٩	٤٧
{أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا. أم لهم نصيب من الملك فإذا لايؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله}	٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤	١٤٨ ، ١٧٨
{... مافعلوه إلا قليل منهم ...}	٦٦	٤٠٠ ، ٤٠٥

تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان...}		
{هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا}	١٠٩	١٨٠
{لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أومعروف أوإصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما}	١١٤	٤٣٥
{ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما}	١٤٨	٣٩٣
{فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا}	١٥٥	٤٨
{وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما}	١٥٧ ، ١٥٨	١٠٦ ، ١٠٧ ، ٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٤

* سورة المائدة (5) *

يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق...}		١٠٨
{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أويصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم}	٣٣ ، ٣٤	٣٨٣
{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ماآتاكم...}	٤٨	٣٧١
{وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ... }	٦٤	٤٩٠
{ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ماتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون}	٨١	٣٠٣
{لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان...}	٨٩	٣٤٩
{ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون}	١٠٣	٣٠٣

* سورة الأنعام (٦) *

{ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين}	٢٧ ، ٢٨	١٠٨ ، ١٠٩
{بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون}		
{...إن هي إلا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين}	٢٩	٢٧٣
{ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}	٣٠	٢٧٣
{قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}	٣٣	٣٠٤
{وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون}	٣٧	٣٠٥
{قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء	٤٠ ، ٤١	٦٧

وتنسون ماتشركون}		
{فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون}	٤٣	٣٧١
{وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون}	٦٩	٣٣٥ ، ٣٣٦
{وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولاأخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا...}	٨٠	٤٣٧
{ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون}	١١١	٣١٠ ، ٤٣٨
{ ومالكم ألا تأكلوا مماذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم إلا مااضطررتم إليه...}	١١٩	٣٩٥
{ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النارمثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم}	١٢٨	٤٣٩

{ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا........}	١٤٤	١٤٩
{قل لاأجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير}	١٤٥	٤٤٠

* سورة الأعراف (٧) *

{ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين}	١١	٤٢٤
{...حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون}	٣٨	٣٥٦
{قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني وسول من رب العالمين}	٦١	٣١١
{قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين}	٦٧	٣١١
{فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي	٧٩	٣٥٦

ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين}		
{إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون}	٨١	٦٧
{قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ومايكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا...}	٨٩	٤٣٨
{ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون}	٩٦	٣٧٢
{فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون}	١٣١	٣٠٥
{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني...}	١٤٣	٣٥٧
{.... وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن	١٦٠	٣٤٦

* سورة الأنفال (٨) *

بذات الصدور}		
{وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم}	٦٣	٣١٤

* سورة التوبة (٩) *

{ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم. إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين}	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	٣٩٦ ، ٣٩٧
{كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين}	٧	٤٤١

{.... ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم. أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون}	١٥ ، ١٦	١٨٢
{لوكان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ...}	٤٢	٣٧٢
{ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}	٤٦	٣٧٢
{ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون}	٥٦	٣١٤
{ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}	٧٠	٣٤٦
{...قالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون . لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون}	٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨	٣٥٧

* سورة يونس (١٠) *

* سورة هود (١١) *

{والله على كل شيء وكيل}	١٢ ، ١٣	١٨٤
{أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...}		
{.... إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون}	١٧	٣١٥
{فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشرا مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ومانرى لكم علينامن فضل بل نظنكم كاذبين}	٢٧	٦٩
{... وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون}	٢٩	٣١٦
{ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون . أم يقولون افتراه.....}	٣٤ ، ٣٥	١٥٠
{وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن...}	٣٦	٤٤٢
{... قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم..}	٤٣	٣٨١ ، ٤٤٣
{قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد}	٨٠	٢٥١

* سورة يوسف (١٢) *

{... وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم...}	٢٢	٤٤٦

* سورة الحجر (١٥) *

{ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون}	١٤ ، ١٥	١٠٩
{وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين}	١٧ ، ١٨	٤٤٦ ، ٤٤٧
{فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين}	٣٠ ، ٣١	٤٢٤
{إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين}	٤٢	٤٤٧
{قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين. إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين}	٥٨ ، ٥٩	٤٤٧ ، ٤٤٨
{قال إنكم قوم منكرون. قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون}	٦٢ ، ٦٣	٥١

* سورة النحل (١٦) *

* سورة الإسراء (١٧) *

* سورة الكهف (١٨) *

* سورة مريم (١٩) *

* سورة طه (٢٠) *

* سورة الأنبياء (٢١) *

* سورة الحج (٢٢) *

* سورة المؤمنون (٢٣) *

* سورة النور (٢٤) *

* سورة الفرقان (٢٥) *

* سورة الشعراء (٢٦) *

* سورة النمل (٢٧) *

{فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون}	٣٦	٨١
{قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون}	٤٧	٨٢
{أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون}	٥٥	٨٢
{قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون. أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة. ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لايعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الريح بشرا بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون. أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله من الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}	٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤	٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

{قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون. بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون}	٦٥ ، ٦٦	٨٤ ، ٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦
{وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون}	٧٣	٢٩٩
{حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون}	٨٤	١٣٦ ، ١٥٧

* سورة القصص (٢٨) *

{فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولاتحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون}	١٣	٣٠٧
{.. وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين}	٤٤ ، ٤٥	٣١٣ ، ٣١٩
{وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون}	٤٦	٣٦٢

{إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}	٥٦	٣٢٠
{وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنايجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون}	٥٧	٣٠٧
{وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك....}	٨٦	٤٥١

* سورة العنكبوت (٢٩) *

{أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون}	٢، ٣، ٤	١٩٥
{فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}	٤٠	٣٤٧
{وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا	٤٨، ٤٩	٨٦

لارتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدورالذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون}		
{ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيابه الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون}	٦٣	٨٦ ، ٨٧
{أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا...}	٦٧	٢٧٠

* سورة الروم (٣٠) *

{وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون}	٦	٣٠٧
{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}	٩	٣٤٧
{ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ماملكت أيمانكم من شركاء في مارزقناكم فأنتم فيه	٢٨ ، ٢٩	٨٧

سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون. بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين}		
{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون}	٣٠	٣٠٧
{ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون. أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون}	٣٤ ، ٣٥	١٩٦
{وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون}	٥٦	٣٠٨

* سورة لقمان (٣١) *

{هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين}	١١	٨٨
{وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا	٢١	٥٦

عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير}		
{ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون}	٢٥	٨٨

* سورة السجدة (٣٢) *

{تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين. أم يقولونه افتراه بل هو الحق من ربك...}	٢ ، ٣	٣١ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٩، ١٩٧، ٢١٤
{وقالوا أءذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون}	١٠	٨٩
{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}	١٣	٢٧٣

* سورة الأحزاب (٣٣) *

{....وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما}	٥	٢٦٣
{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم	٦	٤٠٧

* سورة سبأ (٣٤) *

{ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين}	٢٠	٤٥٢
{وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}	٢٤	٢٤٠
{قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم}	٢٧	٥٧
{وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون}	٢٨	٣٠٨
{قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين.وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا..}	٣٢ ، ٣٣	٥٨
{قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لايعلمون}	٣٦	٣٠٨
{وماأموالكم ولاأولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون}	٣٧	٢٨٢ ، ٤٠٨

* سورة الصافات (٣٧) *

* سورة ص (٣٨) *

* سورة الزمر (٣٩) *

لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك
قليلا إنك من أصحاب النار. أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما
يتذكر أولوا الألباب}

{لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون... لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد}	١٦ ، ٢٠	٣٦٤
{ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون}	٢٩	٩٢
{الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون}	٤٢ ، ٤٣	١٦١
{فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن	٤٩	٦١ ، ٣٠٨

أكثرهم لايعلمون}		
{أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين}	٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩	٢٧٧ ، ٢٧٨
{ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين}	٦٥ ، ٦٦	٦٢
{وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابهاوقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين}	٧١	٢٧٩ ، ٣٦٥

* سورة غافر (٤٠) *

{وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب.قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى ....}	٤٩ ، ٥٠	٢٧٩

* سورة فصلت (٤١) *

* سورة الشورى (٤٢) *

* سورة الزخرف (٤٣) *

{ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين}	٥١ ، ٥٢	١٤٠،١٣٤،٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥،٢١٤،٢١٣
{وقالوا ءألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون}	٥٨	٩٤
{الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين}	٦٧	٤٥٤
{إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون. وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين}	٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦	٣٣١ ، ٣٤٧
{لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون . أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون . أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون}	٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠	١٦٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٠ ، ٣٢٠
{ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}	٨٦	٤٥٥

* سورة الدخان (٤٤) *

{رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . بل هم في شك يلعبون}	٧ ، ٨ ، ٩	٦٣
{ماخلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون}	٣٩	٣٠٨
{يوم لايغني مولى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون. إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم}	٤١ ، ٤٢	٤٥٥
{لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم}	٥٦	٤١٠ ، ٤١١

* سورة الجاثية (٤٥) *

{هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون. أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}	٢٠ ، ٢١	٢١٦
{قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون}	٢٦	٣٠٨

* سورة الأحقاف (٤٦) *

* سورة محمد (٤٧) *

مرض أن لن يخرج الله أضغانهم}

* سورة الفتح (٤٨) *

{سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا. بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا}	١١ ، ١٢	١١٩
{سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لايفقهون إلا قليلا}	١٥	٦٤ ، ٦٥

* سورة الحجرات (٤٩) *

{واعلموا أن فيكم رسول الله لويطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون}	٧	٣٢١ ، ٣٢٢

* سورة ق (٥٠) *

* سورة الذاريات (٥١) *

* سورة الطور (٥٢) *

* سورة النجم (٥٣) *

* سورة القمر (٥٤) *

* سورة الواقعة (٥٦) *

* سورة الحديد (٥٧) *

* سورة المجادلة (٥٨) *

* سورة الحشر (٥٩) *

{وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير}	٦	٣٢٢

* سورة الممتحنة (٦٠) *

{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك...}	٤	٤٥٨

* سورة المنافقون (٦٣) *

{هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون. يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون}	٨،٧	٣٠٩

* سورة التغابن (٦٤) *

* سورة التحريم (٦٦) *

* سورة الملك (٦٧) *

* سورة القلم (٦٨) *

{فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون}	٢٦ ، ٢٧	١٢١
{مالكم كيف تحكمون . أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون . أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون . سلهم أيهم بذلك زعيم. أم له شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين .... وأملي لهم إن كيدي متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون}	٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧	١٦٦

* سورة الجن (٧٢) *

{قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا. إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا}	٢٢ ، ٢٣	٤١٢
{عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا}	٢٦ ، ٢٧	٤١٣

* سورة المدثر (٧٤) *

{كل نفس بماكسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين}	٣٨ ، ٣٩	٤٥٨
{فما لهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة. بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة}	٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢	٩٩
{كلا بل لايخافون الآخرة}	٥٣	٩٩

* سورة القيامة (٧٥) *

{أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه . بل يريد الإنسان ليفجرأمامه}	٣ ، ٤ ، ٥	١٠٠ ، ٢٨٣
{ ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر . بل الإنسان على نفسه بصيرة}	١٣ ، ١٤	١٠٠
{ثم إن علينا بيانه. كلا بل تحبون العاجلة}	١٩ ، ٢٠	١٠١
{فلاصدق ولاصلى . ولكن كذب وتولى}	٣١ ، ٣٢	٣٦٨

* سورة الإنسان (٧٦) *

* سورة النبأ (٧٨) *

* سورة الانفطار (٨٢) *

* سورة المطففين (٨٣) *

* سورة الانشقاق (٨٤) *

* سورة البروج (٨٥) *

* سورة الأعلى (٨٧) *

* سورة الغاشية (٨٨) *

{لست عليهم بمصيطر . إلا من تولى وكفر . فيعذبه ٢٢ ، ٢٣ ، ٤١٥
الله العذاب الأكبر} ٢٤

* سورة الفجر (٨٩) *

{وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . ١٦ ، ١٧ ١٠٢ ، ١٠٣
كلا بل لا تكرمون اليتيم}

* سورة الليل (٩٢) *

{وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه ١٩ ، ٢٠ ٢٨٨
الأعلى}

* سورة الشرح (٩٤) *

{ألم نشرح لك صدرك} ١ ٢٧١

* سورة التين (٩٥) *

{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه ٤ ، ٥ ، ٦ ٤٥٩ ، ٤٦٠
أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم أجر غير ممنون}

ب ـ فهرس القراءات

هذه القراءات غير التي جاءت في الفهرس المتقدم ووردت في البحث منها ماهو في السبعة ومنها ماهو فوق ذلك ومنها ماهو شاذ. ولمعرفة ذلك يراجع كل في مواضعه.

الآية	موضع القراءة	السورة	الآية	صفحة
أَوْكلما ...!	بتسكين الواو	البقرة	١٠٠	٢٤٤
ولكنِ الشياطينُ	بتخفيف نون "لكن"	البقرة	١٠٢	٢٩٤
بل ملةُ	برفع "ملة"	البقرة	١٣٥	٤٠
أم يقولون	بالياء بدل التاء في "تقولون"	البقرة	١٤٠	١٧١
أَلَا الذين ظلموا	بفتح الهمزة وتخفيف اللام "ألا"	البقرة	١٥٠	٤٢٦
ولكنِ البرُ	بتخيف نون "لكن"	البقرة	١٧٧	٢٩٦
ولكنِ البرُ	بتخيف نون "لكن"	البقرة	١٨٩	٢٩٧
إلا أن يكون قليل	برفع "قليل"	البقرة	٢٤٦	٤١٧
ولكنَّ أنفسهم	بتشديد نون "لكن"	آل عمران	١١٧	٣٤٦
بل اللَّهَ	بنصب لفظ الجلالة	آل عمران	١٥٠	١٠٦
بل أحياءً	بنصب أحياء	آل عمران	١٦٩	٤٥
لكنَّ الذين اتقوا	بتشديد نون "لكن"	آل عمران	١٩٨	٣٥٣
إلا قليلا	بنصب "قليل"	النساء	٦٦	٤٠٥
من ظَلَم	بفتح الظاء على تسمية الفاعل	النساء	١٤٨	٣٩٣
لكنَّ اللهَ يشهد	بتشديد نون "لكن"	النساء	١٦٦	٣٥٥
ولكنِ اللهُ	بتخفيف نون "لكن"	الأنفال	١٧	٣١٢
ولكنِ اللهُ	بتخفيف نون "لكن"	الأنفال	٤٣	٣١٣
ولكن تصديقُ	برفع تصديق	يونس	٣٧	٣٣٩
ولكنِ الناسُ	بتخفيف نون "لكن"	يونس	٤٤	٣١٥
فهلَّا	في قراءة أبي بدل "لولا"	يونس	٩٨	٣٩٧

الآيــة	موضع القراءة	السـورة	الآية	صفحة
إلا قومُ	برفع "قـوم"	يونـس	٩٨	٣٩٨
إلا قليلٌ	برفع "قليل"	هــود	١١٦	٤٠٠
ولكن تصديقُ	برفع "تصديق"	يوسـف	١١١	٣٤٠
ألَا من ظلم	بفتح الهمزة وتخفيف اللام "ألا"	النمـل	١١	٤٠٥
أمَن	بتخفيف الميم	النمـل	٦٠	١٩٢
بل تدارك	وهو أصل قراءة من قرأ "ادّارك"	النمـل	٦٦	٨٤
بل أدْرك	بقطع الهمزة وإسكان الدال	النمـل	٦٦	٨٥
أمَاذا	بتخفيف الميم	النمـل	٨٤	١٥٧
ولكن رحمةٌ	برفع "رحمـة"	القصص	٤٦	٣٦٢
ولكن رسول	بتشديد نون "لكن"	الأحزاب	٤٠	٣٤٢
	برفع كلمة "رسـول"	الأحزاب	٤٠	٣٤٢
ويزيدون	بالواو بدل "أو" في "أويزيدون"	الصافات	١٤٧	٢٥٧
اتخذناهم	بوصل الهمـزة	ص	٦٣	٢٠٠
استكبرت	بوصل الهمـزة	ص	٧٥	٢٠٣
أمَن	بتخفيف الميم	الزمر	٩	٢٠٥
لكنّ الذين اتقوا	بتشديد نون "لكن"	الزمر	٢٠	٣٦٤
بل اللهُ	برفع لفظ الجلالة "الله"	الزمر	٦٦	٦٢
أمَا أنا خير	بفتح الميم وألف بعدها	الزخرف	٥٢	٢١٥
بل يأمرهم	بـ "بل" بدل "أم"	الطور	٣٢	٢٢١
أمَن	بتخفيف الميم	الملك	٢٠	٢٢٨
ألَا من تولى	بفتح الهمزة وتخفيف اللام "ألا"	الغاشية	٢٣	٤١٥
إلا ابتغاءُ	برفع "ابتغاء"	الليل	٢٠	٣٨٨

(٣)
فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

(٤)

فهرس
الأشعار والأرجاز

فهرس الأشعار والأرجاز

ألستم خير من ركب المطايا	جرير	٢٧١
وأندى العالمين بطون راح		
« د »		
يلومونني في حب ليلى عواذلي	-	٢٨٩
ولكنني من حبها لعميد		
وقد بعدت بالوصل بيني وبينها	-	٢٦٦
بلى إن من زار القبور ليبعدا		
فلاتبعدن باخير عمرو بن جندب	من شعر الطهوي	هامش٢٦٦
بلى إن من زار القبور ليبعدا	كما قال الرضي	
وقفت فيها أصيلانًا أسائلها	النابغة الذبياني	٣٧٩
عيت جوابًا ومابالربع من أحد		
إلا أواري لأيًا ما أبينها		
والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد		
لواعتصمت بنا لم تعتصم بعدًا	-	٢٢
بل أولياء كفاة غير أوغاد		
ماذا ترى في عيال قد برمت بهم	جرير	٢٣٧
لم أحص عدتهم إلا بعداد		
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية		
لولا رجاؤك قد قتلت أولادي		
« ر »		
إن ابن ورقاء لاتخشى بوادره	زهير	٣٣١
لكن وقائعه في الحرب تنتظر		

ومــا ســلــوتــك لابــل زادنــي شـــغــفًا	ـ	٣٥
هــجــر وبــعــد تمــاد لا إلـــى أجــل		

« م »

فـقـمـت لـلـطـيـف مـرتـاعًا فـأرقـنـي	زياد بن حمل	١٢٦
فـقـلـت أهـي ســرت أم عــادنــي حـلـم		
بـل بـلـد مـلء الـفـجـاج قـتـمــه	رؤبة بن العجاج	٣٠
لايـشـــتــرى كـتّانــه وجــهــرمــه		
أبـا مـالـك هـل لمـتـنـي مـذ حـضـضـتـنـي	الجحاف بن حكيم	١٣٦ ، ١٤١
عـلـى الـقـتـل أم هـل لامـنـي لـك لائـم		
هـل مـاعـلـمـت ومـااسـتـودعـت مـكـتـوم	علقمة بن عبدة	١٣٢ ، ١٣٦
أم حـبـلـهـا إذ نـأتـك الـيـوم مـصـروم		١٤٢
أم هـل كـبـيـر بـكـى لـم يـقـض عـبـرتـه		
إثــر الأحـبـة يـوم الـبـين مـشــكـوم		
لاتمــلـــن طـــاعـــة الــلـــه لا بـــل	ـ	٣٥
طـاعـة الـلـه مـاحـيـيـت اســتـديمـا		
ســائـل فـوارس يـربـوع بـشـدتـنـا	زيد الخيل	١٣٤
أهـل رأونـا بـوادي الـقـفـر ذي الأكـم		
نجـائـب لـيـسـت مـن مـهـور أشـابـة	ذو الرمة	٢٤٠
ولاديـــة كـــانـــت ولاكــســـب مـــآثـم		
ولـكـن عـطـاء الـلـه مـن كـل رحـلـة		٢٤١
إلـى كـل مـحـجـوب الـســرادق خـضـرم		
ومــا كــان لــي مــن تــراث ورثـتـــه		هامش٢٤١
ولاديـــة كـــانـــت ولاكــســـب مـــآثـم		

« ن »

(٥)

فهرس
الأعلام والجماعات

« ت »

« ث »

« ج »

« ز »

« س »

« و »

« ي »

(٦)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة